

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨٦١  
= ٢٩

جامعة مؤتة

كلية الآداب

# التربية والتعليم

في العراق في العصر العباسي الأول

١٢٢ - ٢٤٧ هـ / ٧٤٩ - ٨٦١ م

إعداد

طالب حامد حسن الضمور

إشراف

الدكتور حسين الكساسبة

١٩٩٦ م

جامعة مؤتة  
كلية الآداب

# التربية والتعليم في العراق في العصر العباسي الأول

١٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٧٤٩ - ٨٦١ م

إعداد

**طالب حامد حسن الضمور**

بكالوريوس تاريخ / تربية / الجامعة الأردنية ١٩٨٣

دبلوم تربية / جامعة مؤتة ١٩٩١

إشراف

**الدكتور حسين الكساسبة**

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير  
في التاريخ من جامعة مؤتة

## لجنة المناقشة

- ١- الدكتور حين الساب مشرف
- ٢- الدكتور احمد الحسو
- ٣- الدكتور زيف المعايطة

تاريخ تقديم الرسالة: ١٩٩٦ / ٧ /

تاريخ مناقشة الرسالة: ١٩٩٦ / ٧ /



# شكر وتقدير

---

الشكر لله تعالى أولاً وآخرأ على رعايته وعونه لي على إتمام هذه الدراسة، ثم أتقدم بخالص الشكر والعرفان للدكتور الفاضل حسين الكساسبة على ملاحظاته القيمة وتوجيهاته السديدة، التي كان لها أثر كبير في كشف معالم الطريق أمامي، فكان لمتابعته المتواصلة وإشرافه المستمر دوراً كبيراً في إتمام هذه الدراسة.

وجزيل شكري لأساتذتي في قسم التاريخ على ما أبدوه من ملاحظات ونصائح في السنوات التحضيرية.

كما وأتقدم بالشكر إلى كل من له فضل في هذه الدراسة، سواء بكلمة أسداها أو رأي تقدم به وأخص بالذكر الزميل محمد سالم الملاحمة فيما أبداه لقراءة فصول الرسالة وتدقيقها لغوياً.

ولا أنسى الجهود الخيرة لموظفي المكتبة في جامعة مؤتة على ما أبدوه من تسهيلات وجهود مشكورة.

# الإهداء

---

إلى والديّ الكريمين تقديراً لفضلهما.....

وإلى إختوتي الأعزاء.....

أول غرسة في رياض العلم

مع خالص محبتي وتقديري

## فهرس المحتويات

المختصرات والرموز	أ
المقدمة	ب - هـ
عرض وتحليل المصادر	١ - ١١
<b>الفصل الأول: المعلمون وتعليم الصبيان</b>	١١ - ٨٣
أولاً : المعلمون	١٣ - ٣٩
١- مدلول كلمة مُعَلِّم	١٣ - ١٧
٢- مكانة المعلمين الاجتماعية	١٨ - ٢٨
٣- ✓ صفات وشروط معلم الكُتَّاب	٢٩ - ٣٢
٤- الوضع المالي للمعلمين (الأجور)	٣٣ - ٣٩
ثانياً: تعليم الصبيان	٤٠ - ٨٣
١ - أماكن التعليم	٤٠ - ٧٩
أ - المسجد	٤٠ - ٤٥
ب - الكتاتيب	٤٦ - ٤٩
- أماكن وجودها	٥٠ - ٥١
- هيكلية الكُتَّاب	٥٢ - ٥٤
- مواد التعليم	٥٤ - ٦١
- أوقات التعليم	٦١ - ٦٤
- سن التعليم	٦٤ - ٦٥
- مدة التعليم في الكُتَّاب	٦٦ - ٦٩
- التأديب (الثواب والعقاب)	٧٠ - ٧٩
٢- واجبات وأساليب المعلم في الدرس	٨٠ - ٨٣
<b>الفصل الثاني: مؤدبو أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة</b>	٨٥ - ١١٨
١- معنى كلمة مؤدب	٨٥ - ٨٥
٢- صفات وشروط المؤدبين	٨٥ - ٩٢

٩٩ - ٩٢	٣- مكانة المؤدين
١٠٣ - ٩٩	٤- أجور المؤدين
١١٠ - ١٠٤	٥- مواد التعليم وأساليب تدريسها
١١٣ - ١١١	٦- الجانب السلوكي
١١٤ - ١١٣	٧- أوقات التعليم
١١٦ - ١١٤	٨- سن التعليم
١١٨ - ١١٦	٩- التأديب (الثواب والعقاب)
٢١٦ - ١٢٠	<b>✓ الفصل الثالث: حلقات التعليم ومجالسه</b>
١٢٤ - ١٢٠	أولاً : معنى الحلقة والمجلس
١٦٨ - ١٢٥	ثانياً : أماكن انعقاد حلقات ومجالس العلم وموضوعاتها
١٣٩ - ١٢٥	١- المسجد
١٥٧ - ١٣٩	٢- قصور الخلفاء والأمراء
١٦٠ - ١٥٧	٣- منازل العلماء
١٦١ - ١٦٠	٤- حوانيت الوراقين
١٦٢ - ١٦٢	٥- الدكاكين (حوانيت البيع والشراء)
١٦٤ - ١٦٢	٦- المكتبات
١٦٨ - ١٦٤	٧- البادية
١٧١ - ١٦٩	ثالثاً : أعداد المتعلمين
١٧٦ - ١٧٢	رابعاً : سن التعليم
١٧٩ - ١٧٦	خامساً : مواعيد التعليم
١٨١ - ١٨٠	سادساً : مدة التعليم
٢٠٧ - ١٨٢	سابعاً : أساليب وطرق التعليم
١٨٥ - ١٨٢	١- طريقة الإملاء
١٨٨ - ١٨٦	٢- طريقة السماع والحفظ
١٩١ - ١٨٩	٣- طريقة المناظرة
١٩٦ - ١٩١	٤- طريقة السؤال

٢٠٥ - ١٩٧	.....	٥- الرحلة في طلب العلم
٢٠٧ - ٢٠٥	.....	٦- توجيه الطلاب حسب مواهبهم
٢١٢ - ٢٠٨	.....	ثامناً : مكانة العلماء
٢١٦ - ٢١٣	.....	تاسعاً : الإجازات العلمية
٢٥١ - ٢١٨	.....	<b>الفصل الرابع : تعليم المرأة</b>
٢٢٤ - ٢١٨	.....	أولاً : الموقف العام من تعليم الإناث
٢٤٣ - ٢٢٥	.....	ثانياً : المواد التعليمية
٢٢٧ - ٢٢٥	.....	١- القراءة والكتابة
٢٢٩ - ٢٢٧	.....	٢- العلوم الدينية
٢٣٠ - ٢٣٠	.....	٣- الفصاحة والبلاغة
٢٣٥ - ٢٣١	.....	٤- الشعر
٢٤١ - ٢٣٦	.....	٥- الغناء والموسيقى
٢٤١ - ٢٤١	.....	٦- رواية الأخبار
٢٤٣ - ٢٤١	.....	٧- الطب والرياضيات
٢٥١ - ٢٤٤	.....	ثالثاً : أماكن تعليم المرأة
٢٤٥ - ٢٤٤	.....	١- الكتاتيب
٢٤٧ - ٢٤٦	.....	٢- المساجد
٢٤٩ - ٢٤٧	.....	٣- البيوت
٢٥١ - ٢٤٩	.....	٤- القصور
٣٢٦ - ٢٥٣	.....	<b>الفصل الخامس : الوسائل المعينة على التعلم</b>
٢٨٦ - ٢٥٣	.....	أولاً : أدوات الكتابة
٢٦٠ - ٢٥٣	.....	١- القلم
٢٦٧ - ٢٦٠	.....	٢- الدواة (المحبرة)
٢٦٨ - ٢٦٧	.....	٣- اللخاف
٢٧١ - ٢٦٩	.....	٤- الألواح
٢٧٤ - ٢٧١	.....	٥- الجلود

٢٧٨ - ٢٧٥	٦- القراطيس
٢٨٢ - ٢٧٨	٧- الورق (الكاغد)
٢٨٢ - ٢٨٢	٨- الرقاع
٢٨٤ - ٢٨٣	٩- الصحيفة
٢٨٤ - ٢٨٤	١٠- الدفاتر
٢٨٥ - ٢٨٥	١١- الكراسه
٢٨٥ - ٢٨٥	١٢- الطروس
٢٨٦ - ٢٨٥	١٣- المساطر
٢٩٢ - ٢٨٧	✓ ثانياً : الوراقون
٣٢٦ - ٢٩٣	✓ ثالثاً : الكتب والمكتبات
٢٩٩ - ٢٩٣	١- القيمة الأدبية للكتاب
٣١٩ - ٢٩٩	٢- المكتبات وأنواعها
٣١٠ - ٢٩٩	أ - المكتبات العامة (بيت الحكمة)
٣١٣ - ٣١٠	ب - مكتبات بين العامة والخاصة
٣١٩ - ٣١٣	ج - المكتبات الخاصة
٣٢٤ - ٣١٩	٣- إعارة الكتب
٣٢٦ - ٣٢٤	٤- مالية المكتبات
٣٧٠ - ٣٢٨	- قائمة المصادر والمراجع
٣٧٢ - ٣٧١	- Abstract

# المختصرات والرموز

الرموز الواردة في الرسالة ودلالاتها:

ص : صفحة

ق : قسم

ج : جزء

ط : طبعة

ع : عدد

م : مجلد

د. د : دون دار نشر

د. م : دون مكان نشر

د. ت : دون تاريخ نشر

ت : توفي

م : بعد السنوات تعني ميلادي

هـ : هجري

[.....] : إضافة كلمة أو كلمات في أثناء الاقتباس

EI<sup>1</sup> : Encyclopaedia of Islām (First Edition)

EI<sup>2</sup> : Encyclopaedia of Islām (New Edition)

P : Page

Vol : Volume

## المقدمة

من أبرز ما يميّز الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي الأول، هو ذلك الاهتمام الكبير بالجانب الثقافي، وما بلغته المعرفة من اهتمام وتطور كبير، وما أصاب التعليم من ازدهار واسع.

وقد وقع اختياري على موضوع «التربية والتعليم في العراق في العصر العباسي الأول ١٣٢ - ٢٤٧هـ / ٧٤٩ - ٨٦١م»، رغبةً في إلقاء الضوء على واقع التربية والتعليم لتلك الفترة الهامة، والتي لم تحظَ بعد - في حدود علمي - بالاهتمام الذي تستحقّه. وقد جاءت هذه الدراسة لتعالج واحداً من موضوعات التاريخ الإسلامي وجانباً من جوانب المعرفة الحضارية، الذي يشكّل بعداً حيويّاً من أبعاد التطوّر الحضاري وجانباً مهماً في معرفة التفاعل الثقافي المتبادل بين العناصر المكوّنة للمجتمع الإسلامي، بهدف تكوين صورة حضارية للأمة إجمالاً.

ولعلّ العصر العباسي الأوّل أجدر العصور بالبحث في ميدان التربية والتعليم لأنه - في اعتقادي - الأساس في كلّ التراكمات اللاحقة، والفواصل الزمنية الذي تبلورت فيه التطورات العلمية والثقافية للأمة الإسلامية، وقد اتّصلوا بالثقافات الأخرى، فأخذوا وترجموا وانتقدوا وابتكروا.

وقد يختلف الباحثون في تحديد نهاية العصر العباسي الأول بين نهاية حكم الولاة (٢٣٢هـ / ٨٤٦م)، ونهاية حكم المتوكل (٢٤٧هـ / ٨٦١م)، ولكنّ طبيعة التطوّر الثقافي الذي شهده هذا العصر، انتهت بالباحث إلى الوقوف عند نهاية حكم المتوكل لما تلا هذه الفترة



من تسلط تركي، ظهر من خلال التدخل المباشر في شؤون الحكم والإدارة، فانشغل الخلفاء بمشاكلهم السياسية وأمور حكمهم الخاصة، فانعكس ذلك سلباً على الجوانب الحضارية المختلفة.

ويواجه الباحث في دراسة التربية والتعليم مشاكل متعددة، في مقدمتها تعدد المصادر وتنوعها بين مؤلفات تاريخية، وأدبية، وجغرافية، وفقهية، ومصادر تتعلق بالنواحي الإدارية، وأخرى بالنواحي التعليمية، بالإضافة إلى تشتت المعلومات وتبعثرها في المصادر، وهذا يتطلب دراسة فاحصة للمصادر بأنواعها المختلفة؛ الأمر الذي تحتاج معه الدراسة إلى جهدٍ وصبرٍ ومثابرة.

وتتألف الدراسة من عرضٍ وتحليلٍ لأهم المصادر التي اعتمدت عليها، ومن خمسة فصول.

## ١- الفصل الأول: المعلمون وتعليم الصبيان:

يتناول المعلمين من حيث مدلول كلمة معلم، ومكانة المعلمين الاجتماعية وصفاتهم وشروط اختيارهم، والوضع المالي للمعلمين. كما يتناول تعليم الصبيان في المساجد، والكتاتيب العامة التي تناولها الفصل من حيث أماكن وجودها، وهيكلتها، ومواد التعليم فيها، وأوقات التعليم ومدته. كما تناول تأديب الصبيان ووسائل إنزال العقوبة بهم وواجبات وأساليب المعلم في الدرس.

## ٢- الفصل الثاني: مؤدبو أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة:

يتناول معنى كلمة مؤدب، والصفات والشروط الواجب توفرها في المؤدب، ومكانة المؤدبين الاجتماعية، وأوضاعهم المالية، والمواد التي يتعلمها أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة،

مع التركيز على الجوانب السلوكية في تأديبهم وأوقات تعليمهم والأساليب المتبعة في تدريس هذه المواد، بالإضافة إلى الحديث عن سن التعليم والعقاب.

### ٣- الفصل الثالث: حلقات التعليم ومجالسه:

يشتمل على تحديد معنى الحلقة والمجلس، وأماكن انعقاد حلقات ومجالس العلم (المساجد، المنازل، والقصور، وحوانيت البيع والشراء، وحوانيت الورّاقين، والمكتبات). والموضوعات التي تناولتها، وأساليب وطرق تدريسها، والرحلة في طلب العلم، وبيان لطريقة توجيه الطلاب لاختيار علومهم التخصصية. كما اشتمل على أعداد المتعلمين، وسن ابتداء طلبهم للعلم، ومواعيد التعليم في الحلقات والمجالس، ومكانة العلماء الاجتماعية، والإجازات العلمية.

### ٤- الفصل الرابع: تعليم المرأة:

ويتناول الموقف العام من تعليم الإناث، ومدى الاهتمام الذي وجدته المرأة من خلال أقوال الرسول ﷺ وأفعاله، وأقوال الصحابة والتابعين. فدخلت المرأة إلى مجال طلب العلم إلى جانب الرجل، وقد أظهرت براعة واضحة، ظهر ذلك من خلال أسماء النساء التي وردت في المصادر، الحرائر منهن والحواري. كما اشتمل هذا الفصل على المواد التعليمية للإناث والتي تعددت وانعكست آثارها على ثقافة المرأة الدينية والعلمية والأدبية. وقد تلقت تعليمها في أماكن عديدة شملت الكتاتيب، والمساجد، والمنازل، والقصور، فكانت فيها مشاركة فاعلة، وغير قاصرة على الاستماع.

### ٥- الفصل الخامس: الوسائل المعينة على التعلم:

وقد تضمن معلومات عن أدوات الكتابة التي استعان بها المتعلمون على مختلف

مستوياتهم العلمية، كالقلم، والدواة، واللخاف، وكرب النخل، والألواح، والجلود، والقراطيس، والورق، والرقاع، والصحف، والدفاتر، والكراسات، والطروس والمساطر. وقد كان لدخول صناعة ورق الكاغد إلى العراق أثره في ظهور حوانيت الوراقين التي رفدت الحركة العلمية والتعليمية، بالكتب وأدوات الكتابة. واحتوى الفصل على معلومات عن الكتب والمكتبات؛ العامة والخاصة، وما يتعلق بها من نظم إدارية ومالية، وأثر هذه المكتبات في توفير الكتب لطلابها مع التركيز على بيت الحكمة كمكتبة عامة لاقت اهتماماً واضحاً من الرشيد وقد ظهرت في عهده، وبلغت ذروتها في عهد الخليفة المأمون الذي حباها جلّ اهتمامه، وأنفق عليها بنسخاء، في الوقت الذي حرص فيه العلماء والخاصة على اقتناء الكتب، رافدين الحركة العلمية والتعليمية بمكتبات خاصة.

## عرض وتحليل المصادر

إن الخوض في موضوع التربية والتعليم في العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٤٧هـ/ ٧٤٩ - ٨٦١م)، في فترة تزيد على القرن يقتضي الاطلاع على مصادر ومراجع مختلفة، وقد تعددت مصادر هذه الدراسة وتنوعت بين مؤلفات تاريخية (تاريخ عام، تراجم، طبقات)، وكتب حديث وفقه، ومؤلفات تتعلق بالنظم والإدارة، وكتب الجغرافيا، والدراسات اللغوية والأدبية، ومصادر أخرى تتعلق بالنساء، وأخرى تختص بالتربية والتعليم.

ومع أن كل صنف من هذه المؤلفات له اهتماماته، إلا أنها جميعها تناولت الموضوع من هذا الجانب أو ذاك. لذا فقد أفادت الدراسة من مختلف المصادر وإن اختلف مقدار الإفادة من مصدر لآخر. وفيما يلي عرض لأهم المصادر.

### ١- المؤلفات التاريخية:

لقد أوردت كتب التاريخ معلومات غطت جوانب هامة من الدراسة، فقد تناول كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) مكانة المعلمين، والكتاتيب العامة من حيث هيكلتها ومواد التعليم فيها وأساليب الثواب والعقاب، ومكانة المؤدين في الكتاتيب الخاصة، وأساليب وطرق التعليم في حلقات ومجالس العلم. كما تطرق إلى تعليم المرأة، وإلى الوسائل المعينة على التعليم. ولقد أفيد من مؤلفات ابن قتيبة الأخرى مثل كتاب «المعارف» في جوانب مهمة من الدراسة.

ويُعد كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» للمسعودي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، كتاباً جامعاً للمعلومات التاريخية والجغرافية والأدبية وقد تضمن معلومات هامة أفادت الدراسة في الجانب السلوكي في تعليم الصبيان، وأجور المؤدين، وصفاتهم وشروطهم، ومواد التعليم وأساليب تعليمها في الكتاتيب الخاصة، وحلقات العلم في قصور الخلفاء والأمراء والخاصة، ومواعيد انعقادها.

وفي كتاب «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، معلومات واسعة أفادت الدراسة في معظم جوانبها، شملت مواد التعليم في الكتاتيب العامة

وتعليم الصبيان في المساجد، وصفات وشروط المؤيدين في الكتائب الخاصة، ووضعهم المعاشي، ومواد التعليم في الكتائب الخاصة وأساليب تدريسها، وسن التعليم لأبناء الخلفاء، كما اشتمل على معلومات عن حلقات ومجالس العلم في المساجد، والقصور، والمنازل، والبادية، وأعداد المتعلمين، وسن طلب العلم، ومواعيد انعقاد حلقات العلم، ومدة التعليم لطلاب العلم، وأساليب وطرق التعليم في حلقات ومجالس العلم، والرحلة في طلب العلم، ومكانة العلماء. كما أورد معلومات عن تعليم المرأة، وحول الوسائل المعينة على التعليم، مثل أدوات الكتابة، والمكتبات.

وأورد كتاب «خلاصة الذهب المسبوك» للأربلي (ت ٧١٧هـ / ١٣١٧م)، معلومات أساسية حول مكانة المعلمين، ومواد التعليم في الكتائب العامة، وصفات وشروط المؤيدين، وأوضاعهم المعاشية، ومواد التعليم وأساليب تدريسها في الكتائب الخاصة، ومكانة المؤيدين الاجتماعية، كما تناول الحديث عن حلقات ومجالس العلم، وسن طلب العلم، وأساليب وطرق التعليم فيها. وأورد معلومات عن المواد المعينة في التعليم.

وقدّم كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، الكثير من المعلومات والتراجم عن الخلفاء والأمراء والعلماء والأدباء، والتي من خلالها حصلنا على معلومات وفيرة في مواضيع الكتائب العامة، ومكانة المعلمين، والكتائب الخاصة، ومواد التعليم فيها، وسن التعليم لأبناء الخلفاء والخاصة، ومكانة المؤيدين الاجتماعية، كما تناول الحديث عن حلقات ومجالس العلم، وأماكن انعقادها، وسن طلب العلم، وأساليب وطرق التعليم فيها، كما أورد معلومات حول مكانة العلماء الاجتماعية.

وأفيد من الكتب التالية وبدرجات متفاوتة في بعض جوانب الدراسة مثل: كتاب «بغداد» لابن طيفور (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م)، وكتاب «تاريخ الرسل والملوك» للطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، «ونثر الدر» لابن سعد الآبي (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)، وكتاب «العبر في خبر من غير» للذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، و«مرآة الزمان للياقعي» (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)، و«تاريخ الخلفاء للسيوطي» (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م).

وفي كتب التراجم معلومات واسعة شملت جوانب عديدة من الدراسة من خلال الحديث عن تراجم العلماء والمحدثين والفقهاء والأعيان والمعلمين والمؤيدين التي وفرت مادة

أغنت الدراسة في موضوعاتها المختلفة، من هذه الكتب: كتاب «الفهرست» لابن النديم (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، الذي أفاد الدراسة إفادة كبيرة في معظم فصولها وذلك لتنوع الموضوعات التي عالجها الكتاب على الرغم من اقتضابها، وقد تناول ابن النديم في كتابه هذا فنون مختلفة معززة بنصوص تاريخية عن العلوم وتطورها والكتب التي ألقت فيها، مع ذكر لطبقات مؤلفيها وأنسابهم وبلدانهم، وقد أفاد الدراسة بمعلومات واسعة عن الوضع المالي للمعلمين وصفاتهم وشروطهم ومكانتهم الاجتماعية، وعن حلقات العلم ومجالسه في المساجد، والقصور، والمنازل، والمكتبات، والبادية، وأعداد طلاب العلم في الحلقات والمجالس، وسن طلب العلم، ومدة التعليم، وأساليب وطرق التعليم في الحلقات والمجالس، إضافة إلى مكانة العلماء الاجتماعية، وترد فيه إشارات هامة إلى أدوات الكتابة، والكتب، والمكتبات العامة منها والخاصة.

وقدّم الخطيب البغدادي (ت ٤٢٦هـ / ١٠٣٤م) في كتابه «تاريخ بغداد» تراجم لرجال بلاد بغداد ومن ورد إليها ونزل فيها وقد تضمنت هذه التراجم الشيء الكثير من المعلومات التي أفادت الدراسة وألقت الضوء على أجور المعلمين، والكتاتيب، ومواد التعليم للصبيان، وعقوبات الصبيان، ومواد التعليم في الكتاتيب الخاصة، وأساليب تعليمها، وأوقات التعليم فيها، كما تناول موضوعات التعليم في حلقات ومجالس العلم، وأماكن انعقادها، وأساليب وطرق التعليم فيها، كما تناول الوضع الاجتماعي والمالي للعلماء. وترد فيه أيضاً إشارات إلى تعليم المرأة، والوسائل المعينة على التعليم.

وأفاد كتاب «نزهة الألبا في طبقات الأطباء» للأنباري (ت ٥٧٧هـ / ١١٨١م)، الدراسة بمادة شملت مكانة المعلمين، وصفات المؤدّين، ومكانتهم الاجتماعية والمالية، وسن التعليم في الكتاتيب الخاصة، كما اشتملت على معلومات مهمة عن مواد التعليم في الكتاتيب العامة والخاصة، وأساليب وطرق تدريسها، بالإضافة إلى معلومات مهمة عن عمر طالب العلم في الحلقات والمجالس، وأماكن انعقاد هذه الحلقات والمجالس، وأساليب وطرق التعليم فيها. كما ورد فيه إشارات إلى تعليم الإناث، والوسائل المعينة على التعليم.

وأفاد كتاب «إنباه الرواة على أنباه النحاة» للقفطي (ت ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م)، الدراسة من خلال تقديم معلومات عن مختلف موضوعات الدراسة التي شملت العديد من الجوانب

المتعلقة بصفات وشروط المؤدين، ومكانتهم الاجتماعية، ووضعهم المادي، والمواد التي تدرس في الكتاتيب الخاصة وأساليب تعليمها، وأوقات التعليم، وسن التعليم لأبناء الخلفاء والأمراء، كما اشتمل على معلومات واسعة عن حلقات ومجالس العلم المنعقدة في المساجد والقصور والمكتبات، والبادية، وأعداد طلاب العلم في الحلقات والمجالس، وسن طلب العلم، ومواعيد التعليم، ومدة التعليم، وأساليب وطرق التعليم فيها، بالإضافة إلى مكانة العلماء الاجتماعية، وجهود طلاب العلم في تحصيل العلم والسعي إليه. وأفاد الدراسة أيضاً من خلال الإشارات إلى المواد المعينة على التعليم والمكتبات العامة منها والخاصة. وقد أفادت الدراسة من كتاب آخر للقفطي هو «أخبار العلماء بأخبار الحكماء»، الذي تناول العديد من الترجمات التي أفادت الدراسة ببعض جوانبها.

وأفاد كتاب «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، الدراسة في معظم فصولها وموضوعاتها، إذ تناول تعليم الصبيان في الكتاتيب العامة، من حيث أماكن وجودها، ومواد التعليم فيها، والشواب والعقاب، كما تناول تأديب أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة، والمؤدين، وصفاتهم وشروطهم، ومكانتهم الاجتماعية والمالية، ومواد التعليم في الكتاتيب الخاصة وأساليب تعليمها وأوقات التعليم فيها. كما تناول حلقات ومجالس العلم، وأماكن انعقادها (المساجد، والقصور، والمنازل، والمكتبات، والبادية)، وسن طلب العلم، ومواعيد التعليم ومدته لطلاب العلم، كما وردت فيه إشارات إلى تعليم المرأة وإشارات أخرى أكثر غزارة إلى الوسائل المعينة على التعليم كأدوات الكتابة، والكتب، والمكتبات.

ويعتبر كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، من المصادر المهمة للدراسة حيث أفاد الدراسة في معظم فصولها وموضوعاتها فقد تناول الحديث عن الكتاتيب العامة، وأماكن وجودها، ومواد التعليم فيها، والكتاتيب الخاصة، وصفات وشروط المؤدين، ومكانتهم الاجتماعية ووضعهم المالي، ومواد التعليم في الكتاتيب الخاصة وأساليب تدريسها، كما تناول الحديث عن حلقات ومجالس العلم، وأماكن انعقادها، وسن طلب العلم في الحلقات والمجالس ومدة التعليم، وأساليب وطرق التعليم في الحلقات والمجالس، والرحلة في طلب العلم، ومكانة العلماء الاجتماعية، كما وردت فيه إشارات إلى الوسائل المعينة على التعليم من أدوات الكتابة، ومكتبات.

وأفاد كتاب «سير أعلام النبلاء» للذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، الدراسة في معظم موضوعاتها، من خلال حديثه عن الأعلام وتتبعه لسير حياتهم، فقد وردت فيه إشارات إلى الكتابات العامة وأماكن وجودها، والثواب والعقاب فيها، وتعليم الصبيان في المساجد، كما وردت فيه إشارات إلى الكتابات الخاصة، وصفات المؤدين، ومكانتهم الاجتماعية والمالية، ومواد التعليم في الكتابات الخاصة، وأساليب تدريسها، كما أفاد الدراسة في حلقات ومجالس العلم في المساجد، والقصور، والبادية، وأعداد طلاب العلم، وسن طلبهم للعلم في هذه الحلقات والمجالس، كما أشار إلى مواد التعليم وأساليب وطرق تدريسها، والرحلة في طلب العلم، ومكانة العلماء، وفيه إشارات إلى الوسائل المعينة على التعليم.

واشتمل كتاب «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» للسيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، على معلومات عن تعليم الصبيان في المساجد، والكتابات الخاصة وشروط المؤدين ومكانتهم ومواد التعليم، وأساليب تدريسها، والجوانب السلوكية في التعليم في الكتابات الخاصة، وسن التعليم فيها. كما تناول حلقات ومجالس العلم، وأماكن انعقادها، وأعداد الطلاب فيها، وعمر طالب العلم، والمدة الزمنية التي يقضيها طلاب العلم في هذه الحلقات والمجالس، والمواد التعليمية فيها، وأساليب وطرق تعليمها.

وهناك كتب طبقات أخرى أفادت الدراسة ولو بشكل قليل مثل «الطبقات» لابن سعد (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)، وكتاب «طبقات الشعراء» لابن المعتز (ت ٢٩٦هـ / ٩٠٨م)، و «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي (ت ٣٧٩هـ / ٩٨٩م)، و «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)، و «طبقات الفقهاء» للشيرازي (ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م)، و «صفوة الصفوة» لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، و «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م).

## ٢- مؤلفات الفقه والحديث:

اشتملت كتب الفقه والحديث على معلومات مهمة أفادت الدراسة في جميع جوانبها من خلال أحاديث الرسول ﷺ، في العلم والتعليم وواجبات وأساليب المعلم في الدرس، ومعنى الحلقة والمجلس، وحلقات العلم في المساجد، والثواب والعقاب، ومكانة العلماء، والرحلة في طلب العلم، من هذه الكتب: «المسند» للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، و



«صحيح البخاري» (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، و «صحيح مسلم» (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م)، و «سنن ابن ماجه» (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، و «سنن أبي داود» (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) و «سنن الترمذي» (ت ٢٩٧هـ / ٩٠٩م).

وفي كتب الفقه معلومات مفيدة لمختلف جوانب الدراسة منها: كتاب «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي» للرامهرمزي (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م)، الذي اشتمل على معلومات تتعلق بمواد التعليم، والتعليم في المسجد، وسن طلب العلم، وأساليب وطرق التعليم في حلقات ومجالس العلم، والإجازات العلمية.

واشتمل كتاب «تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين» للسمرقندي (ت ٣٧٣هـ / ٩٨٣م)، على معلومات عن أماكن وجود الكتاتيب، وسن التعليم للصبيان، ومعنى الحلقة والمجلس، والمسجد كمكان للتعليم، وأساليب وطرق التعليم في الحلقات والمجالس، والرحلة في طلب العلم.

وأعطى كتاب «الكفاية في علم الرواية» للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، معلومات عن صفات وشروط المؤدب في الكتاتيب الخاصة، وتناول الحديث عن القصور كأماكن للعلم، والإجازات العلمية، والرحلة في طلب العلم.

وتناول كتاب «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، الحديث عن أماكن وجود الكتاتيب العامة، وأساليب وطرق التعليم في الحلقات والمجالس، والإجازات العلمية، والموقف من تعليم الإناث.

أما كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م) فقد اشتمل على معلومات عن مواد التعليم في الكتاتيب العامة، وأوقات التعليم فيها، والعقاب في الكتاتيب العامة، وواجبات وأساليب المعلم في التدريس، وطرق التعليم في حلقات ومجالس العلم.

وجاء كتاب «المدخل» لابن الحاج (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م)، ليركز على الكتاتيب العامة وليتحدث عن صفات وشروط المعلم، والوضع المالي للمعلمين، وأماكن وجود الكتاتيب، وهيكلتها، ومواد التعليم فيها، وسن دخولها، وأشكال العقاب فيها، وواجبات وأساليب المعلم في التدريس والتعامل مع الصبيان، كما تحدث عن تعليم الصبيان في المساجد.

واشتمل كتاب «الآداب الشرعية والمنح المرعية» للمقدسي الحنبلي (ت ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م)، على معلومات عن المسجد وتعليم الصبيان، والكتاتيب العامة، وأماكن وجودها، وسن التعليم للصبيان، ومواد التعليم في الكتاتيب العامة وأساليب تدريسها، كما اشتمل على معلومات مهمة في معنى الحلقة والمجلس، وأماكن انعقاد حلقات العلم ومجالسه في المساجد والقصور والمنازل، وأعداد الطلاب في حلقات ومجالس العلم، وأساليب وطرق التعليم في المجالس والحلقات، والرحلة في طلب العلم.

### ٣- الدراسات الأدبية واللغوية:

رصدت كتب الأدب الدراسة بالكثير من المعلومات القيمة التي شملت جميع جوانب الدراسة، وكان من أهمها: كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، الذي احتوى على الكثير من المعلومات المتعلقة بالكتاتيب العامة، وأوضاع المعلمين المالية، ومكانتهم الاجتماعية، وعقاب الصبيان ووسائله وأدواته، وعن مكانة المؤذنين، وبعض وصايا الخلفاء والأمراء الخاصة لمؤدبي أبنائهم، وعن حلقات العلم في المساجد والبادية، وعن المواد التعليمية للأنثى وأماكن تعليمها. وفي كتب الجاحظ الأخرى معلومات مفيدة للدراسة مثل كتاب «الحيوان» و «رسائل الجاحظ». وتأتي أهمية المعلومات التي يقدمها الجاحظ من معاصرتة للأحداث، وقد عاش في صميم العصر موضوع الدراسة.

ويحتل كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، مكاناً بارزاً بين الكتب الأدبية التي أفادت الدراسة، فقد قدّم مادة غزيرة انفرد بها عن غيره فأغنت الدراسة بمعلومات قيّمة شملت الكتاتيب وموادها التعليمية، ووسائل تأديب الصبيان، وتعليمهم في المساجد، وفيه معلومات عن المؤذنين، ومكانتهم الاجتماعية والمعاشية. وفيه إشارات مهمة حول حلقات ومجالس العلم وأماكن انعقادها، وأعداد الطلاب فيها ومواعيد التعليم وأساليبه وطرقه. وأفيد منه بصورة خاصة في تعليم المرأة وخاصة الموقف من تعليمها والمواد التعليمية وأماكن التعليم.

وفي كتاب «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» للراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، معلومات هامة أفادت الدراسة. فقد وردت فيه إشارات إلى مكانة المعلمين

ووضعهم المالي، ومكانة المؤدين، وسن التعليم لأبناء الخاصة، وصفات وشروط المؤدب، والمواد التعليمية في الكتابات الخاصة وأساليب تدريسها، وفيه إشارات إلى حلقات ومجالس العلم وأماكن انعقادها، وأساليب وطرق التعليم فيها، والرحلة في طلب العلم، ومكانة العلماء الاجتماعية وأوضاعهم المالية. وترد فيه إشارات هامة إلى الوسائل المعينة على التعليم.

وأورد الشريشي (ت ٦١٩هـ / ١٢٢٢م)، في كتابه «شرح مقامات الحريري»، معلومات مهمة عن المعلمين وأوضاعهم المالية ومكانتهم الاجتماعية، وصفات وشروط المؤدين، والجانب السلوكي في تعليم أبناء الخلفاء والخاصة، وأوقات التعليم، وسن التعليم في الكتابات الخاصة وأساليب تعليمها، كما تطرق إلى حلقات العلم ومجالسه، ووردت فيه بعض الإشارات إلى تعليم المرأة، وأماكن تلقيها العلم.

وأفيد من كتاب «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» للقلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، في موضوع أدوات الكتابة بشكل خاص، ويعتبر القلقشندي من المصادر المهمة في هذا الجانب، فلا يستغنى عنه على الرغم من أنه من المصادر المتأخرة.

ومن المصادر الأدبية المفيدة للدراسة كتاب «المستطرف في كل فن مستظرف» للأبشيبي (ت ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م)، الذي تناول مكانة المعلمين الاجتماعية وصفاتهم وشروطهم، والكتاتيب العامة، من حيث هيكلتها، وأماكن وجودها، ومواد التعليم فيها، وأساليب وأدوات العقاب، كما تناول حلقات العلم في المساجد والقصور والبادية، وتعليم المرأة وأماكن تلقيها العلم.

ومن المصادر الأدبية الأخرى التي أفادت الدراسة بشكل أو بآخر كتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، وكتاب «العقد الفريد» لابن عبدربه (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) وكتاب «بهجة المجالس وأنس المجالس» لابن عبدالبر (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).

كما أفادت الدراسة من كتب اللغة في جميع فصولها من خلال التعريف بمعاني المفاهيم والمصطلحات الواردة في مواضيع الدراسة المختلفة منها: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م)، و «لسان العرب» لابن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، و «تاج العروس من جواهر القاموس» لمحمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م).

#### ٤- كتب الإدارة والنظم:

وفي المؤلفات المعنية بالنواحي الإدارية والتنظيمية معلومات وفيرة حول المواد المعينة على التعليم من أدوات للكتابة وحوانيت للوراقين ومكتبات، إضافة إلى بعض الجوانب الأخرى في الدراسة، من هذه الكتب: كتاب «الوزراء والكتاب» للجهشياري (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م)، فقد وردت فيه إشارات إلى الكتابات العامة، وأماكن وجودها ومواد الدراسة فيها، وانفرد بذكر أدوات الكتابة كالأقلام والقراطيس والكاغد. ٤٧٢٧٣٠

وأفاد كتاب «أدب الكتاب» للصولي (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م)، الدراسة في مجال أدوات الكتابة بصورة خاصة، إضافة إلى بعض الإشارات المتعلقة في جوانب الدراسة الأخرى.

واشتمل كتاب «صناعة الكتاب» للنحاس (ت ٣٣٨هـ / ٩٤٩م)، على معلومات حول أجور المؤدين وصفاتهم وشروطهم، بالإضافة إلى مجالس العلم في القصور، والمواد التعليمية للأنث، كما أعطى معلومات وفيرة حول أدوات الكتابة. وجاء كتاب «الإقتضاب في شرح أدب الكتاب» للبطلوسي (ت ٥٢١هـ / ١١٢٧م)، ليفيد الدراسة في موضوع الوسائل المعينة على التعليم معطياً معلومات وفيرة عن أدوات الكتابة المختلفة.

وفي كتب الحسبة معلومات عن تعليم الصبيان في المساجد، والكتاتيب وأماكن وجودها، وهيكلتها، ومواد التعليم فيها، وطرق وأساليب التدريس فيها، وواجبات المعلم في الدرس والتعامل مع الصبيان، والعقاب ووسائله وأدواته. ومن هذه الكتب: كتاب «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» للشيزري (ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م)، وكتاب «معالم القربة في أحكام الحسبة» لابن الأخوة القرشي (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م)، وكتاب «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» لابن بسام (ت في القرن التاسع الهجري).

ومن الكتب الأخرى المتعلقة في الإدارة والنظم والتي أفادت الدراسة في بعض جوانبها كتاب «التاج في أخلاق الملوك» المنسوب للجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، وكتاب «الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية» لابن طباطبا (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)، و «بدائع السلك في طبائع الملك» لابن الأزرقي (ت ٨٩٦هـ / ١٤٩٠م).

## ٥- الكتب الخاصة بالنساء:

احتوت الكتب الخاصة بالنساء على معلومات مفيدة عن تعليم المرأة خاصة في الموقف العام من تعليم المرأة، الحرائر منهنّ أو الجوّاري، والموادّ التعليمية من قراءة، وكتابة، وعلوم دينية، وفصاحة وبلاغة، وشعر، وغناء، وموسيقى، وطب، ورياضيات، وأماكن تلقي المرأة لمثل هذه العلوم في الكتّاب، والمساجد والبيوت، والقصور. ومن هذه الكتب: «الإمام الشّواعر» و «الأغاني» لأبي فرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م)، وكتاب «تاريخ دمشق» لابن عسّاك (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)، ففيه مجلد خاص عن تراجم النساء، و «أحكام النساء» لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، و «الحدائق الغناء في أخبار النساء» لابن جميل المعافري (ت ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م)، وكتاب «المرقصات والمطربات» لأبي عمران (ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م)، وكتاب «أخبار النساء» لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م)، وكتاب «المستطرف في أخبار الجوّاري» للسيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م).

## ٦- الكتب الخاصة بالمعلمين والمتعلمين:

كانت الإفادة كبيرة من الكتب الخاصة بالمعلمين والمتعلمين مثل كتاب «آداب المعلمين» لابن سحنون (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، الذي بيّن الكثير من الأمور التعليمية الخاصة بالكتّاب، وأسلوب التعليم فيها، ومكانة المعلمين الاجتماعية، وصفاتهم، وشروطهم، ووضعهم المالي، وتعليم الصبيان في المساجد والكتّاب، وأماكن وجود الكتّاب، وهيكلتها، وموادّ التعليم فيها، وأوقات تدريسها، وسن دخول الصبيان إلى الكتّاب، وأساليب العقاب وأدواته. وأساليب المعلم في التدريس، وفيه معلومات عن تعليم الإناث في الكتّاب العامة. وقد جمع ابن سحنون الكثير من النصوص القيّمة التي بيّنت الكثير من الأوضاع التي نجهلها عن تربية الطفل وتأديبه وتعليمه وتهذيبه.

وفي الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين للقاسي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)، كثير من المعلومات الخاصة بالمعلمين والكتّاب العامة والتي تشابهت تماماً مع المعلومات التي أوردها ابن سحنون حيث اعتمد القاسي كثيراً على ابن سحنون وزاد عليه، ونقل كثيراً من المعلومات عن شيوخه وأساتذته عصره، والعصور التي سبقت، مما لا نجده في كتاب ابن سحنون.

وأفيدت الدراسة من كتاب «أيها الولد» للإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م)، في بيان صفات وشروط المعلمين في الكتابات الخاصة، وأوضاعهم المالية، ومواد التعليم في الكتابات العامة، وأوقات تدريسها، والعقاب وأساليب إنزاله بالصبيان، وواجبات وأساليب المعلم في الدرس، كما تطرّق إلى المسجد ودوره في التعليم وأساليب وطرق التعليم في حلقات ومجالس العلم، والرحلة في طلب العلم.

ومن المصادر الأخرى التي أفادت الدراسة كتاب «تعليم المتعلم في طريق التعلم» للزرنوجي (ت ٥٩١هـ / ١١٩٤م)، وكتاب «تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم» لابن جماعة (ت ٧٧٣هـ / ١٣٧١م)، وكتاب «جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان» للمغراوي (ت ٩٢٠هـ / ١٥١٤م)، وكتاب «تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال» لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٣هـ / ١٥٦٥م).

#### ٧- كتب الجغرافية:

أفادت كتب الجغرافية الدراسة في مواضيعها المختلفة من خلال التعريف بالأماكن والمواقع ومن هذه الكتب «البلدان» لليعقوبي (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م)، و«التنبية والإشراف» للمسعودي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، و«معجم البلدان» لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).

وهناك عدد من المصادر الأخرى أفادت الدراسة أشير إليها في الهوامش.

كما وأفادت الدراسة من الكتب والدراسات والمقالات الحديثة التي لها علاقة بموضوع الدراسة، وقد وجهتني إلى المصادر الأساسية باعتبارها كتب متخصصة، تناولت التربية والتعليم في الإسلام بصورة عامة.<sup>(١)</sup>

(١) انظر : ثبت المراجع.

# الفصل الأول

## المعلمون وتعليم الصبيان

## أولاً : المعلمون

### ١ - مدلول كلمة مُعَلِّم:

اشتقت كلمة مُعَلِّم من الفعل عَلَّمَ<sup>(١)</sup>، ومن العِلْم<sup>(٢)</sup>. والعِلْمُ نقيض الجهل<sup>(٣)</sup>، وقد وردت كلمة عَلَّمَ في القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>، والاحاديث النبوية<sup>(٥)</sup>، وفلان متعلم أي له من يعلمه.<sup>(٦)</sup>

وقد وردت كلمة مُعَلِّم مقترنة بتعليم الصبيان في كثير من الروايات منذ عهد الرسول ﷺ، فقد جاء أحد الصبيان إلى أبيه يبكي قائلاً: «ضربني معلمي»<sup>(٧)</sup>. وفي قول عبدالله بن مسعود (ت ٣٢٢هـ/ ٦٥٢م): «ولا بد للناس من معلم يعلم أولادهم».<sup>(٨)</sup> ويذكر أنه كان في

(١) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ١٥ ج، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، ج ٢، ص ٤١٧، سيشار له تالياً (ابن منظور، لسان).

(٢) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب المعلمين، تحقيق ابراهيم جريس، جامعة تل ابيب، عكا ١٩٨٠م، ص ٦٩، سيشار له تالياً (الجاحظ، المعلمين)؛ ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ٤ ج، ط ١، دار الجليل، بيروت ١٩٩١م، ج ٣، ص ٣٤، سيشار له تالياً (الجاحظ، رسائل).

(٣) ابن منظور، لسان، ج ١٢، ص ٤١٧.

(٤) انظر: القرآن الكريم: سورة البقرة: آية ٣١، ٣٢، سورة يس: آية ٦٩، سورة الدخان: آية ١٠٣.

(٥) انظر: أ.ي، ونسك، المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي، ٨ ج، مكتبة بريل، ليدن ١٣٥٥ - ١٣٨٩هـ/ ١٩٣٦ - ١٩٦٩م، ج ٤، ص ٣٢١ - ٣٢٧، سيشار له تالياً (ونسك، المعجم).

(٦) ابن منظور، لسان، ج ١٢، ص ٤١٧.

(٧) تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، امتاع الاسماع، صححه وشرحه محمود شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د. م، ١٩٤١م، ص ١٠١، سيشار له تالياً (المقرئ، امتاع).

(٨) ابو عبدالله محمد بن أبي سعيد بن سحنون، ادا ب المعلمين، تحقيق محمد العروسي المطوي، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس ١٩٧٢م، ص ٨٢، سيشار له تالياً (ابن سحنون، آداب).



المدينة ثلاثة معلمين يعلمون الصبيان،<sup>(١)</sup> ويروى عن خلف الأحمر النحوي (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، أنه قال: «رأيت الكميت بن زيد في مسجد الكوفة يعلم الصبيان»<sup>(٢)</sup>، وقال بعضهم: «مررت بمعلم وإذا صبيانه يلعبون ويقتتلون»<sup>(٣)</sup>. وقال معروف بن الفيرزان الكرخي البغدادي العابد (ت ٢٠٠هـ/ ٨١٥م): «أنه وأخاه كانا في الكُتَّاب «وكان المعلم يعلم الصبيان»<sup>(٤)</sup>، وكان يعقوب بن إسحق السكيت النحوي اللغوي (ت ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م)، معلماً للصبيان في بغداد<sup>(٥)</sup>، وقال شاعر:

(١) أبو القاسم علي بن الحسين بن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، هذبه ورتبه عبدالقادر بدران، ٧ ج، ط ٣، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧م، ج ٦، ص ٤١٥، سيشار له تالياً (ابن عساكر، تهذيب).

(٢) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط ٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٥٤٧، سيشار له تالياً (ابن قتيبة، المعارف).

(٣) أبو سعد منصور بن الحسين بن سعد الآبي، نثر الدر، تحقيق محمد علي قرنه وآخرون، مراجعة علي محمد البجاوي وآخرون، ٧ ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١ - ١٩٩٠م، ج ٣، ص ٣٢٦، سيشار له تالياً (ابن سعد الآبي، نثر الدر)؛ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، تحقيق محمد شريف سكر، ط ١، دار احياء العلوم، بيروت ١٩٨٨م، ص ١٨٤، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، أخبار الحمقى).

(٤) أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، صفوة الصفوة، ضبطها وكتبها هوامشها ابراهيم رمضان وسعيد اللحام، ٤ ج، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٩م، ج ٢، ص ٢١١، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، الصفوة)؛ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الامم والملوك، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، ١٨ ج، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م، ج ١٠، ص ٨٨، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، المنتظم)؛ أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان، وفيات الاعيان، تحقيق احسان عباس، ٨ ج، دار صادر، بيروت ١٩٧٠م، ج ٥، ص ٢٣١، سيشار له تالياً (ابن خلكان، وفيات)؛ شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط وآخرون، ٢٥ ج، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢م، ج ٩، ص ٣٤٤، سيشار له تالياً (الذهبي، سير).

(٥) أبو عبدالله الحارث بن اسد المحاسبي، آداب النفوس، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، دار الجيل، بيروت ١٩٨٤م، ص ٧، (مقدمة المحقق)، سيشار له تالياً (المحاسبي، آداب)؛ جلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٢م، ص ٣٣٥، سيشار له تالياً (السيوطي، تاريخ).

معلم صبيان وصاحب درّة وليس له عقل بمقدار ذرة<sup>(١)</sup>

وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م): «ورثت لأباء الصبيان من إبطاء المعلمين عن تحذيقهم»<sup>(٢)</sup> أي إكسابهم المهارة والاتقان في العلم. ويتسع مفهوم الكلمة لدى الجاحظ إذ يقول: «ووجدنا لكل صنف من جميع ما بالناس إلى تعلمه حاجة، معلمين، كمعلمي الكتاب»<sup>(٣)</sup>. وقوله: «ووجدنا للأشياء كلها معلمين»<sup>(٤)</sup>.

وهناك كلمة أخرى وصف بها معلم الصبيان وهي: «المُكْتَبُ»، أي الذي يعلم الكتابة للصبيان في الكتاب، وقد ذكر أن الحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥هـ / ٧١٣م)، كان مُكْتَباً بالطائف، أي معلماً، ومنه قيل: عُبِدَ المُكْتَبُ، لانه كان معلماً<sup>(٥)</sup>. وكان المعلمون الذين يسمون بالمُكْتَبِينَ، يعلمون الكتابة عن طريق نسخ الأمثال والحكم<sup>(٦)</sup>.

(١) أبو العباس أحمد بن عبدالمؤمن الشريشي، شرح مقامات الحريري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٥، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ج ٥، ص ٢١٠، سيشار له تالياً (الشريشي، شرح).

(٢) الجاحظ، رسائل، ج ٣، ص ٣١.

(٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣١.

(٤) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٣.

(٥) ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٦٩٩؛ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، تحقيق عبدالمعلم الطحاوي، مراجعة بهجة الأثري وعبدالستار أحمد فراج، ج ٢٠، دار الجليل، بيروت، ١٩٦٨م، ج ٤، ص ١٠٣، سيشار له تالياً (الزبيدي، تاج).

(٦) أبو القاسم علي بن الحسين بن عساكر، تأريخ مدينة دمشق (تراجم النساء)، تحقيق سكيئة الشهابي، ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨١م، ص ٤٢٨، سيشار له تالياً (ابن عساكر، تاريخ، تراجم النساء)؛ ملكه ابيض، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة العربية خلال القرون الثلاثة الاولى، دار العلم للملايين، د.م، ١٩٨٠م، ص ٢٦٠، سيشار له تالياً (ملكه ابيض، التربية).

ويبدو أن كلمة معلم كانت تأخذ دلالة أوسع فيمن كانت تعنيه من الناس لتشمل قُرّاء القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، حتى أن النبي ﷺ كان يقول: «إنما بُعثت معلماً»<sup>(٢)</sup>، وأرسل الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣ هـ / ٦٣٤ - ٦٤٣ م)، عبادة بن الصامت الانصاري (ت ٣٤ هـ / ٦٥٤ م)، إلى الشام قاضياً ومعلماً، وعبدالله بن مسعود (ت ٣٢ هـ / ٦٥٢ م)، إلى الكوفة معلماً، ليعلما الناس القرآن ومبادئ الإسلام<sup>(٣)</sup>، وهذا يدل على أن القائم على الكُتّاب القرآني يسمى في البداية معلماً أو مُقرباً لتمييزه عن معلم الكتابة المكتب<sup>(٤)</sup>. فالمكتب: المعلم، والكُتّاب: الصبيان<sup>(٥)</sup>. وفي سياق بعض الروايات والأخبار التاريخية تتجه كلمة معلم إلى تعليم الغناء

(١) عامر جاد الله أبو جبله، تاريخ التربية والتعليم في صدر الإسلام، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الاردنية، ١٩٨٧ م، ص ١٩، سيشار له تالياً (عامر جادالله، التربية).

(٢) ابو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة، سنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ٢ ج، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٨٣، سيشار له تالياً (ابن ماجة، سنن)؛ نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي، تنبيه الغافلين باحاديث سيد الانبياء والمرسلين، كتب هوامشه وصححه الشيخ أحمد سلام، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦ م، ص ٣٣٤، سيشار له تالياً (السمرقندي، تنبيه)؛ عبدالحكي الكتاني، التراتيب الادارية، ج ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٢١٩، سيشار له تالياً (عبدالحكي الكتاني، التراتيب).

(٣) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ١٠ ج، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٧ م، ج ٤، ص ١٣٩، سيشار له تالياً (الطبري، تاريخ)؛ أبو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي، تذكرة الحفاظ، صُحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، ٥ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج ١، ص ١٤، سيشار له تالياً (الذهبي، تذكرة)؛ علي حسني الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ص ٢٢٦، سيشار له تالياً (الخربوطلي، الحضارة).

(٤) ملكة ابيض، التربية، ص ٢٦٢.

(٥) ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٦٦٩؛ الزبيدي، تاج، ج ٤، ص ١٠٤.

وتعلم بعض الصنائع<sup>(١)</sup>.

يتبين لنا من خلال ذلك أن الكتاب أو المكتب يسمون معلمين أو مكتبين أو مؤدبين، إلا أن الاسم الأخير أطلق في الغالب على الذي يعين كمدرس خصوصي - كما سيأتي في الفصل الثاني - ومثال ذلك قول عبد الملك بن صالح<sup>(٢)</sup> (ت ١٩٦ هـ / ٨١١ م)، لمؤدب ولده: «واعلم أنني جعلتك مؤدباً بعد أن كنت مُعلماً، وجعلتك جليساً مقرباً بعد أن كنت مع الصبيان مباعداً»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاصفهاني، الأغاني، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، ٢٥ ج، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٣ م، ج ٣، ص ٢٤٦، ج ٥، ص ١٤٣، ١٤٤، ١٥٦، ٢٤٦، ٢٦٦، ج ٦، ص ٢٢، ١٥١، ٢٤٧، ج ١٠، ص ١٧٤، ج ١٨، ص ٥٨٠، ج ٢١، ص ٢١٩، ج ٢٣، ص ٥٣، سيشار له تالياً (الاصفهاني، الأغاني)؛ أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاصفهاني، الإماء الشواعر، تحقيق نوري حمودي القيسي ويونس أحمد السامرائي، ط ١، مكتبة النهضة العربية، بغداد ١٩٨٤ م، ص ٤٥، سيشار له تالياً (الاصفهاني، الإماء)؛ أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاصفهاني، القيان، تحقيق جليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٨٩ م، ص ٩٢، سيشار له تالياً (الاصفهاني، القيان)؛ أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم، الفهرست، تحقيق ناهد عباس عثمان، ط ١، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة ١٩٨٥ م، ص ١٠٢، سيشار له تالياً (ابن النديم، الفهرست)؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٥؛ أحمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين ويوسف علي طويل، ط ١٤، ج ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧ م، ج ١، ص ٤٩٤، سيشار له تالياً (القلقشندي، صبح)؛ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، الوسائل الى مسامرة الاوائل، تحقيق اسعد طلس، مكتبة الزوراء، بغداد ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م، ص ١٤٧، سيشار له تالياً (السيوطي، الوسائل)؛ السيوطي، المستظرف من أخبار الجوارى، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط ١، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٦٣ م، ص ٤٩، سيشار له تالياً (السيوطي، المستظرف).

(٢) عبد الملك بن صالح بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب العباسي، أبو عبدالرحمن الامير، ولي المدينة والصوائف للرشد ثم ولي الشام والجزيرة للأمين. محمد بن شاعر بن أحمد الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، ٥ ج، دار صادر، بيروت ١٩٧٣ م، ج ٢، ص ٣٩٨، سيشار له تالياً (الكتبي، فوات).

(٣) ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، شرحه وضبط وعلق عليه يوسف علي طويل، ط ٤، ج ٤، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥ م، ج ٤، ص ٧٦، سيشار له تالياً (ابن قتيبة، عيون)؛ أبو الحسين هلال بن المحسن الصابي، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م، ص ٤٧، سيشار له تالياً (الصابي، رسوم)؛ عبدالحميد ابن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق لجنة احياء الذخائر، ٥ ج، دار مكتبة الحياة، بيروت د.ت، ج ٥، ص ٥٦، سيشار له تالياً (ابن أبي الحديد، شرح).

## ٢ = مكانة المعلمين الاجتماعية:

يبدو أن مكانة المعلمين في الإسلام كانت مرتفعة لما لهم من أهمية في تعليم صبيان المسلمين الكتابة، والقراءة، خاصة قراءة القرآن الكريم، وبعض العلوم الأولية؛ لتعينهم في حياتهم، طيلة فترة صدر الإسلام، والعصر العباسي الأول<sup>(١)</sup>.

الا أن نظرة المجتمع لم تخلُ من نقد للمعلمين وإستهانة بعملهم، قال مالك بن الرب الشاعر (ت ٦٠هـ / ٦٧٩م)، يهجو الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان معلماً في الطائف:

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده      إذا نحن جاوزنا حفير زياد  
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف      كما كان عبداً من عبيد إياد  
زمان هو العبد المقر بذلة      يراوح صبيان القرى ويغادي<sup>(٢)</sup>

وفيه أيضاً يقول القائل مستكثراً عليه منصب الأمانة وقد كان يلقب بكليب:

أينسى كليب زمان الهزال      وتعليمه سورة الكوثر<sup>(٣)</sup>

(١) ابن قتيبة، عيون، ج ٢، ص ١٨٤؛ باقر شريف القرشي، النظام التربوي في الإسلام، دار التعاون للمطبوعات، بيروت ١٩٨٣م، ص ١٧٦، سيشار له تالياً (باقر القرشي، النظام).

(٢) ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء (طبقات الشعراء)، تحقيق نعيم زرزور، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ص ٢٢٢، سيشار له تالياً (ابن قتيبة، الشعر)؛ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق محمد أحمد الدالي، ج ٤، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م، ج ٢، ص ٦٣٠، سيشار له تالياً (المبرد، الكامل)؛ أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني، المنتخب، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م، ص ١٥١، (طبع مع الثعالب، الكناية)، سيشار له تالياً (الجرجاني، المنتخب)؛ عبدالسلام محمد هارون، «الجاحظ والمعلمون»، مجلة الكتاب، م ٢، ج ١٠، السنة الأولى، ١٩٤٦م، ص ٥٤٦، سيشار له تالياً (عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»).

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٤٨؛ ابن قتيبة، الشعر، ص ٢٢٢؛ المبرد، الكامل، ج ٢، ص ٦٣٠؛ الجرجاني، المنتخب، ص ١٥١؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص ٥٤٦.

وقال الشاعر:

كفى المرء أن يقال بأنه معلم صبيان وإن كان فاضلاً<sup>(١)</sup>

وقال آخر:

إن المعلم حيث كان معلماً ولو ابتنى فوق السماء سماء<sup>(٢)</sup>

وقد أشار الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، إلى هذه النظرة حين قال: «فما أعان الله تعالى به الصبيان أن قرّب الله طبائعهم، ومقادير عقولهم من مقادير عقول المعلمين»<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن ثقافة بعض المعلمين المحدودة وعدم إتقانهم لقراءة القرآن الكريم من الأسباب التي فتحت الباب واسعاً لانتقادهم من قبل بعض العلماء<sup>(٤)</sup>. فقد قال الكسائي<sup>(٥)</sup> (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م): «كان الذي دعاني أن أقرأت بالري اني مررت بمعلم صبيان يقرأ: «ذواتي أكل خمط وأتل»<sup>(٦)</sup>، بالتاء فتجاوزته، فإذا معلم آخر فذكرت له ذلك، فقال: أخطأ، الصواب (وابل)، فدعاني أني أقرأت الصبيان»<sup>(٧)</sup>. وكان معلم كتاب يقرأ قوله تعالى: ﴿غُلِبْتَ

(١) أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني، محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج ٢، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦١م، ج ١، ص ٥٣، سيشار له تالياً (الراغب الأصبهاني، محاضرات):

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٣.

(٣) الجاحظ، رسائل، ج ٣، ص ٣٧.

(٤) حسين الكساسبة، «معلمو الكتاتيب في الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية القرن الثالث الهجري مكانتهم الاجتماعية»، بحث مقبول للنشر في مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، سيشار له تالياً (الكساسبة، «معلمو الكتاتيب»).

(٥) أبو الحسن، علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي الكوفي، المعروف بالكسائي. أحد القراء السبعة، كان إماماً في النحو والفقه والقراءات. استوطن ببغداد وعلم الرشيد ثم الأمين. عبدالرحمن بن ابراهيم الاربلي، خلاصة الذهب المسبوك، صححه مكّي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص ١٥٧، سيشار له تالياً (الاربلي، خلاصة).

(٦) والصواب في الآية: ﴿ذَوَاتِي أَكَلِ خَمْطٍ وَأَتَلُ﴾، سورة سبأ: آية ١٦.

(٧) ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص ١٨١.

الروم في أدنى الارض»<sup>(١)</sup>، ولكنه قرأها غلبت الترك... فرده بعض السامعين إلى الصواب. فقال المعلم: «لا يهم، الترك والروم أعداؤنا»<sup>(٢)</sup>. وسمع معلم يلقن صبياً: «وإذ قال لقمان لابنه وهو يغظه»<sup>(٣)</sup>، يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك، فيكيدوا لك كيداً»<sup>(٤)</sup> وأكد كيداً، فمهل الكافرين امهلهم رويداً»<sup>(٥)</sup> فقليل له: ويحك أئدخل سورة في سورة، فقال: نعم عافاك الله»<sup>(٦)</sup>. وعن أبي العنيس<sup>(٧)</sup> (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م): «كان في دربنا معلم طويل اللحية، فكنت أجلس اليه كثيراً وأتلهى به، فجثته يوماً وبين يديه صبي يقول له: ويلك! الدجلة من حفرها! قال: عيسى بن مريم، قال: فالجبل من خلقه؟ قال: موسى بن عمران، قال: فالبحر من دوره في است الجمل؟ قال: شيطان يقال له الحى، قال: أحسنت، فأدم من أبوه؟. قال: نوح، قال: بنخ بنخ، نجوت والله! فقلت: يا سبحان الله! أليس آدم أبا البشر! قال: نعم، قلت: فكيف يكون نوح أباه! قال: ويلك اتعرفني بآدم وأنا أبو عبدالله المعلم، يا صبيان كرفسوه، فكرفسوني، حتى صيرونى مقيداً، فحلفت ألا أقف على معلم أبداً»<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة الروم: آية ٢.

(٢) أحمد شلبي، التربية الإسلامية، ط ٦، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٨م، ص ٢٢٠، سيشار له تالياً (أحمد شلبي، التربية).

(٣) سورة لقمان: آية ١٣.

(٤) سورة يوسف: آية ٥.

(٥) سورة الطارق: آية ١٦، ١٧.

(٦) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج ٥، ص ٣٣١؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٥٣؛ ابراهيم بن محمد البيهقي، المحاسن والمساوىء، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٥٨٠، سيشار له تالياً (البيهقي، المحاسن)؛ الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٢١٠؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٢٢٠؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص ٥٦٨.

(٧) محمد بن اسحاق بن ابراهيم الصيمري بن أبي العنيس، اديب ظريف وشاعر هجاء، ولي قضاء الصميرة من بلاد خوزستان، فنسب اليها، وقد كان نديماً للمتوكل والمعتمد العباسيين. شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، ج ٦، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م، ج ٣، ص ٤٣٩، سيشار له تالياً (ياقوت الحموي، معجم البلدان).

(٨) الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٢١٢.

ويبدو أن ممارسات بعض المعلمين في كتابتهم، واقترانها بالحق في التعامل مع الصبيان كانت أيضاً من أسباب انتقادهم، من ذلك ما رواه بعضهم حيث قال: «مررت ببعض المعلمين ويعرف بكسرى فرأيتهم يصلي بالصبيان صلاة العصر، فلم أزل واقفاً أفكر فيه، فلما أن ركع أدخل رأسه بين رجليه، لينظر ما يصنع الصبيان خلفه، فرأى صبياً يلعب، فقال له وهو راكع: يا ابن البقال، هوذا، أدري ما تصنع!»<sup>(١)</sup>. وقال شريك بن عبدالله القاضي الكوفي (ت ١٧٧هـ / ٧٩٣م): «مررت يوماً بمعلم والصبيان يحذفون عينه بالقصب، وهو ساكت، فقلت: ويحك! أرى منك عجباً. فقال: اسكت، ودعهم. فما فرحي والله إلا أن يصيب عيني شيء، فأريك كيف أنتف لحى آبائهم»<sup>(٢)</sup>. وقال الأصمعي (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م): «مررت بمعلم بالبصرة يضرب صبياً، ثم أقام الصبيان صفّاً، وجعل يدور عليهم، ويقول: اقرءوا، فلماً بلغ الصبي المضروب، قال لآخر إلى جنبه: قل له: أن يقرأ فاني لا أكلمه!»<sup>(٣)</sup>. وعن أبي عبدالرحمن محمد بن عبدالله العتبي الشاعر (ت ٢٢٨هـ / ٨٤٢م): «انه كان ببغداد معلم يشتم الصبيان فأخذت بيد أحد المشايخ، فدخلنا عليه، فقلنا: يا شيخ ما يحل لك أن تشتم هؤلاء الصبيان، فقال: انا مبتلي بهم، ما اشتهم الا من يستحق الشتم، فاحضروا حتى تسمعوا بعض ما أنا فيه، فحضرنا معه فقرأ عليه الصبي: عليها ملائكة غلاظ يعصون الله ما أمرهم، ولا يفعلون ما يؤمرون»<sup>(٤)</sup>، فقال: .....، فليس هؤلاء ملائكة ولا اعراب ولا اكراد.. قال: فضحكنا والله حتى بال احدنا في

(١) الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٢٠٩؛ شهاب الدين محمد بن أحمد الابشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، طبعه جديدة متقحة باشراف المكتب العالمي للبحوث، ج ٢، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٩م، ج ٢، ص ٣٢١، سيشار له تالياً (الابشيهي، المستظرف)؛ عبدالعزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوية، ط ٤، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٦م، ص ٨٨، سيشار له تالياً (الدوري، الجذور).

(٢) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج ٥، ص ٣٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٢٦؛ الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٢١٢.

(٤) الصواب في الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا قرا أنفسكم وأهلكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾، سورة التحريم: آية ٦.



سراويله. فقرأ عليه آخر: لا تنفقوا الا من عند رسول الله<sup>(١)</sup>، وتردد، فقال: من عند أهلك القرنان اولي، فانه اكثر مالا يا ابن الفاعلة، أتلتزم النبي بنفقة مال لا تجب عليه؟ أأعجبك كثرة ماله؟ فقال العتيبي: فكنت أترك أشغالي، وأجلس عنده أتعجب<sup>(٢)</sup>. وقال بعضهم: «مررت بمعلم صبيان، يضربون ويتنفون لحيته، فتقدمت لاخلصه فمنعني وقال: دعهم، بيني وبينهم شرط، إن سبقتهم إلى الكتاب ضربتهم وإن سبقوني ضربوني، واليوم غلبني النوم فتأخرت لكن وحياتك إلا بكرت من نصف الليل وتنظر فعلي بهم. فالتفت اليه صبي وقال: أنا أبات الليلة ها هنا حتى تجيء واصفحك<sup>(٣)</sup>». وقال بعضهم: «مررت بمعلم وقد جاء صبي صغير، فصفعه. فقلت له: لم تدع هذا الصبي يجترى عليك؟ فقال: دعه فاني اشكوه غداً إلى ابيه<sup>(٤)</sup>». وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م): «الفت كتاباً في نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوماً مدينة فوجدت فيها معلماً في هيئة حسنة فسلمت عليه فرد عليّ أحسن رد، ورحب بي فجلست عنده، وباحثته في القرآن فاذا هو ماهر فيه، ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المنقول واشعار العرب، فاذا هو كامل الادب، فقلت: هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب، قال: فكنت اختلف اليه وأزوره، فجئت يوماً لزيارته فاذا بالكتاب مغلق، ولم أجده فسألت عنه فقليل: له ميت فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء، فذهبت إلى بيته وطرقت الباب فخرجت اليّ جارية وقالت ما تريد؟! قلت: سيدك، فدخلت وخرجت وقالت: باسم الله، فدخلت اليه واذا به جالس فقلت: عظم الله أجرك، لقد كان لكم في رسول أسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر، ثم قلت له هذا الذي توفي ولدك، قال: لا، قلت: فوالدك،

(١) الصواب في الآية: ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينقضوا﴾، سورة المنافقون: آية ٧.

(٢) انظر: الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٢١١.

(٣) ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٤) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج ٥، ص ٣٣٠.

قال: لا، فقلت: فأخوك، قال: لا، قلت: فزوجتك، قال: لا، فقلت: وما هو منك، قال: حبيبي، فقلت في نفسي، هذه أول المناحس، فقلت: سبحان الله! النساء كثر وستجد غيرها فقال: أتنظن أنني رأيتها؟ قلت وهذه منحسة ثانية، ثم قلت: وكيف عشقت من لم تر؟ فقال: أعلم اني كنت جالساً في هذا المكان، وأنا أنظر من الطاق إذ رأيت رجلاً عليه برد وهو يقول:

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة      ردّي عليّ فؤادي أينما كانا  
لا تأخذين فؤادي تلعبين به      فكيف يلعب بالانسان انسانا

فعلمت انها ماتت، فحزنت، وأغلقت المكتب، وجلست في الدار، فقلت: يا هذا اني كنت الفت كتاباً في نوادرهم معشر المعلمين وكنت حين صاحبك عزمت على تقطيعه، والآن وقد قويت عزمي على إبقائه وأول ما ابدأ بك إن شاء الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

وذكر الجاحظ ايضاً أن بعض المجان قال: «مررت ببعض الدور.. فاذا أنا بمعلم خلف ستر قائم على اربعة ينبج ينبج الكلاب، فنظرت اليه فاذا صبي خرج من خلف الستر، فقبض عليه المعلم، فقلت للمعلم عرفني خبرك، قال: نعم هذا صبي يبغض التأديب ويفر ويدخل إلى الداخل ولا يخرج، واذا طلبته بكى، وله كلب يلعب به فانبح له فيظن اني كلبه ويخرج اليّ فأخذه»<sup>(٢)</sup>. ويروى عن الجاحظ انه قال: «مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة، وعصا قصيرة، وصولجان»<sup>(٣)</sup>، وكرة، وطبل، وبوق، فقلت: ما هذه؟ فقال: عندي صغار أوباش،

(١) الابشيهي، المستطرف، ج٢، ص٣٢١؛ تقي الدين أبو بكر بن علي بن حجة، ثمرات الاوراق، صححه محمد أبو الفضل، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧١م، ص٤٥٢ - ٤٥٣، سيشار له تالياً (ابن حجة، ثمرات)؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص٥٦٧ - ٥٦٨.

(٢) ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص١٨١؛ الابشيهي، المستطرف، ج٢، ص٣٢١.

(٣) الصّولج والصّولجان والصّولجانة: العود المعوج، أو العصا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب والجمع صَوَالِجَة. وأصل الكلمة فارسي معرب. ابن منظور، لسان، ج٢، ص٣١٠.

فاقول لاحدهم: اقرأ لوحك. فيصفر لي فاضربه بالعصا القصيرة، فيتأخر فاضربه بالعصا الطويلة، فيفر من بين يدي فاضع الكرة في الصولجان فاضربه وأشجه، فيقوم اليّ الصغار كلهم بالالواح، فاجعل الطبل في عنقي، والبوق في فمي، واضرب الطبل وانفخ في البوق، فيسمع اهل الدرب ذلك فيسارعون اليّ ويخلصونني»<sup>(١)</sup>.

ومما يحكى عن حماقة المعلمين قول الجاحظ: «عقل مائة معلم عقل امرأة، وعقل مائة امرأة عقل حائك، وعقل مائة حائك عقل خصي، وعقل مائة خصي عقل صبي»<sup>(٢)</sup>.

ومن امثال العامة: «احمق من معلم كُتّاب»<sup>(٣)</sup>. وقال بعضهم: «الحمق في الحاكة والمعلمين والغزاليين»<sup>(٤)</sup>.

كل ذلك أدى إلى أن تبدو النظرة العامة للمعلمين نظرة فيها شيء من الاستهانة بمكانتهم ودورهم. ويبدو أن عدم قبول شهادة معلمي الصبيان لدى بعض القضاة؛ كان احد الاسباب التي ساعدت على الخط من مكانتهم. فكان عبدالله بن شبرمة القاضي الكوفي (ت ١٤٤هـ / ٧٦١م)<sup>(٥)</sup>، ويحيى بن اكثم القاضي البصري (ت ٢٤٢هـ / ٨٥٦م)<sup>(٦)</sup>، وسوار

(١) الأبشهي، المستطرف، ج ٢، ص ٣٢١؛ عبدالقادر عياش، العصا في حياتنا وتراثنا، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٦٧م، ص ٤٦، سيشار له تالياً (عياش، العصا)؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص ٥٦٨.  
(٢) الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٢١٠.

(٣) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ج ٤، دار الجليل، بيروت ١٩٤٨م، ج ١، ص ٢٤٨، سيشار له تالياً (الجاحظ، البيان)؛ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٣، ط ١٠، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٣٥م، ج ٢، ص ٥٠، سيشار له تالياً (أحمد أمين، ضحى)؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبدالهادي أبو ريده، ج ٢، ط ٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م، ج ١، ص ٣٤٤، سيشار له تالياً (متز، الحضارة)؛

GOLDZIHHER, "Education", (muslim), Encyclopaedia of Religion and Ethics, vol. 5. p. 201.

سيشار له تالياً ("Goldziher, " Education")

(٤) الجاحظ، البيان، ج ١، ص ٢٤٩.

(٥) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج ٥، ص ٣٢٦؛ ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص ١٨١.

(٦) Goldziher, " Education", vol. 5. p. 202.

ابن عبدالله القاضي البصري (ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م)<sup>(١)</sup>، لا يقبلون شهادة المعلم. وقد يكون تعليل ذلك، أن هؤلاء المعلمين يأخذون على تعليم القرآن اجراً، كما انهم يقبلون الهدية، وهذا يسقط المروءة والعدالة، «فقد جاء رجل ليشهد عند سوار القاضي، فقال له: ما صناعتك؟ قال: أنا مؤدب. قال: فإننا لا نجيز شهادتك. قال: ولم؟ قال: لأنك تأخذ على تعليم القرآن اجراً»<sup>(٢)</sup>. ويفسر الفقيه المغربي ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، ذلك بقوله: «ومن هنا سقطت شهادة أكثر المعلمين لأنهم غير مؤدين لما يجب عليهم إلا من عصم الله»<sup>(٣)</sup>. وفي قول لبعض الحكماء: «لا تستشيروا معلماً ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء»<sup>(٤)</sup>. وقول سهل بن هارون<sup>(٥)</sup> (ت ٢١٥هـ / ٨٣٠م): «لم أر قاضياً ولا عدلاً معلماً كُتِّب، لا في تافه حقير ولا في ثمين خطير»<sup>(٦)</sup>. وتحدث الجاحظ، فقال: «كان يقال: لا ينبغي لعقل أن يشاور واحداً من خمسة: القطان، والغزال، والمعلم، وراعي ضأن، ولا الرجل الكثير المحادثة للنساء»<sup>(٧)</sup>، وكان السنديُّ بن شاهك القاضي يقول: «اللهم اني

(١) ابن قتيبة، عيون، ج ١، ص ١٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٧؛ البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٨؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٢٢٢.

(٣) ابن سحنون، اداب، ص ٩٥؛ أحمد بن أبي جمعة المغراوي، جامع جوامع الاختصار والبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلولي البدوي ورايح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص ٣٨، سيشار له تالياً (المغراوي، جامع)؛ الكساسبة، «معلمو الكتاتيب»، ص ١١.

(٤) الجاحظ، البيان، ج ١، ص ٢٤٨؛ خليل طوطح، التربية عند العرب، المطبعة التجارية، القدس، د.ت، ص ٣٨، سيشار له تالياً (طوطح، التربية).

(٥) ابو عمرو، سهل بن هارون بن راهبون الفارسي الاصل، اتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة، وكان ادبياً كاتباً شاعراً حكيماً. شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي، معجم الادباء، تحقيق احسان عباس، ج ٧، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣م، ج ٣، ص ١٤٠٩، سيشار له تالياً (ياقوت الحموي، معجم الادباء).

(٦) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٥٥.

(٧) المبرد، الكامل، ج ٢، ص ٦٥٨؛ فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب، ط ٨، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٠م، ص ٤٨١، سيشار له تالياً (حتي، تاريخ العرب).

استخيرك في الحمّال ومعلم الصبيان»<sup>(١)</sup>.

ومع أن الجاحظ كان له سبق في تسجيل الحكايات، والنوادر المتعلقة ببعض المعلمين التي تكشف عن ممارسات خاطئة خاصة بهم، إلا أنه في المقابل دافع عن مكانة معلمي الصبيان وانصفهم بقوله: «أما المعلمين الذين سخرهم لنا ووصل حاجتهم إلى ما في أيدينا، وهؤلاء هم الذين هجوتهم وشكوتهم وفحشت عليهم وألزمت الأكابر ذنب الأصاغر وحكمت على المجتهدين بتفريط المقصرين ورثيت لأباء الصبيان عن إبطاء المعلمين عن تحديثهم، ولم نرث للمعلمين عن إبطاء الصبيان عما يراودهم من صرف العلوم لمن يحفظونه ويدرسونه، والمعلمون اشقى بالصبيان من رعاة الضأن ورواض المهارة. ولو نظرت إليهم علمت أن النعمة فيهم سابقة والشكر عليها لازم واجب»<sup>(٢)</sup>. وقد قسم الجاحظ المعلمين إلى نوعين: «منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة، ومنهم ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك انفسهم المرشحين للخلافة. فكيف تستطيع أن تزعم أنّ مثل علي بن حمزة الكسائي، ومحمد بن المستنير الذي يقال له قطرب»<sup>(٣)</sup>، واشباه هؤلاء يقال لهم حمقى. ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التي دونهم. فان ذهبوا إلى معلمي كتاتيب القرى فان لكل قوم

(١) ابن قتيبة، عيون، ج ١، ص ١٣٩؛ ابن سعد الآبي، نشر الدر، ج ٥، ص ٣٢٦؛ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، ١٥ ج، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧ - ١٩٩٢ م، ج ١٠، ص ١٧٣، سيشار له تالياً (ابن كثير، البداية)؛ متر، الحضارة، ج ١، ص ٣٤٥.

(٢) الجاحظ، البيان، ج ١، ص ٢٥١؛ الجاحظ، رسائل، ص ٢٨؛ فهمي عبدالرزاق سعد، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٣ م، ص ١٥٦، سيشار له تالياً (فهمي عبدالرزاق، العامة).

(٣) أبو علي، محمد بن المستنير البصري المعروف بقطرب، أحد علماء اللغة والنحو. ويقال ان سيويه لقبه قطرباً لمباكرته له في الاسحار (ت ٢٠٦هـ / ٨٢١ م). أبو البركات عبدالرحمن بن محمد الانباري، نزهة الالباء في طبقات الادباء، تحقيق ابراهيم السامرائي، ط ٣، مكتبة المنار، الزرقاء ١٩٨٥ م، ص ٧٧، سيشار له تالياً (ابن الانباري، نزهة).

حاشية وسفلة، فما هم في ذلك الا كغيرهم»<sup>(١)</sup>. وهكذا نجد الجاحظ يدافع بحرارة عن المعلمين، خالصاً إلى تقدير دورهم في المجتمع، فنراه يكرس حق الطبقات الدنيا في التعليم قائلاً: «لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرائضيين والحساب والخطاطين والقضاة والحكماء والولاة... لما وجدتهم الا من المعلمين»<sup>(٢)</sup>. فالجاحظ لا يعم معلمي الكتابات بالحق، بل هو ينصفهم أصدق الانصاف ويحتج لهم بانهم كسائر الاقوام، فيهم الغث والسمين، والصالح وغيره»<sup>(٣)</sup>. . . ويبدو أن ما دفع بالجاحظ إلى التندر بالمعلمين، ذلك الاسلوب الذي امتاز به وكاد ينفرد به، وهو اسلوب السخرية بالناس جميعاً على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم. فالجاحظ لم يتهم بتلك الطائفة من الناس فحسب، بل هو يسخر بالقصاص، ويسخر بالمفسرين والمحدثين، والكتاب والقضاة والحكام وبطائفة المتكلمين ايضاً، ولا يكاد يسلم من سخريته الا «المعتزلة»، فهؤلاء عنده كانوا اعقل الناس واحزم الناس، واهدى الناس إلى المعرفة والتبين واصابة الحكم»<sup>(٤)</sup>. ولا ننسى أن الجاحظ نفسه كان معتزلياً وبالتالي فانه لن يذم نفسه.

ولا بد من الاشارة إلى بعض آراء المستشرقين في هذا الموضوع حيث يذكر GOLDZIEHER: «ان السبب في أن معلمي الكتابات يُنظر اليهم شذراً أن معظمهم كانوا من الموالي، كما كان اغلب معلمي القراءة والكتابة في العهد الاول من الذميين، وكان العرب

(١) الجاحظ، البيان، ج ١، ص ٢٥١ - ٢٥٢؛ وانظر: الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٥٥؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٢١٩؛ خالد محمد علي الحاج، اعلام التربية والمربين من القدماء والمحدثين، ط ١، الناشر المؤلف، عمان ١٩٨٩م، ص ٢٤٠، سيشار له تالياً (خالد الحاج، اعلام التربية)؛ أحمد فؤاد الاهواني، التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م، ص ١٩٧، سيشار له تالياً (الاهواني، التربية).

(٢) الجاحظ، رسائل، ج ٣، ص ٣١.

(٣) سعيد اسماعيل علي، معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٦م، ص ١٩٦، سيشار له تالياً (سعيد اسماعيل، معاهد)؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص ٥٧٠؛ الكساسبة، «معلمو الكتابات»، ص ١٦.

(٤) سعيد اسماعيل، معاهد، ص ١٩٥؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص ٥٦٩؛ الكساسبة، «معلمو الكتابات»، ص ١٤.

المسلمون يعتدون بدمهم العربي، وبدينهم الإسلامي، ويحتقرون من عدا ذلك، فليس بعيداً أن تكون فكرة احتقار معلمي الكتاتيب نشأت من ذلك العهد<sup>(١)</sup>. ويقول آدم متز: «ولعل كثيراً مما لحق بالمعلمين من ضروب الاستهزاء يقع أئمه على الروايات اليونانية الهزلية، لأن المعلم فيها كان من الشخصيات المضحكة»<sup>(٢)</sup>.

أما الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ / ٨١٣ - ٨٣٣م)، فيعلل لما أثر عن بعض المعلمين من بلاده وتخلف - وكان صغيراً - بالعبارة التالية «المعلم يجلو عقولنا بأدبه، ويصدأ عقله بجهلنا، ويوقرنا برزاقته، ونستخفه بطيشنا، ويشحد أذهاننا بفوائده، ويكل ذهنه بغينا، فلا يزال يعارض بعلمه جهلنا ويهبط غفلتنا وبكماله نقصنا حتى نستغرق محمود خصاله ويستغرق مذموم خصالنا، فاذا برعنا في الاستفادة برع هو في البلادة، وإذا تحلينا باوفر الآداب تعطل من جميع الأسباب، فنحن الدهر نزرع منه آدابه المكتسبة فنستفيدها دونه ونثبت فيه أخلاقنا الغريزية فينفرد بها دوننا، فهو طول عمره يكسبنا عقلاً ويكتسب منا جهلاً، فهو كذبالة السراج ودودة القز»<sup>(٣)</sup>.

يظهر مما سبق أن الحملة على المعلمين لم تشمل كل قطاع المعلمين آنذاك بل شملت فئة قليلة منهم انحطت إلى منزلة مهينة تخبطت في سيرها خلال العملية التعليمية، في الوقت الذي بلغت فيه بعض الروايات والقصص وقد ركزت على نواذرهم وحكاياتهم دون بيان مكانتهم ودورهم بشكل موضوعي، ولا بد من الإشارة إلى أن المعلمين الذين يمتلكون الكفاءة كانوا محل احترام وتقدير عند الناس، محافظين على مكانتهم الاجتماعية.

(١) Goldziher, "Education", vol. 5.202.

(٢) متز، الحضارة، ج ١، ص ٣٤٥.

(٣) ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص ١٨٠؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٢٢٤.

## ٢- صفات وشروط معلم الكتاب

وصفت لنا المصادر المتخصصة الصفات والشروط التي يجب أن تتوفر في معلم الكتاب، إذ أن الصبيان لم يكونوا في هذا السن استقلالهم، فهم ينظرون إلى معلمهم على أنه نموذج صالح يقلدونه، فعليه أن يدرك ذلك. «فأعين التلاميذ إليه ناظرة وآذانهم إليه مصغية، فما استحسن فهو عندهم الحسن وما استقبح فهو عندهم القبيح»<sup>(١)</sup>.

وقد كان الآباء يتحرون جهدهم في اختيار من يتولى تعليم صبيانهم<sup>(٢)</sup>، فلا يختارون إلا من كان حافظاً للقرآن، عالماً بأمور الدين، عارفاً بالقراءة، والكتابة، والنحو، وحسن الخط، وذا معرفة بالحساب<sup>(٣)</sup>. وعليه أن يحافظ على مظهره الخارجي فيكون نظيفاً، طيب الرائحة<sup>(٤)</sup>، وقد امتحن الجاحظ معلم الكتاب، إذ قال: «عبرت على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فقام واجلسني معه ففاتحته في القرآن، فاذا هو ماهر فيه، ثم فاتحته في الفقه، والنحو، وعلم المنقول، وأشعار العرب، فاذا به كامل من جميع

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الادب في الدين، تحقيق عبدالله أحمد أبو زينة، ط٤، دار الشروق، بيروت ١٩٨٣م، ص٤٨، سيشار له تالياً (الغزالي، الادب).

(٢) ابن سحنون، آداب، ص٤٧؛ أبو عبدالله محمد بن محمد بن الحاج، المدخل، ج٤، ط١، المطبعة المصرية بالازهر، القاهرة ١٩٢٩م، ج٢، ص٣٢٣، سيشار له تالياً (ابن الحاج، المدخل).

(٣) محمد بن محمد بن أحمد بن الاخوة القرشي، معالم القرية في احكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦م، ص٢٦١، سيشار له تالياً (ابن الاخوة، معالم)؛ محمد منير مرسى، تاريخ التربية في الشرق والغرب، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٠م، ص١٧٤، سيشار له تالياً (محمد منير، تاريخ التربية)؛ محمد أحمد جاد صبح، التربية الإسلامية، ج٢، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م، ج١، ص٣٨٠، سيشار له تالياً (جاد صبح، التربية).

(٤) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، أيها الولد، تحقيق علي محيي الدين علي القرة، ط٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٩٨٥م، ص٧٢، سيشار له تالياً (الغزالي، أيها الولد)؛ باقر القرشي، النظام، ص١٧٩؛ محمد اسعد طلس، التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥٦م، ص٧١، سيشار له تالياً (اسعد طلس، التربية).



ما يراد به»<sup>(١)</sup>.

والى جانب ذلك كانت هناك صفات دينية، وخلقية لا بد من توفرها في معلم الكتاب منها أن يكون قوي اليقين بالله عز وجل<sup>(٢)</sup>، ورعاً، قائماً بفروض وشعائر الدين كالصلاة، والزكاة والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر<sup>(٣)</sup>، وان يستعمل تقوى الله في مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه<sup>(٤)</sup>.

ولان قيمة المعلم في أخلاقه وسلوكه - لانه قدوة لتلاميذه أولاً، ولمن يحيطون به ثانياً - لهذا ينبغي أن يتأدب بأدب القرآن<sup>(٥)</sup>، فيتحلى بحسن الأخلاق التي حث عليها الإسلام<sup>(٦)</sup>. ويبذل الوسع ما استطاع في تطهير نفسه من الرذائل التي تقلل من قيمة المعلم<sup>(٧)</sup>، كاظماً لغيظه، وقوراً مثنداً رقيقاً بطلابه<sup>(٨)</sup>، طليق الوجه حليماً صابراً نزيهاً ملازماً للخشوع والسكينة،

(١) الابشيهي، المستطرف، ج ٢، ص ٣٢١؛ ابن حجة، ثمرات، ص ٤٥٢ - ٤٥٣؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص ٥٦٧ - ٥٦٨.

(٢) تاج الدين عبد الوهاب السبكي، معيد النعم ومبديد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٤٨م، ص ١٣٠، سيشار له تالياً (السبكي، معيد النعم)؛ اسعد طلّس، التربية، ص ٧١.

(٣) اسعد طلّس، التربية، ص ٧١؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص ١٧٥.

(٤) ابو بكر محمد الحسن الاجري، أخلاق اهل القرآن، تحقيق فاروق حماده، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م، ص ٧٧، سيشار له تالياً (الاجري، أخلاق اهل القرآن).

(٥) المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٦) ابن سحنون، آداب، ص ٤٧؛ أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، سنن الدارمي، تحقيق عبدالله هاشم اليماني، ج ٢، دار المحاسن، القاهرة ١٩٦٦م، ج ١، ص ٥٥، ١٢٢، سيشار له تالياً (الدارمي، سنن)؛ عبدالرؤوف يوسف عبدالقادر، أخلاق العالم والمعلم عند أبي بكر الاجري، دار الجيل، ط ١، بيروت ١٩٩١م، ص ١٧١، سيشار له تالياً (عبدالرؤوف يوسف، أخلاق العالم).

(٧) الغزالي، ايها الولد، ص ٧١؛ اسماء فهمي، مبادئ التربية الإسلامية، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة ١٩٤٧م، ص ١٣٨، سيشار له تالياً (اسماء فهمي، مبادئ التربية).

(٨) الاجري، أخلاق اهل القرآن، ص ٧٨؛ اسماء فهمي، مبادئ التربية، ص ١٣٧.

متجنباً الضحك الكثير فإنه يميت القلب ويقلل الهيبة<sup>(١)</sup>.

وينبغي على المعلم أن يكون متزوجاً<sup>(٢)</sup>، ولا يفسح لعازب أن يفتح مكتباً للتعليم إلا أن يكون شيخاً كبيراً<sup>(٣)</sup>.

وقد لخص ابن الحاج الفاسي المغربي (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م)، هذه الصفات والشروط بقوله: «وينبغي لآباء الصبيان أن يتخيروا لأولادهم افضل ما يمكنهم... فيختارون لهم أولاً اهل الدين، والتقوى، فإن كان مع ذلك عنده علم من العربية فهو احسن، فان زاد على ذلك بالفقه فهو اولى، فإن زاد عليه بكبر السن فهو اجل، فإن زاد عليه بورع وزهد فهو اوجب... اذ انه كلما زادت الخصال المحمودة في المؤدب زاد الصبي به تجملاً»<sup>(٤)</sup>.

وعلى المعلم أن يصون نظره عن الأمرد الحسن ما امكن، «وإن جاز له بان كان لمحض التعليم من غير شهوة، ولا خوف فتنة، لانه ربما اداه إلى ريبة أو فتنة فيتعين فطم النفس عنه ما امكن»<sup>(٥)</sup>.

وعلى المعلم ألا يكلف الصبيان فوق اجرتهم شيئاً من هدية وغير ذلك وألا يسألهم أو يهددهم في ذلك<sup>(٦)</sup>، وينبغي له أن لا يقبل من أحدٍ من الصبيان شيئاً مما يأتي اليه من الاطعمة التي يعملها بعض الناس في مواسم اهل الكتاب، فان قبوله لذلك من باب التعظيم

(١) الاجري، أخلاق اهل القرآن، ص ٧٨؛ الغزالي، ايها الولد، ص ٧٢؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣٢٠؛ عبدالرؤوف، أخلاق العالم، ص ١٧٢.

(٢) ابن الاخوة، معالم، ص ٢٦١؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣١٩.

.Goldziher, " Education", vol. 5.203

(٣) ابن الاخوة القرشي، معالم، ص ٢٦١؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣٢٣.

(٤) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣٢٣.

(٥) ابو العباس أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، تحرير المقال في آداب واحكام وفوائد يحتاج اليها مؤدبو الاطفال، تحقيق مجدي السيد ابراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٧٨م، ص ٥٧، سيشار له تالياً (ابن حجر الهيتمي، تحرير المقال).

(٦) ابن سحنون، آداب، ص ٩٦.

لواسمهم وفي التعظيم لمواسمهم تعظيماً لهم وتعظيم ما هم فيه، وقد يكون ذلك سبباً إلى أنهم يعتقدون أن دينهم هو الحق وإن غيره هو الباطل<sup>(١)</sup>. وفي هذا إشارة إلى تعليم أبناء المسلمين في كتاتيب أهل الكتاب، فقد كره الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م)، أن يتعلم الصبيان المسلمين في كتاتيب «أهل الكتاب»، فقال: «لا أرى أن يترك أحد من اليهود أو النصارى يعلم المسلمين القرآن»<sup>(٢)</sup>، وقد علل الفقيه المغربي علي بن محمد القابسي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)، ذلك استناداً إلى الآية الكريمة «إنه لقرآن كريم، في كتاب مكنون، لا يمسه إلا المطهرون»<sup>(٣)</sup> فلا يجوز أن يعلم أطفال المسلمين معلم غير مسلم لأنه قد يعلمهم عقيدته، كما لا يجوز أن يعلم أطفال المسلمين معلم غير مسلم لأنه قد يعلمهم عقيدته، كما لا يجوز أن يعلم أطفال غير المسلمين خاصة القرآن الكريم، لأنهم ممنوعون من لمسه، ومن فعل ذلك عوقب ومنع من التعليم وطرحت شهادته<sup>(٤)</sup>. وقد حذر ابن الحاج (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م) من تعليم النصارى لأبناء المسلمين؛ لما في ذلك من تعظيم للنصارى، وقد تسبق للصبي الدسائس، وربما امرهم المعلم بحمل الخمر إليه، أو إلى بيته، كما أن الصبي لا يقدر على الصلاة، فقد يمنعه من الانصراف في وقتها<sup>(٥)</sup>، ولما ولي المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ / ٨٤٦ - ٨٦١م)، أمر الخلافة أمر اليهود والنصارى بالآلا يعلموا أولادهم في مكاتب المسلمين<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣٢٢.

(٢) أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين، ملحقة بكتاب التربية في الإسلام للاهواني، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠م، ص ٣٠٤، سيشار له تالياً (القابسي، الرسالة).

(٣) سورة الواقعة: آية ٧٧ - ٧٩.

(٤) القابسي، الرسالة، ص ٣٠٤.

(٥) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣٢٦ - ٣٢٩.

(٦) صارم الدين، إبراهيم بن محمد بن أيدير بن دقماق، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، ج ٢، ط ١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥م، ج ١، ص ١٤٣، سيشار له تالياً (ابن دقماق، الجوهر)؛ سعيد الديوه جي، التربية والتعليم في الإسلام، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد ١٩٨٢م، ص ١٠٩، سيشار له تالياً (الديوه جي، التربية)؛ جان موريس فييه، أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ترجمة حسني زينه، ط ١، دار المشرق، بيروت ١٩٩٠م، ص ١٤٥، سيشار له تالياً (فييه، أحوال).

#### ٤ - الوضع المالي للمعلمين (الاجور):

يبدو أن الوضع المالي للمعلمين كان شحيحاً في الغالب، ولعل المستوى الاجتماعي المتدهور الذي اشيع عن معلمي الكتاتيب كان ذا اثر فعال فيما يتصل بحالتهم المالية، ثم أن هؤلاء يعلمون القرآن ومبادئ الدين ومن اجل هذا فقد كان متوقعاً منهم أن يتبعوا سنة الاولين في عدم الحصول على أجر، أو على الاقل أن يكونوا زهاداً يرضون بالقليل وليست لهم اطماع مالية. وكانت نتيجة هذه الافكار أن انحدر الوضع المالي للمعلمين وظل اغلبهم يعانون كثيراً من الحرمان<sup>(١)</sup>.

وهناك اشارات تدل على اجور معلمي الصبيان دون تحديد، فذكر أن سعد بن أبي وقاص (ت ٥٥هـ / ٦٧٤م)، كان يعطي الاجر على تعليم بنيه<sup>(٢)</sup>، وكان عطاء بن أبي رباح (ت ١١٧هـ / ٧٣٥م) وصفوان بن سليم (ت ١٣٢هـ / ٧٤٩م)، يعلمان القرآن بالاجر<sup>(٣)</sup>. وذكر الجاحظ أن احد المعلمين كان يُدخل آية في آية اثناء تعليمه القرآن لصبي، لان والد الصبي كان يُدخل اجرة شهر في شهر، قال المعلم: «فلا انا آخذ شيئاً ولا الصبي يتعلم شيئاً»<sup>(٤)</sup>. وكان أبو البيداء، أسعد بن عصمة - وهو اعرابي نزل البصرة - يعلم الصبيان باجرة<sup>(٥)</sup>، وفيما حُدد من اجور للمعلمين، ما رواه الجاحظ: «يكون الرجل نحوياً، عروضياً، وقسماً فرضياً، وحسن الكتاب، جيد الحساب، حافظاً للقرآن، راوية للشعر، وهو يرضى أن يعلم أولادنا بستين درهماً»<sup>(٦)</sup>.

(١) أحمد شلبي، التربية، ص ٢٣٨؛ فهمي عبدالرزاق، العامة، ص ١٥٧.

(٢) الاجري، اخلاق اهل القرآن، ص ٩٧؛ المغراوي، جامع، ص ٢٨.

(٣) المغراوي، جامع، ص ٢٨.

(٤) ابن الجوزي، اخبار الحمقى، ص ١٨٣؛ الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٢١٠.

(٥) الجاحظ، البيان، ج ١، ص ٢٥٢؛ ابن النديم، الفهرست، ص ٩٣؛ متر، الحضارة، ج ١، ص ٣٤٦.

(٦) الجاحظ، البيان، ج ١، ص ٤٠٣؛ شوقي ضيف، العصر العباسي الاول، ط ٨، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م، ص ١٠٠، سيشار له تالياً (شوقي ضيف، العصر العباسي).

ويبدو أن الاجر أو بعضه كان يدفع عيناً، اذ يروى عن الحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥هـ / ٧١٣م) أن ارغفة الخبز وغيره كانت تأتيه من اهل الصبيان، حيث كان معلماً في الطائف<sup>(١)</sup>. وكانت رغفان المعلم، مثلاً يضرب في الاختلاف وشدة التفاوت لان رغفان المعلم تختلف بحسب اختلاف آباء الصبيان في الغنى والفقر، والجود والبخل<sup>(٢)</sup>، وقد انشد الجاحظ للفضل بن عبد الصمد الرقاشي البصري الشاعر (ت ٢١٩هـ / ٨٣٤م) في معلم:

مختلف الخبز خفيف الرغيف      منتشر الزاد لثيم الوصيف<sup>(٣)</sup>

وانشد أبو الشمقمق، مروان بن محمد الشاعر (ت ٢٠٠هـ / ٨١٥م):

خبز المعلم والبقال متفق      واللون مختلف والطعم والصور<sup>(٤)</sup>

وفي ذلك يقول الجاحظ: «خبز المعلم يأتي مختلفاً لوانه لانه من بيوت صبيان مختلفي الاحوال»<sup>(٥)</sup>، وقال ايضاً: «من اعجب ما رأيت معلماً بالكوفة وهو شيخ جالس ناحية من الصبيان يبكي، فقلت له: يا عم، مم تبكي؟! قال: سرق الصبيان خبزي»<sup>(٦)</sup>، ووصف بعضهم معلماً فقال: «هو أفره الناس وصيفاً، واكثرهم رغيماً»<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٤٨؛ المبرد، الكامل، ج ٢، ص ٦٣٠؛ الجرجاني، المنتخب، ص ١٥١.

(٢) عبد السلام هارون، «الجاحظ والعلمون»، ص ٥٦٩؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ١٩٥؛ شوقي ضيف، العصر العباسي، ص ٩٩؛ متز، الحضارة، ج ١، ص ٣٤٥.

(٣) متز، الحضارة، ج ١، ص ٣٤٦؛ أحمد عقل السازي السالم، تمويل مدارس بغداد في العصر العباسي ١٣٢ - ٦٥٦هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية ١٩٩٣م، ص ٣٠، سيشار له تالياً (أحمد عقل، تمويل).

(٤) متز، الحضارة، ج ١، ص ٣٤٦؛ محمد سعد الشويمر، أبو الشمقمق شاعر الفقر والسخرية، ط ٢، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٩٨٣م، ص ١٣٠، سيشار له تالياً (الشويمر، أبو الشمقمق).

(٥) المبرد، الكامل، ج ٢، ص ٦٣١.

(٦) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج ٥، ص ٣٢٩؛ ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص ١٨٤.

(٧) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج ٥، ص ٣٢٦.

وهكذا يتبين أن حالة معلمي الصبيان المعاشية كانت بائسة بسبب بساطة اجرتهم مقابل تعليمهم للصبيان، ومما يدل على تدهور الحالة المالية لهذه الطائفة أن يعقوب بن السكيت النحوي اللغوي (ت ٢٤٤هـ / ٨٥٨م)، كان يعلم مع ابيه صبيان العامة بمدينة بغداد، ففشل في أن يحصل من ذلك على رزق مناسب، فاقلع عن تعليم الصبيان، وجعل يتعلم النحو رجاء أن يكون مؤدباً أو عالماً، فيضمن له هذا اجراً سخياً<sup>(١)</sup>.

وفي الوقت الذي قبل فيه عامة المعلمين الاجرة على التعليم<sup>(٢)</sup>، فان بعضهم رفض ذلك معتبراً عمله خالصاً لوجه الله تعالى مثل: الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ / ٧٢٣م)<sup>(٣)</sup>، وابو عبدالرحمن السلمي القاري (ت ١٤٨هـ / ٧٦٥م)<sup>(٤)</sup>، وابراهيم بن اسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨)<sup>(٥)</sup>.

وكان بعض المعلمين يتخرج من اخذ الهدية التي يقدمها اولياء الصبيان اليهم، فقد أثر عن أبي عبدالرحمن السلمي انه كان يُعلم الصبيان في مسجد من مساجد الكوفة، ثم ذهب إلى بيته فوجد هدية من والد احد الصبيان فردها، ومعها كتاب جاء فيه «نحن لا نُعلم القرآن بأجر»<sup>(٦)</sup>.

(١) ابو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤ ج، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج ١٤، ص ٢٧٣، سيشار له تالياً (الخطيب البغدادي، تاريخ).

(٢) ابو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي، ١١ ج، ط ١، المجلس العلمي، بيروت، ١٩٧٢م، ج ٨، ص ١١٥، سيشار له تالياً (الصنعاني، المصنف).

(٣) ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ٩ ج، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م، ج ٦، ص ٣٠٣، سيشار له تالياً (ابن سعد، الطبقات)؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٤٧؛ الذهبي، سير، ج ٤، ص ٥٩٩؛ أحمد امين، ضحى، ج ٢، ص ٥١؛

Goldziher, "Education", vol. 199.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٢١٢؛ باقر القرشي، النظام، ص ١٦٧؛

Goldziher, "Education", vol.5, P. 203.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ١، ص ٤٤.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٢١٢؛ باقر القرشي، النظام، ص ١٦٧؛

Goldziher, "Education", vol. 203.

وقد يأخذ أجر المعلم مقابل تعليمه للصبي شكل الصلة، فقد أسلم الامام أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م)، ابنه حماداً إلى المعلم فعلمه فاتحة الكتاب، فوصله بخمسمائة درهم<sup>(١)</sup>. وقد منح بعض الخلفاء ارزاقاً كما فعل هارون الرشيد (ت ١٧٠ - ١٩٣هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨م)، عند قدومه إلى الكوفة، إذ امر لكل مقرئ الفبي درهم عطفاً على حالتهم المعاشية، وان اخذها بعضهم فان البعض الآخر رفضها طلباً للثواب في تعليمه<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نجد أن الاجور التي كان يدفعها الصبيان إلى معلمي الكتاتيب لم تكن ثابتة، بل كانت متروكة لحالة الطفل نفسه وطاقة اهله المالية، وقد قُسمت الاجور إلى قسمين: قسم يتعلق بالزمن، وقسم يتعلق بتحصيل الطفل نفسه. اما القسم الاول فكان يقوم به جميع الاطفال تقريباً وهو عبارة عن قليل من المال يدفع اسبوعياً أو شهرياً<sup>(٣)</sup>، أو رغيف من الخبز يدفع كل اسبوع، ثم مبلغ قليل من المال يدفع في مناسبات الاعياد والمواسم، وفي بعض الاحوال كان يدفع مقداراً من القمح والذرة بدل دفع النقود الاسبوعية أو الشهرية<sup>(٤)</sup>. اما القسم الثاني فكان يدفعه الصبي، الذي يصل في حفظه إلى تمام سورة من سور القرآن الكريم<sup>(٥)</sup>، ويدخل به ما يدفعه الصبي عندما يختم القرآن الكريم (الحذقة)<sup>(٦)</sup>، وفي هذه الحالة

(١) علي بن محمد أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق ابراهيم الكيلاني، ٤ ج، مكتبة اطلس، مطبعة الانشاء، د.م، ١٩٦٤م، ج ٣، ص ٨٥٢، سيشار له تالياً (ابو حيان التوحيدي، البصائر)؛ الموفق بن أحمد المكي، مناقب أبي حنيفة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨١م، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ (ويليه الكردي، مناقب)، سيشار له تالياً (الموفق المكي، مناقب).

(٢) مجهول، الامامة والسياسة، ٢ ج، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٩م، ج ٢، ص ١٨٨، سيشار له تالياً (مجهول، الامامة).

(٣) ابن سحنون، آداب، ص ١٣٠؛ المغراوي، جامع، ص ٩؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٢٤١؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص ١٧٥.

(٤) أحمد شلبي، التربية، ص ٢٤١؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٢٩.

(٥) ابن سحنون، آداب، ص ١٠٧؛ المغراوي، جامع، ص ٩؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٢٤١؛ أحمد فؤاد الاهواني، التربية، ص ٦٣؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٢٩.

(٦) الحذق والحذقة: المهارة في كل عمل، حذق الشيء يحذقه، والغلام يحذق القرآن حذقاً وحذاقاً، ويقال لليوم الذي يختم فيه الصبي القرآن: هذا يوم حذقة. ابن منظور، لسان، ج ١٠، ص ٤٠.

يظهر الجود والسخاء ويكرم معلم الكتاب أجمل تكريم، وقد يشمل العطاء شيئاً من الأكسية والمال وغيرهما على حسب حالة اهل الصبي<sup>(١)</sup>. فقد روي بان يحيى بن سعيد البصري (ت ١٤٤هـ / ٧٦١م)، قال: «لما حذقت قلت يا عماء إن المعلم يريد شيئاً، قال: ما كانوا يأخذون شيئاً، ثم قال: اعطه خمسة دراهم، قال: فلم أزل به حتى قال: اعطه عشرة دراهم»<sup>(٢)</sup>.

نلاحظ مما سبق أن قضية أخذ الأجر على تعليم الصبيان كانت متفاوتة بين معلم وآخر فهناك من قبلها وهناك من رفضها طلباً للثواب والمغفرة. وقد كانت قضية اخذ الاجر على تعليم القرآن بشكل خاص سبباً في ظهور بعض الآراء الاجتهادية التي انقسم فيها العلماء والفقهاء إلى فريقين. فالاول يرى أن اخذ الأجر على تعليم القرآن غير جائز فقد رفض أبو عبد الرحمن السلمي القاريء (ت ١٤٨هـ / ٧٦٥م)، الأجر قائلاً: «نحن لا نعلم القرآن بأجر»<sup>(٣)</sup>، ورفض سوار بن عبدالله قاضي البصرة (ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م)، شهادة معلم قائلاً له: «لأنك تأخذ على التعليم اجراً»<sup>(٤)</sup>. وذهب أبو بكر محمد بن الحسن الآجري (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م) إلى عدم جواز اخذ الاجرة على تعليم القرآن، وعلى التعليم بصفة عامة، اذ بين بصريح القول: «ان من أخلاق العلماء العاملين، انهم لا يأخذون على العلم ثمناً»<sup>(٥)</sup>. وعلل أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) مثل هذه الآراء بقوله: «ومن آدابهم أن يقصدوا وجه الله بتعليم من علموا ويطلبوا ثوابه بارشاد من ارشدوا من غير

(١) ابن سحنون، آداب، ص ١٠٨؛ المغراوي، جامع، ص ١٨؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٢٤١؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٢٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ١٣٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٢١٢؛ باقر القرشي، النظام، ص ١٦٧؛

Goldziher, "Education", vol.5, P. 203.

(٤) ابن قتيبة، عيون، ج ١، ص ٣٧؛ البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٨.

(٥) محمد بن الحسين الآجري، أخلاق العلماء، تحقيق فاروق حماده، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م، ص ٧٠ - ٧١، سيشار له تالياً (الآجري، أخلاق العلماء).



أن يعتاضوا عليه عوضاً، ولا يلتمسوا عليه رزقاً، فقد قال الله تعالى: ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾<sup>(١)</sup>». وقد وضع ذلك عند حديث الآجري عن أخلاق حملة القرآن بقوله: «الأخبار في هذا المعنى كثيرة ومرادي النصيحة لاهل القرآن لئلا يبطل سعيهم إذ هم طلبوا به شرف الدنيا وحرّموا شرف الآخرة إذ يتلون لاهل الدنيا طمعاً في دنياهم، اعاذ الله حملة القرآن من ذلك»<sup>(٢)</sup>.

أما الفريق الثاني فيرى جواز اخذ الاجرة على تعليم القرآن، فعن سفيان الثوري (ت ١٦١هـ / ٧٧٧م)، في سننه عن عبدالله بن مسعود، قال: «ثلاث لا بد للناس منهم: لا بد للناس من امير يحكم بينهم ولولا ذلك لاكل بعضهم بعضاً، ولا بد للناس من شراء المصاحف ويبيعها، ولولا ذلك لبطل كتاب الله، ولا بد للناس من معلم يعلم اولادهم ويأخذ لذلك اجراً، ولولا ذلك لكان الناس أميين»<sup>(٣)</sup>. وأجاز الامام مالك بن انس (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م)، اخذ الاجرة على تعليم القرآن<sup>(٤)</sup>، ودليل مالك قوله ﷺ: «خير ما اخذتم عليه اجراً كتاب الله»<sup>(٥)</sup> وما روي عن سعد بن أبي وقاص، انه كان يعطي الاجرة لمعلم بنيه، وما روي عن صفوان بن سليم، وعطاء بن أبي رباح من انهما يعلمان القرآن بالاجرة<sup>(٦)</sup>. كما

(١) سورة المائدة: آية ٤١.

(٢) ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ادب الدنيا والدين، شرح وتعليق محمد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت ١٩٨٣م، ص ٦٨، سيشار له تالياً (الماوردي، ادب).

(٣) الآجري، أخلاق اهل القرآن، ص ١٣٢.

(٤) ابن سحنون، اداب، ص ٨٢؛ القاسبي، الرسالة، ص ٢٩٣.

(٥) ابن سحنون، اداب، ص ٨٣؛ القاسبي، الرسالة، ص ٢٩٨؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣١١؛ المغراوي، جامع، ص ٩.

(٦) ابن ماجه، سنن، ج ٢، ص ٧٣٠؛ تقي الدين أحمد عبدالحليم بن تيمية، احاديث القصاص، تحقيق أحمد عبدالله باجور، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٣م، ص ١٢٩، سيشار له تالياً (ابن تيمية، احاديث).

(٧) ابن سحنون، اداب، ص ٨٣؛ القاسبي، الرسالة، ص ٢٩٣؛ المغراوي، جامع، ص ٢٨.

أكد الامام مالك على أن حق الختمة (الخذقة) واجب اشتراطها المعلم أو لم يشترطها<sup>(١)</sup>. وذكر ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م): «انه لا بأس أن يستأجر الرجل المعلم على أن يعلم اولاده القرآن باجرة معلومة إلى اجل معلوم»<sup>(٢)</sup> ويدعم رأيه بأمثلة تاريخية منها: عن عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريح (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م) قال: «قلت لعطاء آخذ اجراً على تعليم الكتاب، اعلمت احداً كرهه؟ قال: لا»<sup>(٣)</sup>، وقد أكد ابن سحنون على انه «لا يحل للمعلم أن يكلف الصبيان فوق اجرتهم شيئاً من هدية وغير ذلك ولا يسألهم في ذلك»<sup>(٤)</sup> ووافقه الفقيه القابسي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)، الذي اعتبر الاجر ضرورياً<sup>(٥)</sup>، ووجه الضرورة في ذلك «انه لو اعتمد الناس على التطوع، لضاع كثير من الصبيان، ولما تعلم القرآن كثير من الناس، فتكون هي الضرورة القائدة إلى السقوط في فقد القرآن من الصدور، والداعية إلى تثبيت اطفال المسلمين على الجهالة»<sup>(٦)</sup>. وربط بعض الشعراء اخذ الاجرة بمبدأ النصيح من قبل المعلم حيث قال:

إن المعلم والطبيب كلاهما      لا ينصحان اذا هما لم يُكرما  
فاصبر لدائك أن جفوت طيباً      واصبر لجهلك أن جفوت معلماً<sup>(٧)</sup>

وذكر ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٣هـ / ١٥٦٥م) أن «الحق الذي شهدت به القواعد الاصولية والحديثية، جواز اخذ الاجرة على تعليم القرآن... وان ذلك من الحلال الذي لا شية فيه، ولا كراهة، وإن وقع الخلاف فيه»<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) ابن سحنون، اداب، ص ٨٣؛ المغراوي، جامع، ص ٣٠.  
 (٢) ابن سحنون، اداب، ص ٨٢؛ الغزالي، ايها الولد، ص ٧٩؛ عبدالرؤوف، أخلاق العالم، ص ١٣٦؛ عبدالرحمن عثمان حجازي، المذهب التربوي عند ابن سحنون، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م، ص ١٢٦، سيشار له تالياً (عبدالرحمن حجازي، المذهب التربوي).  
 (٣) ابن سحنون، اداب، ص ٨٣؛ عبدالرحمن حجازي، المذهب التربوي، ص ٩٧.  
 (٤) ابن سحنون، اداب، ص ٩٦.  
 (٥) القابسي، الرسالة، ص ٢٩٢، ٢٩٣.  
 (٦) المصدر نفسه، ص ٢٩٣.  
 (٧) الماوردي، ادب، ص ٧٧؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٥٣؛ الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٢٥٧.  
 (٨) ابن حجر الهيتمي، تحرير المقال، ص ٤٩.

## ثانياً : تعليم الصبيان :

### ١ = أماكن التعليم :

#### أ = المسجد :

المسجد بكسر الجيم، البيت الذي يسجد فيه، وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد<sup>(١)</sup>، وقد قال الله عز وجل: ﴿ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها وسعى في خرابها﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً طهوراً»<sup>(٣)</sup>، ويقال: مسجد الجامع، أي الذي يُجمع فيه الناس لوقت معلوم، كالجمعة، والاعياد<sup>(٤)</sup>.

وقد كان المسجد أول معهد اسلامي للتعليم، ولم يكن للعبادة وحدها، بل كانت تؤدي فيه اعمال مختلفة، فهو مكان تقام فيه الصلوات والخطب، وأصبح أيضاً

(١) أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠ ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٥ م، ج ٢، ص ٧٦، سيشار له تالياً (القرطبي، الجامع)؛ ابن منظور، لسان، ج ٣، ص ٢٠٤؛ أبو العباس أحمد بن علي المقرئ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئ، دار صادر، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٤٠٨، سيشار له تالياً (المقرئ، الخطط)؛ رناد الخطيب، «المؤسسات التعليمية في العصر العباسي»، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢ هـ - ٤٥١ هـ / ٧٥٠ - ١٠٥٩ م، الجامعة الاردنية، جامعة اليرموك، جامعة دمشق، ١٩٩٠ م، ص ١، سيشار له تالياً (رناد الخطيب، «المؤسسات»).

(٢) سورة البقرة: آية ١٤.

(٣) أبو عبدالله أحمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، شرح الكرمانلي، ٢٥ ج، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨١ م، ج ٤، ص ٩٧، سيشار له تالياً (البخاري، صحيح)؛ أبي شجاع شيرويه بن شهردار ابن شيرويه الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، ٥ ج، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦ م، ج ٢، ص ١١١، سيشار له تالياً (الديلمي، الفردوس).

(٤) ابراهيم محمد الجمل، نشأة المساجد ورسالتها، ٢ ج، مطابع الشعب، القاهرة د.ت، ج ١، ص ٣، سيشار له تالياً (ابراهيم الجمل، نشأة)؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ٢٠٢؛ رناد الخطيب، «المؤسسات»، ص ١.

معهداً لتلقي العلوم الدينية والنقلية والعقلية والجدلية، بل كان محكمة للتقاضي في بعض الأحيان<sup>(١)</sup>.

وكان مسجد الرسول ﷺ أول مكان اتخذته المسلمون لنشر العلم وتعليم القراءة والكتابة، والرسول فيه معلم ومرشد<sup>(٢)</sup>. وكان الخلفاء في العصر الراشدي والاموي يحثون قادتهم وامراءهم على بناء المساجد في الامصار<sup>(٣)</sup>. واستمر بناؤها كذلك في العصر العباسي

(١) حسين مؤنس، المساجد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨١م، ص ٣٥ - ٣٦، سيشار له تالياً (حسين مؤنس، المساجد)؛ خير الدين وانلي، المسجد في الإسلام، د.د، د.م، ١٩٨٠م، ص ١٦٦، سيشار له تالياً (وانلي، المسجد)؛ خالد خليل حمودي، «نشأة المدارس في العصر الإسلامي»، مجلة افاق عربية، السنة الرابعة، العدد ١، ١٩٧٨م، ص ١١٢ - ١١٥، سيشار له تالياً (حمودي، «نشأة المدارس»).

(٢) وانلي، المسجد، ص ١٦٦؛ حمودي، «نشأة المدارس»، ص ١١٢؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ٢١٥؛ محمد عطية الابراشي، تاريخ علماء المسلمين وآثارهم في التربية، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٧٥، سيشار له تالياً (الابراشي، تاريخ علماء)؛

George makdisi, the Rise of Colloges, University Prees, Edenburgh, 1981.p.21  
سيشار له تالياً (George makdisi, the rise of Colloges).

(٣) انظر: أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م، ص ٢٧٤، ٣٤٢، ٣٨٨، سيشار له تالياً (البلاذري، فتوح)؛ أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، كتاب البلدان، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، د.ت، ص ٥، سيشار له تالياً (اليعقوبي، البلدان)؛ محمد مهدي الموسوي، تحفة الساجد في احكام المساجد، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٥٦م، ص ٤٦١، سيشار له تالياً (الموسوي، تحفة)؛ حسين مؤنس، المساجد، ص ٤٣، ٦١، ٦٦؛ كاظم الجنابي، مسجد أبي دلف، وزارة الثقافة والاعلام مديرية الآثار العامة، بغداد ١٩٧٠م، ص ٢٢، ٢٣، سيشار له تالياً (كاظم الجنابي، أبو دلف).

بتشجيع ودعم من الخلفاء والامراء أنفسهم<sup>(١)</sup>.

ولم يكن بناء المساجد موكلاً بالدولة فحسب، بل أن كثيراً من المسلمين من ذوي اليسار كانوا يبنون المساجد من اموالهم الخاصة، طلباً للثواب، فقد اتخذ الكسائي (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م) مجلسه في مسجده الخاص<sup>(٢)</sup>. واتخذ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء النحوي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، مجلسه العلمي في مسجده الخاص الذي بناه بجوار منزله في بغداد<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: البلاذري، فتوح، ص ٢١، ٢٩٥؛ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، مناقب بغداد، صححه محمد بهجت الاثري، مطبعة دار السلام، بغداد ١٩٢٣م، ص ٢٠، ٢١، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، مناقب بغداد)؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ٦٩، ٢٢٦؛ أبو الحسن محمد بن عبدالكريم بن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي، ١٠ ج، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م، ج ٥، ص ١٧٧، سيشار له تالياً (ابن الاثير، الكامل)؛ أبو الفرج غريغوريوس بن اهرن الملطي بن العبري، تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت، د.ت، ص ١٢٢، سيشار له تالياً (ابن العبري، مختصر)؛ ظهير الدين علي بن محمد الكازروني، مختصر التاريخ، تحقيق مصطفى جواد، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، بغداد ١٩٧٠م، ص ١١٩، ١٣٩، سيشار له تالياً (الكازروني، مختصر)؛ عبدالله بن اسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تحقيق عبدالله الجبوري، ٤ ج، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م، ج ١، ص ٣٣١، سيشار له تالياً، (اليافعي، مرآة)؛ محمود شكري الالوسي، تاريخ مساجد بغداد وآثارها، تهذيب محمد بهجت الاثري، مطبعة دار السلام، بغداد ١٩٧٠م، ص ٣٩، سيشار له تالياً (الالوسي، مساجد)؛ حسين مؤنس، المساجد، ص ٢٠١؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ٢٨٢؛ طاهر مظفر العميد، العمارة العباسية في سامراء، منشورات وزارة الاعلام، بغداد ١٩٧٦م، ص ١٧٥، سيشار له تالياً (مظفر العميد، العمارة)؛ كاظم الجنابي، أبو دلف، ص ١٥؛ محمد توفيق بلبع، «المسجد والحياة في المدينة الإسلامية»، مجلة عالم الفكر، م ١١، ع ١، ١٩٨٠م، ص ٢٠٩، سيشار له تالياً (بلبع، «المسجد»)، El<sup>2</sup>, "masdjid".

(٢) جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ٢ ج، ط ٢، دار الفكر، القاهرة ١٩٧٩م، ج ١، ص ٥٩٠، سيشار له تالياً (السيوطي، بغية)؛ بشار عواد معروف، «التربية والتعليم»، حضارة العراق، ١٣ ج، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٥م، ج ٨، ص ٤٢، سيشار له تالياً (بشار معروف، «التربية والتعليم»).

(٣) بلبع، «المسجد»، ص ١٨٤.

يبدو أن صبيان المسلمين كانوا يأمون المساجد منذ زمن الرسول ﷺ فيصلون الجماعة إلى جانب الرجال والنساء، وذلك عملاً بما جاء عنه ﷺ: «مروا اولادكم بالصلاة اذا بلغوا سبعا»<sup>(١)</sup>. لذا كان الصحابة يعلقون قنقري التمر - اي غصنه - في المسجد ليأكل منه الصبيان وغيرهم تشجيعاً لهم على اتيان المساجد لتعلم الإسلام<sup>(٢)</sup>. اما الصبيان الذين تقل اعمارهم عن سبع سنين فلا يسمح لهم بدخول المساجد، يؤيد ذلك قول الإمام مالك بن انس (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م)، عندما سئل عن الرجل الذي يأتي بولده إلى المسجد للعلم: «ان كان قد بلغ موضع الادب وعرف ذلك، ولا يعث في المسجد، فلا ارى بأساً، وان كان صغيراً لا يقر فيه ويعث فلا احب ذلك. وفي رواية اخرى انه قال: «لا ارى ذلك يجوز لانهم لا يتحفظون من النجاسة»<sup>(٣)</sup>. وقد أمر الرسول ﷺ بتتزيه المساجد من الصبيان والمجانين، لانهم يسودون حيطانها، ويُنجسون ارضها، ويمشون على البول، وسائر النجاسات<sup>(٤)</sup>، وانهم صغار لا

(١) أحمد بن حنبل، المسند، ج ٢، ص ١٨٠؛ سليمان الاشعث أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت، ج ٢، ط ١، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع، د. م، ١٩٨٨م، ج ١، ص ١٨٧، سيشار له تالياً (أبو داود، سنن).

(٢) وانلي، المسجد، ص ١١٧؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ٢٢١.

(٣) ابن سحنون، اداب، ص ١١٤؛ القاسبي، الرسالة، ص ٣٢٣؛ أبو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية والمنح المرعية، ج ٣، مؤسسة قرطبة، مدينة الاندلس ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م، ج ٣، ص ٣٨١، سيشار له تالياً (المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية)؛ المغراوي، جامع، ص ٥٢؛ عبدالغني عبود، في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، د. م ١٩٧٧م، ص ١١١، سيشار له تالياً (عبدالغني عبود، في التربية).

(٤) السمرقندي، تنبيه، ص ٢٤٢؛ عبدالرحمن بن نصر الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٦م، ص ١٠٣، سيشار له تالياً (الشيزري، نهاية الرتبة)؛ ابن الاخوة، معالم، ص ٢٦٠؛ محمد بن عبدالله الزركشي، إعلام الساجد باحكام المساجد، تحقيق أبو الوفاء مصطفى المراغي، د. د، القاهرة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، ص ٣٢٧، سيشار له تالياً (الزركشي، اعلام المساجد)؛ محمد بن أحمد بن بسام، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٨م، ص ١٦١، سيشار له تالياً (ابن بسام، نهاية الرتبة)؛ عبدالله منسي السعد العمري، تاريخ العلم عند العرب، ط ١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠م، ص ١٩، سيشار له تالياً (عبدالله العمري، تاريخ العلم)؛ Goldziher, "Education", vol.5, P. 204.

يميزون بين الصالح والطالح<sup>(١)</sup>، فقال: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم...»<sup>(٢)</sup>.

وترد اشارات قليلة عن تعليم الصبيان في المسجد، من ذلك أن الكميت بن زيد الشاعر (ت ١٢٦هـ / ٧٤٣م)، كان يعلم الصبيان في مسجد الكوفة<sup>(٣)</sup>. وورد على لسان الجاحظ: «ان المعلمين في القرنين الثاني والثالث كانوا على طوائف شتى، اولاهما: طبقة صغار المعلمين الذين كانوا يتولون تعليم الصبيان القراءة والكتابة؛ يتخذون لذلك مكاتب خاصة أو يجعلون من المساجد مدارس لهم<sup>(٤)</sup>. ومما يدل على وجود حلقات لتعليم الصبيان في المساجد أن كتب الحسبة نهت عن تجميع الصبيان في المسجد للدراسة، لما في ذلك من اذى للمصلين واثار على نظافة المسجد<sup>(٥)</sup>. وقال الامام أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م): «لما اردت طلب العلم جعلت اتخير العلوم، وأسأل عن عواقبها، فقليل لي: تعلم القرآن، فقلت: اذا تعلمت القرآن وحفظته فما سيكون آخر امري؟ قالوا: تجلس في المسجد ويقرأ عليك الناس: الصبيان والاحداث...»<sup>(٦)</sup>.

ويبدو أن الصبيان كانوا يحضرون بعض المجالس التي تعقد في المساجد مثل مجالس القصاص، كما حصل مع أبي عبدالرحمن السلمي القاريء (ت ١٤٨هـ / ٧٦٥م)، فكان ينهاهم عن حضور مجالس بعض القصاص ويرشدهم إلى حضور البعض الآخر<sup>(٧)</sup>. وكان

(١) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٣، ص ٣٨١.

(٢) ابن ماجه، سنن، ج ١، ص ٢٤٧؛ الديلمي، الفردوس، ج ٢، ص ١٠٨؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٠٣؛ ابن الأخوة، معالم، ص ٢٦٠؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣١٤، ٣٢٣؛ الزركشي، اعلام الساجد، ص ٣٢٧؛ ابن بسم، نهاية الرتبة، ص ١٦١؛ رفاعه الطهطاوي، مناهج الالباب المصرية في مباحج الاداب العصرية، دار الطباعة، القاهرة ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م، ص ٤٦، سيشار له تالياً (الطهطاوي، مناهج).

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٤٧؛ الاصفهاني، الاغانى، ج ١٦، ص ٣٢٨.

(٤) عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص ٥٦٤.

(٥) الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٠٣؛ ابن الأخوة، معالم، ص ٢٦٠؛ ابن بسم، نهاية الرتبة، ص ١٦١.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ١٢٩.

(٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٢١٣.

الرجل يبعث بولده إلى كُتّاب الحي - وهو في خلال ذلك - يتردد مع اترابه على القاص فيسمع منه احداث الفتوح، وأنباء المعارك<sup>(١)</sup>. وذكر أبو يوسف القاضي (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م): «انه كان صغيراً في حجر امه بعد أن توفي والده، فاسلمته إلى قصّار ليخدمه، فكان يدع القصّار، ويمر إلى حلقة أبي حنيفة، فيجلس ويستمع<sup>(٢)</sup>. ونشأ أبو نواس الشاعر (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م) في البصرة وتردد على الكُتّاب صغيراً، وكان يتردد على حلقات الدرس في المساجد مساءً<sup>(٣)</sup>، ودخل صبي مجلس سفيان بن عيينه المحدث (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، وكان اهل المجلس، قد تهاونوا بهذا الصبي لصغر سنه، فانكر سفيان عليهم ذلك<sup>(٤)</sup>.

يتضح مما سبق، أن حلقات الدرس في المساجد، والجامعة منها كذلك، لم تكن قاصرة على الكبار فقط، أو اصحاب الدراسات العليا - كما اصطلح عليه في العصر الحالي - ولكن وجدت بها كذلك حلقات اخرى لتعليم الصبيان، وان هؤلاء الصبيان مطالبون بالصلاة في المسجد بعد وصولهم سبع سنين، الا أن حضور الصبيان للمساجد كان مشروطاً بتوفر سن مناسبة، وحسن الاستماع، والهدوء، والحفاظ على نظافة المسجد، وتبدو مساهمة المساجد في تعليم صبيان المسلمين، على الرغم من وجود الكتابيب.

(١) حسن السندوبي، ادب الجاحظ، ط ١، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٣١، ص ٢٦، سيشار له تالياً (السندوبي، ادب الجاحظ).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٧٢.

(٣) عبدالله بن المعتز بن التوكل، طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦م، ص ١٩٤، سيشار له تالياً (ابن المعتز، طبقات)؛ مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٦م، ص ٢٧٣، سيشار له تالياً (الشكعة، الشعر).

(٤) ابن عساكر، تهذيب، ج ٦، ص ٩٣ - ٩٤؛ الذهبي، سير، ج ٨، ص ٤٥٩.



## ب - الكتابيب:

الكتاب والمكتب موضع تعليم الصبيان، والجمع الكتابيب، والمكاتب<sup>(١)</sup>. وترد كلمة كتاب ومكتب في بعض الروايات، فقد روى الاصفهاني عن اسحاق الموصلي المغني (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م) أن اياه ابراهيم الموصلي (ت ١٨٨هـ / ٨٠٣م)، أسلمه إلى الكتاب فكان لا يتعلم شيئاً<sup>(٢)</sup>. وقال ابن خلكان في ترجمة أبي مسلم الخراساني<sup>(٣)</sup> (ت ١٣٧هـ / ٧٥٤م)، «انه نشأ عند عيسى بن معقل، فلما ترعرع اختلف هو ووالده إلى المكتب»<sup>(٤)</sup>.

وقد عرفت الكتابيب في الإسلام منذ عهد الرسول ﷺ<sup>(٥)</sup>. كما عرفت في العصرين الراشدي والاموي<sup>(٦)</sup>، حيث زاد عددها واتسع نطاقها باتساع الفتوحات الإسلامية، ودخول

(١) ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٦٩٩؛ الزبيدي، تاج، ج ٤، ص ١٠٤؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١٠، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٣م، ج ٨، ص ٢٩١، سيشار له تالياً (جواد علي، المفصل).

(٢) الاصفهاني، الاغاني، ج ٥، ص ١٤٤.

(٣) ابو مسلم عبدالرحمن بن مسلم، وقيل عثمان، الخراساني القائم بالدعوة العباسية، وقيل هو ابراهيم بن عثمان بن يسار بن شدوس بن جودرن من ولد بزر جمهر بن البختكان الفارسي. ابن خلكان، وفيات، ج ٣، ص ١٤٥.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج ٣، ص ١٤٦.

(٥) انظر: البخاري، صحيح، ج ٢٤، ص ٣٥؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٤٩؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ١٥٩؛ Goldziher, "Education", vol.5, p. 199.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٢٧١، ج ٤، ص ١٣٦، ج ٦، ص ٣٠٣؛ أبي جعفر محمد بن حبيب بن امية ابن عمرو المحبر، كتاب المحبر، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، اعتنى بتصحيح هذا الكتاب إيلزه ليختن شتير، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٤٢م، ص ٤٧٥، سيشار له تالياً (ابن حبيب، المحبر)؛ الجاحظ، البيان، ج ١، ص ٢٥٢؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٤٨؛ أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، ادب الكتاب، باعتناء محمد بهجة الاثري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٢٢م، ص ٣٠، سيشار له تالياً (الصولي، ادب الكتاب)؛ الجرجاني، المنتخب، ص ١٥١؛ ابن عساكر، تهذيب، ج ٦، ص ٤٣٥؛ جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، ضبطه وشرحه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م، ص ٨٣، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، سيرة)؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٤٥٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٠٧؛ ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٦٩٩؛ الزبيدي، تاج، ج ٤، ص ١٠٣، ج ٧، ص ٤٠٢.

الكثير من الشعوب والامم في الإسلام، في الوقت الذي زاد فيه الاهتمام بالتعليم في العصر الاموي حينما تطورت وازدهرت العلوم الدينية والعلمية والادبية فزاد لذلك الاهتمام بالكتاتيب وبالمعلمين، حيث عُرف منهم طبقتان هما طبقة المؤدبين لأولاد الخلفاء والامراء والخاصة، والطبقة الثانية معلمو كتاتيب العامة الذين كانوا يهتمون بتعليم ابناء الطبقة المتوسطة وعامة الناس<sup>(١)</sup>.

اما في العصر العباسي الاول، فقد تطورت العلوم وازدهرت، واصبحت بغداد حاضرة الدولة العربية منبراً للعلوم والمعارف، كما هي مدن العراق الاخرى حيث كانت مقصداً للطلاب من بقية اطراف الدولة العربية الإسلامية والبلدان المجاورة، فقد كان العلماء والفقهاء والمعلمون يأتون إليها للتدريس والتعليم، بسبب التشجيع الذي تبناه الخلفاء والامراء والناس عامة. وقد زاد عدد الكتاتيب وزاد الاهتمام بها من قبل الخلفاء والامراء، فقد انشأ يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد (ت ١٩٠هـ / ٨٠٥م)، - وبأمر من الرشيد - كتاتيب خاصة للايتام<sup>(٢)</sup>.

وترد إشارات إلى الكتاتيب في العصر العباسي الاول، فقد ذكر الخليفة المنصور انه كان في المكتب، وكان لقبه مقلصاً<sup>(٣)</sup>. وكان لعقمة بن أبي علقمة مكتب يعلم فيه العربية، والنحو والعروض. وقد مات في خلافة المنصور<sup>(٤)</sup>. ويذكر أن أشعب بن جبير الطامع (ت ١٥٤هـ / ٧٧٠م)، كان يجلس عند معلم في مكتبه<sup>(٥)</sup>. وانشأ أبو نواس (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، في

(١) الجاحظ، البيان، ج ١، ص ٢٥٠؛ اسعد طلس، التربية، ص ٦٩؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٢٦؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص ٥٦٤.

(٢) ابي عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط ١، مطبعة البابي الحلبي واولاده، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ١٧٧، سيشار له تالياً (الجهشياري، الوزراء)؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٢٩.

(٣) انظر: محمد بن علي طباطبا، الفخري في الاداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ١٦٢، سيشار له تالياً (ابن طباطبا، الفخري).

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٤٩؛ أحمد امين، ضحى، ج ٢، ص ٥٠.

(٥) ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٤٧٣.

البصرة وتردد على الكتاب صغيراً<sup>(١)</sup>. وكان النضر بن شُميل<sup>(٢)</sup> (ت ٢٠٣هـ / ٨١٦م)، يقول: «كنا ثلاثة في كتاب واحد، أنا وابو زيد الانصاري، وابو محمد اليزيدي»<sup>(٣)</sup>. وقال الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م): «كنت أنا في الكتاب اسمع المعلم»<sup>(٤)</sup>، ويذكر أن سعيد بن وهب الكاتب (ت ٢٠٨هـ / ٨٢٣م)، رثى ابنه الذي توفي وله عشر سنين بايات من الشعر منها:

وإذا ما رأيت كتابه      لم ار فيه ريحانة الكتاب<sup>(٥)</sup>

وكان سهل بن هارون (ت ٢١٥هـ / ٨٣٠م)، يختلف إلى الكتاب<sup>(٦)</sup>. وتردد الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ / ٨٣٣ - ٨٤١م)، في صغره إلى الكتاب، ولكنه ما لبث أن تركه بأمر من الرشيد وقد أقسم عليه ألا يذهب إليه<sup>(٧)</sup>. وتعلم أبو عبيد القاسم بن سلام

- 
- (١) ابن المعتز، طبقات، ص ١٩٤؛ الشكعة، الشعر، ص ٢٧٣.
- (٢) ابو الحسن النضر بن شُميل بن خرشة المازني، ولد بمدينة مرو في خراسان، ونشأ بالبصرة، كان نحوياً لغوياً شاعراً اضافة الى معرفته بايام العرب ورواية الحديث. ابن خلكان، وفيات، ج ٥، ص ٤٢٤.
- (٣) ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط ٢، دار المعارف، القاهرة د.ت، ص ٦٢، سيشار له تالياً (اليزيدي، طبقات)؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٣٧٩.
- (٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٣٩٥.
- (٥) الاصفهاني، الاغانى، ج ٢٠، ص ٣٠٥.
- (٦) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، ج ٧، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٩، ج ٣، ص ٦٦، سيشار له تالياً (الجاحظ، الحيوان).
- (٧) الجاحظ، البيان، ج ١، ص ٢٥٢؛ ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج ٣، ص ١٢١؛ الجرجاني، المنتخب، ص ١٥١؛ ابن الجوزي، المتظم، ج ١١، ص ٢٧؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٣٠٨؛ أحمد بن يوسف القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق فهمي سعد وأحمد حطيط، ج ٣، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٢م، ج ٢، ص ١٠٠، سيشار له تالياً (القرماني، أخبار). وانظر: أحمد بن محمد بن عبدربه، العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قمبيح، ج ٩، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٢، ص ٢٧٥، سيشار له تالياً (ابن عبدربه، العقد)؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي، رسائل ابن حزم الاندلسي، تحقيق احسان عباس، ج ٤، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٧م، ج ٢، ص ١٥٠، سيشار له تالياً (ابن حزم، رسائل)؛ محمد بن علي بن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السيد أحمد السامرائي، المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية، القاهرة ١٩٧٣م، ص ١٠٧، سيشار له تالياً (ابن العمراني، الانباء)؛ الكتبي، فوات، ج ٤، ص ٤٩؛ ابن دقماق، الجوهر، ج ١، ص ١٣٩.

اللغوي الفقيه (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)، في الكُتَّاب مع ابن مولا<sup>(١)</sup>. وقال علي بن الجهم الشاعر (ت ٢٤٩هـ / ٨٦٣م): «حبسني أبي في الكُتَّاب»<sup>(٢)</sup>. وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م): «دخلت يوماً قرية فوجدت فيها معلم كُتَّاب»<sup>(٣)</sup>. وذكر الامام البخاري (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، كيفية بدء أمره في طلب الحديث قائلاً: «ألهمت طلب الحديث وأنا في الكُتَّاب...»<sup>(٤)</sup>. وكان أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م) «مؤدب كُتَّاب عامياً»<sup>(٥)</sup>.

يظهر مما سبق أن الكُتَّاب والمكتب، لفظان للدلالة على مؤسسة واحدة خاصة بالتعليم الاولي، ومما يؤكد - كون الكُتَّاب أو المكتب مؤسسة للتعليم الاولي فضلاً عما سبق - هو أن مواد منهج الكُتَّاب والمكتب - كما سنرى<sup>(٦)</sup> - تتكون من تعلم القرآن والخط ومبادئ الحساب، وغير ذلك من المواد التي تدرس عادة في مرحلة التعليم الاولي.

وهكذا نجد اننا لو رجعنا إلى الاستعمال الاصطلاحي لكلمتي الكُتَّاب والمكتب، لوجدنا أن كلتا الكلمتين مستعملتان بمثابة موضع للتعليم الاولي، ويطلق GOLDZIHHER العبارة الانجليزية ELEMENTARY SCHOOL على الكُتَّاب والمكتب ويعدهما مؤسسة واحدة، اعدت للتعليم الاولي<sup>(٧)</sup>.

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٢، ص ٤٠٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٩٦.

(٢) ابن المعتز، طبقات، ص ٣١٩؛ الاصفهاني، الاغانى، ج ١٠، ص ٢٢٨؛ أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي، بهجة المجالس وائس المجالس، تحقيق محمد مرسي الخولي، ج ٣، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢م، ج ٢، ص ٧٧١، سيشار له تالياً (ابن عبدالبر، بهجة).

(٣) الابشيهي، المستطرف، ج ٢، ص ٣٢١؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص ٥٦٧.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٢، ص ٦.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٧٨؛ ياقوت الحموي، معجم آلدباء، ج ١، ص ٢٨٣.

(٦) انظر: الفصل نفسه (مواد التعليم في الكُتَّاب).

(٧) Goldziher, "Education", vol.5, P. 198.

## «اماكن وجودها:

تعددت اماكن الكتاتيب في الدولة الإسلامية، فبعضها وجد في المساجد<sup>(١)</sup>، رغم تردد الكثير من العلماء والفقهاء عن تعليم الصبيان في المساجد، لانها مواضع للعبادة ويجب توفر النظافة والهدوء فيها، ذلك أن الصبيان ليسوا في سن يسمح لهم الحفاظ على قدسية المساجد والالتزام بذلك، لانهم قد يسودون حيظانها ولا يتحرون في نظافة المادة التي يستخدمونها في الكتابة<sup>(٢)</sup>. ووجد البعض الآخر من الكتاتيب ملاصقة بالمساجد، وغالباً ما كان معلموها من أئمة المساجد نفسها والذين بدورهم يقيمون على مقربة من المساجد أو في المساجد ذاتها<sup>(٣)</sup>. روي عن الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، انه قال: «كنت يتيماً في حجر أُمي فدفعني في الكُتَّاب، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد»<sup>(٤)</sup>، فربما كان المكتب بجانب المسجد.

وبجانب الكتاتيب التي اتخذت في المسجد أو التصقت به، نجد كتاتيب أخرى قامت مستقلة تمام الاستقلال، مثال ذلك كُتَّاب الضحَّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ / ٧٢٣م)<sup>(٥)</sup>،

(١) انظر: الفصل نفسه: المسجد.

(٢) ابن سخون، اداب، ص ١١٤؛ السمرقندي، تنبيه، ص ٢٤٢؛ القابسي، الرسالة، ص ٣٢٣؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٠٣؛ ابن الاخوة، معالم، ص ٢٦٠؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣١٤، ٣٢٣؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٣، ص ٣٨١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص ١٦١؛ المغراوي، جامع، ص ٥٢.

(٣) المغراوي، جامع، ص ٤٤؛ أحمد شلبي، الترية، ص ٥٤؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٢٥.

(٤) ابو نعيم أحمد بن عبدالله الاصبهاني، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ج ١٠، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م، ج ٩، ص ٧٣، سيشار له تالياً (ابو نعيم الاصبهاني، حلية)؛ أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ادارة الطباعة المنيرية، ج ٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨م، ج ١، ص ٩٨، سيشار له تالياً (ابن عبد البر، جامع)؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ١٦٦؛ أحمد امين، ضحى، ج ٢، ص ٥١.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٣٠٣؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٤٥٢؛ الذهبي، سير، ج ٤، ص ٥٩٩.

وكتاب علقمة بن أبي علقمة<sup>(١)</sup>. والكتاتيب التي أنشأها يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد (ت ١٩٠هـ / ٨٠٥م)، للآيتام<sup>(٢)</sup>. ووصف أبو نواس (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، غلاماً في مكتب حفص ناله الجلد<sup>(٣)</sup>، وكان لأبي جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م) مكتب يعلم فيه أبناء العباس بن محمد العباسي (ت ١٨٦هـ / ٨٠٢م)<sup>(٤)</sup>. وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م): «دخلت يوماً قرية فوجدت فيها معلّم كتاب فجئت يوماً لزيارته، فاذا الكتاب مغلق»<sup>(٥)</sup>.

وقد تكون الكتاتيب في مواضع ظاهرة ينبغي أن يعلمها الناس، وتكون مشهورة ومعروفة لديهم، كأطراف الأسواق أو بجانب شوارع المدن<sup>(٦)</sup>. فقد كان أبو محمد اليزيدي<sup>(٧)</sup> (ت ٢٠٢هـ / ٨١٧م)، يُدرس الصبيان بحذاء دار أبي عمرو بن العلاء<sup>(٨)</sup>. وكان يعقوب بن السكيت النحوي اللغوي (ت ٢٤٢هـ / ٨٥٦م)، يؤدّب مع إبيه ببغداد صبيان العامة<sup>(٩)</sup>.

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٤٩؛ أحمد أمين، ضحى، ج ٢، ص ٥٠.

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص ١٧٧؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٢٩.

(٣) عياش، العصا، ص ٤٦.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٤٨٠.

(٥) ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص ١٨٣؛ الابشيبي، المستطرف، ج ٢، ص ٣٢١؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص ٥٦٧.

(٦) الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٠٧؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص ١٦١.

(٧) أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، المعروف باليزيدي، المقرئ النحوي اللغوي، سكن بغداد وحدث بها، وكان يؤدّب أولاد يزيد بن منصور الحميري خال المهدي، (ت ١٦٥هـ / ٧٨١م) ولذلك قيل له اليزيدي. ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ١٨٤.

(٨) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٤٤؛ الزبيدي، طبقات، ص ٦١؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ١٨٤.

(٩) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٨٤٠.

## هيكلية الكتاب:

رغم عناية المسلمين بإيجاد الكتابيب وإنماء عددها، والإقبال على تحسين طرق تعليمها إلا أنهم لم يعيروا تنميقها وتكليف بنائها أية أهمية<sup>(١)</sup>. فكان الكتاب على مدى العصور الإسلامية، بناءة بسيطة في الغالب<sup>(٢)</sup>، على هيئة البيت المربع أو المستطيل<sup>(٣)</sup>، لم تزخرف جدرانها أو قاعته بأدنى تنميق من زخرف البناء<sup>(٤)</sup>. ولم يكن تأثيثه بأكثر عناية من ذلك، فانه كان مفروشاً بالحصر<sup>(٥)</sup>، المصنوعة من السمار، أو نبات الحلفا<sup>(٦)</sup>، حيث يجلس عليها الصبيان متربعين حول المعلم<sup>(٧)</sup>، الذي يختص بسرير أو كرسي مرتفع، وربما عوض الكرسي بمصطبة مبنية، ليس عليها من الرياش سوى بساط بسيط<sup>(٨)</sup>. ولا تتجاوز ادوات الدراسة في الكتاب، المصحف الشريف<sup>(٩)</sup>، وعدد من الألواح يكتب عليها

- 
- (١) ابن سحنون، ادا، ص ٥٥ (مقدمة المحقق)؛ اسعد اطلس، التربية، ص ٧٨.
  - (٢) ابن سحنون، ادا، ص ٥٥ (مقدمة المحقق)؛ الاهواني، التربية، ص ٦٤؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٣٠؛ بشار معروف، «التربية والتعليم»، ص ٢٦.
  - (٣) ابن سحنون، ادا، ص ٥٥ (مقدمة المحقق).
  - (٤) المصدر نفسه، ص ٥٥ (مقدمة المحقق).
  - (٥) المغراوي، جامع، ص ٣٨؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ١٦٥؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٢٩؛ زيفريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، راجعه مارون عيسى الخوري، ط ٧، دار الافاق الجديدة، بيروت ١٩٨٢م، ص ٣٩٣، سيشار له تالياً (هونكه، شمس).
  - (٦) محمد منير، تاريخ التربية، ص ١٧٣؛ رناد الخطيب، «المؤسسات»، ص ١٠.
  - (٧) ابن سحنون، ادا، ص ٥٥ (مقدمة المحقق)؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ٦٥؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٢٩.
  - (٨) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ١٥٢.
  - (٩) سعيد اسماعيل، معاهد، ص ١٦٦؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٢٩؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص ١٧٤؛ خطاب عطية علي، التعليم في مصر في العصر الفاطمي الاول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م، ص ٧١، سيشار له تالياً (خطاب عطية، التعليم).

الصبيان<sup>(١)</sup>، مصنوعة من الخشب المصقول أو الصفيح<sup>(٢)</sup>، وكذلك الدوى، والاقلام<sup>(٣)</sup> المصنوعة من القصب<sup>(٤)</sup>.

وقد اشتملت الكتابات في نظامها التعليمي على عريف يساعد المعلم في تعليمه للصبيان<sup>(٥)</sup>، والعريف هو الصبي البارز في الكتاب يقوم بتعليم الصبيان اذا كان في ذلك منفعة في تكوينه<sup>(٦)</sup>، فقد رضي المعلم من الشافعي أن يخلفه في الكتاب اذا قام<sup>(٧)</sup>. وسئل الامام مالك بن انس (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م)، عن المعلم يجعل للصبيان عريفاً، فقال: «ان كان مثله في نفاذه»<sup>(٨)</sup>. وقال ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م): «وأحب للمعلم... أن لا يجعل لهم عريفاً منهم، الا أن يكون الصبي الذي قد ختم وعرف القرآن، وهو مستغن عن التعليم، فلا بأس أن يعينه»<sup>(٩)</sup>. ولا شك أن في هذا افادة للصبي في حياته من جهة الاعتماد على النفس، وتكوين شخصيته.

ومن الامور الواجب توفرها فيمن يتم اختياره عريفاً، أن يكون متفوقاً وبمستوى

- 
- (١) انظر: ابن سحنون، ادا، ص ٨٦؛ ابن المعتز، طبقات، ص ٣١٩؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣١٦؛ الابشيهي، المستطرف، ج ٢، ص ٣٢١.
  - (٢) محمد منير، تاريخ التربية، ص ١٧٤؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ١٨٨؛ هونكه، شمس، ص ٣٩٣.
  - (٣) ابن قتيبة، عيون، ج ٤، ص ١٠١؛ المغراوي، جامع، ص ٣٨.
  - (٤) انظر: الصولي، ادب الكتاب، ص ٦٨ - ٧٠.
  - (٥) ابن سحنون، ادا، ص ١٢٣؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٠٣؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص ١٦١؛ حسن ابراهيم عبدالعال، فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٩٨٥م، ص ٧٧، سيشار له تالياً (حسن عبدالعال، فن التربية).
  - (٦) ابن سحنون، ادا، ص ٩٨؛ الاهواني، التربية، ص ١٩٢.
  - (٧) ابن الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ١٦٦.
  - (٨) ابن سحنون، ادا، ص ٩٨؛ الاهواني، التربية، ص ١٩٢.
  - (٩) ابن سحنون، ادا، ص ٩٨؛ القابسي، الرسالة، ص ٣٢٠.



المعلم<sup>(١)</sup>، ومن ختم القرآن، واستغنى عن التعليم<sup>(٢)</sup>، وان يكون اميناً ثقة له دين<sup>(٣)</sup>، وعلى المعلم أن يمنعه من ضرب الصبيان، والحيف عليهم<sup>(٤)</sup>.

وللعريف واجبات تتعلق باصغائه للدرس حتى يتسنى له تفهيم الصبيان<sup>(٥)</sup>، فهو يساعد الصبيان على فهم دروسهم بعد المعلم<sup>(٦)</sup>، ويرتب الطلاب على اقدارهم، ويوقظ منهم الغافل، ويأمرهم بحسن الاستماع والانتباه، ويراقب الذي يحون به الواحدهم بكونه طاهراً، وان لا يُلقي في اماكن قذرة ولا يدعهم يحونها بأرجلهم<sup>(٧)</sup>، وان يراعي طعامهم وقت جوعهم<sup>(٨)</sup>، ويشرف عليهم في الذهاب والمجيء<sup>(٩)</sup>.

### مواد التعليم:

يبدو أن القرآن الكريم كان المحور الاساس الذي تدور حوله الدراسة في الكُتّاب، وقد

(١) ابن سحنون، اداب، ص ٩٨؛ الاهواني، التربية، ص ١٩٢؛ ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط ٢، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة ١٩٨٥ م، ص ١١٩، سيشار له تالياً (ماجد عرسان، النظرية التربوية)؛ حسن عبدالعال، فن التعليم، ص ٧٧.

(٢) ابن سحنون، اداب، ص ٩٨؛ القابسي، الرسالة، ص ٣٢٠؛ الاهواني، التربية، ص ١٩٢؛ حسن عبدالعال، فن التعليم، ص ٧٧.

(٣) ابن بسام، نهاية الرتبة، ص ١٦١؛ حسن عبدالعال، فن التعليم، ص ٧٧.

(٤) ابن سحنون، اداب، ص ٩٨؛ القابسي، الرسالة، ص ٣٢٠؛ ابن الاخوة، معالم، ص ٢٦١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص ١٦٢؛ ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص ١١٩.

(٥) السبكي، معيد النعم، ص ١٠٨.

(٦) القابسي، الرسالة، ص ٣٢٠؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص ١٦٢.

(٧) اسعد طلس، التربية، ص ٧٣.

(٨) ابن الاخوة، معالم، ص ٢٦١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص ١٦٢.

(٩) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣١٥.

أشار ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، إلى ذلك بقوله: «اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع امصارهم لما يسبق فيه إلى القول من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الاحاديث، وصار القرآن اصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعدُ من الملكات. وسبب ذلك أن التعليم في الصغر اشد رسوخاً وهو اصل لما بعده لان السابق الاول للقلوب، كالاساس للملكات، وعلى حسب الاساس واساليه يكون حال من ينبنى عليه»<sup>(١)</sup>. فكان اهتمام معلمي الكُتَّاب بالقرآن خاصة وذلك بان يعلمهم سور القرآن قراءة وحفظاً. فيذكر أن اشعب الطامع (ت ١٥٤هـ / ٧٧٠م)، كان يجلس عند معلم في مكتبه، وكان هذا المعلم يُقرئ الصبيان القرآن<sup>(٢)</sup>. وعن الامام الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، قال: «رأيت سفيان بن عيينة قائماً على باب كُتَّاب، فقلت: ماذا تعمل؟ قال احب أن اسمع كلام ربي من في هذا الغلام»<sup>(٣)</sup>. وقال الشافعي في حديثه عن دراسته في الكُتَّاب: «فلما ختمت القرآن... رضي مني المعلم أن اخلفه»<sup>(٤)</sup>. وكان الخليل بن عمرو المعلم يلقب خُليلاً<sup>(٥)</sup>، يؤدب الصبيان ويلقنهم القرآن<sup>(٦)</sup>. وقال سهل بن عبدالله التستري (ت ٢٨٣هـ / ٨٩٦م): «فمضيت إلى الكُتَّاب فتعلمت القرآن وحفظته»<sup>(٧)</sup>.

(١) عبدالرحمن بن محمد خلدون، المقدمة، وهي الجزء الاول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحاده، ٨ ج، ط ٢، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨م، ص ٧٤٠، سيشار له تالياً (ابن خلدون، المقدمة).

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٤٧٣.

(٣) أبو نصر عبدالوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، ١٠ ج، ط ٧، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٤م، ج ٢، ص ٨٣، سيشار له تالياً (السبكي، طبقات).

(٤) ابن الجوزي، الصفوة، ج ١، ص ١٦٦؛ عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص ١٩.

(٥) لم اعثر له على سنة وفاة.

(٦) الاصفهاني، الاغانى، ج ٢١، ص ٢١٩.

(٧) ابو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ٥ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج ٣، ص ٨٠، سيشار له تالياً (الغزالي، إحياء).

وبالإضافة إلى تعليم القرآن، كانت القراءة والكتابة من المهمات الرئيسة للكتاب<sup>(١)</sup>، فقد كانت الكتابات التي وجدت زمن الرسول ﷺ في المدينة تعلم الكتابة<sup>(٢)</sup>. ويذكر أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لقي اعرابياً فقال له: «هل تحسن أن تقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: فاقرأ أم القرآن. فقال: والله ما أحسن البنات، فكيف الام! قال: فضربه ثم أسلمه إلى الكتاب، فمكث فيه ثم هرب، وانشأ يقول:

اتيت مهاجرين فعلموني      ثلاثة اسطر متابعات  
كتاب الله في رقّ صحيح      وآيات القرآن مفصلات  
فخطوا لي آبا جاد وقالوا      تعلم سقفاً وفريشات  
وما انا والكتابة والتهجي      وما حظ البنين من البنات<sup>(٣)</sup>

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري (ت ٤٤هـ / ٦٦٤م)، والي البصرة آنذاك: «وليعلم أبو الاسود<sup>(٤)</sup> أهل البصرة الإعراب<sup>(٥)</sup>» وعن ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، أن خالد بن الوليد قد جلب اسرى من نواحي حلب في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ومن بينهم كان أبو القاسم الدمشقي فيقول: «فلما قدمنا المدينة على

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٦، ص ٣٩٠؛ المغراوي، جامع، ص ٤٨؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٤٥؛ ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص ٧٣؛ اسعد طلس، التربية، ص ٧٠.

. George Makdisi, the Rise of Colloges, p. 19

(٢) البخاري، صحيح، ج ٢٤، ص ٣٥؛ البلاذري، فتوح، ص ٤٥٩.

(٣) الزبيدي، تاج، ج ٧، ص ٤٠٢؛ الديوه جي، التربية، ص ١٧.

(٤) أبو الاسود الدؤلي، ظالم بن عمرو بن شفيان النحوي (ت ٦٩هـ / ٦٨٨م) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٤٦٥.

(٥) أبي عبيد الله محمد بن عميران المرزباني، نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والادباء والشعراء والعلماء، حققه رودلف زلهاييم، دار نشر فرانكس شتاير، فيسبادون، ١٩٦٤م، ص ٨، سيشار له تالياً (المرزباني، نور القبس).

أبي بكر جعلني في المكتب، فكان المعلم يقول لي: اكتب الميم، فإذا لم احسنها قال: دورها واجعلها مثل عين البقرة<sup>(١)</sup>. وكان لعلقمة بن أبي علقمة مكتب يعلم فيه النحو<sup>(٢)</sup>. وقال ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م): «وعلى المعلم أن يعلمهم كيفية رسم الحروف وضبطها بالشكل، أي التحريك في النحو كالنصب والرفع والبناء... مما يساعد على حفظ القرآن»<sup>(٣)</sup>. والنحو من العلوم المهمة التي تدرس في الكتاب، وذلك للابتعاد بهم عن اللحن في قراءة القرآن، ذلك أن اللحن مذموم عند العرب<sup>(٤)</sup>، على أن الكتب التي يدرسها الصبيان في هذا العلم تمتاز بالسهولة، فقد أكد ذلك قول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) فقال: «وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام، في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده وشيء إن وصفه»<sup>(٥)</sup>.

أما الخط فقد يكون من الفنون التي يُعلمها الكتاب، أو قد تكون لها مكاتب خاصة، كان الطلاب يقصدونها بعد خروجهم من الكتاتيب، وقد أشار ابن جبير (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م)، إلى ذلك بقوله: «وقد يكون في أكثر البلاد الملقن على حده، والمكتب على حده، فينفصل من التلقين إلى التكتيب. لهم في ذلك سيرة حسنة، ولذلك يأتي لهم حسن الخط لأن المعلم له لا يشغل بغيره»<sup>(٦)</sup> ومثل هذا ما سجله ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)، اذ يقول: «ومعلم الخط غير معلم القرآن يعلمهم بكتب الاشعار وسواها، ولا يكتبون القرآن في الألواح تنزيهاً له، فينصرف الصبي من التعليم إلى التكتيب لأن معلم الخط

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٠٧.

(٢) الجاحظ، رسائل، ج ٣، ص ٣٢؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٤٩.

(٣) ابن سحنون، اداب، ص ١٠٢؛ المفراوي، جامع، ص ٤٨.

(٤) الاهواني، التربية، ص ٦٤؛ خالد الحاج، اعلام التربية، ص ٢٣٩.

(٥) الجاحظ، رسائل، ج ٣، ص ٣٨.

(٦) ابو الحسن محمد بن أحمد بن جبير، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف بـ رحلة ابن جبير، اشراف لجنة تحقيق التراث، ط ٢، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦م، ص ٢٢٠، سيشار له تالياً (ابن جبير، رحلة).

لا يعلم غيره»<sup>(١)</sup>. أكد ذلك ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، بقوله: «بان اهل الشرق عنايتهم بدراسة القرآن، وصحف العلم، وقوانينه، في زمن الشَّيْبَةِ، ولا يخلطون بتعلم الخط، بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده، كما تُتعلَّم سائر الصنائع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان. واذا كتبوا لهم اللوح فبخط قاصر عن الاجادة»<sup>(٢)</sup>.

ومن العلوم التي يؤكّد عليها في تعليم الصبيان الأمثال، والحكايات، وأيام العرب وتواريخها<sup>(٣)</sup>. والأشعار الحسنة، التي تشيع في نفوس الصبيان الصلاح والعفة<sup>(٤)</sup>. فقد كتب عمر بن الخطاب إلى اهل الامصار موصياً: «ورَوْهُمْ ما سار من المثل، وما حَسُنَ من الشعر»<sup>(٥)</sup>. وعلى المعلم أن يتجنب تلك الاشعار التي فيها ذكر العشق وأهله، فان ذلك يغرس في نفوس الصبيان بذور الفساد<sup>(٦)</sup>.

وينتقل المعلم إلى تعليمهم السنة والحديث، ثم يعرفه عقائد اهل السنن<sup>(٧)</sup>، ثم يعرفه اصول الحساب<sup>(٨)</sup>.

(١) ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م، ص١١٢، سيشار له تالياً (ابن بطوطة، رحلة).

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص٧٤١.

(٣) الغزالي، إحياء، ج٣، ص٧٨؛ الاهواني، التربية ص٦٤؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص١٧٧.

(٤) الجاحظ، رسائل، ج٣، ص٣٢؛ ابن سحنون، اداب، ص١٠٣؛ الغزالي، ايها الولد، ص٥٠٥؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٥؛ ابن الأخوة، معالم، ص٢٦٢؛ المغراوي، جامع، ص١٠، ٤٧.

(٥) ابن عبدالبر، بهجة، ج٢، ص٧٦٨.

(٦) الغزالي، إحياء، ج٣، ص٧٨؛ المغراوي، جامع، ص١٠، ٣٩؛ عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص١٩؛ حتي، تاريخ العرب، ص٤٨٠؛ Goldziher, "Education", vol.5, P. 205.

(٧) الغزالي، إحياء، ج٣، ص٧٨؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٣؛ المغراوي، جامع، ص١٠، ٤٨.

(٨) الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص٣٩٠؛ الجاحظ، رسائل، ج٣، ص٣٢؛ الغزالي، ايها الولد، ص٧٧؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٣؛ ابن الاخوة، معالم، ص٢٦٠؛ المغراوي، جامع، ص٤٨.

ومن الامور التي يتعلمها الصبيان في الكتاتيب السباحة والرمي والفروسية<sup>(١)</sup>، وقد امر الرسول ﷺ الآباء أن يعلموا اولادهم السباحة والرمي<sup>(٢)</sup>.

وكتب عمر بن الخطاب إلى اهل الشام: «علموا اولادكم السباحة والرمي والفروسية»<sup>(٣)</sup>. وكتب إلى اهل البصرة: «... وعلموا اولادكم العوم.. وأنزوا على الخيل نزواً»<sup>(٤)</sup>. وقد اشار الجاحظ إلى ذلك فقال: «وبعد ذلك يعلمهم الفروسية واللعب بالرماح والسيوف، والمشاولة والمنازلة والمطاردة»<sup>(٥)</sup>.

ويبدو أن هذه المواد من كتابة، وسباحة، ورمي، كانت من اهم ضرورات الحياة منذ الجاهلية، فقد كان من يحسن الكتابة، والعوم، والفروسية، يسمى الكامل<sup>(٦)</sup>.

ويشير الجاحظ إلى مواد اخرى، فيذكر أن معلمي الصبيان كانوا يعلمون: الحساب وما بالسماء من نجوم الاهتداء والأنواء، والسعود، وأسماء الأيام والشهور<sup>(٧)</sup>.

ولم يقتصر اهتمام الكتاتيب على الجانب العلمي فقط، بل شمل ايضاً الجانب السلوكي، فقد كان المعلمون في الكتاتيب يهتمون بتعليم طلابهم الصلاة<sup>(٨)</sup>، مستندين في ذلك على قول

- (١) الجاحظ، رسائل، ج ٣، ص ٣٢؛ ابن قتيبة، عيون، ج ٢، ص ١٨٤؛ البلاذري، فتوح، ص ٤٥٩.
- (٢) ابو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج ٦، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر اباد الدكن، ١٩١١ - ١٩١٤ م، ج ٢، ص ٩٩، سيشار له تالياً (ابن حجر العسقلاني، لسان).
- (٣) ابن قتيبة، عيون، ج ٢، ص ١٨٤؛ ابن عبد البر، بهجة، ج ٢، ص ٧٦٨.
- (٤) المرزباني، نور القبس، ص ٨.
- (٥) الجاحظ، رسائل، ج ٣، ص ٣٢. والمشاولة: تشاؤل القوم تشاؤلاً إذا تناول بعضهم بعضاً عند القتال بالرماح. ابن منظور، لسان، ج ١١، ص ٣٧٧.
- (٦) ابن قتيبة، عيون، ج ٢، ص ١٨٤؛ البلاذري، فتوح، ص ٤٥٩.
- (٧) الجاحظ، رسائل، ج ٣، ص ٣٥. والأنواء والسعود أسماء لمجموعات من النجوم. انظر: ابن منظور، لسان، ج ١، ص ١٧٥ - ١٧٨، ج ٣، ص ٢١٣.
- (٨) الجاحظ، رسائل، ج ٣، ص ٣٥؛ ابن سحنون، ادا، ص ١٠٩؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٠٣؛ ابن الاخوة، معالم، ص ٢٦١؛ ابن بسم، نهاية الرتبة، ص ١٦١؛ المغراوي، جامع، ص ١٠.

الرسول ﷺ: «مروا اولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع»<sup>(١)</sup>. وقد كان هناك معلم للصبيان، وقد شوهد وهو يصلي بهم صلاة العصر<sup>(٢)</sup>. وينبغي للمعلم، أن يعلمهم الوضوء والصلاة على الجنائز والدعاء ويرغبهم بالله وعظمته ليكبروا على ذلك<sup>(٣)</sup>.

ومن الصفات الخلقية التي ينبغي للمعلم أن يحض الصبيان عليها، الطاعة والنظام<sup>(٤)</sup>، وبر الوالدين والانقياد لامرهما بالسمع والطاعة<sup>(٥)</sup>، وان يضربه على اساءة الادب، والفحش من الكلام<sup>(٦)</sup>. وقد اكد رسول الله ﷺ على ضرورة تعليم الصبيان الخلق والاداب الحسنة، اذ قال: «اكرموا اولادكم واحسنوا ادبهم»<sup>(٧)</sup>، وقال: «لان يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع»<sup>(٨)</sup>. وقد كتب محمد بن حبيب الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م)، كتاباً لمعلم بنيه، قال فيه: «بسم الله، أما بعد: فليكن أول ما تؤدب نفسك، فان عيني متعلقة بهم واعينهم متعلقة بك، فالحسن عندهم ما استحسنته، والقبيح عندهم ما استقبحته»<sup>(٩)</sup>.

(١) أحمد بن حنبل، المسند، ج ٢، ص ١٨٠؛ أبو داود، سنن، ج ١، ص ١٨٧؛ محمد نمر الخطيب، «الإسلام والعلم»، مجلة التمدن الإسلامي، م ١٩، ج ١٧، ١٨، جمعية التمدن الإسلامي، دمشق، ١٩٥٢م، ص ٣٩٠، سيشار له تالياً (نمر الخطيب، «الإسلام»).

(٢) انظر: الشريشي، شرح، ج ٢، ص ٢٠٩؛ الابشهي، المستطرف، ج ٢، ص ٣٢١.

(٣) ابن سحنون، ادا، ص ١١١؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣١٥؛ المغراوي، جامع، ص ٤٧.

(٤) الغزالي، ايها الولد، ص ٧٧.

(٥) الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٠٣؛ ابن الاخوة، معالم، ص ٢٦١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص ١٦١.

(٦) الغزالي، إحياء، ص ٧٢؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص ٥٨٩؛ ابن الاخوة، معالم، ص ٢٦١؛ المغراوي، جامع، ص ٤٠.

(٧) أحمد بن حنبل، المسند، ج ٥، ص ٥٦؛ ابن ماجه، سنن، ج ٢، ص ١١.

(٨) ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٤، ص ٢٩٧، سيشار له تالياً (الترمذي، سنن). والصاع: يعادل ٣،٢٤٥ كغم قمح. فالتر هتس، المكايل والاوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الاردنية، عمان ١٩٧٠م، سيشار له تالياً (فالتر هتس، المكايل).

(٩) المغراوي، جامع، ص ٣٩.

يظهر مما سبق أن مواد التعليم في الكُتَّاب اشتملت على القرآن الكريم والقراءة، والكتابة، يضاف إلى ذلك في كثير من الحالات النُحو والأمثال والقصص والشعر، والخط، ومبادئ الدين والحساب والسباحة والرمي وركوب الخيل. ورأى أحدهم ابن اعرابية فاعجبه منظره فسألها عنه، فقالت: «إذا اتم خمس سنوات اسلمته إلى مؤدب يحفظ القرآن، فتلاه، فعلمه الشعر فرواه، ورغب في مفاخرة قومه، وطلب مآثر أيامه واجداده، فلما بلغ الحمل حملته على اعناق الخيل، فتمرس وتفرس»<sup>(١)</sup>.

وهكذا يظهر أن المواد التعليمية في الكتاتيب كانت تشتمل على العناية بالصبي عقلياً وجسدياً ونفسياً مع التأكيد الواضح على الجانب الأخلاقي.

### اوقات التعليم:

يبدو أن الدراسة في الكُتَّاب تبدأ في صباح يوم السبت، وتنتهي في عصر يوم الخميس<sup>(٢)</sup>، وبذلك يكون نصف يوم الخميس ويوم الجمعة بطوله من أيام العطلة<sup>(٣)</sup>، قال ابن سحنون: «وتلك سنة المعلمين منذ كانوا»<sup>(٤)</sup>.

أما وقت تعليم الصبيان في الكُتَّاب، فيبدأ من بعد صلاة الصبح إلى الضحى العالي، ثم يذهب الصبيان إلى بيوتهم، ليأخذوا قسطاً من الراحة، ويتناولوا غذاءهم، ثم يعودوا إلى الكُتَّاب ليتعلموا فيه إلى صلاة العصر، ثم ينصرفون إلى بيوتهم<sup>(٥)</sup>. وقد ورد أن عمر بن

(١) أسماء فهمي، مبادئ التربية، ص ٤٧؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ١٧٥.

(٢) ابن سحنون، آداب، ص ١٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٤؛ الغزالي، أيها الولد، ص ٨١؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣٢١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص ١٦٣؛ المغراوي، جامع، ص ١٠؛ الأهواني، التربية، ص ١٧٩.

(٤) ابن سحنون، آداب، ص ١٠٤.

(٥) ابن سحنون، آداب، ص ١٠٦؛ القابسي، الرسالة، ص ٣١٤؛ المغراوي، جامع، ص ١٠؛ اسعد طلس، التربية، ص ٧٤.



الخطاب أمر عابد بن عبدالله الخزاعي أن يلازم تعليم الصبيان بعد صلاة الصبح إلى الضحى الأعلى، ثم من الظهر إلى العصر ويسرحهم في بقية النهار<sup>(١)</sup>.

أما دوام الصبيان في يوم الخميس فيختلف عن الأيام الأخرى، إذ يأتي الصبيان صباحاً، ويستمر تعليمهم إلى نصف النهار، ثم يتركون الكُتّاب إلى بعد صلاة الظهر، ولهم الخيار في البقاء إلى صلاة العصر، ثم ينصرفون إلى يوم السبت حيث يأتون إلى معلمهم مبكرين. وقد خصص يوم الخميس وعشية يوم الأربعاء للمراجعة<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن توزيع العلوم على اليوم الدراسي في الكُتّاب يجري على النحو الآتي: يدرس الصبيان القرآن من أول النهار في وقت مبكر حتى الضحى، ثم يتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر، ثم ينصرف الصبيان إلى بيوتهم لتناول الغداء<sup>(٣)</sup>، وقد أوصى القابسي المعلمين بعدم حرمان الصبي الانصراف إلى بيته لتناول الطعام مع التنبيه عليه بسرعة العودة<sup>(٤)</sup>، ثم يعود الصبيان إلى الكُتّاب بعد صلاة الظهر، ليتعلموا بقية العلوم كالنحو، والشعر، والحساب، وأيام العرب وغيرها من المواد<sup>(٥)</sup>، إلى صلاة العصر، حيث ينصرفون إلى بيوتهم<sup>(٦)</sup>.

وهناك أوقات أخرى للراحة في المواسم والأعياد، فقد تكون يوماً واحداً في عيد الفطر، أو ثلاثة<sup>(٧)</sup>. وثلاثة أيام في عيد الاضحى وقد تصل إلى خمسة<sup>(٨)</sup>. وكذلك

(١) المغراوي، جامع، ص ٥١.

(٢) ابن سحنون، آداب، ص ١٠٤؛ القابسي، الرسالة، ص ٣١١.

(٣) الاهواني، التربية، ص ١٧٩؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص ١٧٣؛ ماجد عرسان، النظرية، ص ١١٧؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ١٧٦؛ الديوبه جي، التربية، ص ٢٢.

(٤) القابسي، الرسالة، ص ٣١١.

(٥) الاهواني، التربية، ص ١٧٩؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص ١٧٣؛ رناد الخطيب، المؤسسات، ص ١٠.

(٦) ابن سحنون، آداب، ص ١٠٦؛ القابسي، الرسالة، ص ٣١٤؛ المغراوي، جامع، ص ١٠.

(٧) ابن سحنون، آداب، ص ٩٧؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣٢١.

(٨) ابن سحنون، آداب، ص ٩٧؛ الغزالي، أيها الولد، ص ٨٠؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣٢١.

الراحة يوماً أو بعض يوم بمناسبة ختم احد الصبيان للقرآن<sup>(١)</sup>، حيث يصبح بعده من حملة كتاب الله، وقد سئل ابن سحنون «تري للمعلم في اذنه للصبيان اليوم ونحوه؟ قال: ما زال ذلك من عمل الناس، مثل اليوم وبعضه، ولا يجوز له أن يأذن لهم اكثر من ذلك الا باذن آبائهم»<sup>(٢)</sup>.

وفي الوقت الذي اكد فيه فقهاء المسلمين على راحة الصبي، كان التاكيد ايضاً على ضرورة لعب الصبي في الكتّاب، وبعد انصرافه منه<sup>(٣)</sup>، وعلى أن «يُعوّد المشي والحركة والرياضة لئلا يغلب عليه الكسل»<sup>(٤)</sup>. قال مسكويه (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)، عند كلامه عن لعب الطفل: «وينبغي أن يؤذن له في بعض الاوقات أن يلعب لعباً جميلاً، ليستريح اليه من تعب الأدب، ولا يكون في لعبه ألم ولا تعب شديد»<sup>(٥)</sup>. وهذه الالعب الجميلة تزيل عن الطفل الأم التعب وتنشطه للدرس والعمل<sup>(٦)</sup>. وقد حث الامام الغزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م) على أن يلعب الصبي بعد الانصراف من الكتّاب، لكي يجدد نشاطه ويستريح، ويحذر من منع الصبيان عن اللعب، فان هذا يؤثر عليهم، ويحملهم على بغض الدرس. قال: «فان منع الصبي من اللعب، وارهاقه إلى التعليم دائماً، يميت قلبه، ويطل ذكاءه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً»<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن سحنون، ادا، ص ٩٥؛ المغراوي، جامع، ص ٥٣.

(٢) ابن سحنون، ادا، ص ٩٥.

(٣) الاهواني، التربية، ص ١٩٣؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٢٨٨؛ الديوه جي، التربية، ص ٥٢.

(٤) ابو علي أحمد بن محمد بن مسكويه، تهذيب الأخلاق في التربية، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٠٧م، ص ٥٤، سيشار له تالياً (مسكويه، تهذيب).

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٣؛ الغزالي، إحياء، ج ٣، ص ٧٩.

(٦) الديوه جي، التربية، ص ٥٢.

(٧) الغزالي، إحياء، ج ٣، ص ٧٩.

وكان المربون المسلمون يدركون أن من طبيعة الطفل أن يكون نشيطاً كثير الحركة، وكانوا يغذون فيه هذه الطبيعة لعلمهم أن في نشاط الجسم يقظة العقل، وصفاء الذهن، وبالتالي كانوا يرون أنه من غير الطبيعي أن يكون الطفل هادئاً ساكناً ويرجعون سكونه إلى مرض أصابه أو بأس نزل به<sup>(١)</sup>. وقد سأل أبو القاسم عبدالله بن محمد المغربي معيقب بن الازهر القيرواني: «ما حال صبيانكم في الكُتَّاب؟ فاجاب معيقب: ولع كثير باللعب. فقال أبو القاسم: إن لم يكونوا كذلك فعلق عليهم التماثيم»<sup>(٢)</sup>.

### من التعليم:

الظاهر انه لم يكن هناك نصٌ قاطعٌ يقطع بتعيين سن ابتداء التعليم في الكُتَّاب<sup>(٣)</sup>، ولكن يبدو أن مرحلة ما بين الخامسة والسابعة هي السن التي كان يرسل فيها الصبي للكُتَّاب، تبعاً لاختلاف نضج الصبيان، وتقدمهم في الفهم والتمييز<sup>(٤)</sup>. وقد سئل الإمام مالك عن تعليم الصبيان في المسجد، فقال: «لا أرى ذلك يجوز، لانهم لا يتحفظون من النجاسة»<sup>(٥)</sup>. فالطفل الذي لا يتحفظ من النجاسة، ولا يستطيع الاستقرار، هو طفل دون السابعة في الغالب<sup>(٦)</sup>. وقد ورد عن أبي نواس (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، أن امه نقلته إلى البصرة، وهو ابن ست سنين، فاسلمته إلى الكُتَّاب<sup>(٧)</sup>. وذكر ول ديوارنت: «ان تعليم

(١) أحمد شلبي، التربية، ص ٣٠٧.

(٢) ابن سحنون، اداپ، ص ٥٤ (مقدمة المحقق).

(٣) اسعد طلس، التربية، ص ٨٦.

(٤) الاهواني، التربية، ص ٥٩؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ١٦٧.

George Makdisi, The Rise of Colloges, P. 19.

(٥) ابن سحنون، اداپ، ص ١١٤؛ السمرقندي، تنبيه، ص ٢٤٢؛ القاسبي، الرسالة، ص ٣٢٣؛ المقدسي

الخنبللي، الاداب الشرعية، ج ٣، ص ٣٨١؛ المغراوي، جامع، ص ٥٢.

(٦) الاهواني، التربية، ص ٥٩.

(٧) ابن المعتز، طبقات، ص ١٩٤؛ الشكعة، الشعر، ص ٢٧٣.

الأطفال يبدأ منذ اقتدارهم على الكلام، فكانوا من هذه اللحظة يُعلمون النطق بالشهادتين، فإذا بلغ الاطفال السادسة من العمر، الحق بمدرسة أولية<sup>(١)</sup>. ومن جملة ما ذكره ابن الحاج (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م): «إنَّ السلف الماضيين... إنما كانوا يقرئون اولادهم في سبع سنين، لانه زمن يؤمر الولي أن يكلف الصبي بالصلاة والآداب الشرعية فيه»<sup>(٢)</sup>. ويقول القابسي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م): «وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة اذا كانوا بني سبع سنين، ويضربهم اذا كانوا بني عشر»<sup>(٣)</sup>. ونص الحديث كما اخرج ابو داود وأحمد بن حنبل: «مروا اولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين»<sup>(٤)</sup>.

وقد ذهب GOLDZIHHER إلى أن الطفل كان يُرسل إلى الكتّاب في سن السابعة، اذ يكون في ذلك الوقت مسؤولاً عن امور دينه والقيام بها<sup>(٥)</sup>.

نستنتج مما سبق انه لم تكن هناك سن محددة يلتحق عندها الصبي في الكتّاب، إنما كان الامر متروكاً لتقدير آباء الصبيان، وحسب نضج الصبيان وتقدمهم في الفهم والتميز.

ويبدو أن السنة السادسة أو السابعة هي السن المناسبة التي يمكن للصبي فيها أن يستوعب ما يلقي عليه، ويكون فيها مسؤولاً عن امور دينه والقيام بها استناداً إلى ما جاء في نص الحديث الذي سبق ذكره.

(١) ول وإبريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ٤٠ ج، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٨م، ج ١٣، ص ١٦٧، سيشار له تالياً (ول ديورانت، قصة الحضارة).

(٢) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣١٥.

(٣) القابسي، الرسالة، ص ٣٠٠.

(٤) أحمد بن حنبل، المسند، ج ٢، ص ١٨٠؛ أبو داود، سنن، ج ١، ص ١٨٧.

(٥) Goldziher, "Education", vol.5, P. 207.

## مدة التعليم في الكتاب:

يبدو انه لم تكن هناك مدة محددة للفترة التي يقضيها الصبي في الكتاب، وإنما يتوقف ذلك على مدى استعداد الصبي وقابليته للتعليم<sup>(١)</sup>. وقد روي عن كثير من النجباء انهم ختموا القرآن في سن العاشرة. فقد تخرج الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، من الكتاب، وطلب العلم وعمره عشر سنوات<sup>(٢)</sup>. وانهى الامام البخاري (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م، تعليمه في الكتاب وعمره عشر سنوات، وقد حفظ الحديث وهو ابن ست عشرة سنة<sup>(٣)</sup>. وحفظ الحسن بن سهل<sup>(٤)</sup> (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م)، القرآن الكريم وهو ابن ست سنين أو سبع<sup>(٥)</sup>.

ويحتمل أن تكون هذه المدة في الكتابات منسوبة للصبيان الموصوفين بالقدرة على التفكير والذكاء والتقدم في التعلم، وربما زادت هذه المدة بالنسبة لغيرهم من الصبيان الأقل قدرة على التعلم.

وقد اشارت بعض المصادر إلى أن الصبي اذا بلغ سن البلوغ (سن الحلم)، ترك الكتاب. فقد جاء أن على المعلم أن يحذر من الصبيان اذا بلغوا الاحتلام. يقول القابسي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م): «وانه لينبغي للمعلم أن يحترس الصبيان بعضهم من بعض اذا كان فيهم

(١) اسعد طلس، التربية، ص ٨٧؛ الديوه جي، التربية، ص ٣٦.

(٢) ابو الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ١٦٦؛ ابن الجوزي، المتظم، ج ١٠، ص ١٣٥؛ الاربلي، خلاصة، ص ٢٠٨؛ عماد الدين اسماعيل أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ط ١، المطبعة الحسينية، القاهرة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م، ج ٢، ص ٢٦، سيشار له تالياً (ابو الفداء، المختصر).

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ص ٦.

(٤) ابو محمد، الحسن بن سهل بن عبدالله السرخسي، تولى وزارة المأمون بعد اخيه الفضل بن سهل ذي الرياستين، ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٢٠.

(٥) الديوه جي، التربية، ص ٣٦.

من يخشى فساد، يناهز الاحتلام، أو يكون له جرأة»<sup>(١)</sup> وهذه السن تتراوح عند الذكور بين الثانية عشرة والرابعة عشرة<sup>(٢)</sup>. وهي خمس عشرة سنة عند مالك بن انس والشافعي وابو يوسف<sup>(٣)</sup>.

ويظهر مما سبق أن اغلبية الصبيان لم يكونوا يمكثون في الكُتَّاب حتى سن الاحتلام؛ والسبب في ذلك، أن أهم ما كان يعلم هو حفظ القرآن، فاذا بدأ الصبي تعلمه في سن السادسة مثلاً، فانه يحتاج إلى اربع سنوات أو خمس ليتم حفظ القرآن وهو المعروف بالختمة<sup>(٤)</sup>.

ولا ينبغي أن نأخذ النابغين مقياساً في الحكم على العامة واوساط الناس، فاذا قدرنا أن النابغ النابه يحفظ القرآن في العاشرة، فان المتوسط العادي يحفظه في الثانية عشرة. اما المتأخرون فانهم يحتاجون إلى زمن اطول، وهذا هو السر في تخلف بعض الصبيان في الكتابات حتى سن الاحتلام. ولم يكن حفظ القرآن جميعه واجباً على كل الصبيان، بل جرى العرف أن من احب استظهار القرآن كله بقي مع المعلم، ومن احب أن يترك الكُتَّاب قبل استكمال جميع القرآن، فله الحرية<sup>(٥)</sup>.

وقد يكون في السن التي يبتدىء عندها طلب العلم لدى بعض العلماء لدليل على المدة التي يقضيها الصبي في الكُتَّاب، اذا اعتمدنا على سن السادسة أو السابعة كسن معتدلة

(١) القابسي، الرسالة، ص ٣١١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣١١.

(٣) ابو محمد الحسن بن عبدالرحمن الرامهرمزي، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٧١م، ص ١٨٥، سيشار له تالياً (الرامهرمزي، المحدث).

(٤) الاهواني، التربية، ص ٦٠؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ١٦٨.

(٥) القابسي، الرسالة، ص ٣٣١.

لدخول الكتاب. فقد نظر أبو عمرو بن العلاء التيمي<sup>(١)</sup> (ت ١٥٤هـ / ٧٧٠م)، في العلم قبل أن يختن<sup>(٢)</sup>. وقال سفيان بن عيينه المحدث (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م): «سمعت عن الزهري، وأنا ابن خمس عشرة سنة»<sup>(٣)</sup>. ويبدو انه ابتداء في طلب العلم قبل هذا السن، فقد قال لاحد جلسائه: «لو رأيتني ولي عشر سنين، طولي خمسة اشبار، ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار، ثيابي صغار، وأكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونعلي كاذان الفار، اختلف إلى علماء الامصار.. اجلس بينهم كالسمار»<sup>(٤)</sup>. وطلب الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، العلم وهو ابن اربع عشرة سنة<sup>(٥)</sup>. وولد أبو العباس ثعلب سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م، وكان يقول: «طلبت العربية واللغة في سنة ست عشرة ومائتين»<sup>(٦)</sup>.

وكان الصبي يتم دراسته في الكتاب عادة بختم القرآن، وهو ما يسمى بالخذقة (بالختمة)، اي أن الصبي يختم القرآن كله، وكانت تعتبر مناسبة سعيدة، قد تشهد احتفالاً متواضعاً<sup>(٧)</sup>. فيحمل الصبي على دابة<sup>(٨)</sup>، مزينة باجمل زينة<sup>(٩)</sup>، ويسار به في

(١) ابو عمرو بن العلاء التيمي المازني البصري، احد القراء السبعة، وكان عالماً بكلام العرب ولغاتها. الزبيدي، طبقات، ص ٣٥.

(٢) اليافعي، مرآة، ج ١، ص ٣٤٤.

(٣) الرامهرمزي، المحدث، ص ١٨٥؛ الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٢٦٢؛ الذهبي، سير، ج ٨، ص ٤٥٦.

(٤) الذهبي، سير، ج ٨، ص ٤٥٩.

(٥) المصدر نفسه، ج ١١، ص ١٨٥؛ محمد أبو زهرة، ابن حنبل، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٧، ص ٢١، سيشار له تالياً (ابو زهرة، ابن حنبل).

(٦) ابو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ج ٤، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٨٦م، ج ١، ص ١٧٤، سيشار له تالياً (القفطي، إنباه)؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٢، ص ٥٤٢.

(٧) الديوه جي، التربية، ص ٤١؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص ١٧٤؛ رناد الخطيب، «المؤسسات»، ص ١١.

(٨) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٩، ص ٢٨٨؛ Goldziher, "Education", vol.5, P. 199.

(٩) محي هلال السرحان، «تاريخ التعليم العربي في العصر العباسي»، المعلم الجديد، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٢م، ص ٢٥، ج ٢، ص ١٥١، سيشار له تالياً (محي السرحان، «تاريخ التعليم»).

الطرقات<sup>(١)</sup>، وقد ارتدى ازهى ملابس<sup>(٢)</sup>، والصبية حوله يرددون الايات القرآنية وبعض الاقوال الماثورة<sup>(٣)</sup>، وهم بين فترة واخرى ينثرون عليه اللوز<sup>(٤)</sup>. وقد تعطل الدراسة في الكتاب يوماً أو يومين، احتفاء بهذه المناسبة<sup>(٥)</sup>.

ويذكر أن علي بن جبلة «لما نشأ أسلم إلى الكتاب فحذق بعض ما يحذقه الصبيان، فحمل على دابة، ونثر عليه اللوز»<sup>(٦)</sup>.

وبهذا يكون الصبي مهيباً للدخول في المساجد ومجالسة العلماء، والتحدث اليهم، والاخذ من علومهم، باعتباره قد تخطى المرحلة الاولى للتعليم<sup>(٧)</sup>.

- 
- (١) سعيد إسماعيل، معاهد، ص ١٧١؛ حتي، تاريخ، ص ٤٨٠؛ محي السرحان، «تاريخ التعليم»، م ٢٥، ج ٢، ص ١٥١؛ Goldziher, "Education", vol.5, P. 199.
  - (٢) أحمد شلبي، التربية، ص ٢٧٤؛ الديوه جي، التربية، ص ٤١.
  - (٣) الديوه جي، التربية، ص ٤١؛ محي السرحان، «تاريخ التعليم»، م ٢٥، ج ٢، ص ١٥١.
  - (٤) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٩، ص ٢٨٨.
  - (٥) أحمد شلبي، التربية، ص ٢٧٤؛ سعيد إسماعيل، معاهد، ص ١٧١؛ محي السرحان، «تاريخ التعليم»، م ٢٥، ج ٢، ص ١٥١.
  - (٦) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٩، ص ٢٨٨. وعلي بن جبلة شاعر من أهل بغداد، توفي في خلافة المأمون، المصدر نفسه، ج ١٩، ص ٢٨٨.
  - (٧) أحمد شلبي، التربية، ص ٥٦؛ سعيد إسماعيل، معاهد، ص ١٧١؛ حتي، تاريخ، ص ٤٨٠؛ محي السرحان، «تاريخ التعليم»، م ٢٥، ج ٢، ص ١٥١؛ Goldziher, "Education", vol.5, P. 203.



## التأديب (العقاب والثواب):

كان اهتمام المسلمين بأمر عقوبة الصبيان واضحاً، فقد رأى بعضهم انه لا بد من العقوبة على أن تبدأ بالانذار، فالتوبيخ، فالتشهير، فالضرب الخفيف<sup>(١)</sup>.

وقال آخرون باباحة الضرب، والعقوبة الجسدية اذا تجاوز حدود المعقول، ولم ينفع فيه الانذار والتوبيخ، والتشهير والزجر<sup>(٢)</sup>.

وقد كان التأكيد على أن لا يؤخذ الطفل بالعنف، أولاً، اغما بالتلطف<sup>(٣)</sup>، وقد يكون المديح والتشجيع أجدى من التأنيب<sup>(٤)</sup>. ولكن اذا أصبح من الضروري الالتجاء إلى الضرب، فينبغي الا يتردد المعلم في ذلك<sup>(٥)</sup>، على أن يكون الضرب غير مبرح<sup>(٦)</sup>. «فرب صبي يكفيه عبوسة وجهه عليه، وآخر لا يرتدع الا بالكلام الغليظ والتهديد، وآخر لا ينزجر الا بالضرب والإهانة كل على قدر حاله»<sup>(٧)</sup>. ويستدل المربون على جواز ذلك بالحديث النبوي القائل: «واضربوهم عليها وهم ابناء عشر سنين»<sup>(٨)</sup>.

وقد نهى النبي ﷺ عن الفحش اللفظي في التأديب، اذ قال: «ولا تقل قبح وجهك ووجه من اشبه وجهك، فان الله تعالى خلق آدم على صورته»<sup>(٩)</sup>. وذكر ابن الحاج (ت ٧٣٧هـ/

(١) الأهواني، التربية، ص ١٤٦؛ اسعد أطلس، التربية، ص ٧٢؛ عبدالله عبدالدايم، التربية عبر التاريخ، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م، ص ١٩٣، سيشار له تالياً (عبدالله عبدالدايم، التربية).

(٢) الأهواني، التربية، ص ١٥٠؛ عبدالله عبدالدايم، التربية، ص ١٩٣.

(٣) الآجري، أخلاق أهل القرآن، ص ٧٩، ١٢٠؛ الأهواني، التربية، ص ١٤٣.

(٤) عبدالله عبدالدايم، التربية، ص ١٩٤.

(٥) الأهواني، التربية، ص ١٥٣؛ عياش، العصا، ص ٤٤.

(٦) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣١٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ٣١٦.

(٨) أحمد بن حنبل، المسند، ج ٢، ص ١٨٠؛ أبو داود، سنن، ج ١، ص ١٨٧؛ نمر الخطيب، «الإسلام»، ص ٣٩٠.

(٩) أحمد بن حنبل، المسند، ج ٢، ص ٢٥١.

١٣٣٦م): «ويتعين عليه أن لا يشتم من استحق الادب من الصبيان، وكثيراً ما يفعل بعض المؤدبين هذا وهو حرام... فيقيم الادب على الصبي من غير أن يتناول عرضه ولا شتم ابويه، بل يؤدبه كما يؤدبه والداه، وهما يرحمانه ويشفقان عليه»<sup>(١)</sup>. وفي اقوال رسول الله ﷺ ما ينهى عن الشدة القاسية في التعامل مع صبيان المسلمين حيث قال: «من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا»<sup>(٢)</sup>، وقوله: «ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»<sup>(٣)</sup>، وقوله: «ان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله»<sup>(٤)</sup>. ورأى ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم، ولا سيما في حالة الاطفال صغار السن فقال: «ان الشدة على المتعلمين مضرة بهم، ولا سيما في حالة الاطفال صغار السن فقال: «من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين... سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعا إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الايدي بالقهر عليه... فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده الا يستبدوا عليهم في التأديب»<sup>(٥)</sup>.

يظهر من ذلك انه لا بد من التدرج في ممارسة العقوبة بحق الصبي، فهي تمر بثلاث مراحل:

الاولى: اللوم والعظة والزجر، وهذا ما اوضحه القاضي شريح<sup>(٦)</sup> (ت ٧٨هـ / ٦٩٧م)،

(١) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣٢٥.

(٢) ابو داود، سنن، ج ٢، ص ٧٠٣.

(٣) مسلم، صحيح، ج ١٦، ص ١٤٦؛ أبو داود، سنن، ج ٢، ص ٦٧٠.

(٤) ابن ماجه، سنن، ج ٢، ص ١٢١٦.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٣.

(٦) أبو أمية، شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي الكوفي التابعي. ولي القضاء لعمر بن الخطاب على الكوفة وبقي على قضائها حتى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ / ٦٨٤ - ٧٠٥م). أبو زكريا يحيى بن شرف الدين بن يحيى النووي، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، ٣ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج ٢، ق ١، ص ٢٧٥، سيشار له تالياً (النووي، تهذيب).

لمعلم ولده حيث قال :

فاذا أتاك فعضه بلامه . أو عظة موعظة الرفيق الاكيس<sup>(١)</sup>

الثانية: الضرب غير المبرح، فاذا لم تفلح العقوبة السابقة يلجأ المعلم إلى عقوبة الضرب غير المبرح<sup>(٢)</sup>. فقد شاهد الشاعر أبو نواس (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، عقوبة تنزل بأحد الصبيان بمكتب حفص<sup>(٣)</sup>. وقال الاصمعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م): «مررت بمعلم بالبصرة يضرب صبياً»<sup>(٤)</sup>.

وعلى المعلم أن لا يزيد في ضرب الصبي على ثلاث درر، اوضح هذا القاضي شريح قائلاً لمعلم ولده:

واذا هممت بضربه فبدرةً وإذا ضربت بها ثلاثاً فاحبس<sup>(٥)</sup>

ورأى ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، : «ان ادب الصبي ثلاث درر، وعلى المعلم أن يتقيد بذلك، فاذا زاد المعلم عنها كان أثماً»<sup>(٦)</sup>. واكد القابسي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، على: «ان المعلم يمكنه ضرب الصبيان على كل شيء اخطاوا فيه ثلاث درر»<sup>(٧)</sup>. وان اضطر المعلم إلى زيادة الضرب، فله ما بين الثلاثة إلى العشرة<sup>(٨)</sup>، شرط أن يكون قد ناهز الاحتلام<sup>(٩)</sup>، وقد ذكر القابسي: «وربما كان من صبيان المعلم من يناهز الاحتلام، ويكون

(١) ابن قتيبة، عيون، ج ٢، ص ١٨٣؛ البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٩؛ ابن عساكر، تهذيب، ج ٦، ص ٣١٤-٣١٥.

(٢) عبدالله عبدالدايم، التربية، ص ١٩٤.

(٣) أحمد أمين، ضحى، ج ٢، ص ٥١؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٢٧١؛ عياش، العصا، ص ٤٦.

(٤) ابن سعد الأبي، نثر الدر، ج ٥، ص ٣٢٦؛ الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٢١٢.

(٥) ابن قتيبة، عيون، ج ٢، ص ١٨٣؛ البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٩؛ ابن عساكر، تهذيب، ج ٦، ص ٣١٤-٣١٥.

(٦) ابن سحنون، آداب، ص ٨٩.

(٧) القابسي، الرسالة، ص ٣٠٩.

(٨) ابن سحنون، آداب، ص ٨٩؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣١٧؛ المغراوي، جامع، ص ٤١؛ ابن حجر الهيتمي، تحرير المقال، ص ٧٦؛ بليغ، «المسجد»، ص ٢١٤؛ Goldziher, "Education", vol.5, P. 204.

(٩) الأهواني، التربية، ص ١٥٢؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٢٧٢؛ أسعد أطلس، التربية، ص ٨٨.

سيء الرعية، غليظ الخلق، لا يريعه وقوع عشر ضربات عليه، ويرعى للزيادة عليه مكاناً، وفيه محتمل مأمون فلا بأس، من الزيادة إلى العشر ضربات»<sup>(١)</sup>. ولا بد من اخذ موافقة ولي الامر في ذلك: «وينبغي للمعلم أن يستشير اياه أو وصية إن كان يتيماً، ويعلمه بجرمه اذا كان يستأهل من الادب فوق الثلاث»<sup>(٢)</sup>. وفي هذا اشارة إلى التعاون بين البيت والكُتَّاب، وبين الوالد والمعلم، لان كليهما يقومان بتأديب الصبي.

وقد تجاوز بعض المعلمين الحد الطبيعي في معاقبة الصبيان، فقد ضرب المعلم ابن القاضي شريح عشراً ثم أتبعها عشراً<sup>(٣)</sup>. ويذكر معروف بن الفيرزان الكرخي (ت ٢٠٠هـ / ٨١٥م) أن اخاه عيسى، قال: «كنت انا واخي معروف في الكُتَّاب، وكنا نصارى، وكان المعلم يعلم الصبيان (أب، وابن)، فيصيح اخي معروف: احد احد. فيضربه المعلم على ذلك ضرباً شديداً، حتى ضربه يوماً ضرباً عظيماً فنهرب على وجهه»<sup>(٤)</sup>. وذكر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) انه: «كان في المدينة رجل معلم صبيان، يفرط في ضربهم»<sup>(٥)</sup>.

ومن الامور الواجب مراعاتها لايقاع عقوبة الضرب:

- الا يوقع المعلم الضرب الا على ذنب<sup>(٦)</sup>، فقد يكون السبب تافهاً ولا يحتمل الضرب فقد روي أن معلماً ضرب صبياً قائلاً له: «والله لا ضربتك حتى تقول لي: من حفر البحر؟!»<sup>(٧)</sup>. وسأل الجاحظ معلماً: «لم تضرب غلمانك من غير جرم؟ قال: جرمهم

(١) القابسي، الرسالة، ص ٣١٠.

(٢) ابن سحنون، آداب، ص ٨٩؛ القابسي، الرسالة، ص ٣١٠.

(٣) ابن قتيبة، عيون، ج ٢، ص ١٨٣؛ البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٩؛ ابن عساكر، تهذيب، ج ٦، ص ٣١٤-٣١٥.

(٤) ابن الجوزي، الصفة، ج ٢، ص ٢١١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٨٨؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٣٤٤.

(٥) الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٢١٠.

(٦) ابن حجر الهيتمي، تحرير المقال، ص ٧١؛ الأهواني، التربية ص ١٥٢.

(٧) الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٢١١.

اعظم الأجرام، يدعون لي أن احج، وإن حججت تفرقوا في المكاتب»<sup>(١)</sup>.

- أن يقوم المعلم بضرب الصبيان بنفسه، ولا يترك هذا الأمر لأحد من الصبيان «الذين تجري بينهم الحمية والمنازعة»<sup>(٢)</sup>.

- أن صفة الضرب ما يؤلم ولا يتعدى الألم إلى التأثير المضر<sup>(٣)</sup>، وإن يكون الضرب بقصد التأديب<sup>(٤)</sup>، أي «ضرب إيلام دون تأثير في العضو»<sup>(٥)</sup>.

- أن مكان الضرب في الأفخاذ وأسافل الرجلين<sup>(٦)</sup>، «لأن هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة»<sup>(٧)</sup> وهو «آمن وأحمّل للآلم في سلامة»<sup>(٨)</sup>. ولتجنب الضرب في المواضع المخولة كالبطن<sup>(٩)</sup> والمذاكير<sup>(١٠)</sup> ورأس الصبي أو وجهه<sup>(١١)</sup> «وضرر الضرب فيها ين» قد يوهن الدماغ، أو تطرف العين، أو يؤثر أثراً قبيحاً»<sup>(١٢)</sup>. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن الرسول ﷺ قال: «إذا ضرب أحدكم فليترك الوجه»<sup>(١٣)</sup>.

(١) ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص ١٨٢؛ ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج ٥، ص ٣٣١.

(٢) القابسي، الرسالة، ص ٣١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣١٠؛ الأهواني، التربية، ص ١٥٢.

(٤) عياش، العصا، ص ٤٤.

(٥) المغراوي، جامع، ص ٤١.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٧) ابن الأخوة، معالم، ص ٢٦١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص ١٦٢.

(٨) القابسي، الرسالة، ص ٣١١.

(٩) عياش، العصا، ص ٤٤.

(١٠) المغراوي، جامع، ص ٤٠.

(١١) ابن سحنون آداب ص ١٠١؛ الغزالي، أيها الولد، ص ٧٧؛ القابسي، الرسالة، ص ٣١٠؛ ابن حجر الهيتمي، تحرير المقال، ص ٧٣؛ المغراوي، جامع، ص ٤٣.

(١٢) القابسي، الرسالة، ص ٣١٠ - ٣١١.

(١٣) أحمد بن حنبل، المسند، ج ٢، ص ٢٥؛ أبو داود، سنن، ج ٢، ص ٥٧٤؛ مسلم، صحيح، ج ١٦، ص ١٦٥.

- اجتناب الضرب في ساعة الغضب<sup>(١)</sup>. يروي القابسي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م) قصة عمر بن عبدالعزيز «حين امر بضرب انسان، ثم قال: اتركوه. ف قيل له في ذلك، فقال: وجدت في نفسي عليه غضب، فكرهت أن اضربه وأنا غضبان»<sup>(٢)</sup>. فيتعين على المعلم اذا ادركه شيء من الغضب أن لا يؤدب الصبي، بل يتركه حتى يسكن غيظه، ويذهب عنه ما يجده من الحنق عليه<sup>(٣)</sup>.

- أن يكون الضرب بالدرّة، على أن تكون معتدلة الرطوبة، لينة، عريضة السير، مأمونه<sup>(٤)</sup>، حتى لا تترك أثراً في الجسم<sup>(٥)</sup>.

اما كيفية الضرب فقد حددها ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٣هـ / ١٥٦٥م)، اذ قال: «ان يكون مفروقاً لا مجموعاً في محل واحد... وان يكون بين الضريبتين زمن يخف فيه ألم الاول، وان يرفع الضارب ذراعه ليثقل السوط لا عضده، حتى يرى بياض ابطنه، فلا يرفعه لئلا يعظم الله، ولا يضعه عليه وضعاً لا يتألم به»<sup>(٦)</sup>.

اما العقوبة الثالثة فهي الحبس، ويتم اللجوء اليها في حالات قليلة، وقد كانت آخر مراحل التأديب، وبما يتناسب مع تعاطف ذنب الصبي<sup>(٧)</sup>. قال حماد بن اسحاق الموصلي عن ابيه: «أسلم أبي إلى الكُتّاب فكان لا يتعلم شيئاً ولا يزال يضرب ويحبس، ولا ينجح

(١) ابن سحنون، آداب، ص ٨٩؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣٢٥.

(٢) القابسي، الرسالة، ص ٣١٠؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣٢٥.

(٣) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣٢٥.

(٤) ابن الأخوة، معالم، ص ٢٦١، ابن بسام، نهاية الرتبة، ص ١٦٢؛ المغراري، جامع، ص ٤٥؛ ابن حجر الهيتمي، تحرير المقال، ص ٧٣.

(٥) بليغ، «المسجد»، ص ٢١٤.

(٦) ابن حجر الهيتمي، تحرير المقال، ص ٧٣.

(٧) عامر جاد الله، التربية، ص ٥٣.

فيه<sup>(١)</sup>. وقال علي بن الجهم الشاعر (ت ٢٤٩هـ / ٨٦٣م): «حبسني أبي في الكُتَّاب»<sup>(٢)</sup>.

أما الأمور التي تدعو إلى التأديب في الكُتَّاب، فقد كانت: ترك الصلاة<sup>(٣)</sup>، والفرار من الكُتَّاب<sup>(٤)</sup>، والكذب<sup>(٥)</sup>، والتغيب عن الكُتَّاب<sup>(٦)</sup>، والخطأ في قراءة القرآن<sup>(٧)</sup>، ونسيان اللوح<sup>(٨)</sup>، والأشعار السخيفة<sup>(٩)</sup> وإساءة الأدب والفحش في الكلام<sup>(١٠)</sup>، وإيذائه لغيره<sup>(١١)</sup>، قال القابسي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م): «أنه يتوجب على معلم الصبيان أن يأخذ عليهم ألا يؤذي بعضهم بعضاً، فإن شكا بعضهم أذى بعض، فعليه أن يؤدبهم بالضرب»<sup>(١٢)</sup>، وعليه أن يعاقبهم على الألعاب الخارجة عن قانون الشريعة<sup>(١٣)</sup>، وعقوق الوالدين، ومخالطة أقران السوء<sup>(١٤)</sup>.

- 
- (١) الأصفهاني، الأغاني، ج ٥، ص ١٤٤؛ أحمد شلبي، التربية؛ ص ٢٧١، فهمي عبدالرازق، العامة، ص ١٥٧.
  - (٢) ابن المعتز، طبقات، ص ٣١٩؛ الأصفهاني، الأغاني، ج ١٠، ص ٢٢٨؛ ابن عبدالبر، بهجة، ج ٢، ص ٧٧١.
  - (٣) ابن سحنون، آداب، ص ١٠٩؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٠٣؛ ابن الأخوة، معالم، ص ٢٦١؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣١٥؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص ١٦١؛ المغراوي، جامع، ص ٤٥.
  - (٤) الجاحظ، رسائل، ج ٣، ص ٣٥؛ القابسي، الرسالة، ص ٣١٠؛ المغراوي، جامع، ص ٤٥.
  - (٥) المغراوي، جامع، ص ٤٠.
  - (٦) ابن سحنون، آداب، ص ٨٩؛ القابسي، الرسالة، ص ٣١٠؛ المغراوي، جامع، ص ٤٥.
  - (٧) ابن سحنون، آداب، ص ٨٩.
  - (٨) المغراوي، جامع، ص ٤٥.
  - (٩) الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٠٣؛ ابن الأخوة، معالم، ص ٢٦٢.
  - (١٠) الغزالي، إحياء، ج ٢، ص ٧١؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٠٣؛ ابن الأخوة، معالم، ص ٢٦٨؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص ١٦١؛ المغراوي، جامع، ص ٤٥؛ ابن حجر الهيتمي، تحرير المقال، ص ٧٠؛ القاسم ابن محمد بن علي، آداب العلماء والمتعلمين، ط ١، دار اليمينية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٤٢، سيشار له تالياً (القاسم، آداب).
  - (١١) القابسي، الرسالة، ص ٣١٠ - ٣١٢؛ ابن حجر الهيتمي، تحرير المقال، ص ٧٠؛ الأهواني، التربية، ص ١٥١.
  - (١٢) القابسي، الرسالة، ص ٣١٠ - ٣١٢.
  - (١٣) ابن سحنون، آداب، ص ٨٩؛ الغزالي، إحياء، ج ٣، ص ٧١؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٠٤؛ ابن الأخوة، معالم، ص ٧٢٩؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص ١٦١؛ أسعد أطلس، التربية، ص ٨٩.
  - (١٤) المغراوي، جامع، ص ٤٥.

اما الادوات المستخدمة في تأديب الصبيان فكانت:

- الدرّة: بكسر الدال المشددة، السوط الذي يضرب به، جمعها درر، عربية معربة، درّة السلطان التي يُضرب بها<sup>(١)</sup>. وقد اشتهرت عصا الخليفة عمر بن الخطاب باسم الدرّة<sup>(٢)</sup>. وهي عود أو غصن رطب<sup>(٣)</sup>. ويذكر أن هذه الأداة كانت تستعمل لدى معلمي الصبيان منذ زمن النبي ﷺ ذلك ما روته ميمونة بنت كرم في أنها رأت النبي ﷺ وهو على ناقه له ومعه درّة كدرّة الكتّاب<sup>(٤)</sup>. وقال الشاعر:

معلم صبيان وصاحب درّة      وليس له عقل بمقدار ذرة<sup>(٥)</sup>

واتهم ابراهيم بن سعدان النحوي (ت ١٨٤هـ / ٨٠٠م)، بانه حامل درّة ومعلم صبيان<sup>(٦)</sup>.

ويلاحظ أن الدرّة ترتبط دوماً بالتأديب على الاخطاء البسيطة كما يتبين من قول ابن مِجْلَز<sup>(٧)</sup> (ت ١٠٩هـ / ٧٢٧م)، حين دخل على قتيبة بن مسلم الباهلي بخراسان وهو يضرب بالصبي، فقال له: «أيها الأمير إن الله قد جعل لكل شيء قدراً، ووقت فيه وقتاً، فالعصا للانتقام والبهائم العظام، والسوط للحدود والتعزير، والدرّة للادب، والسيف لقتال العدو والقوّة»<sup>(٨)</sup>.

وبذلك فإنّ الدرّة أدنى مراتب ادوات الضرب أو العقاب، لتتناسب مع سن هؤلاء

(١) ابن منظور، لسان، ج ٤، ص ٢٨٢؛ عياش، العصا، ص ٦٠.

(٢) عياش، العصا، ص ١٠.

(٣) المغراوي، جامع، ص ٤٥؛ عياش، العصا، ص ١٠.

(٤) أحمد بن حنبل، المسند، ج ٥، ص ١١٧؛ أبو داود، سنن، ج ١، ص ٦٣٩.

(٥) الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٢١٠.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ١٥١ - ١٥٢.

(٧) لاحق بن حُميد بن سعيد السدوسي البصري، كان ثقةً له أحاديث كثيرة، قدم خراسان وولي بيت المال فيها. ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٢٦١.

(٨) الجاحظ، البيان، ج ٣، ص ٤٥.



الصبيان وتكوينهم الجسمي<sup>(١)</sup>. وقد جاء البعض يصف الدرة أو يحدد مواصفاتها مثل ابن الحاج (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م)، اذ قال: «لا بد أن تكون الآلة التي يضرب بها، دون الآلة الشرعية التي تقام بها الحدود»<sup>(٢)</sup>. لذلك حُرِّم استعمال العصا واللوح وغيرها مما يؤدي الصبي، فاذا ضرب المعلم الصبي باللوح أو بعصا فقتله فعليه القصاص لانه لم يؤذن له بضربه بعصا ولا بلوح<sup>(٣)</sup>.

- العصا: العود. يتوكأ عليه أو يُضرب به من الخشب وغيره<sup>(٤)</sup>. والظاهر أن استخدام العصا كان نادراً، ومما يذكر في هذا المجال أن الجاحظ مر بمعلم وعنده عصا طويلة واخرى قصيرة، وقد استخدم العصا الطويلة، كما استخدم القصيرة<sup>(٥)</sup>.

وقد أكد البعض عدم استعمال العصا، فذكر أن على المعلم أن لا يضرب صبياً بعصا غليظة تكسر العظم، ولا رقيقة تؤلم الجسم<sup>(٦)</sup>. وانكر ابن الحاج (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م)، على معلمي الصبيان في زمنه استخدام عصا اللوز اليابس والجريد المشرح، والاسواط النوية في ضرب الصبيان وتأديبهم<sup>(٧)</sup>.

والجدير بالذكر أن بعض المعلمين استخدم يده في ضرب الصبيان، فقد «صفع معلم صبي صفقة محكمة. فقال له: أيهما اصلب؟ هذه ام التي صفعتك بالامس؟!»<sup>(٨)</sup>.

(١) عامر جادالله، التربية، ص ٥٤.

(٢) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣١٧. Goldziher, "Education", vol.5, P. 204.

(٣) ابن سحنون، آداب، ص ١٣٦؛ بليغ، «المسجد»، ص ٢١٤.

(٤) ابن منظور، لسان، ج ١٥، ص ٦٣؛ عياش، العصا، ص ١٤، ٢٥.

(٥) الأبشيهي، المستطرف، ج ٢، ص ٣٢١.

(٦) الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٠٤؛ ابن الأخوة، معالم، ص ٢٦١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص ١٦٢.

(٧) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣٢٧؛ عامر جادالله، التربية، ص ٥٥.

Goldziher, "Education", vol.5, P. 204.

(٨) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ص ٣٢٩.

وفي الوقت الذي تعددت فيه وسائل العقاب واساليبه، كان التأكيد على المدح والتشجيع والثناء في التعامل مع الصبيان لما في ذلك من اثر طيب في نفسية الصبي ودفعه للاقبال على التعليم، وقد ميز الغزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م)، بين طرق تأديب الصبيان تبعاً لاختلاف امزجتهم: «فهذا طفل يتميز بالحياء والحساسية، فيستعان على تأديبه بحيائه، وذاك اميل إلى الخلق الجميل والعقل المحمود، فيلزم أن يكرم ويجازى عليه ويمدح بين الناس»<sup>(١)</sup>.

والطريقة العملية المناسبة في سياسة الصبيان التي يصحبها الرفق، والبعيدة عن الشدة، هي التي يصحبها الثناء على أفعالهم المحمودة<sup>(٢)</sup>، «من رآه مصيباً في الجواب ولم يخف عليه شدة الاعجاب، شكره واثنى عليه بين اصحابه، ليقويه واياهم على الاجتهاد في طلب الازدياد»<sup>(٣)</sup>. وفي وصية ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، لمؤدب ولده قال: «لا تؤدبه الا بالمدح ولطف الكلام»<sup>(٤)</sup>. وقال ابن مسكويه (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م): «ويمدح الصبي بكل ما يظهر منه من خلق جميل وفعل حسن ويكرم عليه»<sup>(٥)</sup>.

يتبين لنا مما سبق التأكيد على معاملة الصبيان معاملة حسنة، تمتاز بروح العطف والشفقة، والرافة، على أن ذلك لم يمنع من انزال العقاب للصبي أن دعت الضرورة لذلك، على أن يكون الهدف منها الارشاد والاصلاح لا التشفي والانتقام، مع ملائمة العقوبة للذنب المرتكب، ومناسبة لسن ونوعية المرتكب، مع بيان الكيفية والطريقة المستخدمة في انزال العقوبة، وتحديد المواصفات اللازمة للاداة المستخدمة في ذلك. على أن لا يغيب الثناء والمدح والتشجيع للصبي على أفعاله المحمودة لما في ذلك من اثر ابلغ في تربية الطفل وتأديبه.

(١) الغزالي، إحياء، ج ٣، ص ٧٨.

(٢) الأهواني، التربية، ص ١٤٨؛ الديوه جي، التربية، ص ٤٩.

(٣) القاسم، آداب، ص ٥٣ (مقدمة المحقق).

(٤) المصدر نفسه، ص ٥١ (مقدمة المحقق)؛ الأهواني، التربية، ص ١٤٨.

(٥) ابن مسكويه، تهذيب، ص ٥٣.

## ٢ = واجبات واساليب المعلم في الدرس:

يبدو أن الطريقة المعتمدة في تعليم الكُتّاب، كانت تعتمد على التلقين والحفظ والاملاء<sup>(١)</sup>، وطريقة ذلك أن يقرأ المعلم امام الصبيان بطريقة سليمة ثم يعيدها عليه كل صبي على انفراد إن كان هناك متسع من الوقت، أو كان عدد الصبيان يسمح بذلك<sup>(٢)</sup>. قال الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م): «كنت انا في الكُتّاب اسمع المعلم يلحن الصبي الآية فاحفظها»<sup>(٣)</sup>. واذا كان الوقت ضيقاً فان المعلم يقرأ الآية ثم يعيدونها عليه جميعاً دفعة واحدة<sup>(٤)</sup>.

وكان الصبيان يتعلمون الآيات القرآنية على اللواح، ويقوم بعدها الصبي بمسح اللوح بوضعه في اناء به ماء طاهر ثم يجففه<sup>(٥)</sup>، وعلى المعلم أن يمنع الصبيان من مسح اللواح ببصاقهم، وفي هذا يقول ابن الحاج (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م): «ويتعين عليه [اي المعلم] أن يمنع الصبيان مما اعتاده بعضهم من انهم يمسخون اللواح أو بعضها ببصاقهم وذلك لا يجوز لان البصاق مستقذر وفيه امتهان، والموضع موضع ترفع وتعظيم وتبجيل فيجل عن ذلك وينزه»<sup>(٦)</sup>. وقد سُئل أنس بن مالك (رضي الله عنه) فقيل له: «كيف كان المؤدبون على عهد الائمة أبي بكر وعمر، وعثمان، وعلي (رضي الله عنهم)؟ قال انس: كان المؤدب له اجانة»<sup>(٧)</sup>، وكل صبي يأتي كل يوم نوبته ماء طاهراً، فيصبونه فيها، فيمسحون به الواحهم...

(١) ابن بطوطة، رحلة، ص ١١٢؛ عبدالله عبدالدايم، تاريخ التربية، ص ١٨٥؛ ملكه ايض، التربية، ص ٢٦٢.

(٢) اسعد طلس، التربية، ص ٧٨؛ هونكة، شمس، ص ٣٩٣.

(٣) ابن سحنون، آداب، ص ١٠٦؛ أبو نعيم الأصفهاني، حلية، ج ٩، ص ٧٧؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٠٣؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٣٩٥.

(٤) سعيد إسماعيل، معاهد، ص ١٨٣.

(٥) اسعد طلس، التربية، ص ٧٨؛ اسماء فهمي، مبادئ التربية، ص ٩٨؛ سعيد إسماعيل، معاهد، ص ١٨٤.

(٦) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣١٨.

(٧) جمعها إيجابين، إناء تغسل فيه الثياب أو يعجن فيه العجين. النووي، تهذيب، ج ٣، ص ٤.

ثم يحفرون في الارض، فيصبون ذلك الماء فينشف»<sup>(١)</sup>. وكان الصبيان يتعلمون كتابة الآيات القرآنية على اللوح، ليس فقط بقصد حفظها، وإنما أيضاً لغرض تعليم الصبي القراءة والكتابة<sup>(٢)</sup>، وقد كره بعض المسلمين ذلك اعتزازاً بالقرآن<sup>(٣)</sup>. فيذكر ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) - عند الكلام عن التعليم في دمشق - أن سور القرآن لم تستعمل في تعليم الصبيان الكتابة، حتى لا تكون عرضة للمحو، وإنما تستعمل آيات من الشعر لهذا الغرض<sup>(٤)</sup>.

وعلى المعلم في تعليمه لكتاب الله أن يعلمهم بأسلوب يحبه اليهم<sup>(٥)</sup>، وأن يجعل للصبيان أوقاتاً معينة يعرضون فيها عليه ما حفظوه من القرآن وما تعلموه من علوم<sup>(٦)</sup>، وكان المعلمون يجعلون ذلك عشية يوم الأربعاء وصبيحة يوم الخميس<sup>(٧)</sup>. ولا بأس أن يجعل الصبيان «يملي بعضهم على بعض لأن ذلك منفعة لهم، شريطة أن يتفقد املائهم»<sup>(٨)</sup>. وقد عرف أسلوب الاملاء منذ اوائل القرن الثاني للهجرة<sup>(٩)</sup>، فقد ذكر الامام الشافعي: أن معلم الكتاب الذي درس فيه القرآن كان يملي على الصبيان وهم يكتبون<sup>(١٠)</sup>. وعلى المعلم أن يراعي القدرة

(١) ابن سحنون، آداب، ص ٨٧؛ الأهواني، التربية، ص ١٤٦؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٢٥٩؛ المكي اقلانية، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاث الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ١٩٩٢م، ص ٤٣، سيشار له تالياً (اقلانية، النظم).

(٢) أسماء فهمي، مبادئ التربية، ص ٩٨؛ ملكة أبيض، التربية، ص ٢٦٠؛ سعيد إسماعيل، معاهد، ص ١٨٤.

(٣) سعيد إسماعيل، معاهد، ص ١٨٤.

(٤) ابن جبير، رحلة، ص ٢٢٠.

(٥) المغراوي، جامع، ص ١٠.

(٦) الغزالي، أيها الولد، ص ٨١؛ ابن الأخوة، معالم، ص ٢٦١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص ١٦١.

(٧) الغزالي، أيها الولد، ص ٨١؛ أسعد طلس، التربية، ص ٧٣ - ٧٤.

(٨) ابن سحنون، آداب، ص ١٠٦.

(٩) ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص ٩٤.

(١٠) أبو نعيم الأصبهاني، حلية، ج ٩، ص ٧٧؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٣٩٥.

العقلية للصبي فلا يُلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يحبط عقله<sup>(١)</sup>، اقتداءً برسول الله ﷺ حيث قال: «نحن معاشر الانبياء امرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم»<sup>(٢)</sup>. فعلى المعلم أن يتفهم مستوى صبيانهِ ويخاطبهم على قدر فهمهم وإدراكهم وبما يتناسب وأعمارهم، فيكتفي للحاذق بالاشارة، ويوضح لغيره بالعبارة<sup>(٣)</sup>. ويذل جهده ما استطاع في تقريب المادة إلى اذهان الصبيان الذين لا يتقبل ذهنهم ولا يحفظون بسرعة إلا بالتكرار، وإعادة الشرح لهم<sup>(٤)</sup>.

وعلى المعلم أن يأخذهم بلفظ سهل وعبارة حلوة، أكد الجاحظ ذلك بقوله: «أن يأخذهم باللفظ السهل القريب المآخذ إلى المعنى الغامض، فاختر من المعاني ما لم يكن مستوراً باللفظ المتعقد»<sup>(٥)</sup>.

وفي تدريس الشعر ينصح المعلم بأن يبدأ بانتقاء الأشعار السهلة ليسهل على الصبي حفظها، وينبغي أن تكون ذات مدلول خلقي، كأن تكون مدحاً للعلم وذمّاً للغباوة والجهل، وكان تحض على تكريم الأبوين وتمجيد الصفات والأعمال الحميدة<sup>(٦)</sup>.

(١) الغزالي، إحياء، ج ٢، ص ٧١؛ إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، تحقيق عبد الأمير شمس الدين، ط ٢، دار إقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت ١٩٨٦م، سيشار له تالياً (ابن جماعة، تذكرة)؛ المغراوي، جامع، ص ١٠.

(٢) أبو داود، سنن، ج ٢، ص ٦٧٧؛ الديلمي، الفردوس، ج ١، ص ٤٨٣.

(٣) أسعد طلس، التربية، ص ٧٣؛ عبدالله عبدالدايم، تاريخ التربية، ص ١٧٢.

(٤) ابن جماعة، تذكرة، ص ١٠٠؛ عبد الباسط بن موسى بن محمد العلوي، المعيد في أدب المقيد والمستفيد، المكتبة العربية، دمشق ١٩٣٠م، ص ٤٩، سيشار له تالياً (العلوي، المعيد)؛ محمود مهدي استامبولي، «المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم»، مجلة التمدن الإسلامي، م ٢٢، ج ١٠، دمشق، ١٩٧٥م، ص ٢١٢، سيشار له تالياً (محمود استامبولي، «المنهج الإسلامي»).

(٥) الجاحظ، رسائل، ج ٣، ص ٤٠.

(٦) الديوه جي، التربية، ص ٣١؛ عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص ١٤٧؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ١٨٨.

وينبغي على المعلم أن يثني على البارع من الصبيان، ويشجع المتوسط، ويكافئ المجد، ويمدحه امام الصبيان<sup>(١)</sup>، قال ابن مسكويه (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م): «ويمدح الصبي بكل ما يظهر منه من خلق جميل، وفعل حسن»<sup>(٢)</sup>.

ولا يحق للمعلم أن ينشغل عن الصبيان في شيء اثناء الوقت المخصص لهم للتعليم والدرس، حتى لو كان يرغب في تأليف كتاب في الفقه مثلاً<sup>(٣)</sup>.

وعلى المعلم أن يراعي الهيئة السلمية اثناء جلسته للتدريس امام الصبيان<sup>(٤)</sup>، وان يكون باسط الوجه، فلا يكون عبوساً غضوباً، فان ذلك سيؤثر على سلوك الصبيان بصورة سلبية، وقد يكسبهم كراهية التعليم والعلم<sup>(٥)</sup>.

(١) الغزالي، إحياء، ج ٣، ص ٧٨؛ العلموي، المعيد، ص ٥١.

(٢) ابن مسكويه، تهذيب، ص ٤٩.

(٣) ابن سحنون، آداب، ص ٩٨؛ الغزالي، أيها الولد، ص ٧٧؛ المغراوي، جامع، ص ٤٧.

(٤) الأجرى، أخلاق أهل القرآن، ص ١١١؛ عبدالرؤوف يوسف، أخلاق العالم، ص ١٧٦.

(٥) الأجرى، أخلاق أهل القرآن، ص ٧٩؛ المغراوي، جامع، ص ٣٥؛ العلموي، المعيد، ص ٢٧؛ عبدالرؤوف يوسف، أخلاق العالم، ص ٩٨.

## الفصل الثاني

مؤدبو أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة

## ١ = معنى كلمة مؤدب:

اشتقت كلمة مؤدب - بكسر الدال المشددة - من الفعل أدب، والأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس، وسمي أدباً، لأنه يؤدّب إلى الأمور الحميدة، وينهاهم عن الأمور القبيحة<sup>(١)</sup>. وفي وصية عبدالملك بن صالح (ت ١٩٦هـ / ٨١١م)، لمؤدب ولده قال: «اني جعلتك مؤدباً بعد أن كنت معلماً»<sup>(٢)</sup>. وقد اشتق اسم المؤدّب من الأدب... والأدب إمّا خلق وإمّا رواية، وقد أطلقوا له اسم المؤدب على العموم»<sup>(٣)</sup>.

وقد ظهرت وظيفة المؤدبين أول ما ظهرت في العصر الأموي، واستمرت قائمة في العصر العباسي<sup>(٤)</sup>. فقد كان الخلفاء العباسيون شديدي الاهتمام بتعليم أبنائهم العلم، والأخلاق، والسلوك الحسن وتهذيبهم، لكي يكونوا قادرين ومؤهلين لتحمل أعباء الخلافة عندما سينهضون بها من بعدهم<sup>(٥)</sup>. وقد ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين: «بوجود معلمين لأولاد الخلفاء المرشحين للخلافة»<sup>(٦)</sup>.

## ٢ = صفات وشروط المؤدبين:

يبدو أن الخلفاء والأمراء والخاصة كانوا يتحرون جهدهم في اختيار من يتولى تعليم أبنائهم، فلا يختارون لهذه المهمة الا من توفرت فيه بعض الشروط والصفات الخاصة التي تتفق والمهمة التي اوكل بها هذا المؤدب من إعداد الطفل إعداداً يتناسب والاعباء التي سينهض بها في المستقبل، فلا يختارون لهذه المهمة الا من كان على درجة عالية من الثقافة والعلم. فمنذ بداية الدولة الاموية نجد أن معاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦٠هـ / ٦٦١ - ٦٧٩م)، اختار

(١) ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٢٠٦.

(٢) ابن قتيبة، عيون، ج ١، ص ٧٦؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج ٥، ص ٥٦.

(٣) الجاحظ، رسائل، ص ٣٤.

(٤) أحمد عقل، تمويل، ص ٢٨.

(٥) عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص ٢١.

(٦) الجاحظ، البيان، ج ١، ص ٢٥٠. وانظر: الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٥٥.



دغفل بن حنظلة النسابة (ت ٦٥هـ / ٦٨٤م)، مؤدباً لأبنائه، وذلك لان دغفلاً كان عالماً بانساب العرب، والنجوم والعربية<sup>(١)</sup>. ولمكانة عون بن عبدالله بن عتبة (ت ١١٥هـ / ٧٣٣م)، بين رواة الحديث اختاره سليمان بن عبد الملك (ت ٩٦ - ٩٩هـ / ٧١٤ - ٧١٧م) مؤدباً لابنه ايوب<sup>(٢)</sup>. وتميز مؤدبو أولاد الخليفة عمر بن عبدالعزيز (ت ٩٩هـ - ١٠١ / ٧١٧ - ٧١٩م)، بعلمهم بالقرآن، والحديث والفقه، ومنهم ميمون بن مهران (ت ١١٧هـ / ٧٣٥م) وصالح بن كيسان (ت ١٤٤هـ / ٧٦١م)<sup>(٣)</sup>. وكان شرقي بن القطامي، وافر الأدب عالماً بالنسب، اقدمه أبو جعفر المنصور ليعلم ولده المهدي الأدب<sup>(٤)</sup>. وسال محمد بن قحطبة الكوفي (ت ١٦٠هـ / ٧٧٦م)، عن مؤدب ليؤدب أبناءه محدداً المؤهلات العلمية للمؤدب: «أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي، حافظ لكتاب الله، عالم بسنة رسول الله ﷺ، وبالأثار، والفقه، والنحو، والشعر وایام الناس»<sup>(٥)</sup>. ولما كان الكسائي (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م)، عالماً بالقرآن، والنحو،

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ٤٧٨؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، ج ٤، ط ١، دار الجليل، بيروت ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٤٢٦، سيشار له تالياً (ابن عبد البر، الاستيعاب)؛ ابن عساكر، تهذيب، ج ٥، ص ٢٤٦؛ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، ج ٤، دار المعرفة، بيروت د.ت، ج ٢، ص ٢٧، سيشار له تالياً (الذهبي، ميزان).

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ٤٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٧٨؛ ابن الجوزي، سيرة، ص ١٣؛ أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، ج ١٦، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م، ج ١، ص ٤٤٨، سيشار له تالياً (ابن تغري بردي، النجوم)؛ ماجدة فيصل زكريا، عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم، ط ١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ١٩٨٧م، ص ٢٨، سيشار له تالياً (ماجدة فيصل، عمر بن عبد العزيز).

(٤) ابن الانباري، نزهة، ص ٣٨؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٤١٧؛ الذهبي، ميزان، ج ٢، ص ٢٦٨؛ أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون، ج ٣، ط ١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٧م، ج ١، ص ١٧٤، سيشار له تالياً (رفاعي، عصر).

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٨، ص ٣٤٩.

والعربية، اختاره الرشيد ليكون مؤدياً لولده<sup>(١)</sup>. وكان عبيدة بن حميد الحذاء (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٦م)، من اعلام النحو والعربية وقراءة القرآن، وقد علم الأمين القرآن حتى بلغ معه سورة الحديد<sup>(٢)</sup>. أما خلف الأحمر النحوي (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، فقد أدب الأمين، وكان يحفظ اربعين الف بيت شاهد في النحو، سوى ما كان يحفظه من القصائد وابيات الغريب<sup>(٣)</sup>. وادب أبو محمد اليزيدي (ت ٢٠٢هـ/ ٨١٧م)، أولاد خال المهدي، يزيد بن منصور (ت ١٦٥هـ/ ٧٨١م)، ثم اتصل بهارون الرشيد فجعل ولده المأمون في حجره ليؤدبه. وكان اليزيدي نحويّاً لغويّاً شاعراً فصيحاً<sup>(٤)</sup>. وكان أبو عمرو اسحق بن مرار الشيباني (ت ٢١٠هـ/ ٨٢٥م)، عالماً باللغة حافظاً لها، جامعاً لاشعار العرب، وقيل انه لم يكن شيانياً وإنما كان مؤدياً لأولاد اناس من شيان<sup>(٥)</sup>. ولمكانة أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، وثقافته، أصرّ ثابت بن نصر ابن مالك الخزاعي والي طرسوس (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، على أن ينتقل معه إلى طرسوس<sup>(٦)</sup>، ويستمر في تأديب ولده<sup>(٧)</sup>. وكان يعقوب بن السكيت (ت

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ١٣١؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٤، ص ١٤٧؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٦١؛ ابن الجوزي، اخبار الحمقى، ص ١٥٣؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٧٣٨؛ الياقعي، مرآة، ج ١، ص ٤٢٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٣، ص ٢٩٥.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ٤٧٨؛ الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٣١١.

(٣) ابن الانباري، نزهة، ص ٨٠؛ القفطي، إنباء، ج ٢، ص ٣١٤؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٩٢.

(٤) ابو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس، صناعة الكتاب، تحقيق بدر أحمد ضيف، ط ١، دار العلوم العربية، بيروت ١٩٩٠م، ص ٤٤، سيشار له تالياً (النحاس، صناعة)؛ المرزباني، نور القبس، ص ٨٠؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٣٥؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ١٨٤؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٥٦٢؛ الياقعي، مرآة، ج ١، ص ٤٦٧.

(٥) المرزباني، نور القبس، ص ٢٧٧؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٧٨؛ القفطي، إنباء، ج ١، ص ٢٥٦؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٦٢٥.

(٦) مدينة بَغُور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٢.

(٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٢٥٣؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٤٩؛ ابن النديم، الفهرست، ص ١٤٠ - ١٤١؛ النحاس، صناعة، ص ٤٥؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٢، ص ٤١٣، ٤١٥؛ القفطي، إنباء، ج ٣، ص ١٩.

٢٤٦هـ / ٨٦٠م)، علماً في النحو والعربية، لذلك اختاره المتوكل لتعليم ولده<sup>(١)</sup>. وكان أبو عبدالله محمد بن حسان الضبي (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٤م)، نحويّاً فاضلاً واديباً شاعراً، وقد ادب أولاد المأمون<sup>(٢)</sup>. واختار محمد بن عبدالله بن طاهر<sup>(٣)</sup> (ت ٢٥٣هـ / ٨٦٧م)، أبا العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ / ٩٠٣م)، النحوي اللغوي لتأديب ابنه طاهر<sup>(٤)</sup>.

ولأنّ المؤدب قدوة لطالبه، كان التأكيد على أهمية تقوى الله وحسن السلوك في اختيار المؤدب. فقد بعث الامام الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، بوصية إلى مؤدّب أولاد الرشيد، يوصيه فيها بأن يحسن سلوكه لأنه قدوتهم.<sup>(٥)</sup>

وقد يُطرد المؤدب من قصر الخليفة اذا قصّر أو ظهر في سلوكه ما يشين فقد أبعده الرشيد قطرب النحوي (ت ٢٠٦هـ / ٨٢١م)، عن تأديب ابنه الأمين، بعد أن رماه حماد عجرد<sup>(٦)</sup> (ت ١٦١هـ / ٧٧٧م)، بتهمة لا تتناسب وموقعه كمؤدب<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن الانباري، نزهة، ص ١٣٩؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٨٤١؛ أبو عبدالله محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسبوني زغلول، ج ٤، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ج ١، ص ٣٤٩، سيشار له تالياً (الذهبي، العبر)؛ السيوطي، بغية، ج ٢، ص ٣٤٩.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٤٨٥؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ٧٥.

(٣) أبو العباس، محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، كان نائب بغداد في عهد المتوكل، وكان جواداً عالماً، جيد الشعر. الذهبي، العبر، ج ١، ص ٣٦٣.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٥٣٦؛ الديوه جي، الترية، ص ٣٨.

(٥) ابن الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ١٦٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١٤٠؛ منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين حتى القرن الخامس الهجري، ترجمة سامي الصقار، دار المريخ، الرياض ١٩٨١م، ص ٥٣، سيشار له تالياً (منير الدين أحمد، تاريخ التعليم).

(٦) أبو عمرو، حماد بن عمرو بن يوسف المعروف بعجرد، نشأ في الكوفة ثم واسط، وكان شاعراً خليعاً ماجناً. عاصر الدولتين الأموية والعباسية. الاربلي، خلاصة، ص ١٠٣.

(٧) أبو نواس الحسن بن هانئ، ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ٤١٦، سيشار له تالياً (أبو نواس، ديوان)؛ البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٧؛ الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٢١٦؛ القفطي، إنباه، ج ٣، ص ٢٢٠؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٢١٢؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ٢٤٣.

ويبدو أن للمظهر والهيئة أثراً في عزوف بعض الخلفاء أو الأمراء عن اختيار بعض المؤدين لأبنائهم. فقد امتنع المتوكل عن استخدام الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، لتأديب أبنائه لما رآه واستبشع ملامح وجهه، قال الجاحظ: «ذكرت لأمير المؤمنين المتوكل لتأديب بعض ولده، فلما رأيته استبشع منظري فامر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني، وخرجت من عنده»<sup>(١)</sup>.

ولما أصاب الكسائي (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م)، الوضع<sup>(٢)</sup>، كره الرشيد ملازمته أولاده، فامر أن يختار لهم من ينوب عنه ممن يرضاه<sup>(٣)</sup>.

وقد تسبق شهره بعض المعلمين في الكتابات العامة أو العلماء في مجالس العلم وحلقاته إلى أسماع المسؤولين، قبل أن يقع عليهم الاختيار لتأديب أبنائهم. فقد رغب المتوكل في أن يعهد إلى الجاحظ تأديب أولاده بعد أن ذاع صيته واشتهر بعلمه وفضله<sup>(٤)</sup>. ولما اشتهر اسم الكسائي اتخذته الخليفة المهدي مؤدباً لأولاده الرشيد<sup>(٥)</sup>.

وقد كان بعض الخلفاء والأمراء والخاصة يختارون مؤدبي أولادهم بانفسهم بعد اخضاعهم لنوع من الاختبار، أو يظهر منهم بعض علامات النبوغ. فقد كان عند المهدي (ت

(١) أبو الحسن علي بن الحسين السعدي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرحه وقدم له مفيد محمد قمحية، ج ٤، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م، ج ٤، ص ١١٥، سيشار له تالياً (السعدي، مروج)؛ أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء، الظرف والظرفاء، تحقيق فهمي سعد، ط ١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥م، ص ١٤٥، سيشار له تالياً (الوشاء، الظرف)؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٣، ص ٤٧١.

(٢) البياض في الجسم (البرص)، ابن منظور، لسان، ج ٢، ص ٦٣٤.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٦٧؛ القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٣١٦؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٩٣؛ السيوطي، بغية، ج ٢، ص ١٥٨.

(٤) السعدي، مروج، ج ٤، ص ١١٥؛ رفاعي، عصر، ج ١، ص ١٠٦؛ ضيف الله يحيى الزهراني، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية، ط ١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ١٩٨٦م، ص ١٧٩، سيشار له تالياً (الزهراني، النفقات)؛ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم النجار، ج ٦، ط ٥، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩م، ج ٢، ص ١٠٦، سيشار له تالياً (بروكلمان، تاريخ الأدب).

(٥) بليغ، «المسجد»، ص ٢٢٦.

١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٤ - ٧٨٥ م) مؤدب يؤدب الرشيد، فدعاه المهدي يوماً وهو يستاك، فقال له: «كيف تأمر من السواك؟ فقال: استك يا أمير المؤمنين، فقال المهدي: انا لله وانا اليه راجعون، ثم قال: التمسوا من هو افهم من هذا؟ قالوا: رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي، من اهل الكوفة، قدم من البادية قريباً فلما قدم على الرشيد قال له: يا علي، قال: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: كيف تأمر من السواك؟ قال: سَك يا أمير المؤمنين. قال أحسنت وأصبت، واتخذ مؤدباً للرشيد»<sup>(١)</sup>. وطلب الكسائي (ت ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م)، من الاخفش الاوسط<sup>(٢)</sup> (ت ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م)، أن يؤدب أولاده بعد أن سأل الكسائي عن مائة مسألة فخطأه فيها كلها. فقال له: «انت سعيد بن مسعدة؟ فقال: نعم، فسأله أن يؤدب أولاده فاجابه»<sup>(٣)</sup>. وطلب الحسن بن سهل الوزير (ت ٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م)، رجلاً من أهل الأدب، يؤدب ولده، فجاءوه بمعاوية ابن القاسم الأعمى، فقال له: «ما اسمك؟ قال: أكنى أبا القاسم، ولضرورة تكنيت، فقل له: اسمه معاوية، فاستظرفه وأمره بلزوم داره»<sup>(٤)</sup>.

وأوكل بعض الخلفاء والامراء والخاصة أمر اختيار المؤدين لأحد من العلماء الاجلاء، فقد أوكل الخليفة الرشيد للكسائي أمر اختيار مؤدباً لأبنائه، وقد اختار الكسائي خلف الأحمر النحوي (ت ١٩٤ هـ / ٨٠٩ م)، فكان الأحمر يتردد إلى الكسائي كل عشية، ويأخذ عنه ما يحتاج إليه أولاد الرشيد، فيغدو عليهم فيعلمهم<sup>(٥)</sup>. ولما أراد المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٦ -

(١) ابن الأنباري، نزهة، ص ٦١؛ ابن الجوزي، اخبار الحمقى، ص ١٥٣؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٧٤٠؛ القفطي، إنباء، ج ٢، ص ٢٥٩؛ الاربلي، خلاصة، ص ١٥٩.

(٢) ابي الحسن، الاخفش الاوسط، وهو سعيد بن مسعدة المجاشعي، مولى بني مجاشع بن دارم، كان عالماً بالكلام والجدل، المرزباني، نور القبس، ص ٩٧.

(٣) الشريشي، شرح، ج ٣، ص ٢٠٨؛ القفطي، إنباء، ج ٢، ص ٣٧؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ٥٩٠.

(٤) ابن سعد الابي، نثر الدر، ج ٢، ص ١٩٦.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٦٧؛ القفطي، إنباء، ج ١، ص ٣١٦؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٩٣؛ السيوطي، بغية، ج ٢، ص ١٥٨.

(٨٦١م)، أن يتخذ مؤدبين للمنتصر والمعتز - ابنه - جعل ذلك إلى إيتاخ<sup>(١)</sup> (ت ٢٣٤هـ / ٨٤٨م) فامر إيتاخ كاتبه أن يتولى ذلك فبعث إلى مجموعة من العلماء فاحضرهم مجلسه، وقد اختار منهم محمد بن عبدالله بن قادم النحوي (ت ٢٥١هـ / ٨٦٥م)، وأحمد بن عبيد ابن ناصح النحوي، والمعروف بابي عصيده (ت ٢٧٣هـ / ٨٨٦م)، بعد أن عرض عليهم شيئاً من الشعر معاً وإعراباً<sup>(٢)</sup>.

وربما استعان بعض الخلفاء ببعض الثقات من رجال دولتهم للإشراف على تربية أبنائهم. فقد وضع المهدي ابنه الرشيد في حجر يحيى بن خالد البرمكي الوزير (ت ١٩٠هـ / ٨٠٥م)، ليربيه ويثقفه ويعرفه الأمور<sup>(٣)</sup>.

ولم يكتف بعض الخلفاء أيضاً بالاعتماد على المؤدبين في تعليم أبنائهم، وإنما أخذوا يرسلون بهم إلى بعض العلماء لتعليمهم، فقد بعث الرشيد بالأمين إلى الاصمعي (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م)، ليعلمه العلم والأدب<sup>(٤)</sup>. وعندما حج الرشيد سنة ١٧٤هـ / ٧٩٠م ومعه ابناؤه - الأمين والمأمون - فدخل الكوفة، وطلب من أبي يوسف القاضي (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م)، أن يخبر المحدثين ليحدثونه، فلم يتخلف عنه من شيوخ الكوفة إلا عيسى بن يونس (ت ١٨٨هـ / ٨٠٣م)، وعبدالله بن ادريس (ت ١٩٢هـ / ٨٠٧م)، فارسل هارون الرشيد

(١) إيتاخ التركي، قائد الجيش في عهد المتوكل، خافه المتوكل وقبض عليه واماته عطشاً سنة ٢٣٤هـ / ٨٤٨م. أبو الفلاح عبدالحكي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ ج، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت، ج ٢، ص ٨٠، سيشار له تالياً (ابن العماد الحنبلي، شذرات).

(٢) أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي، مجالس العلماء، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت ١٩٦٢م، ص ٦٢، سيشار له تالياً (الزجاجي، مجالس)؛ ابن النديم، الفهرست، ص ١٤٤؛ ابن الانباري، نزهة، ص ١٥٩؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ٣٦١ - ٣٦٢؛ القفطي، إنباء، ج ١، ص ١٢٠؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ٢، ص ٨٠؛ محمود قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، دار الثقافة، الدوحة ١٩٨٥م، ص ٢٣٦، سيشار له تالياً (محمود قمبر، دراسات).

(٣) الذهبي، سير، ج ٩، ص ٨٩؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ١، ص ٣٢٧.

(٤) برهان الدين الزرنوجي، تعليم المتعلم في طريق التعلم، تحقيق صلاح محمد الحيمي ونذير حمدان، ط ١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت ١٩٨٥م، ص ٥١، سيشار له تالياً (الزرنوجي، تعليم).

الأمين والمأمون اليهما ليحدثوهما<sup>(١)</sup>. وبعث الرشيد بالأمين والمأمون إلى مالك بن أنس ليتعلما منه بعد أن رفض المجيء اليهما قائلاً: «ان العلم يؤتى ولا يأتي»<sup>(٢)</sup>.

## ٢- مكانة المؤدبين:

يبدو أن المؤدبين تمتعوا بمكانة مرموقة في المجتمع الاسلامي، واهتم الخلفاء والامراء والخاصة بمؤدبي اولادهم اهتماماً بالغاً، يظهر من خلال النصوص الكثيرة التي تشهد بمكانتهم، وتفيد بان تأديب اولاد الخاصة، كان عملاً عظيماً، يكسب من يقوم به الجلال والهيبة. فقد افرد ابن حبيب (ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م) في كتابه «المحبر» فصلاً خاصاً عن مؤدبي أبناء الخلفاء والامراء والخاصة سماه «اشراف المعلمين وفقهائهم»<sup>(٣)</sup>. وقال الجاحظ في حقهم: «والمعلمون عندي على ضربين، منهم رجال ارتفعوا عن تعليم اولاد العامة إلى تعليم اولاد الخاصة، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم اولاد الخاصة إلى تعليم اولاد الملوك انفسهم المرشحين للخلافة»<sup>(٤)</sup>.

ويرتفع قدر المؤدب ارتفاعاً كبيراً حتى يُنظر اليه على أنه أحد أفراد الأسرة، فيأخذ اسمها، فأبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي (ت ٢٠٢هـ / ٨١٧م)، قيل له

(١) النووي، تهذيب، ج ٢، ص ٤٨؛ الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٢٨١؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ٤٩؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢١٧؛ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، ط ١، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٩٠٧م، ص ٢٥، سيشار له تالياً (السيوطي، تزيين).

(٢) ابو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، تحقيق أحمد عمر هاشم، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٦م، ص ٣٠٦، سيشار له تالياً (الخطيب البغدادي، الكفاية)؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٣٤؛ محي الدين ابن العربي، محاضرة الاربار ومسامرة الاخيار، ج ٢، دار صادر، بيروت د. ت، ج ١، ص ٤٤٣، سيشار له تالياً (ابن عربي، محاضرة).

(٣) انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ٤٧٥ - ٤٧٨.

(٤) الجاحظ، البيان، ج ١، ص ٢٥٠؛ وانظر: الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٥٥.

اليزيدي؛ لأنه صحب يزيد بن منصور الحميري، يؤدب ولده فنسب اليه<sup>(١)</sup>. وعرف أبو عمرو محمد بن اسحاق بن مرار (ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م). بالشيباني، لأنه أدب أولاداً منهم، فنسب اليهم<sup>(٢)</sup>. وقد عبّر الكسائي مؤدب الأمين عن هذا المعنى، في بيت من الشعر، كان مطلع مقطوعة ارسلها إلى الرشيد قال فيه:

قل للخليفة ما تقول لمن أمسى اليك بحرمة يدلي<sup>(٣)</sup>

ويبدو أن الخلفاء والعظماء اهتموا بمؤدبي أولادهم، اهتماماً عظيماً وارتفعوا بمستواهم الاجتماعي إلى درجة تناسب مكانهم من الامراء وولاة العهود، فقد كان علي بن المبارك الأحمر النحوي (ت ١٩٤هـ / ٨٠٩م) حينما اختير لتأديب الأمين يعيش في حجرة واحدة، في حي متواضع، من احياء بغداد، فسرعان ما نقله الرشيد إلى مستوى اجتماعي رفيع، يصفه محمد بن الجهم السمرى الكاتب (ت ٢٧٧هـ / ٨٩٠م)، بقوله: «كنا اذا اتينا الأحمر تلقانا الخدم، فندخل قصرأ من قصور الملوك... ويخرج علينا [الأحمر] وعليه ثياب الملوك، تنضح منها رائحة المسك والبخور»<sup>(٤)</sup>. وقال أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ / ٩٠٣م): «اقعدني محمد بن عبدالله بن طاهر مع ابنته طاهر، وافرد لي دارأ في داره، واقام لنا وظيفة، فكنت اقعد معه إلى اربع ساعات من النهار، ثم انصرف اذا اراد الغداء، فمني ذلك إلى ابيه، فكسا البهو والاروقة والمجالس... واضعف ما كان يعد من الالوان... فلما حضر وقت الانصراف، انصرفت، فمني ذلك اليه، فقال للخادم الموكل

(١) النحاس، صناعة، ص ٤٤؛ المرزباني، نور القبس، ص ٨٠؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٣٥، ٧٨؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٦٢٥، ج ٦، ص ٢٨٢٧؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٤٧؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ١٨٤؛ الاربلي، خلاصة، ص ٢٠٦؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٢، ص ٢٣؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٥٦٢؛ اليافعي، مرآة، ج ١، ص ٤٦٧؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ٢٦٥، ج ٢، ص ٣٣٩ - ٣٤٠.

(٢) المرزباني، نور القبس، ص ٢٧٧؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٧٨؛ القفطي، إنباء، ج ١، ص ٢٥٦؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٦٢٥؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ٤٣٩.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١١، ص ٤١٢؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٣، ص ٢٩٥.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٦٧٢؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٢٤٢.



بنا: قد نمي الي انصراف أحمد بن يحيى وقت الطعام فظننت انه استقل ما يحضر، ولم يستطع الموضع، فامرنا بتضعيفه، ثم نمي إليّ أنه انصرف، فقال له: ايتك ابرد من بيتنا، أو طعامك اطيب من طعامنا؟... فلما عرفني الخادم ذلك، اقامت فكنت على هذه الحال ثلاثة عشرة سنة<sup>(١)</sup>.

وترتفع مكانة المؤدين بقدر ما كانوا يتمتعون به من علم وثقافة، فيكون المؤدب موضع اهتمام الخليفة أو الأمير، فيختصه جليساً ومؤانساً، فيذكر أن عمر بن عبد العزيز تأدب على عبيد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي (ت ٩٨هـ/ ٧١٦م)، احد فقهاء المدينة السبعة، فكان عمر يختلف اليه بالمدينة يسمع منه العلم<sup>(٢)</sup>. وكان ابراهيم بن سعدان النحوي (ت ١٨٤هـ/ ٨٠٠م)، يؤدب ولد علي بن هشام قائد المأمون (ت ٢١٧هـ/ ٨٣٢م)، وكان يغني بالعود، قال: «وجه اليّ يوماً علي بن هشام يدعوني، فدخلت، فاذا بين يديه امرأة مكشوفة الرأس تلاعبه بالنرد، فرجعت عجباً، فصاح بي: ادخل، فدخلت، فاذا بين ايديهما نبيذ يشربان منه، فقال لي: خذ عودك وغن لنا، ففعلت، ثم غنيت في وسط غنائي:

من الخفريات<sup>(٣)</sup> لم تفضح اباهي      ولم ترفع لاختوتها شناراً<sup>(٤)</sup>

فوثبت من بين يديه وغطت رأسها، وقالت: اني أشهد الله اني تائبة اليه، ولا افضح أبي ولا ارفع لاختوتي شناراً<sup>(٥)</sup>. وفي هذه الرواية ما يشير إلى أن ابراهيم بن سعدان، كان يحضر اخص مجالس علي بن هشام. ومكّن علم الكسائي الواسع وأدبه الجهم، أن يتبوأ مكانة عالية عند الخليفة الرشيد، فاختره ليكون مؤدباً لولده، وقد اخرجته

(١) القفطي، إنباه، ج ١، ص ١٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٥٤٥.

(٢) الذهبي، العبر، ج ١، ص ٨٧؛ السيوطي، تاريخ، ص ٢٢٩.

(٣) الخفريات: شدة الحياء. ابن منظور، لسان، ج ٤، ص ٢٥٣.

(٤) الشنار: العيب والعار. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٣٠.

(٥) الاصفهاني، الاغانى، ج ٢٠، ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين، قائلاً: «يا علي بن حمزة، قد احللناك المحل الذي لم تكن تبلغه همتك»<sup>(١)</sup>. وقال الأمير عبدالملك بن صالح (ت ١٩٦هـ / ٨١١م)، لمؤدب ولده، بعد أن اختصه بمجالسته ومحادثته: «وجعلتك جليساً مقرباً»<sup>(٢)</sup>. وكتب العتابي<sup>(٣)</sup> (٢٢٠هـ / ٨٣٥م)، إلى المأمون وقد منعه الحاجب عن مجلسه معاتباً - وكان مؤدبه -:

إن حق التأديب حق الابوه      عند اهل الحجا وأهل المروة  
وأحق الانام أن يحفظوها      ويعوها لاهل بيت النبوة

فدعا به المأمون وأحسن صلته، وآلى علي الحاجب أن لا يعاود حجه وزجره عن مجلسه<sup>(٤)</sup>.

لكن أما الخليفة الراضي بالله (٢٢٧ - ٢٣٢هـ / ٨٤١ - ٨٤٦م)، فقد كان يكرم مؤدبه هارون ابن زياد ويقربه من مجلسه، لما قام بتعليمه منذ الصغر، فقال: «هذا اول من فتق لساني بذكر الله، وأدنانني من رحمة الله»<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ١٣١؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج ٥، ص ٥٦؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٧٣٨؛ بليغ، «المسجد»، ص ٢٢٦.

(٢) ابن قتيبة، عيون، ج ١، ص ٧٦؛ ابن الحسن هلال بن المحسن الصابي، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٤م، ص ٤٧، سيشار له تالياً (الصابي، رسوم)؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج ٥، ص ٥٦.

(٣) ابو عمرو، كلثوم بن عمرو العتابي، اصله من الشام من ارض قنسرين، وكان شاعراً خطيباً بليغاً. الكتبي، فوات، ج ٣، ص ٢١٩.

(٤) جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحفة المجالس ونزهة المجالس، عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٠٨م، ص ١٦٤، سيشار له تالياً (السيوطي، تحفة).

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٤، ص ١٧٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ١٢٠؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٣٢٣؛ السيوطي، تاريخ، ص ٣٤٤.

ويُظهر الخلفاء العباسيون احترام مؤيديهم، واحسانهم اليهم، وخاصة عندما يدخلون إلى مجالسهم، فيذكر بان هارون الرشيد صب الماء على يد المحدث أبي معاوية الضرير (ت ١٩٥هـ / ٨١٠م)، عندما اكل معه، فقال له: «يا ابا معاوية اتدري من يصب الماء على يديك؟ قال: لا، قال: أنا، قال: انت يا أمير المؤمنين؟! قال: نعم. إجلالاً للعلم»<sup>(١)</sup>. وبعث الرشيد بابنه الأمين إلى الاصمعي (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م)، ليعلمه، فرآه الرشيد يوماً يتوضأ، وابن الخليفة يصب الماء على رجله، فعاتب الاصمعي في ذلك بقوله: «إنما بعثته اليك لتعلمه وتؤدبه، فلماذا لم تأمره بان يصب الماء باحدى يديه ويغسل بالآخرى رجلك؟»<sup>(٢)</sup>.

وللمؤدب عند الرشيد حُرمة خاصة ومكانة رفيعة، اذ «اشرف الرشيد على الكسائي وهو لا يراه، فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجة يريدتها، فابتدراها الأمين والمأمون، وكان مؤدبهما، فوضعاها بين يديه. فقبل رؤسهما وأيديهما، ثم اقسم عليهما الا يعاودا، فلما جلس الرشيد مجلسه، قال: اي الناس اكرم خدماً، قالوا: أمير المؤمنين اعزه الله. قال: بل الكسائي، يخدمه الأمين والمأمون»<sup>(٣)</sup>. ولما اشتدت علة الكسائي جعل الرشيد يدخل عليه ويعوده دائماً. كما كان الرشيد يأمر أبناءه أن يصبوا الماء على يدي المؤدب. إذ امر الرشيد يوماً ابنه الأمين أن يوضئ مؤدبه ابا مريم<sup>(٤)</sup>. ويبدو تكريم المأمون لمؤدب ولده يحيى بن زياد الفراء النحوي (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، وذلك من خلال قوله: «من اعز الناس؟ قال: ما أعرف اعز من أمير المؤمنين، قال: بلى من اذا نهض، تقاتل على تقديم نعليه ولما عهد المسلمين، حتى رضي كل

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٤، ص ٨؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢٢٣ - ٢٢٤؛ حافظ الدين محمد الكردي، مناقب أبي حنيفة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨١م، ص ١٠٩، (طبع مع الموقف المكي، مناقب أبي حنيفة)، سيشار له تالياً (الكردي، مناقب)؛ السيوطي، تاريخ، ص ٢٨٥.

(٢) الزرنوجي، تعليم، ص ٥١.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ١٣١؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٥٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٧٤٨؛ الديوه جي، الترية، ص ٤٢.

(٤) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٥٣.

واحد أن يقدم فرداً»<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن بعض المؤيدين حصلوا على بعض المراكز المرموقة كالقضاء مثلاً، فقد ولى المأمون محمد بن حسان الضبي (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٤م)، مظالم الجزيرة وقنسرين والعواصم والثغور، سنة خمس عشرة ومائتين، ثم زاده بعد ذلك مظالم الموصل وأرمينية. قال: وولى المعتصم محمد بن حسان، مظالم الرقة في سنة أربع وعشرين ومائتين، إلى أن توفي المعتصم، فافقره الواثق عليها»<sup>(٢)</sup>. ولمكانة أبي عبيد القاسم بن سلام اللغوي الفقيه (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)، وثقافته، اصر والي طرسوس، ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي على أن ينتقل معه إلى طرسوس، ويستمر في تأديب ولده، وولاه القضاء لمدة ثمانية عشر سنة بطرسوس<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن وظيفة المؤدب رفيعة المستوى ومغرية، تضع من يشغلها في مكانة عالية، وتخلع عليه حلة من الجلال والتكريم<sup>(٤)</sup>. لذلك نجد أن بعضهم حاول الايقاع ببعض المؤيدين، حسداً لهم على مكانتهم ومقامهم، فهذا قطرب النحوي (ت ٢٠٦هـ / ٨٢١م)، جعله الرشيد مؤدباً لابنه الأمين، «وكان حماد عجرد يتعشق الأمين ويطمع فيه أن يتخذه عليه مؤدباً، فلم يتهياً له ذلك لتهتكه، وقبيح ذكره في الناس، وقد كان رام ذلك، فلم يُجب اليه، فلما سمع أن قطرباً قد استوى امره وأجيب إلى ذلك لستره وعفافه، اخذ حماداً المقيم والمقعد حسداً على ما ناله قطرب من ذلك، وبلغه من المنزلة الرفيعة، والدرجة السنية، فاخذ رقعة وكتب

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٤، ص ١٥٠؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٨٢، ٨٣؛ ابن الجوزي، المتنظم، ج ١٠، ص ١٧٩؛ القفطي، إنباه، ج ٤، ص ١٧ - ١٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ١٧٩؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢٧٢ - ٢٧٣؛ بهاء الدين محمد بن حسين ابن عبدالعمد العاملي، الكشكول، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٣م، ص ٦٩١، سيشار له تالياً (العاملي، الكشكول).

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٤٨٥؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ٧٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٢٥٣؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٤٩؛ ابن النديم، الفهرست، ص ١٤٠ - ١٤١؛ النحاس، صناعة، ص ٤٥؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٢، ص ٤١٣ - ٤١٥؛ القفطي، إنباه، ج ٣، ص ١٩.

(٤) خالد الحاج، اعلام التربية، ص ٥٧.

فيها اياتاً ودفعها إلى بعض الخدم الذين يقومون على رأس الرشيد، وجعل له على ذلك جُعلاً<sup>(١)</sup>، وسأله أن يودع الرقعة دواة أمير المؤمنين ففعل، فما كان بأسرع من أن دعا الرشيد بالدواة، فاذا فيها رقعة فيها هذه الايات:

قل للامام جزاك الله مغفرة لا يجمع الدهر بين السخل والذيب

السخل غر وهم الذئب غفلته والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

فاخرجوه عن تاديب الأمين واتخذ عليه حماداً، وجعل عليه ثمانين من الرقباء<sup>(٢)</sup>.

ورغم المكانة المرموقة التي حظي بها المؤدبون، إلا أن بعض العلماء والأدباء، ذم التأديب، واعتبره نقصاً لذوي الفضل. فنجد عبدالله بن المقفع (ت ١٤٢هـ / ٧٥٩م)، يأنف من أن يكون مؤدباً، إذ كان اسماعيل بن علي العباسي - عم المنصور - قد كلفه بأن يجلس مع ابنه في كل اسبوع يوماً، فقال له ابن المقفع: «اتريد أن أثبت في ديوان التوكي؟»<sup>(٣)</sup>. واحتاج محمد بن قحطبة الكوفي (ت ١٦٠هـ / ٧٧٦م)، مودباً لأولاده فاشاروا عليه بابن عمه داود الطائي<sup>(٤)</sup> (ت ١٦٢هـ / ٧٧٨م)، الذي أبى ذلك، رافضاً ما أرسل اليه من مغريات نقدية<sup>(٥)</sup>. ورفض الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م)، أن يكون مؤدباً لأبناء سليمان بن حبيب والي بلاد فارس، قائلاً لرسول سليمان:

(١) الجعل: الاجر على الشيء فعلاً او قولاً، يقال جعل لك جعلاً وجعلاً. ابن منظور، لسان، ج ١١، ص ١١١.

(٢) ابو نواس، ديوان، ص ٤١٦؛ البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٦ - ٥٧٧؛ ابن منصور عبدالمملك بن محمد الثعالبي، الكناية والتعريض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م، ص ٣٤ (طبع مع الجرجاني، المنتخب)، سيشار له تالياً (الثعالبي، الكناية)؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٥٥؛ الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٢١٦؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٢١٢؛ رفاعي، عصر، ج ١، ص ١٩٦؛ بروكلمان، تاريخ الأدب، ج ٢، ص ١٣٩.

(٣) الجاحظ، البيان، ج ١، ص ٢٥٢؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٥٣.

والنوك: الحق، والأنوك الاحق، وجمعه نوكي. ابن منظور، لسان، ج ١٠، ص ٥٠٠ - ٥٠١.

(٤) أبو سليمان، داود بن نصير الطائي الكوفي، الامام الفقيه، القدوة الزاهد. الذهبي، سير، ج ٧، ص ٤٢٢.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٨، ص ٣٤٩.

ابلق سليمان اني عنه في سعة وفي غنى غير اني لست ذا مال

والفقر في النفس لا في المال تعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال<sup>(١)</sup>

يظهر مما سبق؛ المكانة المتميزة التي تمتع بها المؤدبون، وهي مكانة ترجع إلى المستوى العالي من الثقافة التي أهلتهم ليكونوا مؤدبين لأبناء الخاصة، في الوقت الذي كان فيه ارتفاع اجورهم سبباً في ارتفاع مكانتهم عند الخاصة والعامة من الناس.

#### ٤ = اجور المؤدبين:

يبدو أن الوضع المالي للمؤدبين، كان على درجة عالية من الرخاء والغنى، ولعل المستوى المالي والرخاء الذي عاشه الخلفاء والامراء والخاصة، انعكس انعكاساً مباشراً على المؤدبين، فقد عنوا برفع المستوى المالي والمعاشي لمؤدبي أولادهم<sup>(٢)</sup>. فكان تعيين شخص ما مؤدباً، يعتبر فاتحة خير عليه وعلى اهله<sup>(٣)</sup>، فقد كان المؤدب يتقاضى راتباً كبيراً، سوى ما يوهب له من الهدايا والخلع والهبات<sup>(٤)</sup>، مما يضمن للمؤدب غناً سريعاً شاملاً، وتضمن له كذلك تسوية لاية مشكلات مالية يعانيتها<sup>(٥)</sup>. في الوقت الذي لم يتردد فيه بعضهم عن دفع مبالغ كبيرة، لجذب احد المؤدبين، ممن اشتهروا بالعلم والثقافة، فقد احتاج محمد بن قحطبة الكوفي (ت ١٦٠هـ / ٧٧٦م)، إلى مؤدب لأولاده، فاشاروا عليه بابن عمه، داود الطائي (ت ١٦٢هـ / ٧٧٨م)، فارسل اليه يعرض عليه ذلك، ويسني له الارزاق، فأبى داود ذلك،

(١) ابي سعيد، الحسن بن عبدالله السيرافي، اخبار النحويين البصريين ومراتبهم، تحقيق محمد ابراهيم البناء، ط١، دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٥م، ص ٥٥، سيشار له تالياً (السيرافي، اخبار)؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٤٦ - ٤٧؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٢٦٧؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٢) أحمد شلبي، الترية، ص ٢٤١؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٢٨.

(٣) أحمد شلبي، الترية، ص ٢٤١؛ عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص ٢٦؛ عبدالله عبدالدايم، الترية، ص ١٦٩.

(٤) الديوه جي، الترية، ص ٣٧.

(٥) أحمد شلبي، الترية، ص ٢٤١.

فأرسل له في المرة الأولى عشرة آلاف دينار فردها داود الطائي، ثم بعث إليه بعشرين ألف دينار فلم يقبلها<sup>(١)</sup>.

ويتوقف مبلغ ما يحصل عليه المؤدب على سخاء مستخدميهم، ولكنهم كانوا يحصلون - في العادة - على أجور سخية ومكافآت كبيرة. فقد أعطى عبدالله بن مالك، صاحب شرطة المهدي، أربعة آلاف دينار لمؤدب ولده، نظير صدر بيت من الشعر أجازه<sup>(٢)</sup>. وأمر المهدي بعشرة آلاف درهم للكسائي - مؤدب ولده الرشيد - لاجابته على سؤال وجهه إليه<sup>(٣)</sup>. ولما أصبح الكسائي مؤدباً لأبناء الرشيد، ولم يكن له زوجة ولا جارية، كتب إلى الرشيد يشكو ذلك، فامر له الرشيد بعشرة آلاف درهم، وجارية حسنة، وخادم، وبرذون بسرجه ولجامه<sup>(٤)</sup>. وعندما اختار الكسائي، علي بن المبارك الأحمر، مؤدباً لأبناء الرشيد من بعده، «أدخل إلى قصر الرشيد ليُعلم الأمين، وفرش له المجلس بفراش حسن، وكان الخلفاء إذا أدخلوا مؤدباً إلى أولادهم، فجلس في أول يوم، أمروا له بعد قيامه بحمل كل ما في المجلس إلى منزله مع ما يوصل به ويوهب له، فلما أراد الأحمر الإنصراف إلى منزله دعي له بحمالين فحمل معه ذلك كله... فقال الأحمر: «والله ما يسع بيتي هذا، وما لنا إلا غرفة ضيقة، ليس فيها من يحفظه غيري، فامر الرشيد بشراء دار له وجارية، وحمل على دابة، ووهب له غلام، وأقيم له جارٍ ولمن عنده...»، قال محمد بن الجهم السمرري: كنا إذا أتينا الأحمر تلقانا الخدم فندخل قصرًا من قصور الملوك، فيه فرش الشتاء في وقته، وفرش الصيف

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٨، ص ٣٤٩.

(٢) الطبري، تاريخ، ج ٨، ص ١٨٥.

(٣) ابن الأنباري، نزهة، ص ٦١؛ ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص ١٥٣؛ القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٢٥٩؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٧٤٠؛ الاربلي، خلاصة، ص ١٥٩.

(٤) أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، معجم الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، د. د. م. ١٩٨٠م، ص ١٣٨، سيشار له تالياً (المرزباني، معجم)؛ القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٢٦٦؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٧٤٧؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٣، ص ٢٩٥؛ اليافعي، مرآة، ج ١، ص ٤٢٨.

والبرذون: دابة دون الفرس غليظة الاعضاء ضخمة تتخذ للحمل وجمعها، براذين (بغل). ابن منظور، لسان، ج ١٣، ص ٥١.

في وقته... ، ويخرج علينا، وعليه ثياب الملوك، ينفح منها رائحة المسك والبخور»<sup>(١)</sup>. وقال علي بن المبارك الأحمر: «قعدت مع الأمين ساعة من النهار، فوصل اليّ فيها ثلاثمائة ألف درهم. فانصرفت وقد استغنيت»<sup>(٢)</sup>. وأمر الرشيد لعبيدة بن حميد الحذاء النحوي (ت ١٩٠هـ / ٨٠٥م)، بسبعين ألف درهم، مقابل تعليمه لابنه حتى بلغ معه سورة «الحديد» من القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>. وشارك الأصمعي (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م)، في تأديب الأمين، وجعل له الرشيد جارية مقدارها عشرة آلاف درهم<sup>(٤)</sup>. واختار المأمون يحيى بن زياد الفراء النحوي (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، لتأديب ولده العباس وتعليمه، وقد أطلق له يوماً صلة قدرت بعشرة آلاف درهم<sup>(٥)</sup>. واحسن المأمون صلة العتابي الشاعر (ت ٢٢٠هـ / ٨٣٥م)، وقد كان مؤدبه<sup>(٦)</sup>. وفي إحدى المناسبات منح الخليفة المتوكل، ابن السكيت النحوي (ت ٢٤٤هـ / ٨٥٨م)، مؤدب ولده المعتز مبلغ خمسين ألف دينار، بالاضافة إلى مرتبه المنتظم<sup>(٧)</sup>. ورغب المتوكل أن يعهد إلى الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، تأديب أولاده بعد أن ذاع صيته واشتهر بعلمه وفضله، غير أنه صرف النظر عن ذلك، بعد أن رآه واستبشع ملامح وجهه، ومع ذلك اكرم وفادته، ومنحه صلة قدرت بعشرة آلاف درهم قبل أن يصرفه<sup>(٨)</sup>. وأمر المتوكل لابي عصيدة

- 
- (١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء ج ٤، ص ١٦٧١ - ١٦٧٢. وانظر: القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٣١٧؛ السيوطي، بنية، ج ٢، ص ١٥٩.
- (٢) الزبيدي، طبقات، ص ١٣٤؛ القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٣١٤.
- (٣) ابن حبيب، المحبر، ص ٤٧٨؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٢٨.
- (٤) أبو علي المحسن بن علي التنوخي، الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، ٥ ج، دار صادر، بيروت ١٩٧٨م، ج ٣، ص ١٦٣، سيشار له تالياً (التنوخي، الفرج).
- (٥) ابن الانباري، نزهة، ص ٨٢ - ٨٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١٧٩؛ القفطي، إنباه، ج ٤، ص ١٨؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.
- (٦) السيوطي، تحفة، ص ١٦٤.
- (٧) القفطي، إنباه، ج ٤، ص ٦٣ - ٦٤؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٨٤١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ٢، ص ١٠٦.
- (٨) المسعودي، مروج، ج ٤، ص ١١٥؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٣، ص ٤٧١؛ رفاعي، عصر، ج ١، ص ٤٢٨.



(ت ٢٧٣هـ / ٨٨٦م)، مؤدب المعتز، بمبلغ عشرة آلاف دينار بعد أن اثنى عليه لتأديبه إياه<sup>(١)</sup>. وأجرى عبدالله بن طاهر بن الحسين والي خراسان (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)، لابي عبيد القاسم بن سلام اللغوي الفقيه، (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)، مؤدب ولده، مبلغ عشرة آلاف درهم في كل شهر<sup>(٢)</sup>. وأمر محمد بن عبدالله بن طاهر (ت ٢٥٣هـ / ٨٦٧م)، ليعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤هـ / ٨٥٨م)، بخمسمائة درهم، ثم جعلها ألفاً مقابل تعليمه ولده<sup>(٣)</sup>. وكان يعقوب بن السكيت، قد خرج قبل ذلك إلى سامراء في أيام المتوكل، فضمه المتوكل لتعليم ولده، وأسنى له الرزق<sup>(٤)</sup>. واستخدم الأمير محمد بن عبدالله بن طاهر، الزبير بن بكار القرشي (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، مؤدباً لولده، وأمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة تخوت<sup>(٥)</sup> ثياب، وعشرة أبغل يحمل عليها رحله إلى سامراء<sup>(٦)</sup>. وعندما حفظ المعتز القرآن، أهدى المتوكل لمحمد بن يزيد المبرد النحوي (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م)، مؤدب المعتز والذي أشرف على تعليمه النحو، وتحفيظه القرآن، جواهر قيمتها خمسة عشر ألف دينار<sup>(٧)</sup>. ويذكر أن محمد بن عبدالله ابن طاهر، اختار أبا العباس ثعلب النحوي (ت ٢٩١هـ / ٩٠٣م)، لتأديب ابنه طاهر، فأفرد له داراً في قصره وأقام له في كل يوم من أنواع الخبز المختلفة، وسبعة ارطال من اللحم، وعلوفة رأس، وأجرى له في الشهر ألف درهم<sup>(٨)</sup>.

(١) السيوطي، بغية، ج ١، ص ٣٣٣.

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨١، ص ٧ (مقدمة المحقق)، سيشار له تالياً (ابن سلام، الأموال)؛ النحاس، صناعة، ص ٤٥؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢١٩٩.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٤، ص ٢٧٣؛ ابن الأنباري، نزهة، ص ١٣٩؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ٣٩٨.

(٤) ابن الأنباري، نزهة، ص ١٣٩؛ القفطي، إنباه، ج ٤، ص ٥٨؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٨٤١.

(٥) التخت: وعاء تضان فيه الثياب، وأصل الكلمة فارسي. ابن منظور، لسان، ج ٢، ص ١٨.

(٦) ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٣١١؛ محمود قمير، دراسات، ص ٢٤٢.

(٧) أبو الحسن أحمد بن القاضي الرشيد بن الزبير، الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، مراجعة صلاح الدين المنجد، دار المطبوعات والنشر، الكويت ١٩٥٩م، ص ١٢٠، سيشار له تالياً (ابن الزبير، الذخائر).

(٨) القفطي، إنباه، ج ١، ص ١٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٢٤٥.

يبدو انه - وعلى الرغم من ورود هذه النصوص - لا نستطيع الوقوف بدقة على مقدار الرزق أو الراتب الذي يُصرف لمؤدبي أولاد الخلفاء والأمراء والخاصة، غير انهم كانوا يصدقون على أولئك المؤدبين الصلات السخية والرواتب العالية. فانعكس ذلك على وضعهم المادي والاجتماعي فقد اهتم الخلفاء والأمراء والخاصة بمؤدبي أولادهم اهتماماً بالغاً، وارتفعوا بمستواهم الاجتماعي والمادي، بما يتناسب ومكانتهم من الأمراء وولاه العهود، فقد تقاضى المؤدبون رواتب عالية، اضافة إلى ما كان يمنح لهم من عطايا وهبات، وما يُخصص لهم من اجنحة في القصور، وما يُهيء لهم من وسائل الراحة وشؤون العيش الأخرى.

ويبدو أن التفاوت في الرواتب والمنح والعطايا للمؤدبين، كان مرهوناً بمكانة المؤدب العلمية والثقافية، ومتوقفاً على سخاء مستخدميهم، ولكنها كانت سخية في الغالب.

## هـ - مواد التعليم والاساليب تدريسها:

يبدو أن مواد التعليم في الكتابات الخاصة تلتقي - في الغالب - مع مواد الكتابات العامة، مع بعض الإضافات إستجابة لتوجيهات الخليفة، أو ولي الأمر، وتمشياً مع الرغبة في إعداد هذا الصبي إعداداً خاصاً، يناسب الأهداف والمسؤوليات التي ستواجهه في المستقبل<sup>(١)</sup>.

ويبدو أنه لم يكن هناك منهاج موحد ومتكامل، سار عليه الخلفاء وولاة الأمور من الأمراء والخاصة، بل كان لكل ولي أمر منهاج خاص بأبنائه، يختلف بحسب الوجهة التي تنتظره<sup>(٢)</sup>، مع المحافظة على الأمور الجوهرية التي يدرسها الصبيان في الكتابات العامة<sup>(٣)</sup>.

وفي وصايا الخلفاء والأمراء والخاصة ما يشير إلى مواد التعليم والتوجيهات التي وضعها الآباء لمؤدبي أولادهم ليسترشدوا بها في تأديبهم وتعليمهم. فقد أوصى أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٩ هـ / ٧٥٣ - ٧٧٥ م)، شرقي بن القُطامي الكلبي مؤدب ولده المهدي «أن يأخذه بحفظ أيام العرب، . . . . ورواية الأخبار، وقراءة الأشعار»<sup>(٤)</sup>. وسأل محمد بن قحطبة الكوفي (ت ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م)، عن مؤدب ليؤدب أولاده، محدداً المؤهلات العلمية للمؤدب بقوله: «أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي، حافظاً لكتاب الله، عالماً بسنة رسول الله ﷺ، وبالآثار، والفقه، والنحو، والشعر، وأيام الناس»<sup>(٥)</sup>.

وكان لعلي بن حمزة الكسائي النحوي (ت ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م)، نصيب في تعليم الأمين

(١) أحمد شلبي، التربية، ص ٦٠، عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص ٢١؛ محي السرحان، «تاريخ التعليم»، ص ٣٥، ج ٣، ص ١٥٢.

(٢) خالد الحاج، اعلام التربية، ص ٥٤.

(٣) محي السرحان، «تاريخ التعليم»، ص ١٥٢.

(٤) المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٣٩٠؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٣٨؛ الذهبي، ميزان، ج ٢، ص ٢٦٨.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٨، ص ٣٢٩.

الأدب<sup>(١)</sup>. كما علمه عبيدة بن حميد الحذاء (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٦م)، القرآن حتى بلغ معه سورة الحديد<sup>(٢)</sup>. وعندما تقدم الكسائي بالسن واصابه الوضع، اختار علي بن المبارك الأحمر النحوي (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، ليحل مكانه في تأديب أبناء الرشيد، «فكان الأحمر يلقي عليهم في كل يوم مسألتين في النحو واثنين في معاني الشعر، وأحرف من اللغة»<sup>(٣)</sup>. ويذكر بأن الخليفة الرشيد قد وضع منهجاً خاصاً للأحمر النحوي، مؤدب ولده الأمين اذ قال له: «إقرئه القرآن، وعرفه الآثار، وروه الأشعار، وعلمه السنن...» ولا تمرن بك ساعة إلا وانت مغتنم فائدة تفيده إياها، وكلمة نافعة يعيها ويحفظها، من غير أن تخرق به<sup>(٤)</sup> فتميت ذهنه، ولا تمن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه<sup>(٥)</sup>. وكان الكسائي يؤدب الأمين وأبو محمد اليزيدي (ت ٢٠٢هـ/ ٨١٧م)، يؤدب المأمون، وقد أمر الرشيد أن يأخذ على الأمين بقراءة حمزة بن حبيب الكوفي (ت ١٥٦هـ/ ٧٧٢م)، وعلى المأمون بقراءة ابن عمرو البصري (ت ١٥٩هـ/ ٧٧٥م)<sup>(٦)</sup>. وعلم اليزيدي الأمين والمأمون وهما صبيان بكلام يقصد به تعلم الفصاحة<sup>(٧)</sup>. وكان يدخل إلى المأمون في الفجر فيصلي به ويدرس عليه المأمون ثلاثين آية<sup>(٨)</sup>. أما الحسن بن زياد الؤلؤي الكوفي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، فقد اتخذ الرشيد مؤدباً للمأمون، بعد أبي محمد

(١) ابن خلكان، وفيات، ج ٣، ص ٢٩٥.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ٤٧٨.

(٣) المرزباني، نور القبس، ص ٣٠١؛ القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٣١٦؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٦٧؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٩٣؛ السيوطي، بغية، ج ٢، ص ١٥٨.

(٤) تخرق به: تتجاوز الحد إلى درجة تبث الخوف في نفسه. ابن منظور، لسان، ج ١٠، ص ٧٣.

(٥) أبو محمد أحمد بن محمد بن علي بن أعثم، الفتوح، ج ٤، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م، ج ٤، ص ٤١٨، سيشار له تالياً (ابن أعثم، الفتوح)؛ البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٥؛ المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٤٣٠ - ٤٣١؛ الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٢١٥.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١١٣؛ القفطي، إنباه، ج ٤، ص ٣٣؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ١٨٤٦؛ اليافعي، مرآة، ج ١، ص ٧٦٨.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١١٣؛ الاربلي، خلاصة، ص ٢٠٦.

(٨) المرزباني، نور القبس، ص ٨٠.

اليزيدي، فكان يُعلم المأمون «شيئاً من الفقه»<sup>(١)</sup>. ومن وصايا الامام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، لمؤدب أولاد الرشيد قال: «علمهم كتاب الله، ولا تكرهم عليه فيملوه، ولا تركهم فيهجروه، ثم زدهم من الشعر اعفه، ومن الحديث اشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يتقنوه، فإن ازدحام الكلام في السمع مصد للفهم»<sup>(٢)</sup>، وفي هذا النص ما يشير إلى الطريقة التي يتم فيها التعليم، وتسلسل المادة حسب أهميتها، ومناسبتها للحالة. وكان الرشيد معجباً بشعر أبي العتاهية (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م)، «فخرج يوماً وفي يده رقعتان على نسخة واحدة، فبعث باحدهما إلى مؤدب ولده وقال: ليروهم ما فيها»<sup>(٣)</sup>. كما أنه - اي الرشيد - بعث بابنه إلى الاصمعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، ليعلمه الأدب، ويحدثنا الاصمعي عما درسه الأمين عليه فيقول: «فاقمت معه حتى قرأ القرآن، وتفقّه في الدين، وروى الشعر، واللغة، وروى أيام الناس وأخبارهم»<sup>(٤)</sup>. وقد حفظ الأمين يوماً خطبة القاها في يوم الجمعة.<sup>(٥)</sup>

ويبدو أن الرشيد كان يحرص على حضور أبنائه لبعض مجالس النقاش والأدب بقصد التعليم، فقد قال المفضل بن محمد الضبي الكوفي اللغوي (ت ١٦٧هـ/ ٧٨٣م)، : «جاءني رسول الرشيد يوم خميس بكرة، وهو يطارح محمداً [الأمين] والمأمون معاني القرآن، فسلمت، فرد وقال: اجلس. فجلست، فقال لي: كم اسم في «فسيكفيكم الله»<sup>(٦)</sup>؟ قلت: ثلاثة أسماء يا أمير المؤمنين، أولها: اسم الله تبارك وتعالى لا اله الا هو، والثاني اسم النبي ﷺ، والثالث اسم الكفرة، فالياء والكاف المتصلتان بالسين لله عز وجل، والياء والكاف

(١) البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٨؛ رفاعي، عصر، ج ١، ص ٢١٢؛ محمد مصطفى هداره، المأمون الخليفة العالم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الاسكندرية، ١٩٦٦م، ص ٢٩، سيشار له تالياً (هدارة، المأمون).

(٢) ابن الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ١٦٩ - ١٧٠؛ ابن الجوزي، المتظم، ج ١٠، ص ١٤٠.

(٣) الاصفهاني، الاغانى، ج ٤، ص ٩٩.

(٤) التنوخي، الفرج، ج ٣، ص ١٦٣؛ الزرنوجي، تعليم، ص ٥٥؛ عبدالعزيز الدوري، العصر العباسي الاول، ط ٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٤٤، سيشار له تالياً (الدوري، العصر).

(٥) التنوخي، الفرج، ج ٣، ص ١٦٤.

(٦) سورة البقرة: آية ١٣٧.

المتصلتان بالهاء للنبي ﷺ، والهاء والميم للكفرة، فقال: كذا اخبرنا الشيخ. وأشار بيده إلى الكسائي. والتفت إلى محمد [الأمين] فقال له: افهمت، فقال: قد فهمت يا أمير المؤمنين. قال فاردد ذلك عليّ، فردّه، فقال: احسنت<sup>(١)</sup>. اما المأمون فقد اوكل إلى يحيى بن زياد الفراء النحوي (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، تعليم ابنه النحو<sup>(٢)</sup>. وقال يوماً لبعض ولده وقد سمع منه كلاماً اسرع فيه اللحن إلى لسانه: «ما على احدكم أن يتعلم العبرية فيقيم بها أوده ويزين مشهده، ويتملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه، ويقل حجج خصمه بمسكنات حكمته، أو يسير احدكم أن يكون لسانه كلسان عبده وامته فلا يزال الدهر أسير كلمته»<sup>(٣)</sup>. وكان تعليم الخط من المواد التي درسها المأمون، فقد كان لسعيد الجوهري (ت ١٩٣هـ / ٨٠٨م)، غلام قد لزم المأمون في فترة تعليمه، «فكان اذا احتاج المأمون إلى محو لوحه بادر اليه واخذ اللوح من يده فمحا»<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن بعض الخلفاء قام بتعليم القرآن والخط لبعض أولاد القصر (الامراء)، فكان المأمون يقول للمعتصم: «يا ابا اسحاق لا تؤدب هارون [الوائق] فاني ارضى ادبه، وكان قد تبنى به حتى كان يعلمه الأدب، والخط بنفسه، ويقرؤه القرآن بنفسه» وقد كان الوائق (ت ٢٢٧ - ٢٣٢هـ / ٨٤١ - ٨٤٦م)، شاعراً اديباً، حافظاً لاشعار العرب، عارفاً بالغناء، وكان يطلق عليه «المأمون الصغير»<sup>(٥)</sup>.

ويبدو اهتمام الخلفاء بالرياضة الجسمية والعقلية واضحاً. فقد تعلم هارون الرشيد في

(١) النحاس، صناعة، ص ٣٧؛ الزجاجي، مجالس، ص ٣٥ - ٣٦؛ المرزباني، نور القبس، ص ٢٧٢؛ جلال الدين السيوطي، الاشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، ج ٩، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م، ج ٥، ص ١٠٦، سيشار له تالياً (السيوطي، الاشباه).

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٤، ص ١٥٠؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٨٢؛ ابن الجوزي، المتظم، ج ١٠، ص ١٧٩؛ القفطي، إنباه، ج ٤، ص ١٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ١٧٩.

(٣) البيهقي، المحاسن، ص ٤٢٣؛ ابن عبدالبر، بهجة، ج ١، ص ٦٥؛ هذارة، المأمون، ص ٩٦.

(٤) البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٨؛ رفاعي، عصر، ج ١، ص ٣٣٤.

(٥) ابن العمراني، الانباء، ص ١١١.

صغره على ركوب الخيل والرمي بالسهم، والطعن بالرمح، والضرب بالسيف، وهو أول خليفة لعب بالصوالج والكرة، والشطرنج من بني العباس<sup>(١)</sup>. كما كان الرشيد والمأمون يحضران لسباقات الخيل، فقد روى الأصمعي أنه: «أجرى الرشيد الخيل يوماً وشارك في السباق خيل المأمون، وقد سبق خيل الرشيد والمأمون الخيول الأخرى فسر بذلك الخليفة الرشيد»<sup>(٢)</sup>. وكان المأمون يحب لعب الشطرنج ويقول فيه: «هذا يشحذ الذهن»<sup>(٣)</sup>.

وكان المؤدب يختبر الطالب قبل أن يعلمه، ليتعرف على قدرته على الفهم والحفظ من خلال المعلومات المتاحة له، فيقوم باعطائه العلوم التي تناسب ذهنه ودرجة فهمه، متدرجاً في ذلك. فيذكر أن سيار بن هانيء النظام (ت ١٦٠هـ/ ٧٧٦م)، جاء بابنه إبراهيم إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي ليعلمه، فامتحنه الخليل قبل أن يعلمه ليرى مدى ذكائه وفهمه وفي يده قدح زجاج. قال: «يا بني صف لي هذه الزجاجية، قال: أمدح أم بدم؟ قال: بمدح، قال: تريك القذا، ولا تقبل الاذى، ولا تستر ما وراءه، قال: فذمها، قال: يسرع اليها الكسر، ولا تقبل الجبر...»، فقال الخليل: يا بني، نحن إلى التعليم منك احوج»<sup>(٤)</sup>.

وقد يستأنس المؤدب برأي تلميذه ويتحسس رغبته في المواد التي يحب تعلمها، قال يعقوب بن السكيت النحوي اللغوي (ت ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م)، «أحضرت لأتخذ على المعتر

(١) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح اليعقوبي، مشكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم ملورد، ط ٢، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨٠م، ص ٢٥، سيشار له تالياً (اليعقوبي، مشكلة)؛ المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٣٥٦؛ تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، ج ٤، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٢م، ج ١، ص ١٦، سيشار له تالياً (المقرئ، السلوك)؛ السيوطي، تاريخ، ص ٢٩٥؛ السيوطي، الوصائل، ص ١٤٧ - ١٤٨؛ عبد الجبار الجومرد، هارون الرشيد (دراسة تاريخية اجتماعية سياسية)، ج ٢، المكتبة العمومية، بيروت ١٩٥٦م، ج ١، ص ٧٨، سيشار له تالياً (الجومرد، هارون).

(٢) المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٤٤٤؛ الجومرد، هارون، ج ١، ص ٢٧٧.

(٣) السيوطي، تاريخ، ص ٣٢٤.

(٤) العلموي، المعيد، ص ٥٢.

بالله... فقلت له: بأي شيء نبدا، فقال: بالخروج. فقلت: نعم. فعدا من بين يدي، وعثر على المرمر، فقال:

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فقلت للمتوكل: جثم بي لتأديبه وهو آدب مني<sup>(١)</sup>.

واتخذ بعض الخلفاء العلماء ليمتحنوا أبناءهم ليعرفوا ما اكتسبوه من العلوم ومدى حفظهم لها، فقد روي عن الكسائي أن الرشيد طلب اليه أن يختبر الأميرين - الأمين والمأمون - قال: «... ثم امرني أن استقرئهما بابواب من النحو، فما سألتهما عن شيء إلا واحسنا الجواب، والخروج منه، فقال لي: كيف تراهما، فقلت:

أرى قمري افق وفرعي بشامة يزينهما عرق كريم ومُحتد

يسدان آفاق السماء بهمة يويدها حزم ورأي وسؤدد

سليبي أمير المؤمنين وحائزي مواريث ما أبقي النبي محمد<sup>(٢)</sup>

وقال الرشيد لابي معاوية الضرير الكوفي المحدث (ت ١٩٥هـ / ٨١٠م)، وهشيم بن بشير الواسطي المحدث (ت ١٨٣هـ / ٧٩٩م) «اني اسمع من ابني هذا [يعني المأمون] كلاماً لست ادري امن تلقين القيم عليه هو، ام من قريحته؟ فادخلا اليه، فناظره واسمعا منه، واخبراني بما تقعان عليه. فدخلنا عليه وهو في اثواب صباه، فقالا له: أن أمير المؤمنين امرنا بالدخول عليك ومناظرتك، فأبي العلوم احب اليك؟ قال: امتعها لي. قالوا: وما امتعها لك؟ قال: اثبتها عن ثقة، واقربها من افهام مستمعيها. فقال له هشيم: جئناك لنعلمك فتعلمنا، ثم اخبرنا الرشيد، فقال: إن هذا شيء أوله لحقيق أن يُرجى آخره، ثم أعتق عنه مائة عبد وأمة،

(١) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٥٦؛ القفطي، إنباه، ج ٤، ص ٦٢ - ٦٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ٢، ص ١٠٦.

(٢) ابن اعمش، الفتوح، ج ٤، ص ٤١٦؛ البيهقي، المحاسن، ص ٤١٤؛ المرزباني، نور القبس، ص ٢٨٤؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٧٤٠.



والزمهما خدمته»<sup>(١)</sup>.

وركب الأمين والمأمون بعد فراغهما من سماعهما على من اجتمع من مشايخ الكوفة، إلى عبدالله بن ادريس الكوفي (ت ١٩٢هـ / ٨٠٧م)، فأسمعهما مائة حديث، فقال المأمون: «يا عم أن اردت اعدتها من حفظي، فأذن له، فأعادها من حفظه كما سمعها»<sup>(٢)</sup>.

يظهر مما سبق أن المواد التي تدرس في الكتاتيب الخاصة لم تكن موحدة لجميع أبناء الخلفاء والامراء والخاصة، وانما كانت تختلف باختلاف ولاية الامور بما يراه كل منهم مناسباً لتعليم ابنه، وحسب الوجهة التي تنتظره في المستقبل، وقد كانت مشاركة اولياء الامور في وضع المنهاج واضحة، وكذلك ارشاد المؤدب إلى الطرق التي يراها مناسبة في تعليمه وتأديبه، وتأكيد على اتباعها في الوقت الذي كان فيه اختبار الأبناء لمعرفة ما اكتسبوه من علوم ومعارف، ومدى حفظهم لها، ومن خلال البوصايا الموجهة من قبل اولياء الامور من الخلفاء والامراء والخاصة للمؤدبين، يمكن استخلاص المواد التي درُست في الكتاتيب الخاصة وهي: القرآن، والسنن، والآثار، والفقه، وأيام العرب، والنحو، والشعر، والخط، وانساب العرب، والخطب، والمغازي، فضلاً عن تعليمهم انواع الرياضة، الجسمية والعقلية، كتعليم الرماية، وركوب الخيل، واللعب بالشطرنج.

ويمكن استخلاص طرق واساليب التعليم التي اكدت ضرورة التسلسل في عرض المادة حسب اهميتها، وعدم اخراج الطالب من علم إلى آخر حتى يتقنه، والتعرف على قدرة الطالب قبل تعليمه، واستخدام الاختبارات للتأكد من استيعاب المتعلم للمادة المعطاة له، كما اكدت على التعزيز المادي والمعنوي للطالب وضرورة استغلال الوقت بالشكل المناسب.

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٥٠.

(٢) النووي، تهذيب، ج ٢، ق ١، ص ٤٨؛ الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٢٨١؛ المقدسي الحنبلي، الآداب الشرعية، ج ٢، ص ٤٩؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢١٧؛ هدارة، المأمون، ص ٢٩.

## ٦- الجانب السلوكي:

يبدو أن التعليم في الكتابات الخاصة، لم يقتصر على الجانب العلمي والثقافي، بل شمل أيضاً الجانب السلوكي، فقد نصح الخلفاء والأمراء والخاصة، مؤدبي أبنائهم، أن يهتموا بالجانب السلوكي في تأديب أولادهم، يبدو ذلك من خلال الوصايا التي بعثوا بها إلى مؤدبي أولادهم. فقد ضم أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٩ هـ / ٧٥٣ - ٧٧٥ م)، شرقي بن القطامي، إلى ابنه المهدي وأوصاه أن يعلمه مكارم الأخلاق<sup>(١)</sup>. وتوفي إبراهيم بن يحيى بن خالد البرمكي وسنه تسع عشرة سنة، فاحضر يحيى بن خالد مؤدب إبراهيم وبعضاً من كتاب إبراهيم وأصحابه، فقال لهم: «ما حال إبراهيم؟ قالوا: قد بلغ من الأدب كذا، قال: ما عن هذا سألت، انما سألت: هل اتخذتم له في اعناق الرجال منناً، وحييتموه الى الناس؟ قالوا: لا، قال: فبئس العشراء انتم! وهو إلى هذا احوج مما فعلتم»<sup>(٢)</sup>. وقال الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي الوزير (ت ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م)، لهشيم بن بشير الواسطي المحدث: «ليكن اكثر ما تأخذ به ولي العهد، تعظيم الدماء، فاني احب أن يشرب الله قلبه الهية لها والعفاف عن سفكها»<sup>(٣)</sup>. وارسل الرشيد إلى الأحمر النحوي (ت ١٩٤ هـ / ٨٠٩ م)، فلما دخل عليه، قال: «يا أحمر أن أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه، وثمره قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين. وبصره بمواقع الكلام، ومره بالريانة في مجلسه والاقتصاد في نظره وسمعه»<sup>(٤)</sup>. وعندما احضر الرشيد الاصمعي (ت ٢١٦ هـ / ٨٣١ م)، لتعليم الأمين، قال

(١) المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٣٩٠؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٣٨؛ الذهبي، ميزان، ج ٢، ص ٢٦٨؛ أحمد أمين، ضحى، ج ٢، ص ٥٤.

(٢) الجهشيارى، الوزراء، ص ١٨٠.

(٣) ابن اعثم، الفتوح، ج ٤، ص ٤٢٠؛ البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٥.

(٤) ابن اعثم، الفتوح، ج ٤، ص ٤١٨؛ البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٥؛ المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٣٤٠ - ٣٤١؛ الشريشي؛ شرح، ج ٥، ص ٢١٥؛ رفاعي، عصر، ج ١، ص ١٧٤؛ أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي، ط ٣، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٦٤ م، ص ٣٣٨، سيشار له تالياً (أبو زيد شلبي، تاريخ).

له: «إعلم، أن ولد الرجل مهجة قلبه، وثمره فؤاده، وهو ذا أسلم اليك ابني محمداً بامانة الله، فلا تُعلمه ما يفسد عليه دينه، فلعله أن يكون للمسلمين إماماً»<sup>(١)</sup>. ومما يظهر اهتمام الرشيد بكمارم الأخلاق، وضرورة اتصاف أبنائه بها ما طلبه من أبي يوسف القاضي (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م)، أن يصف أخلاق أبي حنيفة، فقال أبو يوسف: «انه كان شديد الذب عن محارم الله... شديد الورع... دائم الفكر، على علم واسع، لم يكن مهذاراً ولا ثرثاراً... صائناً لنفسه ودينه، بذولاً للعلم... لا يميل إلى طمع، بعيد الغيبة، ولا يذكر أحداً إلا بخير، فقال له الرشيد: هذه أخلاق الصالحين، وقد طلب من كاتبه أن يكتب هذه الصفات ويرسلها إلى أولاده لينظروا فيها ويحفظوها»<sup>(٢)</sup>. و «تنازع أبناء المأمون على نعلي الفراء أيهما يقدمه، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فرداً... وقد قال الفراء للمأمون: «يا أمير المؤمنين، لقد أردت منعهما عن ذلك، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها وأكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها... فقال له المأمون: لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوماً وعتياً، وألزمتك ذنباً، وما وضع ما فعلاه من شرفهما، بل رفع من قدرهما وبين عن جوهريهما... فليس يكبر الرجل وإن كان كبيراً عن ثلاث: عن تواضعه لسلطانه، ولوالده، ولعلمه العلم»<sup>(٣)</sup>. وأدب أبو عصيدة، احمد ابن عبيد بن ناصح النحوي (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)، ولد المتوكل المعتز، فلما أراد المتوكل أن يوليئه العهد عمل أبو عصيدة على التقليل من منزلته، وتأخير غدائه وأمر الخادم بضربه بغير ذنب، ولما سأل المتوكل: لم فعلت هذا بالمعتز؟ قال: بلغني ما عزم عليه أمير المؤمنين، فحططت منزلته ليعرف هذا المقدار فلا يعجل بزوال نعمة أحد، وأخرت غدائه ليعرف الجوع إذا شكى إليه، وضربته بغير ذنب ليعرف مقدار الظلم، فلا يعجل على أحد. فقال: أحسنت،

(١) التنوخي، الفرج، ج ٣، ص ١٦٣؛ الدوري، العصر، ص ١٤٥.

(٢) الموفق المكي، مناقب، ص ١٨١ - ١٨٢؛ حسين بن محمد وادران، تاريخ العباسيين، تحقيق المنجي الكعبي، ط ١، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٩٣م، ص ٩٩ - ١٠٠، يشير له تالياً (ابن وادران، تاريخ).

(٣) ابن الانباري، نزهة، ص ٨٢ - ٨٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١٧٩؛ القفطي، إنباه، ج ٤، ص ١٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ١٧٩؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

وأمر له بعشرة الاف درهم<sup>(١)</sup>.

يظهر مما سبق أن مهمة المؤدين في تعليمهم لأبناء الخاصة، لم تقتصر على الجانب العلمي فقط، بل تعدى بهم إلى تعليمهم التقيد بأوامر الدين الحنيف، والالتزام بمكارم الأخلاق التي حث عليها الاسلام، وكذلك غرس الاداب والعادات الحسنة في نفوسهم المتعلقة بنظافة عقولهم وقلوبهم، ظهر ذلك على شكل وصية أو كتاب بعث بها اولياء الامور إلى مؤدبي أبنائهم، وقد ركزوا على الجانب السلوكي تركيزهم على الجانب العلمي، لأهمية ذلك في حياتهم، وبما ينتظرهم في مستقبلهم.

## ٧- اوقات التعليم:

ما يميز التعليم في الكتاتيب الخاصة هو أن المؤدب كثيراً ما يُخصص له جناحاً خاصاً في القصر الذي يعيش فيه ليكون اشرافه على ابن الخليفة أو ابن الأمير احكم واشمل<sup>(٢)</sup>. فقد افرد محمد بن عبدالله بن طاهر (ت ٢٥٣هـ / ٨٦٧م)، لأحمد بن يحيى أبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ / ٩٠٣م)، داراً في بيته أو منزله<sup>(٣)</sup>. ومع ذلك ترد إشارات قليلة إلى اوقات الدرس، واوقات الفراغ بالنسبة لتأديب أبناء الخلفاء والامراء والخاصة. فيبدو أن فترة الصباح وفترة آخر النهار، كانت اوقاتاً مناسبة للتعليم. فقد ذكر ذلك الكسائي (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م)، في تأديبه للأمين والمأمون<sup>(٤)</sup>. وكان أبو محمد اليزيدي (ت ٢٠٢هـ / ٨١٧م)، يدخل إلى المأمون مع الفجر فيعلمه القرآن<sup>(٥)</sup>. وقد تمتد الفترة لتشمل ساعات النهار، فقد كان أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ / ٩٠٣م)، يجلس لتدريس طاهر بن محمد بن عبدالله «أربع ساعات في النهار»<sup>(٦)</sup>.

(١) السيوطي، بنية، ج ١، ص ٣٣٣.

(٢) أحمد شلبي، التربية، ص ٥٩.

(٣) القفطي، إنباه، ج ١، ص ١٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٥٤٥؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٥٩؛ متز، الحضارة، ج ١، ص ٣٤٦ - ٣٤٧.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٧٤٠.

(٥) المرزباني، نور القيس، ص ٨٠.

(٦) القفطي، إنباه، ج ١، ص ١٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٥٤٥.

ومما يشير إلى أوقات الراحة واللهو واللعب، ما قاله خلف الأحمر النحوي (ت ١٩٤هـ/ ٣٠٩م)، في تأديبه للأمين: «فكنت كثيراً ما أشدد عليه في التأديب، وأمنعه الساعات التي يتفرغ للهو واللعب»<sup>(١)</sup>.

ويبدو أنه لم يكن هناك تهاون في التزام الأمير بوقت الدرس. فقد ضرب أبو محمد اليزيدي (ت ٢٠٢هـ/ ٨١٧م)، المأمون بالدرة لتأخره عن حضور الدرس في وقته<sup>(٢)</sup>.

## ٨- سن التعليم:

يبدو أن الخلفاء والأمراء والخاصة، حرصوا على تربية أبنائهم تربية سليمة وصحيحة ومستكملة لمبادئ الثقافة. فعندما يُفطم الطفل من الرضاع، ويشد عظمه، ويستوي لسانه ويتوعى سمعه وفهمه، كانوا يختارون له مربياً يقوم على تربيته وتنشأته، تنشأة سليمة تناسب والمهمات الملقاة على عاتقه في مستقبله<sup>(٣)</sup>. فتيهاً بعدها لمرحلة التعليم التي تشمل العلوم والمعارف العقلية والجسمية والنفسية. وربما استعان بعض الخلفاء ببعض الثقات من رجال دولتهم للإشراف على تربية أبنائهم. فقد عهد المهدي إلى يحيى بن خالد البرمكي (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٥م)، ابنه الرشيد، ليتعهد به ويثقفه ويُعلمه الأدب، ويُعرفه الأمور<sup>(٤)</sup>. كما جعل الرشيد محمد الأمين في حجر الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي، وزير الرشيد، (ت

(١) ابن اعثم، الفتوح، ج ٤، ص ٤١٨؛ البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٥.

(٢) البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٧ - ٥٧٨؛ الزبيدي، طبقات، ص ٦٣؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٠، ص ١٨٤ - ١٨٥؛ أبو الفرج، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، الاذكياء، تحقيق اسامه عبدالكريم الرفاعي، ط ٢، دار الحضارة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦م، ص ٢٤٣، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، الاذكياء)؛ الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٣٥؛ القفطي، إنباء، ج ٤، ص ٣٥؛ السبوطي، تاريخ، ص ٣١٤.

(٣) محي السرحان، «تاريخ التعليم»، ص ١٥١.

(٤) الذهبي، سير، ج ٩، ص ٨٩؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢١٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ١، ص ٣٢٧؛ طلب صبار محل، رسوم دار الخلافة في العصر العباسي الاول ١٣٢ - ٢٤٧هـ، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة صلاح الدين، ١٩٨٩م، ص ٧٢، سيشار له تالياً (طلب صبار، رسوم).

١٩٢هـ / ٨٠٧م<sup>(١)</sup>، والمأمون في حجر سعيد الجوهري (ت ١٩٣هـ / ٨٠٨م)<sup>(٢)</sup>، وجعل الأمين ولده موسى في حجر علي بن عيسى من ماهان (ت ١٨٧هـ / ٨٠٢م)<sup>(٣)</sup>.

ولا تتوافر نصوص تبين السن التي كان ينبغي أن يبلغها ابن الخليفة حتى يكلف أحد المؤيدين ليقوم بتأديبه سوى إشارتين:

الأولى: «لما تولى أبو جعفر المنصور على الجزيرة ضم أبا سعيد<sup>(٤)</sup> إلى المهدي، والمهدي يومئذ ابن عشر سنين أو نحوها، فقدم معه إلى بغداد»<sup>(٥)</sup>.

والثانية: عن أشجع<sup>(٦)</sup> قال: «دخلت على محمد الأمين حين أجلس مجلس الأدب للتعليم، وهو ابن أربع سنين»<sup>(٧)</sup>. ويبدو أن نشأة الأمين المترفة، بحكم محيطه الذي تربى فيه، جعل والده يعني بتثقيفه في سن مبكرة، وذلك قبل أن يبلغ الخامسة<sup>(٨)</sup>.

ومع حرص الخلفاء على تعليم أبنائهم تعليماً مناسباً يليق بمكانتهم، إلا أننا نجد أن الخليفة المعتصم كان أمياً. وكان سبب ذلك «أنه كان يتردد معه إلى الكتاب غلام، فمات الغلام، فقال له أبوه الرشيد: ما فعل غلامكم؟ قال: مات فاستراح من الكتاب، فقال

(١) ابن اعثم، الفتوح، ج ٨، ص ٤٢٠؛ البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٥؛ طلب صبار، رسوم، ص ٧٢.

(٢) البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٧؛ ابن الجوزي، الأذكياء، ص ٢٤٣؛ الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٣٤؛ القفطي، إنباه، ج ٤، ص ٣٥؛ السيوطي، تاريخ، ص ٣١٤.

(٣) ابن اعثم، الفتوح، ج ٨، ص ٤٢٠؛ طلب صبار، رسوم، ص ٧٢.

(٤) أبو سعيد محمد بن مسلم بن أبي الوضاح، المؤدب ببغداد، روى عن الكثير، وكان مؤدباً لموسى الهادي، توفي ببغداد عام ١٦٩هـ / ٧٨٥م. الذهبي، العبر، ج ١، ص ١٩٨.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٢٣٦.

(٦) أبو الوليد، أشجع بن عمرو السلمي الشاعر، نشأ باليمامة، ثم مات أبوه فقدمت به أمه إلى البصرة. الأصفهاني، الأغاني، ج ١٨، ص ١٤٣.

(٧) المصدر نفسه، ج ١٨، ص ١٥٦.

(٨) الدوري، العصر، ص ١٤٥.

الرشيد: وقد بلغ منك كراهة الكُتَّاب إلى أن تجعل الموت راحة منه؟ والله يا بني لا تذهب بعد اليوم إلى الكُتَّاب»<sup>(١)</sup>.

## ٩- التأديب (العقاب والثواب):

يبدو أن الخلفاء والامراء والخاصة لم يمانعوا في معاقبة المؤدبين لأبنائهم على أن يبدأ ذلك بالنصح واللين. فقد ورد في وصية الرشيد لخلف الأحمر النحوي (ت ١٩٤هـ / ٨٠٩م)، مؤدب ولده «وقوم ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة»<sup>(٢)</sup>. وفي هذا نجد ضرورة التدرج في العقاب.

ويبدو أن هذه التربية كانت تجري وفق منهاج صارم ودقيق ودونما تساهل. يقول الأحمر: «وكن كثيرًا ما أشدد على الأمين في التأديب، وأمنعه الساعات يتفرغ فيها للهو واللعب، فشكا ذلك إلى خالصة»<sup>(٣)</sup>، فأتتني برسالة من أم جعفر<sup>(٤)</sup> تُعزم عليّ بالكف عنه، وأن أجعل له وقتاً اجمه فيه لتوديع بدنه، فقلت: الأمير قد عظم قدره وبعد صوته، وموقعه من أمير المؤمنين ومكانه من ولاية العهد لا يحتملون التقصير، ولا يقبل منه الخطل، ولا يرضى منه بالزلل في المنطق والجهل بالشرائع، والعمى عن الأمور التي فيها قوام السلطان واحكام السياسة، قالت: صدقت، غير انها والددة لا تملك نفسها»<sup>(٥)</sup>.

(١) الجاحظ، البيان، ج ١، ص ٢٥٢؛ ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج ٣، ص ١٢١؛ الجرجاني، المنتخب، ص ١٥١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٢٧؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٣٠٨؛ القرماني، أخبار، ج ٢، ص ١٠٠؛ وانظر: ابن عبدربه، العقد، ج ٢، ص ٢٧٥؛ ابن حزم الاندلسي، رسائل، ج ٢، ص ١٥٠؛ ابن العمراني، الانباء، ص ١٠٧؛ الكتبي، فوات، ج ٤، ص ٤٩؛ ابن دقماق، الجوهر، ج ١، ص ١٣٩.

(٢) البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٥؛ المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٤٣١؛ الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٢١٥؛ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، ج ٢، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٧م، ج ٢، ص ٣٧٠، سيشار له تالياً (ابن الأزرق، بدائع).

(٣) قد تكون كبيرة وصيفات أو أمينات القصر الزبيدي.

(٤) زبيدة بنت أبي جعفر المنصور وزوجة هارون الرشيد وأم ولده الأمين، توفيت سنة ٢١٦هـ / ٨٣١م. الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٤، ص ٤٣٣.

(٥) ابن اعثم، الفتوح، ج ٤، ص ٤١٨؛ البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٥.

وضرب أبو مريم - مؤدب الأمين والمأمون - الأمين بعود، فخدش ذراعه، ثم جلس الأمين مع الرشيد إلى الطعام، فتعمد أن حصر عن ذراعه، فرآه الرشيد، فسأله فقال: ضربني أبو مريم، فبعث إليه ودعاه. قال: فخفت، فلما حضرت قال: يا غلام وضئه، فسكنت وجلست آكل، فقال: ما بال محمد يشكوك؟ فقلت: قد غلبني خبثاً وعرامة! قال: اقتله فلأن يموت خير من أن يموت<sup>(١)</sup>.

واستخدم المؤدبون الدرّة في عقاب أبناء الخلفاء والخاصة، فيذكر أن أبا محمد اليزيدي (ت ٢٠٢هـ / ٨١٧م)، مؤدب المأمون أتى يوماً المكان الذي يقابله فيه، ثم وجه إليه بعض غلمانه ليبلغه بقدمه ليحضر فتأخر في الحضور، فوجه إليه ثانياً فتأخر أيضاً، فلما جاء امر بحمله وضربه سبع درر، قال: «فانه ليدلك عينه من اثر البكاء»<sup>(٢)</sup>. وقال أبو محمد اليزيدي: «صليت يوماً قاعداً فأخطأ المأمون، فقمّت لأضربه، فقال: أيها الشيخ، أطيع الله قاعداً وتعصيه قائماً؟!»<sup>(٣)</sup>. وعلم محمد بن عبد الله بن قادم النحوي (ت ٢٥١هـ / ٨٦٥م)، المعتز قبل الخلافة «وكان يعسف عليه في تأديبه»<sup>(٤)</sup>. وضرب أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي (ت ٢٧٣هـ / ٨٨٦م)، المعتز - وقد كان مؤدبه - من غير ذنب وأخر عنه غداه، وقد شجّعه المتوكل بعد أن عرف العلة التي دفعت إلى ضربه<sup>(٥)</sup>.

وإذا سمح الخلفاء للمؤدبين بانزال العقاب بأبنائهم إن احتاجوا للعقاب، فانهم بالمقابل حرصوا على اثابة أبنائهم مستخدمين صنوف التقدير، كالمدح والتشجيع، أو المكافأة مادياً على

(١) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٥٣، والموق: الحسمق في غباوة، ابن منظور، لسان، ج ١٠، ص ٣٥٠.

(٢) الزبيدي، طبقات، ص ٦٣؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٠، ص ١٨٤ - ١٨٥؛ ابن الجوزي، الاذكياء، ص ٢٤٣؛ السيوطي، تاريخ، ص ٣١٤؛ وانظر: البيهقي، المحاسن، ص ٥٧٧ - ٥٧٨؛ الشريشي، شرح، ج ٥، ص ٣٥؛ القفطي، إنباه، ج ٤، ص ٣٥.

(٣) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٥٦.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص ١٣٤.

(٥) السيوطي، بغية، ج ١، ص ٣٣٣.



كل ما يبرز منهم من نبوغ في مجالس الدرس أو ما يظهرونه من سلوك حسن . فمن مظاهر تكريم الرشيد لابنه الأمين أن نثر الدنانير والدراهم على الخاصة والعامة ممن حضر حفلاً أقامه الرشيد لقاء خطبة القاها الأمين في يوم الجمعة بعد أن حفظه إياها الأصمعي<sup>(١)</sup> .

وأعتق الرشيد مائة عبد وأمة وألزمهم خدمة المأمون لتفوقه في مناظرة أبي معاوية الضرير وهشيم بن بشير الواسطي له بأمر من الرشيد<sup>(٢)</sup> . وأمر المأمون بعشرين ألف دينار لابنيه عندما اختلفا على تقديم نعلي الفراء - مؤدبهما - ثم اتفقا على أن يقدم كل منهما فرداً<sup>(٣)</sup> . وفي هذا دليل على اهتمام الخلفاء بالجانب السلوكي إلى جانب اهتمامهم بالجانب العلمي والثقافي . وعندما حفظ المعتز، ابن الخليفة المتوكل القرآن الكريم، أقام المتوكل حفلاً كبيراً، وزع فيه آلاف الدراهم والدنانير على من حضر هذا الحفل من القادة والمؤدين والعلماء والاعيان<sup>(٤)</sup> .

(١) التنوخي، الفرج، ج ٣، ص ١٦٤؛ الأبراشي، تاريخ علماء، ص ٥٧ .

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٥٠ .

(٣) ابن الأنباري، نزهة، ص ٨٢ - ٨٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١٧٩؛ القفطي، إنباه، ج ٤، ص ١٨؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٤) القفطي، إنباه، ج ٤، ص ٦٣ - ٦٤؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٨٤١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ٢، ص ١٠٦ .

## الفصل الثالث

### حقوق التعليم ومجالاته

## أولاً : معنى الحلقة والمجلس:

الحلقة في اللغة، «كل شيء استدار كحلقة الحديد، والفضة، والذهب، وذلك هو في الناس، والجمع حِلَاق وحِلَقٌ وحَلَقٌ. وتحلَّق القوم: جلسوا حلقة حلقة»<sup>(١)</sup> وفي الحديث: «لا حمى إلا في ثلاث: البثر، وطول الفرس، وحلقة القوم إذا جلسوا»<sup>(٢)</sup> وفي قوله ﷺ: «الجالس وسط الحلقة ملعون لأنه إذا جلس في وسطها استدبر بعضهم بظهره فيؤذيهم بذلك فيسبون ويلعنونه»<sup>(٣)</sup> وكان رسول الله ﷺ إذا جلس، جلس إليه أصحابه حلقاً حلقاً<sup>(٤)</sup> واستعمل الفرزدق (ت ١١٠هـ / ٧٢٨م)، حلقة في حلقة القوم قائلاً:

يا أيها الجالس وسط الحلقة أفي زنا قُطِعتَ أم في سرقة<sup>(٥)</sup>

وقال ابن الأعرابي<sup>(٦)</sup> (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م): «هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أيها طرفها»، ويضرب مثلاً للقوم إذا كانوا مجتمعين مؤتلفين كلمتهم وأيديهم واحدة<sup>(٧)</sup> وقال الأصمعي (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م): «حلقة من الناس ومن حديد»<sup>(٨)</sup> ويرى الماوردي (ت ٤٥٠هـ /

(١) ابن منظور، لسان، ج ١٠، ص ٦١.

(٢) يعقوب بن ابراهيم أبو يوسف القاضي، كتاب الخراج، ط ٥، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١١٠، سيشار له تالياً (أبو يوسف القاضي، الخراج)؛ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ص ٢٣٨، سيشار له تالياً (الماوردي، الاحكام)؛ ابن منظور، لسان، ج ١٠، ص ٦٢؛ المقدسي الحنبلي، الآداب الشرعية، ج ٣، ص ٤٠١.

(٣) أبو داود، سنن، ج ٢، ص ٦٧٤؛ الترمذي، سنن، ج ٥، ص ٨٤.

(٤) نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ١٠، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦م، ج ١، ص ١٣٧، سيشار له تالياً (الهيثمي، مجمع)؛ عبدالحكي الكتاني، التراتيب، ج ٢، ص ٢١٧.

(٥) ابن منظور، لسان، ج ١٠، ص ٦٢؛ رناد الخطيب، «المؤسسات»، ص ١٤.

(٦) محمد بن زياد، أبو عبدالله بن الاعرابي، من موالى بن هاشم، نحوياً عالماً باللغة والشعر، راوية للشاعر حسن الحفظ لها. السيوطي، بغية، ج ١، ص ١٠٦.

(٧) ابن منظور، لسان، ج ١٠، ص ٦٢.

(٨) المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٦١.

١٠٥٨م): «أن حلقة القوم هي استدارتهم في الجلوس للتشاور والحديث». (١)

وهناك روايات تشير إلى استدارة الحلقة. فقد قال يعقوب الأنصاري: «كانت حلقة رسول الله ﷺ لتشتبك حتى تصير كالإسوار». (٢) وإن كانت هذه الرواية تشير إلى اكتمال دائرة الحلقة، فإن ذلك لا يعني أن كل الحلقات كانت كاملة الاستدارة، فقد كان بعضها على شكل أنصاف دوائر، فقد كان العالم يتخذ موضعه إلى جوار إحدى سواري المسجد ثم يتحلق من أمامه ومن جوانبه الطلاب على شكل أنصاف دوائر. (٣)

أما المجلس، فهو موضع الجلوس، (٤) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾. (٥) والمجلس: جماعة جلوس. (٦) «دخل رسول الله ﷺ المسجد فرأى مجلسين، أحدهما يذكر الله، والآخر يتعلمون الفقه...». (٧) وأنشد أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ / ٩٠٣م):

لهم مجلسٌ صهب السبال أذلةً      سواسيةً أحرارها وعبيدها. (٨)

(١) الماوردي، الاحكام، ص ٢٣٨. George Makdisi, the Rise of Colloges, P.17.

(٢) ابن عساكر، تهذيب، ج ٧، ص ٢٤٤.

(٣) بليغ، «المسجد»، ص ٢٢٧.

(٤) ابن منظور، لسان، ج ٦، ص ٣٩.

(٥) سورة المجادلة: آية ٥٨.

(٦) ابن منظور، لسان، ج ٦، ص ٤٠.

(٧) ابن ماجه، سنن، ج ١، ص ٨٣؛ السمرقندي، تنبيه، ص ٣٣٤؛ عبدالحكي الكتاني، التراتيب، ج ٢، ص ٢١٩؛ عبدالعزيز محمد اللميلم، رسالة المسجد في الاسلام، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩١م، ص ١٣٠، سيشار له تالياً (اللميلم، رسالة).

(٨) ابن منظور، لسان، ج ٦، ص ٤٠.

ويطلق المجلس على مكان جلوس العالم وحلقته في المسجد،<sup>(١)</sup> فقد سأل أبو عبيدة<sup>(٢)</sup> (ت ٢٠٩هـ / ٨٢٤م)، عن مجلس الأصمعي في أي يوم هو؟، فركب حماره في ذلك اليوم ومرّ بحلقة الأصمعي، فنزل عن حماره، وسلم عليه وجلس عنده وحادثه<sup>(٣)</sup>.

وتنوعت المجالس لتشمل الحديث، والفقه، واللغة، والنحو، والشعر، والمناظرة، والفنون، والقصص.<sup>(٤)</sup>

وتتعدد حلقات العلم في المسجد الواحد، فقد كان الأسود بن سريع (ت ٤٢هـ / ٦٦٢م)، يقص في مسجد البصرة، وقد اجتمع عليه أهل المسجد، وخلفه من أهل الفقه جلوس في ناحية أخرى، يتحدثون الفقه ويتذكرون<sup>(٥)</sup>. وكان حماد بن سلمة البصري النحوي (ت ١٦٩هـ / ٧٨٥م)، يمر بالحسن البصري (ت ١١٠هـ / ٧٢٨م)، في الجامع فيدعه، ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم<sup>(٦)</sup>. وجلس محمد بن منذر النحوي (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م)، في المسجد، وجلس إليه قوم يأخذون عنه النحو، فجلس عتبة النحوي قريباً من حلقة، فتقوض الناس إليه وتركوا ابن منذر<sup>(٧)</sup>. وتحدث أبو عمرو، صالح بن إسحق الجرمي

(١) عامر جادالله، التربية، ص ٩١.

(٢) أبو عبيدة، معمر بن المنى التيمي بالولاء لتيم قريش، البصري النحوي اللغوي، العالم بالانساب والايام، السيوطي، بغية، ج ٢، ص ٢٩٤.

(٣) القفطي، إنباه، ج ٣، ص ٢٧٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٥، ص ٢٣٧.

(٤) أورد الزجاجي في كتابه (مجالس العلماء)، ١٥٦ مجلساً في مختلف مواضيع التعليم شملت فترة صدر الاسلام والعصر العباسي الاول.

(٥) السمرقندي، تنبيه، ص ٣٣٣.

(٦) الزبيدي، طبقات، ص ٥١؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ٥٤٨.

(٧) الاصفهاني، الاغانى، ج ١٨، ص ١١٦؛ نور الدين علي بن الوزير أبي عمران، المرقصات المطربات، دار حمدو محيو، القاهرة ١٩٧٣م، ص ١٦٩، سيشار له تالياً (ابي عمران، المرقصات).

البصري النحوي (ت ٢٢٥هـ / ٨٣٩م)، قائلاً: «رأيت يونس النحوي»<sup>(١)</sup> وهو بحلقة من حلاق المسجد»<sup>(٢)</sup>. وكان أبو عبيدة النحوي اللغوي (ت ٢٠٩هـ / ٨٢٤م)، يجلس في مسجد البصرة إلى سارية، وأبو محمد اليزيدي (ت ٢٠٢هـ / ٨١٧م)، وخلف الأحمر (ت ١٩٤هـ / ٨٠٩م)، يجلسون إلى أخرى<sup>(٣)</sup>. وعندما قدم الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، بغداد سنة ١٩٥هـ / ٨١٠م، كان في مسجدھا الجامع ما يقارب الخمسين حلقة<sup>(٤)</sup>. وألف رجل حلقة الأصمعي (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م)، ثم تركھا وألف حلقة أبي زيد الأنصاري البصري النحوي (ت ٢١٥هـ / ٨٣٠م)<sup>(٥)</sup>.

وتتعدد العلوم في الحلقة الواحدة، أو المجلس الواحد، فقد كان الناس يجتمعون إلى الحسن البصري (ت ١١٠هـ / ٧٢٨م)، يأخذون عنه الحديث، والفقه، وعلوم القرآن، وعلوم اللغة والأدب<sup>(٦)</sup>. وقال عطاء بن أبي رباح (ت ١١٧هـ / ٧٣٥م): «ما رأيت مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس... أصحاب القرآن عنده، وأصحاب الفقه عنده، وأصحاب الشعر عنده، يُصدّروهم كلهم في واد واسع»<sup>(٧)</sup>. وقال الكرايسي<sup>(٨)</sup> (ت ٢٤٨هـ / ٨٦٢م): «ما رأيت مجلساً قط أنبل من مجلس الشافعي، كان يحضره أهل الحديث، وأهل الفقه، وأهل

(١) أبو عبدالرحمن، يونس بن حبيب النحوي (ت ١٨٣هـ / ٧٩٩م). وكان من أهل واسط. الزبيدي، طبقات، ص ٥١.

(٢) السيرافي، أخبار، ص ٨٥.

(٣) أحمد أمين، ضحى، ج ٢، ص ٥٣.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٢، ص ٦٨ - ٦٩.

(٥) السيرافي، أخبار، ص ٧٨؛ ابن الأنباري، نزہة، ص ٩٧.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٧٩١؛ الديوه جي، التربية، ص ٦١.

(٧) الديوه جي، التربية، ص ٦١.

(٨) أبو علي، الحسين بن علي بن يزيد الكرايسي، كان اماماً جليلاً جامعاً بين الفقه والحديث. السكبي، طبقات، ج ٢، ص ١١٧.

الشعر، وكان يأتيه كبار أهل اللغة، والشعر»<sup>(١)</sup>. وكان أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، يُدرّس الناس في المسجد الجامع بالبصرة القراءات، والتفسير، والعروض<sup>(٢)</sup>. أما مجلس محمد بن عامر الأصبهاني (ت ٢٦٧هـ / ٨٨٠م)، فقد كانت تجري فيه فنون العلم، والحديث، والفقه، والنحو، والغريب، والشعر<sup>(٣)</sup>.

(١) النوي، تهذيب، ج ١، ص ٦٤.

(٢) المرزباني، نور القبس، ص ٢٢٥.

(٣) السيوطي، بغية، ج ١، ص ١٢٤.

## ثانياً : أماكن انعقاد حلقات ومجالس العلم وموضوعاتها:

### أ- المسجد:

ارتبط تاريخ التعليم بالمسجد، في الدولة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً، وذلك أن وظيفته - كما ورد<sup>(١)</sup> - لم تقتصر على الجانب الديني وحده؛ وإنما امتدت لتشمل مهمة التربية ورسالة التعليم. وقد كان الرسول ﷺ يحث المسلمين على التعلم، والتعليم في المسجد، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «من جاء مسجدنا هذا يتعلم خيراً أو يُعلمه، فهو كالمجاهد في سبيل الله»<sup>(٢)</sup>. وقوله ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»<sup>(٣)</sup>. وعن واقد بن الحارث بن عون (رضي الله عنه) قال: «بينما هو جالس في المسجد، والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى الرسول ﷺ، فأما أحدهما، فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر، فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً. فلما فرغ رسول الله ﷺ، قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه»<sup>(٤)</sup>. لذلك كان المسجد ومنذ أن نشأ مكاناً لانعقاد حلقات ومجالس العلم، وعلى مر

(١) انظر الفصل الاول (المسجد).

(٢) ابن ماجه، سنن، ج ١، ص ٨٢ - ٨٣؛ وانظر: محمد بن عبدالله بن محمد الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ج ٤، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٠م، ج ١، ص ٩١، سيشار له تالياً (الحاكم النيسابوري، المستدرک)؛ الزركشي، اعلام الساجد، ص ٣٢٨؛ الهيثمي، مجمع، ج ١، ص ١٢٨.

(٣) أبو داود، سنن، ج ١، ص ٤٦٠؛ وانظر: عبدالحی الكتاني، التراتيب، ج ٢، ص ٢٢١.

(٤) البخاري، صحيح، ج ٢، ص ٢٥ - ٢٦؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم بشرح الامام النووي، ج ١٨، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، د.ت، ج ١٤، ص ١٥٨ سيشار له تالياً (البخاري، صحيح)؛ وانظر: السمرقندي، تنبيه، ص ٣٤٣؛ الغزالي، ايها الولد، ص ٥٩.



السنين، وفي مختلف البلاد الإسلامية دون انقطاع<sup>(١)</sup>، وقد ازداد عددها واتسع نطاقها وتنوعت موضوعاتها. فكان المسجد معهداً لتعليم القرآن وتعلمه، وفهم آياته وأحكامه. فقد دخل الكسائي (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م)، الكوفة، فجاء إلى أحد مساجدها فكان حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ / ٧٧٢م)، يُقرئ فيه<sup>(٢)</sup>. وجلس يونس بن حبيب النحوي (ت ١٨٣هـ / ٧٩٩م)، في حلقة من حلقات المسجد، فسأله أبو عمرو الجرمي النحوي (ت ٢٢٥هـ / ٨٣٩م)، عن آية من القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>. وكان أبو محمد اليزيدي (ت ٢٠٢هـ / ٨١٧م)، يجلس في أيام الرشيد مع الكسائي، في مجلس واحد يقرئان الناس<sup>(٤)</sup>. وكان الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، يجلس في حلقة إذا صلى الصبح فيجئته أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا<sup>(٥)</sup>. ودرّس الفراء (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، تفسير القرآن في مسجد الكوفة<sup>(٦)</sup>. أما أبو الحسن، رويم بن يزيد المقرئ (ت ٢١١هـ / ٨٢٦م)، فقد كان يقرئ الناس في مسجده الخاص به<sup>(٧)</sup>. وكان لسهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٤م)، حلقة لتدريس القرآن، وكان أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد البصري النحوي (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م)، يحضر

(١) أحمد شلبي، التربية، ص ١٠٢؛ عبدالله عبدالدايم، التربية، ص ١٥٢.

(٢) ابن الانباري، نزهة، ص ٦٠؛ القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٢٥٨؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٧٤٩؛ أبو الخير محمد بن محمد الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، باعتناء ج برجستراسر ج، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٢م، ج ١، ص ٥٣٩، سيشار له تالياً (ابن الجزري، غاية).

(٣) السيرافي، اخبار، ص ٨٥.

(٤) ابن الانباري، نزهة، ص ٧٠؛ القفطي، إنباه، ج ٤، ص ٣٣؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ١٨٤؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٥٦٣.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٤٠٥؛ George Makdisi, the rise of colleges, p.81.

(٦) القفطي، إنباه، ج ٤، ص ١٣؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢٧٢؛ كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط ١١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٨م، ص ١٩٣، سيشار له تالياً (بروكلمان، تاريخ الشعوب).

(٧) ابن الجوزي، المتظم، ج ١٠، ص ٢٤٥.

حلقة، ويلازم القراءة عليه.<sup>(١)</sup>

وكان المسجد أيضاً معهداً لدراسة الأحاديث النبوية، والتفقه فيها، فقد كان للإمام أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م)، حلقة لتعليم الحديث في مسجد بغداد<sup>(٢)</sup>. وكان مسعر بن الكدام ابن ظهير الكوفي (ت ١٥٢هـ / ٧٦٩م)، يجلس في المسجد الجامع، فيجتمع إليه من يريد فيحدثهم، وقيل أنه «لم يسمع حديثاً قط إلا في المسجد الجامع».<sup>(٣)</sup> وجاء رجل إلى سفيان الثوري (ت ١٦١هـ / ٧٧٧م)، وهو في مجلسه بعد العصر، وحوله أصحاب الحديث<sup>(٤)</sup>. وكان الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م)، يأتي إلى المسجد فيجتمع إليه أصحابه<sup>(٥)</sup>. «وكان الغرباء يسألونه الحديث»<sup>(٦)</sup>. وعندما قدم سيبويه النحوي (ت ١٨٠هـ / ٧٩٦م)، البصرة، لزم حلقة حماد بن سلمة، فاستملى عليه الحديث<sup>(٧)</sup>. وكان يحيى بن سعيد القطان (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، يجلس على موضع مرتفع ويمر به أصحاب الحديث واحداً واحداً يحدث كل إنسان بحديث<sup>(٨)</sup>. وجالس محمد بن منذر النحوي (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م)، سفيان ابن عيينة المحدث (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، وكان يسأله عن غريب الحديث ومعانيه.<sup>(٩)</sup> ولما دخل الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، بغداد «ما زال يقعد في حلقة حلقة، ويقول لهم

(١) السيوطي، بغية، ج ١، ص ٦٠٦.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ٣٨٠؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص ١٨٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٣٤٥.

(٤) الرامهرمزي، المحدث، ص ١٨٤.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٤٦٨؛ ابن النديم، الفهرست، ص ٤٢٣.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٤٦٨؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٤٩٨؛ ابن النديم، الفهرست، ص ٤٢٣؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ١٨٩؛ الذهبي، سير، ج ٨، ص ٦٤ - ٦٥؛ اليافعي، مرآة، ج ١، ص ٣٨٩.

(٧) ابن الانباري، نزهة، ص ٤٢؛ الشريشي، شرح، ج ٣، ص ٢٠٦.

(٨) الذهبي، سير، ج ٩، ص ١٨٧.

(٩) ابن قتيبة، الشعر، ص ٥٩١.

قال الله وقال الرسول<sup>(١)</sup>، وكان يجلس في حلقاته «فيأتي أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه»<sup>(٢)</sup>. وبلغ عدد طلاب الحديث في جامع الرصافة أكثر من مائة ألف شخص، وكان المحدث عاصم بن علي (ت ٢٢١هـ / ٨٣٦م)<sup>(٣)</sup>. وجلس أبو بكر بن أبي شيبة المحدث الكوفي (ت ٢٣٥هـ / ٨٣٩م)، في مسجد الرصافة، وقد اجتمع عليه ما يقارب الثلاثين ألفاً، كما جلس أخوه عثمان بن أبي شيبة المحدث الكوفي (ت ٢٣٩هـ / ٨٤٣م)، في مدينة بغداد ليحدث وقد وضع له منبراً واجتمع عليه ما يقارب الثلاثين ألفاً من الناس يطلبون الحديث<sup>(٤)</sup>. وجلس الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، في المسجد مستنداً إلى المنارة، وقد جاء أصحاب الحديث، فجعل يعلمهم الحديث<sup>(٥)</sup>.

وكما كان المسجد مكاناً لتعليم القرآن والحديث، كان أيضاً مكاناً لعقد حلقات ومجالس الفقه والفتوى. فقد أخذ أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن الفقيه (ت ١٣٣هـ / ٧٥٠م)، - ويقال له ربيعة الرأي - العلم عن الإمام مالك بن أنس، وكانت له حلقة للفتوى<sup>(٦)</sup>. وكان للإمام أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م)، حلقة في الفقه في جامع المنصور ببغداد كان يحضرها

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٢، ص ٦٨ - ٦٩؛ بروكلمان، تاريخ الادب، ج ٣، ص ٢٩٣.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٤٠٥. George Makdisi, the rise of Colloges, p.81.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٢، ص ٢٤٧ - ٢٤٨؛ أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، أدب الاملاء والاستملاء، تحقيق ماكس فايسفايلر، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١، ص ١٧، ٩٦، سيشار له تالياً (السمعاني، أدب)؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٦٨ - ٦٩؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٢٦٣.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٠، ص ٦٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٢٠٧؛ السيوطي، تاريخ، ص ٣٤٦؛ محمد منير سعد الدين، العلماء عند المسلمين، ط ١، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٢، ص ١٢٤، سيشار له تالياً (محمد سعد الدين، العلماء).

(٥) أبو نعيم الاصبهاني، حلية، ج ٩، ص ١٦٤.

(٦) الذهبي، العبر، ج ١، ص ١٤١؛ الياضي، مرآة، ج ١، ص ٣٠٧.

أبو يوسف<sup>(١)</sup>. وقال عبدالله بن المبارك المحدث (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م): «كنت أحضر مجلس أبي حنيفة بالغداة والعشي فابتدءوا في مسألة من الحيض فحاضوا فيها ثلاثة أيام»<sup>(٢)</sup>. وحضر أبو عبدالله محمد بن الحسين الشيباني (ت ١٨٧هـ / ٨٠٢م)، مجلس أبي حنيفة ستين ثم تفقه على أبي يوسف<sup>(٣)</sup>. وقال عبدالرحمن بن محمد بن المغيرة: «رأيت أبا حنيفة شيخاً يفتي الناس بمسجد الكوفة»<sup>(٤)</sup>. وعندما قدم الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، بغداد كان في مسجدها الجامع ما يقارب الخمسين حلقة في الفقه<sup>(٥)</sup>، فاتخذ له حلقة سادت على باقي الحلقات<sup>(٦)</sup>. وقد تفقه يونس بن عبدالأعلى أبو موسى الصدقي (ت ٢٦٤هـ / ٨٧٧م)، على الشافعي «وتصدر للإقراء والفقه»<sup>(٧)</sup>.

وعقدت في المساجد حلقات ومجالس للقصاص والمذكرين. والقَصُّ: فعل القاصّ إذا قَصَّ. ويقال: في رأسه قصة، يعني الجملة من الكلام، ويقال: قَصَصْتُ الشيء إذا تَبَعْتُ أثره شيئاً بعد شيء<sup>(٨)</sup>. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ...﴾<sup>(٩)</sup>، أي اتبعي أثره. والقصة: الخبر وهو القَصَصُ، وقَصَّ عليّ خبره، يَقْصُهُ قَصّاً وقَصَصاً. والقصاص: الخبر

(١) ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ٣٨٠؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص ١٨٠.

(٢) الموفق المكي، مناقب، ص ٣٠٩ - ٣١٠.

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٧٠م، ص ١٣٥، سيشار له تالياً (الشيرازي، طبقات).

(٤) الذهبي، سير، ج ٦، ص ٣٩٩.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٢، ص ٦٨ - ٦٩.

(٦) George Makdisi, the rise of Colloges, p.81.

(٧) الذهبي، العبر، ج ١، ص ٣٧٩.

(٨) ابن منظور، لسان، ج ٧، ص ٧٣ - ٧٤.

(٩) سورة القصص: آية ١١.

المقصود<sup>(١)</sup>. والقص في الاستعمال: يعني مخاطبة الناس ووعظهم بالاعتماد على القصة<sup>(٢)</sup>، والقاص هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها بالشرح لها<sup>(٣)</sup>، والمقصد من القص - في الأصل - مقصد ديني طيب إذ في إيراد القصة موعظة وعبرة<sup>(٤)</sup>. وفي القرآن الكريم آيات تدل على هذا المعنى. قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...﴾<sup>(٥)</sup>. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾<sup>(٦)</sup> وقال تعالى: ﴿فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٧)</sup>. فالقاص يذكر الناس ما نسوا من أمر الآخرة ويوعظهم ويقدم لهم الإرشادات والنصائح من سيرة الرسول ﷺ، وأيام العرب، ويعرفهم بنعم الله - عز وجل - عليهم، ويحثهم على شكره، ويحذرهم من مخالفته، ويخوفهم بما يرق له القلب<sup>(٨)</sup>. وإذا خرج هدف القاص عن الوعظ والتذكير، فإن القصص يصبح مذموماً<sup>(٩)</sup>. لذلك قال عبدالله بن مسعود: «إذا سمعتم السائل يحدث بأحاديث الجاهلية يوم الجمعة فاضربوه بالحصى»<sup>(١٠)</sup>. وقال أحمد ابن حنبل: «ما أحوج الناس إلى قاص صديق»<sup>(١١)</sup>، وقال: «يعجبني القصص اليوم، لأنهم

(١) ابن منظور، لسان، ج ٧، ص ٧٤.

(٢) أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، كتاب القصص والمذكرين، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، ط ١، المكتب الاسلامي، بيروت ١٩٨٣م، ص ٣١٨، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، القصص).

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٩ (مقدمة المحقق).

(٥) سورة يوسف: آية ٣.

(٦) سورة يوسف: آية ١١١.

(٧) سورة الاعراف: آية ١٧٦.

(٨) ابن الجوزي، القصص، ص ١٧٢.

(٩) المصدر نفسه، ص ١٥٩.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٨٤؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ٨٥.

(١١) ابن الجوزي، القصص، ص ١٧٢؛ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، تلبس ابليس، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥م، ص ١٥٠، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، تلبس)؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ٨٢.

يذكرون عذاب القبر ويخوفون الناس»<sup>(١)</sup>.

وقد يتجاوز بعض القصاص حدود الوعظ والتذكير، فتدخل البدع إلى مجالسهم «فمن القصاص من يخلط في مجلسه الرجال والنساء، وترى النساء يكثرن الصباح وجرأ على زعمهن فلا ينكر ذلك عليهن جمعاً للقلوب عليه»<sup>(٢)</sup>. وقد قال الحسن البصري في ذلك: «إن رفع الأصوات بالدعاء لبدعة، وإن مدّ الأيدي بالدعاء لبدعة وإن اجتماع الرجال والنساء لبدعة»<sup>(٣)</sup>. ويبدو أن لهذا النوع من القصاص أثر في جعل الإمام مالك بن أنس يقول - وقد سئل عن الجلوس إلى القصاص -: «ما أرى أن نجلس إليهم وإن القصص لبدعة»<sup>(٤)</sup>. وقيل لسفيان الثوري: «نستقبل القاصّ بوجوهنا؟ فقال: «ولوا البدع ظهوركم»<sup>(٥)</sup>. وقد كان الحسن البصري (ت ١١٠هـ / ٧٢٨م)، من القصاص المشهورين، وكانت مواضيع قصصه تدور حول «الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها، ويذكر بآلاء الله ونعمائه، وتقصير العبد في شكره، ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرفها ونكث عهدها وخطر الآخرة وأهوالها»<sup>(٦)</sup>. وكان يجلس مجالس القصاص بكل إجلال، وقد قيل له في ذلك، فقال: «إجلالاً لذكر الله عز وجل»<sup>(٧)</sup>. وشوهد الإمام جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ / ٧٦٥م)، في مسجد الكوفة بين حلقة

(١) ابن الجوزي، القصاص، ص ١٧٢؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ١٤٦؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ٨٢.

(٢) ابن الجوزي، تليس، ص ١٥٣.

(٣) ابن الجوزي، القصاص، ص ٣٠١.

(٤) جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحذير الخواص من اكاذيب القصاص، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الاسلامي، بيروت ١٩٧٢م، ص ٢١١، سيشار له تالياً (السيوطي، تحذير).

(٥) ابن الجوزي، القصاص، ص ٩٠ (مقدمة المحقق)؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ٨٣.

(٦) ابن الجوزي، القصاص، ص ١٧٢.

(٧) المصدر نفسه، ص ٨٥ (مقدمة المحقق).

من الشيعة يعظهم<sup>(١)</sup>. وجلس سفيان الثوري (ت ١٦١هـ / ٧٧٧م)، في مجلس صالح بن بشر المريّ العابد الزاهد (ت ١٧٦هـ / ٧٩٢م)، وقال: «ليس هذا بقاص، هذا نذير قوم!»<sup>(٢)</sup>. وقال عفان بن مسلم: «كنا نأتي صالح المريّ نحضره وهو يقص، وكان إذا أخذ في قصصه كأنه رجل مذعور يفزعك أمره من حزنه وكثرة بكائه كأنه ثكلى، وكان شديد الخوف من الله كثير البكاء»<sup>(٣)</sup>. وكان صالح بن عبدالقدوس<sup>(٤)</sup> يجلس للوعظ في مسجد البصرة.<sup>(٥)</sup> ومر بشار بن برد الشاعر (ت ١٦٨هـ / ٧٨٤م)، بقاص يقص في المسجد، فسمعه يقول في قصصه: «ومن صام رجياً وشعبان ورمضان بنى الله له قصرأ في الجنة، صحنه ألف فرسخ في مثلها، فالتفت بشار إلى قائده، فقال له: بئس الدار هذه! الدار في كانون الثاني»<sup>(٦)</sup>. وقال الحسين بن علي الكرايسي الفقيه المتكلم (ت ٢٤٨هـ / ٨٦٢م): «كان ها هنا ببغداد قاصّ، يقال له أبو مرحوم الحجاج. كان يكون في مسجد ويجتمع الناس إليه»<sup>(٧)</sup>. وقدم يحيى بن معاذ (ت ٢٥٨هـ / ٨٧١م)، إلى بغداد، فاجتمع إليه التّساك ونصبوا له منصة، وأقعدوه عليها وقعدوا بين يديه.<sup>(٨)</sup>

- 
- (١) عبدالله فياض، تاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة، مطبعة اسعد، بغداد ١٩٧٢م، ص ٦٥، سيشار له تالياً (عبدالله فياض، تاريخ التربية).
- (٢) ابن الجوزي، القصاص، ص ٢٦٩؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج ٣، ص ٢٣٧؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ١٧٦.
- (٣) ابن الجوزي، الصفوة، ج ٣، ص ٢٣٧.
- (٤) صالح بن عبدالقدوس البصري، حكيماً اديباً شاعراً مجيداً، اتهم بالزندقة فقتله المهدي بيده. انظر: ابن عساكر، تهذيب، ج ٦، ص ٣٧٥.
- (٥) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٧٥؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٤٤٥.
- (٦) أبو القاسم عبدالرحمن بن القاسم، الزجاجي، الامالي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص ١٣٤، سيشار له تالياً (الزجاجي، الامالي).
- (٧) ابن الجوزي، القصاص، ص ٣٢١.
- (٨) المصدر نفسه، ص ٢٧١.

وينبغي للقاص أو المتصدي للتعليم والإرشاد في المسجد، أن يكون حكماً فلا يطيل القصص كي لا يمل الناس وينفروا من العلم<sup>(١)</sup>. قال أحمد بن حنبل: «لا أحب للقاص أن يمل الناس فلا يطيل الموعظة إذا وعظ»<sup>(٢)</sup>. وسئل عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي إمام أهل الشام (ت ١٥٧هـ / ٧٧٣م)، عن القوم يجتمعون فيأمرون رجلاً، يقص عليهم، فقال: «إذا كان ذلك يوماً بعد الأيام فليس به بأس»<sup>(٣)</sup>.

وكانت الدراسات اللغوية والأدبية تجد طريقها إلى المسجد. فكان حماد بن سلمة النحوي (ت ١٦٩هـ / ٧٨٥م)، يرحل بالحسن البصري في الجامع فيدعه، ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم<sup>(٤)</sup> وقد كان لحماد بن سلمة، حلقة نحو، تعلم فيها يونس بن حبيب النحوي (ت ١٨٣هـ / ٧٩٩م)<sup>(٥)</sup>، وقد سئل يونس: «أيهما أسن أنت أو حماد؟ قال: هو أسن مني ومنه تعلمت العربية»<sup>(٦)</sup>. وقال أبو زيد الأنصاري النحوي (ت ٢١٥هـ / ٨٣٠م): «كنا نجلس مع سيويه النحوي في المسجد، وكان شاباً جميلاً نظيفاً قد تعلق من كل علم بسبب وضرب في كل أدب بسهم مع حداثة سنه وبراعته في النحو»<sup>(٧)</sup>. وكان ليونس ابن حبيب النحوي حلقة نحو في مسجد البصرة،<sup>(٨)</sup> وقد قال الأصمعي (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م): «أول من نعى أبا

(١) الجاحظ، البيان، ج ١، ص ٣٦٩؛ ابن الجوزي، القصاص، ص ٣٦٩.

(٢) ابن الجوزي، القصاص، ص ٣٦٩.

(٣) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ٨٤.

(٤) الزبيدي، طبقات، ص ٥١؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ٥٤٨.

(٥) الزبيدي، طبقات، ص ٥١؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٤٢؛ القفطي، إنباه، ج ١، ص ٣٦٥.

(٦) ابن الانباري، نزهة، ص ٤٢.

(٧) الزبيدي، طبقات، ص ٦٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٢، ص ١٩٧؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٥٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٥٤؛ القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٣٥٢؛ الذهبي، سير، ج ٨، ص ٣٥٢.

(٨) الاصفهاني، الاغانى، ج ٣، ص ٦٧؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٤٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٨٥١؛ القفطي، إنباه، ج ٤، ص ٧٦.



جعفر المنصور، خلف الأحمر، وذلك أنا كنا في حلقة يونس، فمر بنا فسلم علينا<sup>(١)</sup>. وكان يحضر حلقة الأدباء وفصحاء العرب وأهل البادية<sup>(٢)</sup>، كما جلس إليه الكسائي<sup>(٣)</sup>. واشتهر الكسائي (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م)، بالنحو، فكانت له حلقة، كان يحضرها الفراء وخلف الأحمر وإبراهيم بن سعدان<sup>(٤)</sup>. وقال الأخفش الأوسط (٢١٥هـ / ٨٣٠م): «وردتُ بغداد فرأيت مسجد الكسائي، فصليت خلفه الغداة، فلما انفتل من صلاته... سلمت عليه وسألته عن مائة مسألة»<sup>(٥)</sup>. وكان الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، يجلس في حلقة، فيأتيه طلاب العلم ومنهم طلاب العربية والنحو<sup>(٦)</sup>. وكان الفراء النحوي (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، يجلس للناس في مسجده، إلى جانب منزله ويملي عليهم النحو<sup>(٧)</sup>. وكان لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ / ٨٣٠م)، حلقة في البصرة<sup>(٨)</sup> تعلم فيها كل من سيويه (ت ١٨٠هـ / ٧٩٦م)<sup>(٩)</sup>، وخلف الأحمر النحوي (ت ١٩٤هـ / ٨٠٩م)<sup>(١٠)</sup>، ومؤرج بن عمرو السدوسي النحوي (ت ١٩٥هـ / ٨١٠م)<sup>(١١)</sup>. وكان مؤرج السدوسي، يقول: «قدمت من البادية ولا معرفة لي

(١) الطبري، تاريخ، ج ٨، ص ١١٥.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٩٠؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٤٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٩١؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٧، ص ٢٤٤؛ الذهبي، سير، ج ٨، ص ١٩٢؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢١١.

(٣) الزجاجي، مجالس، ص ٢١، ٢٤٤.

(٤) القفطي، إنباء، ج ٢، ص ٣٥٦.

(٥) السيوطي، بغية، ج ١، ص ٥٩١؛ أحمد أمين، ضحى، ج ٢، ص ٥٣.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٤٠٥؛ George Makdisi the rise of colleges, p. 81.

(٧) القفطي، إنباء، ج ٢، ص ٥٦.

(٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٥٠.

(٩) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٢، ص ١٩٦؛ القفطي، إنباء، ج ٢، ص ٣٥١.

(١٠) ابن الانباري، نزهة، ص ٩٧.

(١١) القفطي، إنباء، ج ٣، ص ٣٢٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٥، ص ٣٠٤.

بالقياس في العربية، وإنما كانت معرفتي قريحتي، وأول ما تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الأنصاري<sup>(١)</sup>. وقال الأصمعي: «رأيت خلف [الأحمر] في حلقة أبي زيد»<sup>(٢)</sup>. ويروى أن إعرابياً وقف على حلقة أبي زيد الأنصاري، فقال أبو زيد: «سل يا إعرابي»<sup>(٣)</sup>. واتخذ الأصمعي (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م)، حلقة واجتمعت إليه جماعة تطلب النحو.<sup>(٤)</sup> وكان يحضر حلقة ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م)، زهاء مائة شخص<sup>(٥)</sup>. وكان لأبي حاتم السجستاني المقرئ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، حلقة للنحو. وقال أبو العباس المبرد النحوي (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م): «أتيت السجستاني وأنا حدث، فرأيت منه بعض ما ينبغي أن تهجر حلقة له فتركته مدة ثم صرت إليه»<sup>(٦)</sup>. وقال أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ / ٩٠٣م): «ما فقدت إبراهيم الحربي في مجلس لغة ونحو من خمسين سنة»<sup>(٧)</sup>. ويذكر محمد بن أحمد بن كيسان النحوي (ت ٢٩٩هـ / ٩١١م)، أن القاضي إسماعيل<sup>(٨)</sup> كان مفتناً بما يأتي به من مقايضة في العربية وكان له معه مجلس... في جامع المنصور»<sup>(٩)</sup>.

(١) القفطي، إنباه، ج ٣، ص ٣٢٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٥، ص ٣٠٤؛ السيوطي، بغية، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٢) ابن الانباري، نزهة، ص ٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٤) السيرافي، اخبار، ص ٥٢، ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٦٢٢.

(٥) القفطي، إنباه، ج ٣، ص ١٣٠؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ١٠٥؛ شوقي ضيف، العصر العباسي، ص ١٠١.

(٦) ابن الانباري، نزهة، ص ١٤٦؛ القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٥٩.

(٧) الذهبي، تذكرة، ج ٢، ص ٥٨٥.

(٨) أبو اسحاق، اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل الازدي الفقيه القاضي البصري، توفي سنة ٢٨٢هـ / ١٨٩٥م. شمس الدين أبي المعالي محمد بن عبدالرحمن بن الغزي، ديوان الاسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، ج ٤، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م، ج ١، ص ٣٩، سيشار له تالياً (ابن الغزي، ديوان).

(٩) القفطي، إنباه، ج ٣، ص ٥٩.

وهناك مجالس لإنشاد الشعر وتذاكره ونقده، فقد كان الكميت بن زيد (ت ١٢٦هـ / ٧٤٣م)، وحماد الراوية (ت ١٥٥هـ / ٧٧١م)، يلتقيان في مسجد الكوفة يتذاكران أشعار العرب وأيامها<sup>(١)</sup>. وكان الشعراء يجتمعون في كل يوم جمعة في القبة المعروفة بهم بجامع بغداد، ينشدون الشعر، ويعرض كل منهم على أصحابه ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها<sup>(٢)</sup>. وروي أنّ إعرابي دخل مسجد البصرة فطاف على حلقات العلم في المسجد حتى صار إلى حلقة الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م)، فسمعهم يتذكرون الأشعار، فجلس وهو يستطيب كلامهم، ثم أخذوا في العروض، فلما سمع الفاعل والمفعول ظن أنهم يأترون به، فخرج مسرعاً وهو يقول:

قد كان أخذهم في الشعر يعجبني      حتى تعاطوا كلام الزنج والروم  
لما سمعت كلاماً لست أعرفه      كأنه زجل الغربان والبوم<sup>(٣)</sup>

واجتمع محمد بن عبدالله الملقب بأبي الشيص (ت ١٩٦هـ / ٨١١م)، وابن عمه، دعبيل ابن علي الخزاعي (ت ٢٤٦هـ / ٨٦٠م)، وبعض الشعراء في جامع بغداد «والناس مجتمعون، يسمعون إنشاد بعضهم بعضاً... فلما فرغوا من إنشادهم التفت شاب في أخريات الناس جالساً في زي الأعراب، وقال: سمعت إنشادكم... فاسمعوا إنشادي»<sup>(٤)</sup>. وكان أبو ثواس (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، ينشد الشعر في المسجد الجامع بالبصرة<sup>(٥)</sup>. كما

(١) الاصفهاني، الاغانى، ج ١٦، ص ٣٢٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ١٣١؛ جمال الدين ابن نباته، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣٢٥، سيشار له تالياً (ابن نباته، سرح)؛ منير الدين أحمد، تاريخ التعليم، ص ٦٠، ٧٠.

(٣) ابن المعتز، طبقات، ص ٢٥؛ المرزباني، نور القبس، ص ٥٨؛ الليليم، رسالة، ص ١٨٧.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ١٣١؛ ابن نباته، سرح، ص ٣٢٥.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٣، ص ١٤٠٧.

كان مسلم بن الوليد (ت ٢٠٨هـ / ٨٢٣م)، يجلس في مسجد البصرة ليملي من شعره<sup>(١)</sup>، وفي إحدى الجلسات كان يلى إحدى قصائده، فأقبل أبو نواس، وجلس طالباً من أبي مسلم، أن يبتدىء القصيدة من أولها<sup>(٢)</sup>. وكان أبو العتاهية (ت ٢١١هـ / ٨٢٦م)، يجلس وحوله الناس في المسجد ببغداد<sup>(٣)</sup>. وكثيراً ما كان الشعراء يجلسون بالليل في مسجد الرصافة ينشدون ويتحدثون<sup>(٤)</sup>.

وهناك مجالس للمناظرة كانت تعقد في المساجد. فقد تناظر الكميت بن زيد الشاعر (ت ١٢٦هـ / ٧٤٣م)، وأبو القاسم حماد الراوية (ت ١٥٥هـ / ٧٧١م)، في مسجد الكوفة<sup>(٥)</sup>. وروي أنه لما دخل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م)، البصرة لمناظرة أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ / ٧٧٠م)، جلس إليه ولم يتكلم بشيء، فسئل عن ذلك، فقال: «هو رئيس منذ خمسين سنة فخفت أن ينقطع فيفتضح في البلد»<sup>(٦)</sup>. وناظر الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ / ٨٣٠م)، سيبويه (ت ١٨٠هـ / ٧٩٦م)، بعد أن برع في النحو، وقال له: «انما ناظرتك لاستفيد منك»<sup>(٧)</sup>. وجرت بين الكسائي (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م)، ويونس ابن حبيب (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م)، مناظرات في النحو، أقر له فيها يونس بالفضل، وأجلسه في موضعه<sup>(٨)</sup>. وناظر الفراء النحوي (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، الكسائي، وقال: «فناظرته مناظرة

(١) أبو عبدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، الموشح، تحقيق علي محمد البيجاوي، دار النهضة مصر، القاهرة ١٩٦٥، ص ٤٤٥، سيشار له تالياً (المرزباني، الموشح)؛ أحمد امين، ضحى، ج ٢، ص ٥٣.

(٢) المرزباني، الموشح، ص ٤٤٥.

(٣) الاصفهاني، الاغانى، ج ٤، ص ٤٧ - ٤٨؛ أحمد امين، ضحى، ج ٢، ص ٥٣.

(٤) الاصفهاني، الاغانى، ج ٣، ص ١٧٣.

(٥) المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٣٢٩.

(٦) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ١، ص ٢٧٧.

(٧) السيرافي، اخبار، ص ٦٥؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٥٧.

(٨) ابن الانباري، نزهة، ص ٥٩؛ القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٢٥٨؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢٠٩.

الأكفأ، فكانني كنت طائراً يغرف بمنقاره من البحر»<sup>(١)</sup>. وكان للكسائي مناظرات عديدة مع اليزيدي وسيبويه في النحو والعربية<sup>(٢)</sup>. وناظر الأخفش الأوسط الكسائي في المسجد وسأله عن مائة مسألة<sup>(٣)</sup>. وناظر الشافعي، بشر بن غياث المريسي الفقيه المتكلم (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م)، ببغداد<sup>(٤)</sup>. وكان لإسحاق بن راهويه الحافظ (ت ٢٣٨هـ / ٨٥٢م)، مناظرات مع الشافعي<sup>(٥)</sup>. وجرت بين الشافعي وأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، مناظرة في تارك الصلاة<sup>(٦)</sup>. وقدم صالح بن إسحاق الجرمي النحوي (ت ٢٢٥هـ / ٨٣٩م)، إلى بغداد وناظر بها الفراء<sup>(٧)</sup>. «وكان يلقب بالكلب النباح لأنه كان يذهب إلى أبي زيد الأنصاري فيناظره ويصايحه، كما لقّب بالمهارش لأنه كان لا يرى إلا زائراً أو مناضراً»<sup>(٨)</sup>. وكان أبو بكر محمد ابن داود (ت ٢٩٧هـ / ٩٠٩م)، فقيهاً أديباً شاعراً، وكان يناظر أبا العباس بن شريح، وقد خلف أباه في حلقة<sup>(٩)</sup>.

وترد إشارات إلى أن دروساً في علم الكلام، كانت تُلقى في المساجد، فكان المعتزلة يعلمون الكلام في مسجد المنصور ببغداد،<sup>(١٠)</sup> وقد اعتزل واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ /

(١) الزجاجي، مجالس، ص ٢٧٠؛ السيوطي، بغية، ج ٢، ص ١٦٣.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج ٣، ص ٢٩٦.

(٣) القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٣٧.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج ٢، ص ٢٦؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢٩٤.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٣٩٩؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٦، ص ١١٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٢٠٠؛ السبكي، طبقات، ج ٢، ص ٩١؛ العلموي، المعيد، ص ١٢٣، ١٢٥.

(٦) السبكي، طبقات، ج ٢، ص ٦١.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ١٠٠؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٣٠٦.

(٨) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٤٤٣.

(٩) الشيرازي، طبقات، ص ١٧٥.

(١٠) أحمد أمين، ضحى، ج ٢، ص ٥٣.

٧٤٨م) حلقة الحسن البصري، فكان يجلس لأتباعه في مسجد البصرة ليدرس لهم مبادئ علم الكلام<sup>(١)</sup>. وانتقل أبو المعتمد معمر السلمي رئيس أصحاب المعاني (ت ٢١٥هـ / ٨٣٠م)، من البصرة إلى بغداد، وقد اختارها مقاماً له، وعقد لنفسه بمسجدها الكبير حلقة للمحاضرة<sup>(٢)</sup>. وجلس إسحق بن إبراهيم الموصلي المغني (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م)، إلى أهل الكلام مناظراً حتى انتصف منهم<sup>(٣)</sup>.

يتبين مما سبق أن المساجد في العصر العباسي الأول لم تكن مجرد أماكن تؤدي فيها الصلوات فحسب، بل كانت منبراً للعلوم والمعارف، فكان المسجد مفتوحة حلقاته للجميع يلتقي فيها العلماء والفقهاء للمناقشات وتدارس العلوم. ولم تكن هذه الحلقات مقصورة على الدراسات الدينية، وإنما تعدتها إلى سواها من معارف ذلك العصر كالعلوم اللغوية والأدبية وعلم الكلام... وعقد المناظرات العلمية والأدبية.

## ٢- تصور الخلفاء والأمراء:

يبدو أن تاريخ التربية الإسلامية عرف الكثير من المجالس العلمية والأدبية، التي كانت تعقد في قصور الخلفاء والأمراء. فقد فتح الخلفاء والأمراء قصورهم للعلم والعلماء، وكان التنافس بينهم في رعايتهم والانفاق عليهم بسخاء<sup>(٤)</sup>. فكانت مجالسهم حافلة بالأدباء والمفكرين والشعراء وأصحاب العقائد والمذاهب المختلفة<sup>(٥)</sup>. مما جعل مجالسهم منتديات أدبية

(١) ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ٨؛ أحمد أمين، ضحى، ج ٢، ص ٥٢؛ أحمد شلبي، التربية، ص ١١١.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٤٢.

(٣) ابن الانباري، نزهة، ص ١٣٣.

(٤) صالح أبو دياك، دراسات في التاريخ الإسلامي، ط ١، د.د. عمان ١٩٨٥م، ص ١٧٨، سيشار له تالياً (أبو دياك، دراسات).

(٥) فاروق عمر فوزي، الخليفة المجاهد هارون الرشيد ١٧٠هـ - ١٩٣هـ / ٨٧٦ - ٨٠٩م، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م، ص ٢٧، سيشار له تالياً (فاروق عمر، الخليفة المجاهد).

وعلمية، تشع منها الثقافة والمعرفة، ويكتسب الحاضرون معرفة وعلماً.<sup>(١)</sup>

ويبدو أن الخلفاء والأمراء حرصوا على تأنيث مجالسهم أثاثاً رائعاً، وتوفير كل أسباب الراحة فيها، فقد «زخرف الرشيد مجالسه وبالع في بنائها، وصنع فيها طعاماً كثيراً»<sup>(٢)</sup>. وإذا حضر الفقهاء، أدخلهم المأمون حجرة مفروشة، وقد نصبت لهم الموائد المحملة باطاييب الأطعمة والأشربة<sup>(٣)</sup>. وقد قال المأمون: «إذا أصلح الملك مجلسه، واختار من يجالسه صلح ملكه كله»<sup>(٤)</sup>.

وكان لمجالس الخلفاء والأمراء آداب خاصة، وتقاليد معينة، يجب أن يراعيها أولئك الذين يسمح لهم بحضورها. قال أبو يزيد البسطامي (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م): «قعدت ليلة في محرابي، فممدت رجلي، فهتف بي هاتف: من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب»<sup>(٥)</sup>. فعلى الداخل في حضرة الخليفة أو الأمير، أن يكون نظيف الملبس، وقور الهيئة<sup>(٦)</sup>، قال رجل شامي اختاره المأمون لمناذمته: «إن المجلس إن كانت ثيابه دون ثياب جلسه دخله لذلك غضاضة» فأمر المأمون أن يخلع عليه<sup>(٧)</sup>. وعليه أيضاً أن يجلس في المكان

(١) عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص ٢٢.

(٢) ابن طباطبا، الفخري، ص ١٩٣ - ١٩٤؛ محمد بن مكرم بن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق رياض عبد الحميد مراد وآخرون، ٢٩ ج، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤م، ج ٢٧، ص ٢١، سيشار له تالياً (ابن منظور، مختصر)؛ محمد رضا الحكيمي، تاريخ العلماء عبر العصور المختلفة، ط ١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٨٣م، ص ٦٤، سيشار له تالياً (الحكيمي، تاريخ).

(٣) المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٢٢؛ ابن وادان، تاريخ، ص ٤٨٥؛ ميخائيل عواد، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، ط ٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦م، ص ٥٢، سيشار له تالياً (ميخائيل عواد، صورة مشرقة).

(٤) ابن سعد الأبي، نثر الدر، ج ٣، ص ١١٥.

(٥) أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريعة، دار الكتاب النفيس، حلب ١٩٨٦م، ص ٦٩، سيشار له تالياً (السلمي، طبقات).

(٦) الصايي، رسوم، ص ٣٢.

(٧) أبو الفضل أحمد بن طاهر بن طيفور، بغداد، تحقيق محمد زاهر بن الحسن الكوثري، نشره عزت العطار، مكتب نشر الثقافة، القاهرة ١٩٤٩م، ص ١٥٠، سيشار له تالياً (ابن طيفور، بغداد).

المناسب له، لا يضحك ولا يبصق ولا يخط<sup>(١)</sup>، وأن يقلل الالتفات إلى جانيه وورائه، والتحريك بيده أو شيء من أعضائه<sup>(٢)</sup>، ولا يقبل على غير الملك بملاحظته<sup>(٣)</sup>. قال نجاش بن سلمان للمتوكل لما دعاه إلى منادته: «في خصال لا تصلح معها منادمة الخلفاء، قال وما هي؟ قال: سلس البول، وأبتسم إذا حدثت»<sup>(٤)</sup>. وحضر أبو بكر الهذلي البصري الاخباري (ت ١٦٧هـ / ٧٨٣م)، ذات يوم مجلس أبي العباس السفاح (ت ١٣٢-١٣٦هـ / ٧٤٩-٧٥٣م)، وقد كان السفاح يتحدث بعض أحاديث الفرس «فعصفت الريح فأذرت تراباً وقطعاً من الآجر من أعلى السطح إلى المجلس، فجزع من حضر المجلس لوقوع ذلك، وارتاع له، والهذلي شاخص نحو أبي العباس لم يتغير... فقال له أبو العباس: الله أنت يا أبا بكر، لم أر كاليوم، أما راعك ما راعنا ولا أحسست بما ورد علينا؟ فقال: يا أمير المؤمنين: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾<sup>(٥)</sup>، وإنما جعل للرجل قلباً واحداً، فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال<sup>(٦)</sup>. ومن آدابه أيضاً أن لا يرفع صوته ولا يجيب عن شيء إلا إذا سئل عنه<sup>(٧)</sup>. قال علي بن صالح الكاتب لرجل اختاره لمجالسة المأمون: «إني مدخلك على أمير المؤمنين فلا تسأله عن شيء أبداً حتى يتدثك»<sup>(٨)</sup>.

(١) ابن الأوزق، بدائع، ج ١، ص ٣٥٥؛ الصايي، رسوم، ص ٣٥.

(٢) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، دار الفكر، بيروت ١٩٥٥م، ص ٢٠٩، سيشار له تالياً (الجاحظ، التاج)؛ ابن الأوزق، بدائع، ج ١، ص ٣٥٥؛ الصايي، رسوم، ص ٣٤.

(٣) الجاحظ، التاج، ص ٢٠٩.

(٤) أبو الفتح محمود بن الحسين كشاجم، أدب النديم، المطبعة الاميرية، بولاق ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م، ص ٢٥، سيشار له تالياً (كشاجم، أدب النديم).

(٥) سورة الاحزاب: آية ٤.

(٦) الجاحظ، التاج، ص ١١٤ - ١١٥؛ المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٣٢٢.

(٧) الجاحظ، التاج، ص ١٣؛ الصايي، رسوم، ص ٣٤؛ أحمد شبلي، الترية، ص ١٤٩.

(٨) ابن طيفور، بغداد، ص ١٥٠.



وعليه أن يتعلم حُسن الاستماع، كما يتعلم حسن الكلام، ويمهل المتكلم حتى يتم حديثه<sup>(١)</sup>. قال عبد الملك بن صالح لمؤدب ولده بعد أن اختاره جليساً مقرباً: «يا عبدالله كن على التماس الحظ منك بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام، فانهم قالوا: إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم، واعلم أن أصعب الملوك معاملة الجبار الفطن المتفقد»<sup>(٢)</sup>. وعليه أيضاً أن يتجنب الألفاظ الوحشية وإيراد الحكايات المسترذلة<sup>(٣)</sup>.

✕ ويبدو أن مجالس الخلفاء والأمراء لم تستقبل كل الراغبين، وإنما كان يسمح لطبقة معينة من الناس بالدخول<sup>(٤)</sup>، ولم يكن الحضور أحراراً في اختيار الموعد الذي يحضرون فيه، أو ينصرفون عنده، وإنما كانوا يحضرون في موعد محدد، وينصرفون عند إشارة خاصة يشير بها الخليفة أو الأمير، فقد اتخذ كل خليفة إشارة عُرف بها، فقد كان الهادي إذا قال: «سلام عليكم» قام من حضره، وكان الرشيد إذا قال: «سبحانك اللهم وبحمدك» قام من حضره، وكان المأمون إذا استلقى على فراشه، قام من حضره، وكان المعتصم إذا نظر إلى صاحب النعل، قام من حضره، وكان الواثق إذا مس عارضيه وتشاءب، قام من حضره<sup>(٥)</sup>. وكان الخليفة ولا أحد سواه يفتح النقاش في المجالس<sup>(٦)</sup>.

وتنوعت المجالس في قصور الخلفاء والأمراء، فكانت مجالس الموعظة، ومجالس القرآن، ومجالس الحديث، ومجالس الفقه، ومجالس المناظرة، ومجالس الشعر، ومجالس السمر والترويح.

(١) كشاجم، أدب النديم، ص ٢٥.

(٢) ابن أبي الحديد، نهج، ج ٥، ص ٥٦.

(٣) كشاجم، أدب النديم، ص ٢٥؛ الصابي، رسوم، ص ٣٣.

(٤) الجاحظ، التاج، ص ٤٥؛ أحمد شلبي، الترية، ص ٧٢؛ عبدالله عبدالدايم، الترية، ص ١٤٩.

(٥) الجاحظ، التاج، ص ٢١١ - ٢١٢.

(٦) عبدالله عبدالدايم، الترية، ص ١٤٩ - ١٥٠؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ٤٩٥.

أما مجالس الموعظة، فكانت تتميز بطابع الخصوصية، إذ يلجأ الخليفة فيه إلى طلب الموعظة من أحد الفقهاء<sup>(١)</sup>، وكان بعض الفقهاء يأتي لمجالس الخلفاء لوعظهم وأحياناً كان الخلفاء يستقدمونهم، فيعظوهم حتى يبكوهم<sup>(٢)</sup>. وكان المحور الذي تدور حوله هذه المواعظ، هو حث الخلفاء على التقوى وعدم غش الرعية، والابتعاد عن الإسراف في أحوال المسلمين، وحراسة الدين وإقامة العدل، وتقليل شأن الملل، والاقتداء بالسلف في زهدهم وتواضعهم<sup>(٣)</sup>. فقد عُرف عن المنصور أنه «كان يحب المواعظ ويسمع خشن الكلام ويحتمله»<sup>(٤)</sup>. فقد دخل عليه سفيان الثوري «فوعظ وأمر ويّن وذكر، وأغلظ في قوله»<sup>(٥)</sup>. وجلس صالح بن بشر المريّ العابد الزاهد (ت ١٧٦هـ / ٧٩٢م)، إلى المهدي فوعظه موعظة بليغة حتى أبكاه<sup>(٦)</sup>. وكان الهادي يقصد مالك بن أنس ويجلس بين يديه لأخذ الموعظة منه<sup>(٧)</sup>. وحج الرشيد، ومضى إلى دار الفضيل بن عياض المكي (ت ١٨٧هـ / ٨٠٢م)، وقد وعظ الفضيل الخليفة بمواعظ بكى لها<sup>(٨)</sup>. ودخل القاص الكوفي ابن السماك (ت ١٨٣هـ / ٧٩٩م) على الرشيد، فقال: «يا أمير المؤمنين إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك. فقال: ما أحسن ما قلت!، فقال: يا أمير المؤمنين إن أمرًا أتاه الله جمالاً في خلقته وموضعاً في

(١) طلب صبار، رسوم، ص ١٥٢.

(٢) شوقي ضيف، العصر العباسي، ص ٤٥٢.

(٣) أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، الاخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، مكتبة المثني، بغداد، د.ت، ص ٣٨٤، سيشار له تالياً (الدينوري، الاخبار)؛ البيهقي، المحاسن، ص ٣٣٨؛ ابن الازرق، بدائع، ج ١، ص ٨٥ - ٨٦.

(٤) ابن الكازروني، مختصر، ص ١١٥.

(٥) مجهول، الامامة، ج ٢، ص ١٧٢؛ ابن الازرق، بدائع، ج ١، ص ٨٥ - ٨٦.

(٦) ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ١٧٦.

(٧) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٣٤.

(٨) محمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي، سراج الملوك، تحقيق جعفر البياني، ج ٢، ط ١، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٩٠م، ج ١، ص ١١٣، سيشار له تالياً (الطرطوشي، سراج).

حسبه، وبسط له في ذات يده، فغف في جماله، وواسى في ماله، وتواضع في حسبه، كُتب في ديوان الله من خالص عباد الله... فدعا الرشيد بدواة وقرطاس وكتبه بيده<sup>(١)</sup>. وكان ذو النون إبراهيم أبو الفيض المعروف بالمصري (ت ٢٤٦هـ / ٨٦٠م)، زاهداً، طلبه المتوكل، فجاء إليه وأسمعه المواعظ «وكان المتوكل مولعاً به يفضل على العباد والزهاد»<sup>(٢)</sup>.

وكما حرص الخلفاء على طلب المواعظ، كان حرصهم أيضاً على عقد مجالس العلم الخاصة بالقرآن والحديث والفقه. فقد قرّب المنصور إلى بلاطه علماء الفقه والحديث<sup>(٣)</sup>. وكان حسن المشاركة في الفقه<sup>(٤)</sup>. ونجده ينفق الأموال على الفقهاء، فقد أعطى ابن سمعان ابن أبي ذؤيب الفقيه صرة فيها خمسة آلاف دينار<sup>(٥)</sup>. أما الهادي فكان يحضر الفقهاء إذا أعضل عليه أمر<sup>(٦)</sup>. ووجه الرشيد إلى مالك بن أنس (رضي الله عنه)، ليأتيه فيحدثه<sup>(٧)</sup>، ولما حج الرشيد دخل الكوفة وقال لأبي يوسف: «قل للمحدثين يأتونا يحدثون»<sup>(٨)</sup>. وفي سنة ١٧٤هـ / ٧٩٠م خرج الرشيد حاجاً إلى مكة، فقدم المدينة... فبعث إلى مالك بن أنس، فأتاه، فسمع منه كتاب الموطأ، وقد حضر فقهاء الحجاز والعراق والشام واليمن<sup>(٩)</sup>. وكان الكسائي

(١) الطرطوشي، سراج، ج ١، ص ١١٢؛ ابن الأزرقي، بدائع، ج ١، ص ٥١٤.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٨، ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٣) السيوطي، تاريخ، ص ٢٦٦؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص ١٨٠.

(٤) الذهبي، سير، ج ٧، ص ٨٧.

(٥) مجهول، الامامه، ج ٢، ص ١٧٤.

(٦) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٣، ص ٢٣.

(٧) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٣٤؛ ابن عربي، محاضرة، ج ١، ص ٤٤٣؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ٤٩؛ ابن نباته، سرح، ص ٢٦٢؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص ٥٦٦.

(٨) النووي، تهذيب، ج ٢، ص ٤٨؛ الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٢٨١.

(٩) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص ٣٠٦؛ مجهول، الامامه، ج ٢، ص ١٨٣.

قبل أن يجعله هارون الرشيد مؤدباً لابنه الأمين والمأمون، يقرأ القرآن لأهل دار الخلافة<sup>(١)</sup>. ويبدو اهتمام المأمون بأصحاب الفقه والحديث واضحاً قبل أن يتولى الخلافة، فقد بعث الرشيد بخادمه إلى المأمون فوجده في مجلسه وقد اغتص بالفقهاء والقراء وأصحاب الحديث<sup>(٢)</sup>. ولما دخل بغداد وقرّ بها قراره أمر أن يدخل عليه من الفقهاء والمحدثين وأهل العلم جماعة يختارهم لمجالسته ومحادثته «واختير له... مائة رجل، فما زال يختارهم طبقة من طبقة حتى حصل منهم عشرة»<sup>(٣)</sup>. وكان الحسن بن زياد اللؤلؤي الفقيه (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، يأتي مجلس المأمون ويناقشه بعض المسائل الفقهية<sup>(٤)</sup>، ودخل إبراهيم بن المهدي (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)، على المأمون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه<sup>(٥)</sup>. ودفع اهتمام المأمون بالحديث إلى تخصيص مكانٍ لجلوس العلماء، فقد بنى المأمون شبة منبر بجانب قصره ببغداد، وقد جلس عليه سليمان بن حرب الأزدي (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)، والناس حوله، وكان المأمون فوق قصره يشرف على المجلس، وقد أرسل أحد الأشخاص ليكتب ما يمليه سليمان<sup>(٦)</sup>. ومما يُظهر اهتمام المأمون بالحديث، أن تقدم إليه رجل غريب بيده محبرة، وقال: «يا أمير المؤمنين، رجل من أهل الحديث منقطع به، فقال: ما تحفظ في باب كذا؟ فلم يذكر فيه شيئاً، فما زال المأمون يقول: حدثنا هشيم وحدثنا يحيى وحدثنا حجاج، حتى ذكر الباب ثم سأله عن باب آخر، فلم يذكر فيه شيئاً، فقال المأمون: حدثنا فلان وحدثنا فلان...»<sup>(٧)</sup>، وفي هذا إشارة إلى

(١) بروكلمان، تاريخ الادب، ج ٢، ص ١٩٨.

(٢) ابن العبراني، الانباء، ص ٩٧.

(٣) ابن طيفور، بغداد، ص ٣٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٠.

(٥) الماوردي، ادب، ص ٤٤.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٩، ص ٣٣؛ ابن الجوزي، المتظم، ج ١١، ص ٩٢؛ الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٣٩٣؛ الذهبي، العبر، ج ١، ص ٣٠٧.

(٧) السمعاني، ادب، ص ١٤٦ - ١٤٧؛ ابن خلكان وفيات، ج ٢، ص ٢٣٧.

مدى العلم الذي وصله المأمون في مجال الحديث. وقد رغب يوماً أن يكون محدثاً، فأمر أن يُصنع له منبر، ثم صعد وحدث بنحو ثلاثين حديثاً<sup>(١)</sup>، وقرب الفضل بن سهل وزير المأمون (ت ٢٠٢هـ / ٨١٧م)، كبار الفقهاء والعلماء وألزمهم مجلسه واستقدمهم من الأمصار وأجرى عليهم الأرزاق<sup>(٢)</sup>.

وتعددت مجالس المناظرة في قصور الخلفاء والأمراء حيث تناولت مختلف المواضيع الدينية واللغوية والأدبية والعلمية، فكانت سمة مميزة لمجالس الخلفاء والأمراء خاصة في العصر العباسي الأول، الذي يظهر فيه تشجيع الخلفاء لمثل هذه المجالس، فكثيراً ما نجد الخلفاء يأخذون دوراً رئيساً في المناظرات التي تدور في مجالسهم، ولا غرابة في ذلك، فقد كان بعضهم على درجة من العلم والثقافة وإجادة فروع كثيرة من العلم يناظرون فيها.

وعما يدخل في مجال العلوم الدينية من مناظرات، ما جرى بين الإمام مالك بن أنس وأبو يوسف بالمدينة بحضرة الرشيد في مسألة الصاع وزكاة الخضروات<sup>(٣)</sup>. وقيل أن إبراهيم النظام<sup>(٤)</sup> (ت ٢٢١هـ / ٨٣٦م)، اجتمع وضرار<sup>(٥)</sup> بين يدي الرشيد «فتناظرا في القدر حتى دقت مناظرتهما»<sup>(٦)</sup>. وشجع المأمون البحث والجدل والمناظرة، واستقبل الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء، وأجرى لهم مجالس وشاركهم فيها<sup>(٧)</sup>، «فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ويلتذ

(١) السمعاني، أدب، ص ٢٢؛ ابن خلكان، وفیات، ج ٢، ص ٢٣٦.

(٢) السعدي، مروج، ج ٤، ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

(٣) ابن كثير، البداية، ج ١، ص ١٨٧.

(٤) أبو اسحاق، إبراهيم بن سيار بن هانيء البصري، المعروف بالنظام، من كبار المعتزلة وأئمتهم، متقدم في العلوم، وقد برز في علم المعاني. ابن نباتة، سرح، ص ٢٢٦.

(٥) أبو عمرو ضرار بن عمرو القاضي، من المعتزلة، كان حياً حوالي سنة ١٨٠هـ / ٧٩٦م. ابن النديم، الفهرست، ص ٣٥٦ (الهامش).

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٧٤٩.

(٧) ولیم الخازن، الحضارة العباسية، دار المشرق، بيروت ١٩٩٢م، ص ١١٤، سيشار له تالياً (ولیم الخازن، الحضارة).

بمذاكرتهم، فينالون بذلك عنده المنازل الرفيعة والمراتب السنية<sup>(١)</sup>، فكان يجلس مع العلماء يتناظرون بين يديه، ويشاركونهم فيما هم فيه<sup>(٢)</sup>. وقد بادر فور وصوله إلى بغداد بطلب الفقهاء والمتكلمين وأهل العلم، فإذا حضروا أدخلهم حجرة مفروشة، وأخذ في مناظرتهم «أحسن مناظرة وأنصفها وأبعدها عن مناظرة المتجبرين»<sup>(٣)</sup>. وبينما هو جالس - أي المأمون - مع الفقهاء في مجلس للمناظرة «إذ دخل في مجلسه رجل غريب... وجلس في آخر الناس... فدارت المسألة إلى أن وصلت إلى ذلك الرجل الغريب، فتكلم وأجاب بجواب أحسن من أجوبة الفقهاء كلهم فاستحسن كلامه وأمر أن يُرفع من ذلك المكان إلى أعلى منه»<sup>(٤)</sup>. وجمع المأمون علي بن موسى الرضا<sup>(٥)</sup> (ت ٢٠٣هـ / ٨١٨م)، في مجالس للفقهاء ضمت كبار الفقهاء<sup>(٦)</sup>. وكانت مسألة خلق القرآن من المسائل الهامة التي أثارت في مجالس المناظرة<sup>(٧)</sup>. فقد طلب المأمون أشخاص سبعة من الفقهاء امتحنهم بخلق القرآن فأجابوه جميعاً أنّ القرآن مخلوق<sup>(٨)</sup>. وسلك الواثق مسلك المأمون في عقده للمناظرات التي تبحث في قضية

(١) أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن موسى الاندلسي، طبقات الامم، تحقيق حياة بو علوان، ١، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٥م، ص ١٢٩، سيشار له تالياً (صاعد الاندلسي، طبقات)؛ ابن الازرق، بدائع، ص ١٣٦.

(٢) ابن دقماق، الجوهر، ج ١، ص ١٣٢.

(٣) السعدي، مروج، ج ٤، ص ٢٢؛ ابن وادان، تاريخ، ص ٤٨٥؛ ميخائيل عواد، صور شرقية، ص ٥٢.

(٤) السيوطي، تحفة، ص ٣٨٠.

(٥) أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين وهو من الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الامامية. ابن خلكان، وفيات، ج ٣، ص ٢٦٩.

(٦) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، اعلام الوري باعلام الهدى، صححه وعلق عليه علي اكبر الغفاري، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩م، ص ٣١٥، سيشار له تالياً (الطبرسي، اعلام).

(٧) ابن طباطبا، الفخري، ص ٢١٦ - ٢١٧؛ وعن مقولة «خلق القرآن»، انظر: الطبري، تاريخ، ج ٨، ص ٦٣١ - ٦٤٦؛ محمد بن أحمد بن نعيم أبو العرب، كتاب المحن، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ١، بيروت ١٩٨٣م، ص ٤٣٣ - ٤٤٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ١٥ - ٢٤؛ أحمد عبد الجواد الدومي، أحمد بن حنبل (محنة الدين والدنيا)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د. ت؛ "Mihna" EI<sup>2</sup>

(٨) الطبري، تاريخ، ج ٨، ص ٦٣٤؛ ابن كثير، البداية، ج ١، ص ٢٨٥.

خلق القرآن، فكان يجتمع في مجلسه كبار الفقهاء والمتكلمين<sup>(١)</sup>. وقد أرسل في طلب البويطي<sup>(٢)</sup> (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م)، من مصر، وقد أراد منه القول بخلق القرآن، فامتنع البويطي من ذلك<sup>(٣)</sup>. ولما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدل والترك لما كان عليه الناس في أيام المعتصم والواثق والمأمون، وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر شيوخ المحدثين بالحديث وإظهار السنة والجماعة<sup>(٤)</sup>.

وجرت مناظرات في العلوم اللغوية. ومن ذلك أن الكسائي وأبا محمد اليزيدي تناظرا بين يدي المهدي قبل أن يتولى الخلافة في جملة من المسائل اللغوية<sup>(٥)</sup>. ومن المناظرات التي جرت في مجلس الرشيد تلك المناظرة اللغوية بين سيّويه والكسائي، «حين زعم الكسائي أن العرب تقول: كنت أظن أن الزنبور أشد لسعاً من النحلة فإذا هو إياها، فقال سيّويه: بل الصحيح، فإذا هو هي...»<sup>(٦)</sup>. ولما أحضر سيّويه في دار يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد، لمناظرة الكسائي، حضر الأحمر قبل حضور الكسائي، فالتقى الأحمر على سيّويه مسألة، فأجاب فيها. فقال له الأحمر أخطأت. وألقى عليه أخرى فأجاب، فقال له:

(١) السعودي، مروج، ج ٤، ص ٩٧.

(٢) أبو يعقوب، يوسف بن يحيى البويطي القرشي، كان إماماً عالماً فقيهاً مناظراً. ابن النديم، الفهرست، ص ٤٤٧.

(٣) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ٥ ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م، ج ١، ص ١٥٨، سيشار له تالياً (ابن إياس الحنفي، بدائع).

(٤) البيهقي، مشاكلة، ص ٣٢؛ السعودي، مروج، ج ٤، ص ٩٨.

(٥) السيوطي، الاشباه، ج ٥، ص ٣٩ - ٤٥؛ أحمد أمين، ضحى، ج ٢، ص ٥٥.

(٦) انظر: النحاس، صناعة، ص ٤١؛ الزجاجي، مجالس، ص ٩ - ١٠؛ ابن النديم، الفهرست، ص ١٠٣ - ١٠٤؛ المرزباني، نور القبس، ص ٢٨٨؛ ابن الجوزي، المتتظم، ج ٩، ص ٥٤؛ الشريشي، شرح، ج ٣، ص ٢٠٧؛ القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٢٧١، ٣٥٩؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢١٢٥؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٣، ص ٤٦٤؛ الأربلي، خلاصة، ص ١٢٦؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٢، ص ١٥؛ الذهبي، سير، ج ٨، ص ٣٥١؛ زين الدين عمر بن مظفر بن الوردی، تاريخ ابن الوردی، ج ٢، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٦٩م، ج ١، ص ٢٨٠، سيشار له تالياً (ابن الوردی، تاريخ).

أخطأت<sup>(١)</sup>. ومن المناظرات الطريفة التي جرت في مجلس الرشيد تلك المناظرة التي جرت بين الكسائي والأصمعي في معنى مُحَرَّمًا، في بيت الراعي<sup>(٢)</sup>:

قتلوا ابن عفان الخليفة مُحَرَّمًا      وَدَعَا فلم أر مثله مخذولاً

فذهب الكسائي إلى أن مُحَرَّمًا من الإحرام بالحج، فضحك الأصمعي من تفسيره، وذهب إلى أن المعنى أن عثمان في حُرْمَةِ الإسلام وذمته، لم يأت شيئاً يُحِلُّ دمه، وقد نصر الرشيد الأصمعي<sup>(٣)</sup>. وتكلم الكسائي مع اليزيدي في حضرة الرشيد فظهر كلام اليزيدي على الكسائي، فرمى اليزيدي قلنسوته فرحاً بالغلبة<sup>(٤)</sup>. وناظر المأمون محمد بن القاسم النوشجاني المتكلم، فجعل يصدقه ويُطريه ويستحسن قوله<sup>(٥)</sup>. وتناظر بعض الأدباء في مجلس ايتاخ (ت ٢٣٤هـ / ٨٤٨م)، لاختيار مؤدب للمتصر والمعتز أبناء المتوكل<sup>(٦)</sup>. وتناظر أبو العباس ثعلب والمبرّد في حضرة الأمير محمد بن عبدالله بن طاهر (ت ٢٥٣هـ / ٨٦٧م)، في شيء من علم النحو<sup>(٧)</sup>.

وجرت مناظرات في أمور أخرى كالغناء وعلم الكلام والفلك والحكمة والتشيع

(١) القفطي، إنباء، ج ٢، ص ٣٥٩.

(٢) حصين بن معاوية من بني غنم وكان يقال لايه في الجاهلية معاوية الرئيس، وكان سيداً وانما قيل له الراعي لانه كان يصف الابل في شعره. ابن قتيبة، الشعر، ص ٢٦٥.

(٣) الزجاجي، الامالي، ص ٣٥؛ المرزباني، نور القبس، ص ٢٨٦؛ السيوطي، الاشياء، ج ٥، ص ١٠٢.

(٤) الزجاجي، مجالس، ص ٣٤٠؛ ابن الأنباري، نزهة، ص ٧٠؛ الاربلي، خلاصة، ص ٢٠٦؛ ابن وادران، تاريخ، ص ١٧٣؛ بروكلمان، تاريخ الادب، ج ٢، ص ١٦٨.

(٥) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج ٣، ص ١١٦؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج ٥، ص ٨٣.

(٦) انظر: الزجاجي، مجالس، ص ٦١؛ ابن النديم، الفهرست، ص ٣٨٠؛ ابن الأنباري، نزهة، ص ١٥٩؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ١، ص ٣٦١ - ٣٦٢.

(٧) انظر: ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٢، ص ٥٥٠.



والمقالات. فقد قُرب المأمون أهل الكلام وأمرهم بالمناظرة بحضرته. وجالسه بشر بن غياث المريسي المتكلم (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م)، وثمانية بن الأشري المتكلم (ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م)، وهما من المعتزلة<sup>(١)</sup>. وعقد المأمون المجالس للمناظرة في الأدب والمقالات، وكان أستاذه فيها أبا الهذيل بن محمد بن الهذيل العلاف المعتزلي المتكلم (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م)<sup>(٢)</sup>. وتناظر أحمد بن يوسف الكاتب (ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م)، وإبراهيم بن المهدي في قصر المأمون في أمر بني هاشم وتقديم بعضهم على بعض، فعلاه إبراهيم فصاحة وحجة<sup>(٣)</sup>. وقال بشر بن غياث المريسي: «حضرت عبدالله المأمون أنا، وثمانية ومحمد بن أبي العباس، وعلي بن الهيثم، فتناظروا في التشيع، فنصر محمد بن العباس الامامية ونصر علي بن الهيثم الزيدية وجرى الكلام بينهما»<sup>(٤)</sup>. وعقد الوالي محمد بن سليمان ابن عم الرشيد مجالس للمناظرة، وقد حضر البهلول<sup>(٥)</sup> (ت ١٩٠هـ / ٨٠٥م)، أحد هذه المجالس<sup>(٦)</sup>. وجرى مناظرات في الشعر. ففي عهد الواثق تلاحى مخارق بن يحيى المغني (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م)، وحسين بن الضحاك الشاعر (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٤م)، في أبي العتاهية وأبي نواس أيهما أشعر، وكانت الملاحاة على حال، فاتفقا على اختيار شعر من شعريهما يتناظران فيه<sup>(٧)</sup>. وتجادل أبو العباس ثعلب مع ابن الأعرابي في حضرة الأمير أحمد بن سعيد بن سلم، وعنده جماعة من أهل الأدب، في

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٢، ص ٢٣٥.

(٢) الكازروني، مختصر، ص ١٣٤.

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله الصولي، اخبار الشعراء المحدثين، غني بنشره ج. هيورث، ج ٣، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٣٤، سيشار له تالياً (الصولي، اخبار).

(٤) ابن طيفور، بغداد، ص ٢٢.

(٥) ابن وهيب، بهلول بن عمرو الصيرفي، من أهل الكوفة، وكان من عقلاء المجانين وله كلام مليح ونوادر وأشعار. الكتبي، فوات، ج ١، ص ٢٢٩.

(٦) الحكيمي، تاريخ، ص ١١٥ - ١١٦.

(٧) الاصفهاني، الاغانى، ج ٧، ص ١٧٣؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٨٧ - ٨٨.

معاني أبيات من الأبيات الغريبة<sup>(١)</sup>. وتناظر اسحاق الموصلي وإبراهيم المهدي في الغناء بحضرة المعتصم<sup>(٢)</sup>، كما تناظر المغنون عند الواثق «فذكروا الضراب وخذقهم»<sup>(٣)</sup>. وتناظر المأمون سهل ابن هارون في حكماء اليونان، وما قد تكلموا في الحكمة وعلم الفلك<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن الخلفاء والأمراء كانوا يعقدون مجالس خاصة للسمر والترويح، فيحضرها الأدباء من أهل الأخبار والنوادر والأدب والشعر ممن آثرهم، واختصهم لهذا الغرض، يجالسونه في أوقات معينة، أو إذا دعاهم في ساعة قلقه أو أرقه. فقد أشار أبو العباس السفاح في أحد مجالسه إلى سمارة قائلاً: «العجب ممن يترك أن يزداد علماً ويختار جهلاً، فقال أبو بكر الهذلي: ما تأويل ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: يترك مجالسة مثلك وأمثال أصحابك، ويدخل إلى امرأة أو جارية فلا يزال يسمع سخفاً ويروي نقصاً»<sup>(٥)</sup>. وقد كان يطيل السهر ويعجبه الفصاحة ومنازعة الرجال «فسهر ذات ليلة وعنده أناس من مضر وفيهم خالد بن صفوان بن الأهتم التميمي الخطيب الراوية (ت ١٣٥هـ / ٧٥٢م) وناس من اليمن... فقال أبو العباس: هاتوا واقطعوا ليلتنا بمحادثتكم»<sup>(٦)</sup>. وكان المنصور ميالاً إلى مسامرة أهل بيته، وقد خصّهم بأن رفع عنهم الكثير من رسوم المجالس العامة، إذ أعفاهم من الوقوف له إذا ما حضر مجالسهم<sup>(٧)</sup>. وأرسل يوماً في طلب وجوه بني هاشم من بيوتهم، في

(١) أحمد أمين، ضحى، ج ٢، ص ٥٦؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ٥٠٥.

(٢) الاصفهاني، الاغانى، ج ٥، ص ٢٦٣.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٥٣.

(٤) ابن وادان، تاريخ، ص ٤٣٥.

(٥) المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٣٢٠.

(٦) البيهقي، المحاسن، ص ٩٤.

(٧) أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل، عين الادب والسياسة وزين الحسبة والرياسة، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٣٨م، ص ١٤٧، سيشار له تالياً (ابن هذيل، عين الادب).

الوقت الذي كان يجلس البعض الآخر عنده، وعندما أخذوا مجلسهم عنده أمر الربيع أن يضع بين يدي كل واحد منهم دواة وورق، ثم التفت إلى عبد الصمد بن علي<sup>(١)</sup>، فقال: «يا عم حدث ولدك وأخوتك وبني أخيك بحديث البر والصلة»<sup>(٢)</sup>. وكان يوصي المهدي ويحثه على أن لا يعقد مجلساً إلا ومعه من أهل العلم والمحاذنة<sup>(٣)</sup>. واختص الهيثم بن عدي الاخباري (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، بمجالسة المنصور والمهدي والهادي والرشيد وروى عنهم<sup>(٤)</sup>. وكان عيسى بن دأب، يجالس الهادي، وقد كان ذا علم ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم<sup>(٥)</sup>. واستخلص الرشيد الأصمعي لمجالسته، وقد قال له يوماً: «هل تعرف كلمات جامعة لمكارم الأخلاق، يقل لفظها ويسهل حفظها تكون لأغراضها لفظاً ولقاصدها وقفاً، تشرح المستبهم وتوضح المستعجم»<sup>(٦)</sup>. وقال الرشيد للكسائي: «يا علي بن حمزة، قد أحللتك المحل الذي لم تكن تبلغه همتك، فرونا من الأشعار أعفها، ومن الأحاديث أجملها بمحاسن الأخلاق، وذاكرنا بآداب الفرس والهند»<sup>(٧)</sup>. وكان الحسين بن الضحاك الشاعر (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٤م)، من جلساء الأمين<sup>(٨)</sup>. ولما قدم المأمون من خراسان وصار إلى بغداد، أمر أن يسمى قوم من أهل الأدب يجالسونه... فكان الحسين بن الضحاك منهم<sup>(٩)</sup>. وكان أبو بشر ثمامة بن

(١) عبد الصمد بن علي بن عبدالله بن عباس عم المنصور، (ت ١٨٥هـ / ٨٠١م). أبو الفداء، المختصر، ج ٢، ص ١٦.

(٢) ابن الجوزي، المتظم، ج ٩، ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٣) الطبري، تاريخ، ج ٨، ص ٧٢.

(٤) ابن خلكان، وفیات، ج ٦، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٥) المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٣٩٨.

(٦) الطرطوشي، سراج، ج ١، ص ٢٠٠.

(٧) ابن أبي الحديد، شرح، ج ٥، ص ٥٦.

(٨) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٣، ص ١٠٦٣.

(٩) ابن طيفور، بغداد، ص ٣٧.

الأشرس النميري المعتزلي خصيصاً بالأمون<sup>(١)</sup>. ودخل النضر بن شميل على المأمون وهو في بهو له في يوم صائف وجلس إليه يسامره وقد سأل المأمون عن النساء وأيهم أحب إليه<sup>(٢)</sup>. وأعجب المعتصم بأبي جعفر محمد بن عبدالله الاسكافي (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)، إعجاباً شديداً، فقدمه ووسع عليه وكان إذا تكلم أصفى إليه وسكت من في المجلس، فإذا فرغ نظر المعتصم اليهم وقال: «من يذهب عن هذا الكلام واليان؟»<sup>(٣)</sup>. واختص والي خراسان، طاهر بن الحسين (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، عون بن ملحمة الخزاعي لمجالسته ومنادمته، وقد كان عون من الشعراء الظرفاء كما كان صاحب أخبار ونوادر ومعرفة بأيام الناس<sup>(٤)</sup>. ولما خرج المعتصم إلى عمورية استخلف الواصل بسامراء، فوجه إلى الجلساء والمغنين ليحضرُوا إليه للمسامرة<sup>(٥)</sup>. وقال بعض خاصة الواصل: «كنا نسمر عنده ذات ليلة، وكنا نتذاكر الأسباب التي أدت بالرشيد إلى الإطاحة بالبرامكة وزوال نقمتهم»<sup>(٦)</sup> وقال السعودي: «وكان يحضر مجلس الواصل فتى برسم الندماء، وكان يقوم قائماً لصغر سنه، ولم يكن لذلك يلحق في الجلوس بمراتب ذوي الأسنان، وكان ذكياً ماذوناً له في الإفاضة مع الجلساء في كل ما يعرض لهم الكلام فيه، والتكلم بما يسنح ويختلج في صدره من مثل سائر، وبيت نادر، وحديث ممتع، وجواب مسرع»<sup>(٧)</sup>. وكان أبو الحسن علي بن يحيى المنجم (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، نديماً للمتوكل ومن خواصه وجلسائه المتقدمين عنده<sup>(٨)</sup>.

(١) ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ١٧٧.

(٢) انظر: البيهقي، المحاسن، ص ٤٠٤؛ النووي، تهذيب، ج ٢، ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٥٣.

(٤) ابن المعتز، طبقات، ص ١٨٥.

(٥) الاصفهاني، الاغانى، ج ٩، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(٦) الطبري، تاريخ، ج ٩، ص ١٢٥ - ١٢٦.

(٧) السعودي، مروج، ج ٤، ص ٨٩.

(٨) ابن خلكان، وفيات، ج ٣، ص ٣٧٣.

ولم تقتصر مجالس السمر على الموضوعات التي ذكرت آنفاً، بل تجاوزتها إلى الشعر. فقد طلب المنصور من حماد الراوية أن ينشده شعر هِثَّان بن هَمَّام بن نُضلة، وهو يرثي أبا<sup>(١)</sup>. ودخل مروان بن أبي حفصة الشاعر (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م)، علي المهدي بعد وفاة معن بن زائدة الشيباني (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م)، في جماعة من الشعراء<sup>(٢)</sup>، كما استدعى المهدي الشعراء إلى مجلسه وكان فيهم أبو العتاهية وبشار بن برد<sup>(٣)</sup>. وكان بشار بن برد يمدح المهدي ويحضر مجلسه<sup>(٤)</sup>. وقرب الهادي، الشاعر سلم بن عمرو الخاسر (ت ١٨٦هـ / ٨٠٢م)، وأغدق عليه الأموال<sup>(٥)</sup>. ويبدو ولع الرشيد كبيراً في الاستماع إلى الشعر، ومجالسة الشعراء، فكان مجيداً للشعر ذواقاً له<sup>(٦)</sup>. وقد قال يوماً لجماعة من أهله وجلسائه: «أي بيت مدح به الخلفاء منا ومن بني أمية أفخر؟ فقالوا وأكثروا... فقال الرشيد: أمدح بيت وأفخره، قول ابن النصرانية<sup>(٧)</sup> في عبد الملك:

شمس العداوة حتى يُستقاد لهم      وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا<sup>(٨)</sup>.

وجلس علي بن حمزة الكسائي مع المفضل<sup>(٩)</sup> بحضرة الرشيد، وقد طلب الرشيد أن

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج ٨، ص ٧٧.

(٢) رفاعي، عصر، ج ١، ص ١٨٣.

(٣) ابن كثير البداية، ج ١٠، ص ٢٧٧.

(٤) ابن المعتز، طبقات، ص ٢١.

(٥) ابن طباطبا، الفخري، ص ١٩٣ - ١٩٤.

(٦) ابن دقنة، الجوهر، ج ١، ص ١٢٧.

(٧) الاخطل، النصراني، الشاعر، واسمه غياث بن غوث التغلبي، شاعر بني امية، والاخطل لقب غلب عليه.

الاصمعي، الاغاني، ج ٨، ص ٢٧٩.

(٨) المصدر نفسه، ج ١١، ص ٦١.

(٩) المقصود به: المفضل بن محمد الضبي، وقد سبقت ترجمته.

يؤذن لمن حضر من الشعراء بالدخول إليه وقد أشار للكسائي والمفضل بالجلوس<sup>(١)</sup>. وعن العتابي (ت ٢٢٠هـ / ٨٣٥م)، قال: «كنا بباب الفضل بن يحيى البرمكي أربعة آلاف ما بين شاعر وزائر»<sup>(٢)</sup>. ويظهر اهتمام المأمون بالشعر واضحاً، فقد قال مرة لمن حضر من جلسائه: «أنشدني بيتاً للملك، يدل البيت وإن لم يُعرف قائله أنه شعر ملك، فأنشده بعضهم قول امرئ القيس:

أمن أجل اعرابية حل أهلها      جنوب الملا عينك بتدران»<sup>(٣)</sup>

واستقدم المعتصم الحسين بن الضحاك من البصرة حين ولي الخلافة بعد موت المأمون، فلما دخل عليه استأذن في الإنشاد<sup>(٤)</sup>. وكان الائق شاعراً أديباً حافظاً لأشعار العرب<sup>(٥)</sup>.

وربما تخلل مجالس أسماهم الاستماع إلى شيء من الشعر المغنى، وغالباً ما يكون مجلس المغنين مفصلاً عن مجلس الخلفاء ويغتنوهم من وراء ستارة<sup>(٦)</sup>. فقد كان الهادي يحب الغناء فقرب إبراهيم الموصللي وابنه إسحاق، وأغدق الأموال عليهم<sup>(٧)</sup>. وكان المغنون يحضرون مجلس المهدي فيسمع إليهم من وراء الستار<sup>(٨)</sup>. وخلع الرشيد على إسحاق الموصللي خلعة مجزية بعد أن غناه<sup>(٩)</sup>. كما حظي إبراهيم الموصللي عند الرشيد،

(١) الزجاجي، مجالس، ص ٣٨.

(٢) الصولي، اخبار، ج ١، ص ٣.

(٣) الاصفهاني، الاغاني، ج ٧، ص ٣٧.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٣، ص ١٠٦٤ - ١٠٦٥.

(٥) ابن العمراني، الانباء، ص ١١١.

(٦) السعودي، مروج، ج ٣، ص ٤٤١.

(٧) الذهبي، سير، ج ٧، ص ٤٤٢؛ الدوري، العصر العباسي، ص ١٠٠.

(٨) الاصفهاني، الاغاني، ج ٤، ص ٣٦٢.

(٩) الابشيهي، المستطرف، ج ٢، ص ١٨٦.

وكان من جملة سماره وندمائيه ومغنيه<sup>(١)</sup>. وكان الرشيد يجعل بينه وبين مغنيه ستارة، وعندما غناه مخارق (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م)، رفع الستارة، وكان في مجلس الرشيد، ابن جامع المغني (ت ١٩٢هـ / ٨٠٧م)، وغيره<sup>(٢)</sup>. وقام الأمين عن مجلسه فأكب على رأس إبراهيم المهدي مقبلاً بعد أن غناه<sup>(٣)</sup>. وحديث مخارق قائلاً: «كنا عند المأمون أنا والمغنون بدمشق»<sup>(٤)</sup>. وكان الواصل عارفاً بالغناء مجيداً له،<sup>(٥)</sup> ولما خرج المعتصم إلى عمورية مستخلفاً الواصل، أرسل في طلب الجلساء والمغنين أن يكرؤا إليه في يوم حدده لهم، وطلب أن يجلس كل جلس إلى جانب مغنٍ، فجلسوا كذلك... وابتدأ الواصل بالغناء ثم تبعه البقية<sup>(٦)</sup>.

ويبدو أن مجالس الخلفاء والأمراء في قصورهم، لم تقتصر على العلوم الدينية واللغوية والأدبية، بل تعدتها إلى عقد مجالس أخرى شملت الكلام والطب والصيدلة والنجوم والفلسفة. فقد قرّب المنصور المنجمين، وعمل بأحكام النجوم<sup>(٧)</sup>. وفي أيام الرشيد كان ليحيى ابن خالد البرمكي - وهو ذو بحث ونظر - مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الإسلام وغيرهم من أهل النحل<sup>(٨)</sup>. وعقدت مجالس للطب والصيدلة. فقد أراد الرشيد أن يمتحن

(١) ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢٠٨.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٢، ص ٣١٦.

(٣) الجاحظ، التاج، ص ٩١.

(٤) ابن طيفور، بغداد، ص ١٥٠.

(٥) ابن العمراني، الأنباء، ص ١١؛ السيوطي، تاريخ، ص ٣٤٣؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي)، ج ٤، ط ٧، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٤م، ج ٢، ص ٤١٣، سيشار له تالياً (حسن إبراهيم، تاريخ).

(٦) الاصفهاني، الاغانى، ج ٩، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(٧) المقرئ، السلوك، ج ١، ص ١٥؛ السيوطي، الوسائل، ص ١٠١؛ القرطبي، اخبار، ج ٢، ص ٧٦.

(٨) المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٤٥٤؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٨٣؛ الديوبه جي، التربية، ص ١١٠.

بختيشوع بن جورجس الطبيب (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، أمام جماعة من الأطباء<sup>(١)</sup>. وتكلم المأمون في الطب وقرب أهل الحكمة<sup>(٢)</sup>. وأمر حيدر بن كاوس الأفشين، قائد جيوش المعتصم (ت ٢٢٦هـ / ٨٤٠م)، زكريا الطيفوري الطبيب، بأن يمتحن الصيادلة<sup>(٣)</sup>. وكان الواثق محباً للنظر مكرماً لأهله، مبغضاً للتقليد، محباً للاشراف على علوم الناس وآرائهم. وقد حضر مجلسه يوماً الفلاسفة والأطباء «فجرى بحضرته أنواع من علومهم في الطبيعيات وما بعد ذلك من الالهيات»<sup>(٤)</sup>.

## ٢- منازل العلماء:

يبدو أن منازل العلماء لعبت دوراً كبيراً في نشر العلم، وتوسيع التعليم. فقد اتخذ كثير من العلماء منازلهم أماكن لانعقاد مجالسهم. فقد جاء أصحاب الحديث يوماً ليسمعوا على سليمان بن مهران الأعمش (ت ١٤٨هـ / ٧٦٥م)، فقال لهم مازحاً: «لولا أن في منزلي من هو أبغض إليّ منكم ما خرجت إليكم»<sup>(٥)</sup>. وناظر أبو يوسف (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م)، زفر بن الهذيل العلاف (ت ١٥٨هـ / ٧٧٤م)، عند أبي حنيفة في الفقه، فأطالا، فقال أبو حنيفة لزفر: «لا تطمع في رئاسة بلد فيها مثل هذا»<sup>(٦)</sup>. وكان منزل مالك بن أنس مبسوطاً بأنواع المفارش<sup>(٧)</sup>

(١) موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ٣، ط ١، دار الثقافة، بيروت ١٩٨١م، ج ١، ص ٤٢، سيشار له تالياً (ابن أبي أصيبعة، عيون)؛ أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ط ٢، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨١م، ص ٣٥، سيشار له تالياً (أحمد عيسى، البيمارستانات).

(٢) ابن طباطبا، الفخري، ص ٢١٦.

(٣) انظر: القفطي، اخبار ص ١٢٩؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ٩٢.

(٤) المسعودي، مروج، ج ٤، ص ٩٠ - ٩١.

(٥) اليافعي، مرآة، ج ١، ص ٣٢٦.

(٦) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ١، ص ٢٩٩.

(٧) ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ١٨٠.



لمن يأتيه من طلاب العلم<sup>(١)</sup>. ووجه الرشيد إلى مالك بن أنس ليأتيه فيحدثه، فقال مالك: «إن العلم يؤتى» فصار الرشيد إلى منزله وجلس بين يديه فحدثه<sup>(٢)</sup>. وكان يجتمع في منزل عبدالله بن المبارك المحدث (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م)، الكثير من العلماء وأصحاب العبادات يتدارسون العلم<sup>(٣)</sup>. وكان محمد بن الحسين الشيباني (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م)، «إذا حدث عن مالك امتلاً منزله وكثر الناس عليه حتى يضيق عليهم الموضع»<sup>(٤)</sup>. وكان لغندر الحافظ البصري (ت ١٩٣هـ / ٨٠٨م)، مجلس في داره، وقد حضر يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ / ٨٤٧م)، مجلسه<sup>(٥)</sup>. واجتمع أبو نواس (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، ومسلم بن الوليد (ت ٢٠٨هـ / ٨٢٣م)، وجماعة من الشعراء في مجلس أحدهم فقال لهم أبو نواس: «إن مجلسنا قد اشتهر باجتماعنا فيه، ولهذا اليوم ما بعده فليات كل امرئ منكم بأحسن ما قال فلينشده»<sup>(٦)</sup> وقصد الحسين بن علي الصدائي الراوي منزل أبي داود الحضري (ت ٢٠٣هـ / ٨١٨م)، طالباً للحديث فأخذ يلي عليه الحديث<sup>(٧)</sup>. وكان منزل الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، ملتقى لعلماء بغداد والوافدين عليها<sup>(٨)</sup>. أما مجلس داود بن علي الأصفهاني المحدث (ت ٢٧٠هـ / ٨٨٣م)، فكان يحضره أربعمائة طالب من أصحاب الطيلسان الأخضر<sup>(٩)</sup>.

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٤٦٩.

(٢) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٣٤؛ ابن عربي، محاضرة، ج ١، ص ٤٤٣؛ ابن نباتة، سرح، ص ٢٦٢؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص ٥٦٦.

(٣) ابن الجوزي، الصفوة، ج ٤، ص ١٢١.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٢، ص ١٧٣؛ بشار معروف، «التربية والتعليم»، ج ٨، ص ٣٤.

(٥) الذهبي، تذكره، ج ١، ص ٣٠١.

(٦) ابن المعتز، طبقات، ص ٢٠٧، ٢٢٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ٣٣؛ الشريشي، شرح، ج ٢، ص ١١١.

(٧) ابن الجوزي، الصفوة، ج ٣، ص ١١٧.

(٨) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٢.

(٩) الشيرازي، طبقات، ص ٩٢؛ الذهبي، العبر، ج ١، ص ٣٩٠. والطيلسان قطعة قماش توضع فوق العمامة، وتندلى على الكتفين، وبعضهم يرسلها على ظهره. أحمد شلبي، التربية، ص ٢٧٧؛ الديوه جي، التربية، ص ١٠٥.

ولم تقتصر مجالس العلم وحلقاته في منازل العلماء على العلوم الدينية وعلوم اللغة والأدب فحسب، بل تعدتها لتشمل الطب والهندسة والفلسفة والكلام. فقد كان بعض كبار الأطباء يعقدون المجالس العامة لتدريس الطب في منازلهم<sup>(١)</sup>، فقد كان يوحنا بن ماسويه الطبيب (ت ٢٤٣هـ / ٨٥٧م)، يعقد مجلساً للطب في منزله، «... ويجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة واجتمع إليه أهل العلوم والآداب وكان يدرس ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون»<sup>(٢)</sup>. وقد قال أحد جلسائه: «كان مجلس يوحنا بن ماسويه أعمر مجلس كنت أراه بمدينة السلام لمطباء أو متكلم أو متفلسف»<sup>(٣)</sup>. وكان تلاميذه يقرؤون عليه في هذا المجلس كتب المنطق والطب<sup>(٤)</sup>. وكان لأبي ذلف القاسم بن عيسى العجلي (ت ٢٢٥هـ / ٨٣٩م)، مجلساً يحضره الأطباء «ربما اجتمع في مجلسه منهم عشرون رجلاً»<sup>(٥)</sup>. وكان لأبي عبدالله أحمد بن أبي ذؤاد المعتزلي، مستشار المأمون والمعتصم والواثق (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)، ندوة كبيرة يحضرها من كبار المترجمين والأطباء سلمويه وابن ماسويه وبختيشوع بن جبريل<sup>(٦)</sup>.

وفي منازل العلماء عقدت مجالس للهندسة والحساب، فقد سأل سند بن علي<sup>(٧)</sup>: «هل

(١) أحمد عيسى بك، اليمارستانات، ص ٣٨.

(٢) أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي، اخبار العلماء باخبار الحكماء، تحقيق محمد امين الخانجي، دار الكتب الحديوية، القاهرة د.ت، ص ٢٤٩، سيشار له تالياً (القفطي، اخبار)، الديوه جي، الترية، ص ٧١.

(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٢٤؛ ابن العبري، مختصر، ص ١٣١.

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٢٤.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١٢.

(٦) الجاحظ، الحيوان، ج ٤، ص ١٢٣.

(٧) سند بن علي اليهودي، ويكنى ابا الطبيب، كان يهودياً واسلم على يد المأمون، وكان منجماً. ابن النديم، الفهرست، ص ٥٥٣.

للمهندسين والحساب موضع يجتمعون فيه. فقيل له: لهم مجلسين في دار العباس بن سعد الجوهري... فرأيت جميع من حضر مشايخ<sup>(١)</sup>.

وربما عقدت مجالس العلماء عند أبواب دورهم بسبب ضيق منازلهم وكثرة الطلاب، فقد كان الفراء النحوي (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، يُدرّس عند باب داره النحو<sup>(٢)</sup>. وكان أحمد بن جعفر الدينوري النحوي (ت ٢٨٩هـ / ٩٠١م)، يخرج من منزل ثعلب النحوي وهو جالس على باب داره فيتخطى ثعلب وطلبته ويتوجه إلى المبرّد النحوي ليقراً عليه<sup>(٣)</sup>.

يلاحظ مما سبق أن منازل العلماء كانت ملتقى لرجالات العلم والأدب، يعقدون فيها مجالسهم، فكان إسهامها كبيراً في نشر العلم والثقافة. ولما كان البيت مكاناً خاصاً يحس رواده بالوحشة والانقباض كان على صاحب البيت - وقد جعل منه ملتقى للطلاب - أن يقابل رواده نبشاشة وترحيب. في الوقت الذي يتجتم فيه على الطلاب أن يتسموا بالوقار والهدوء حفاظاً على حرمة البيت وجلاله<sup>(٤)</sup>.

#### ٤- حوانيت الوراقين:

ويقصد بها الأماكن الخاصة ببيع الكتب والورق وأدوات الكتابة<sup>(٥)</sup>، والتي بدأت تنتشر

(١) أبو جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم بن الداية، المكافأة وحسن العقبي، تحقيق محمود محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت، ص ١٤٢، سيشار له تالياً (ابن الداية، المكافأة).

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٤، ص ١٥٣.

(٣) السيوطي، بغية، ج ١، ص ٣٠١.

(٤) أحمد شلبي، التربية، ص ٧١.

(٥) انظر: الفصل الخامس (الوراقون).

منذ مطلع الدولة العباسية، نتيجة للتطور العلمي والحضاري الذي مر به المجتمع الإسلامي، وقد اتخذ العلماء والأدباء من هذه الحوانيت مكاناً لاجتماعاتهم وابحاثهم ف عقدوا فيها المناقشات والمناظرات واشترك فيها الوراقون أنفسهم، الذين لم يكونوا مجرد تجار ينشدون الربح المادي فقط، بل كان الكثير منهم من المثقفين الذين اختاروا هذه المهنة لما تتيحه لهم من فرص للقراءة والاطلاع<sup>(١)</sup>، وقد حرصوا على اجتذاب العلماء إلى حوانيتهم<sup>(٢)</sup>. وبذلك أصبحت حوانيت الوراقين مصدراً من مصادر انتشار الثقافة واتساع نطاق التعليم في الدولة الإسلامية. قال عبدالله بن أحمد أبو هفان الشاعر: «لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فانه لم يقع بيده كتاب قط، إلا استوفى قراءته كائناً ما كان، حتى أنه كان يكتري دكاكين الوراقين، ويبيت فيها للنظر»<sup>(٣)</sup>. وكان الشعرا يعقدون بعض مجالسهم في دكاكين الوراقين، فقد زوى ابن أبي شقيقه الوراق أنه «كان يجتمع في دكان أبيه ببغداد، وأن أبا العتاهية (ت ٢١١هـ / ٨٢٦م)، حضرهم يوماً، فتناول دفترأ ووقع على ظهره شعراً»<sup>(٤)</sup>. وقال أبو بكر بن دريد البصري الحافظ (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م): «رأيت رجلاً من الوراقين بالبصرة يُفضل كتاب المنطق ليعقوب بن السكيت، ويُقدّم الكوفيين... وكان الرياشي»<sup>(٥)</sup>، قاعداً في الوراقين<sup>(٦)</sup>. ووصف ابن الجوزي سوق الوراقين ببغداد، فقال: «إنها سوق كبيرة وهي مجالس العلماء والشعراء»<sup>(٧)</sup>.

(١) أحمد شلبي، الترية، ص ٦٣.

(٢) محمد منير، تاريخ الترية، ص ١٨٣.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٥؛ ابن النديم، الفهرست، ص ٢٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢١٠١ - ٢١٠٢؛ متر، الحضارة، ج ١، ص ٣٢٤.

(٤) ابن المعتز، طبقات، ص ٢٠٧.

(٥) ابو الفضل، العباس بن الفرّج الرياشي، ورياش رجل من جذام، وكان أبو عباس عبداً له، فبقي نسبه إلى ريش، وكان عالماً باللغة والشعر وكثير الرواية عن الاصمعي، توفي سنة ٢٥٧هـ / ٨٧٠م. ابن النديم، الفهرست، ص ١١٨.

(٦) السيرافي، اخبار، ص ٩٩؛ ابن النديم، الفهرست، ص ١١٨.

(٧) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص ٢٦.

## هـ - الدكاكين (حوانيت البيع والشراء):

وظهرت دكاكين البيع والشراء كماكن يلتقي فيها العلماء، يتباحثون في مختلف المواضيع<sup>(١)</sup>. حيث كان بعض العلماء يعملون في الأسواق لكسب معاشهم، فكانوا يستقبلون في دكاكينهم العلماء للبحث والنظر<sup>(٢)</sup>. فقد ازدحم حانوت أبي العتاهية - الذي كان يبيع فيه الجرار والفخار - بالأحداث والمتأدين فينشدهم أبو العتاهية أشعاره ثم يأخذ هؤلاء ما تكسر من الخزف فيكتبوها عليها<sup>(٣)</sup>. وكان الإمام أحمد بن حنبل يروي الحديث في دكان صائغ<sup>(٤)</sup>.

وهكذا كانت الفرصة متاحة لمن يعمل في مثل تلك الحوانيت أو يقوم بزيارتها أن يسمع إلى الدروس والمناقشات التي كانت تجري خلالها.

## ٦ - المكتبات:

يبدو أن المكتبات العامة منها والخاصة<sup>(٥)</sup>، كانت من الأماكن التي تعقد فيها حلقات ومجالس العلم، فقد كانت مركزاً علمياً للبحث والدراسة، ومجمعاً للعلماء يقصدونها للمشاركة والاستماع لما يدور فيها من مناظرات ومناقشات<sup>(٦)</sup>.

وقد كانت مكتبة بيت الحكمة في بغداد أول مكتبة عامة في العصر العباسي مجمعة

---

(١) أحمد شلبي، التربية، ص ٦٦؛ رناد الخطيب، «المؤسسات»، ص ٢٣.

(٢) منير الدين أحمد، تاريخ التعليم، ص ٧٣؛ الديوه جي، التربية، ص ٧٠.

(٣) الاصفهاني، الاغانى، ج ٤، ص ١١.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٩.

(٥) عن المكتبات العامة والخاصة انظر: الفصل الخامس (المكتبات).

(٦) اسعد طلس، التربية، ص ٩٧؛ الديوه جي، التربية، ص ٧٢-٧٣؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص ١٨٠.

للعلماء والكتاب والأدباء والمترجمين يتوافدون إليها لتلقي العلم والانتفاع بما توفر فيها من كتب<sup>(١)</sup>.

أما المكتبات الخاصة فقد أنشأها العلماء والأدباء لاستعمالهم الخاص، وكان من الصعب أن تجد عالماً أو أديباً دون أن تكون له مكتبة يرجع إليها في دراسته واطلاعه<sup>(٢)</sup>. ويبدو دورها واضحاً في استقبال الوافدين عليها لتلقي العلم من أفواه الرجال أو من بطون الكتب. فيروي ياقوت الحموي: «انه كان بكركر<sup>(٣)</sup>، ضيعة لعلي بن يحيى المنجم (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، فيها قصر جميل يضم خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة، يقصدها الناس من كل بلد، فيقيمون فيها، ويتعلمون منها صنوف العلم، وكانت الكتب مبدولة في ذلك لهم، والصيانة مشتملة عليهم، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى، فقدم أبو معشر جعفر بن محمد البلخي المنجم (ت ٢٧٢هـ / ٨٨٦م)، من خراسان يريد الحج، وهو إذ ذاك لا يحسن كبير شيء من النجوم، فوصفت له الخزانة فمضى ورآها فهاله أمرها، فأقام بها وأضرب عن الحج وتعلم فيها علم النجوم وأغرق فيه حتى الحد، وكان ذلك آخر عهده بالحج وبالدين الاسلامي أيضاً<sup>(٤)</sup>. وكان للفتح بن خاقان وزير المتوكل (ت ٢٤٧هـ / ٨٦١م)، خزانة كتب ضخمة

(١) اسعد طلس، التربية، ص ٩٧؛ عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص ٣٣؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص ١٨٠؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ٤٢٦؛ اعتماد يوسف القصيري، فن التجليد عند المسلمين، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٧٩م، ص ٢٠، سيشار له تالياً (اعتماد القصيري، فن التجليد)؛ هونكة، شمس، ص ٣٨٥ - ٣٨٦.

(٢) عبدالله عبد الدايم، التربية، ص ١٥٩.

(٣) وهي ناحية من نواحي بغداد، كانت مجعماً لأصحاب الحرف. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤٧.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢٠١٤ - ٢٠١٥؛ أحمد عبد الباقي، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩١م، ص ٢٩٢، سيشار له تالياً (أحمد عبد الباقي، معالم)؛ كوركيس عواد، «خزائن كتب العراق العامة»، مجلة سومر، ج ٢ م ٢، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٤٦م، ص ٢١٩، سيشار له تالياً (كوركيس عواد، «خزائن»).

وكان يحضر إليه علماء الكوفيين والبصريين للقراءة والاطلاع<sup>(١)</sup>. وأعد عبدالله محمد بن هانئ النيسابوري اللغوي (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م)، داراً لكل من يقدم من المستفيدين، فيأمر بإنزاله فيها، ويوفر له الورق ويقوم بالانفاق عليه<sup>(٢)</sup>.

## ٧- البادية:

يبدو أن اتصال العرب المسلمين بغيرهم من الأعاجم، كان له الأثر الكبير في ظهور اللحن بين العامة والخاصة، وظهور لغة أطلق عليها الجاحظ اسم «لغة المولدين»<sup>(٣)</sup>.

وبينما كان اللحن يفشو في الحضر حيث اختلط العرب بالأعاجم، بقيت اللغة سليمة تماماً في الصحراء التي لم تجذب إليها الأعاجم ولا من فسدت لغتهم<sup>(٤)</sup>. وقد كان العلماء - البصريون خاصة - حذرين في بحشهم عن العربية الصافية ولذلك تجنبوا - في الغالب - القبائل التي تأثرت بأهل الحواضر القريبة<sup>(٥)</sup>. وعلى هذا أصبحت البادية مقصداً لعدد كبير من العلماء، يتعلمون اللغة من منبعها الأصيل، وليتحاشوا سماع لغة

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢١٥٧؛ الكتبي، فوات، ج ٣، ص ١٧٧؛ اعتماد القصيري، فن التجليد، ص ٢٠.

(٢) القفطي، إنباه، ج ٣، ص ١٢٧.

(٣) الجاحظ، البيان، ج ١، ص ٥٠، والمولد: مَنْ وَلَدَ بَيْنَ الْعَرَبِ وَنَشَأَ مَعَ أَوْلَادِهِمْ مِمَّنْ لَمْ تَخْلُصْ عَرُوبَتُهُ، وَالْمَوْلِدُونَ مِنَ الشَّعْرَاءِ مَنْ لَا يَسْتَشْهَدُ بِهِمْ فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ، تَمِيزاً لَهُمْ عَنِ الْجَاهِلِيِّينَ وَالْإِسْلَامِيِّينَ الْأَوَّلِينَ. محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ج ٢، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧م، ج ٢، ص ١٧٨٦، سيشار له تالياً (غربال، الموسوعة).

(٤) أحمد شلبي، التربية، ص ٩٩؛ الابراشي، تاريخ علماء، ص ١٠٨.

(٥) عبدالعزيز الدوري، «نشأة الثقافة العربية الاسلامية نظره إلى العراق»، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، ع ٢١م، ط ٢، عمان ١٩٧٨م، ص ٦٧، سيشار له تالياً (الدوري، «نشأة»).

المولدين<sup>(١)</sup>. فقد خرج الكسائي (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م)، إلى البصرة والتقى الخليل بن أحمد الفراهيدي وجلس في حلقة وسأله: «من أين أخذت علمك هذا؟ فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج [إلى البادية] ورجع، وقد أنفذ خمس عشرة قينة جبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه»<sup>(٢)</sup>. ولما ناظر الكسائي سيبويه استشهد بكلامهم واحتج بهم وبلغتهم على سيبويه<sup>(٣)</sup>. وقيل لبشار بن برد (ت ١٦٨هـ / ٧٨٤م): «ليس لأحد من شعراء العرب إلا وقد قال فيه شيئاً استنكرته العرب وشك فيه، وأنه ليس في شعرك ما يُشكُّ فيه. قال: ومن أين يأتيني الخطأ؟ ولدت ههنا، ونشأت في حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل، ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم، وأيفعت فابديت، إلى أن أدركت، فمن أين يأتيني الخطأ»<sup>(٤)</sup>. وقد كان يأتي إليه قومٌ من أعراب قيس عيلان وكانوا من أهل البيان والفصاحة، فكان ينشدهم أشعاره التي يمدحهم بها فيجلونه لذلك ويعظمونه<sup>(٥)</sup>. وطلب المهدي من المفضل الضبي (ت ١٦٧هـ / ٧٨٣م)، أن يجمع له الأمثال مما سمعها من البادية. قال المفضل: «فكتبت له الأمثال وحروب العرب مما كان فيها، فوصلني وأحسن إلي»<sup>(٦)</sup>. وكان إسحاق الموصلي (ت ١٨٨هـ / ٨٠٣م)، راوية للشعر والمآثر، وقد لقي فصحاء الأعراب من الرجال والنساء<sup>(٧)</sup>. وخرج أبو نواس (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، إلى

(١) أحمد شلبي، التربية، ص ٩٩.

(٢) ابن الانباري، نزهة، ص ٥٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ١٦٩؛ الففطي، إنباه، ج ٢، ص ٢٥٨؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٧٣٨؛ الاربلي، خلاصة، ص ١٥٧؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ١٣٢؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢٠٩؛ ابن الجزري، غاية، ج ١، ص ٥٣٨؛ السيوطي، بنية، ج ٢، ص ١٦٣.

(٣) المرزباني، نور القبس، ص ٢٨٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٧٤٣.

(٤) الاصفهاني، الاغانى، ج ٣، ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٥) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٠٠.

(٦) الطبري، تاريخ، ج ٨، ص ١٧٩.

(٧) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٧٠.



بادية بني أسد وظل بينهم حولاً كاملاً يتعلم منهم العربية والغريب<sup>(١)</sup>. وأقام النضر بن شميل الشاعر (ت ٢٠٣هـ / ٨١٦م)، بالبادية أربعين سنة<sup>(٢)</sup>. وكان الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، يطلب اللغة والشعر، وكان كثيراً ما يخرج إلى البدو ويسمع منهم<sup>(٣)</sup>. وقد قال في وصف حياته الأولى: «... ثم إني خرجت عن مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها وأخذ طبعها، وكانت أفصح العرب، فبقيت سبع عشرة سنة، أرحل برحيلهم، وأنزل بتزولهم، فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار، وأذكر الآداب والأخبار، وأيام العرب»<sup>(٤)</sup>. وقال أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ / ٩٠٣م): «دخل أبو عمرو إسحق بن مرار الشيباني اللغوي: (ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م)، البادية ومعه دستجستان»<sup>(٥)</sup> من جبر فما خرج حتى أفناهما بكتب سماعه عن العرب»<sup>(٦)</sup>. وقال الأصمعي (ت ٢١٧هـ / ٨٣١م): «بينما أنا في بعض البوادي إذ أنا بصبي - أو قال صبية - معه قربة قد غلبته، فيها ماء، وهو ينادي: يا أبت! أدرك فاهها، غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها. قال: فوالله لقد جمع العربية في ثلاث»<sup>(٧)</sup>. وكان محمد بن هشام بن عوف الشيباني اللغوي (ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م)، يقصد البادية لطلب العربية، وقد أقام بها مدة<sup>(٨)</sup>.

(١) رفاعي، عصر، ج ٣، ص ٢٠٧؛ شوقي ضيف، العصر العباسي، ص ٢٢٢؛ بروكلمان، تاريخ الادب، ج ٢، ص ٢٥ - ٢٦.

(٢) ابن الانباري، نزهة، ص ٧٣؛ السيوطي، بغية، ج ٢، ص ٣١٦.

(٣) أبو نعيم الاصبهاني، حلية، ج ٩، ص ٧١؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ١٦٥؛ السبكي، طبقات، ج ٢، ص ١٢١.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٣٩٥.

(٥) الدستيج، آنية تحمل باليد. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١، ص ٢١٩ (الهامش).

(٦) ابن الانباري، نزهة، ص ٧٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢١٩؛ القفطي، إنباه، ج ١، ص ٢٥٩.

(٧) ابن الجوزي، الاذكياء، ص ٢٤٥؛ ابن الجوزي، اخبار الحمقى، ص ٢٣٧؛ الابشيهي، المستطرف، ج ١، ص ٨٣.

(٨) السيوطي، بغية، ج ١، ص ٢٥٧.

وكان الذين يفدون إلى البادية يتعلمون من جمهرة الناس، إذ أن اللغة الفصحى كانت وحدها اللغة المستعملة، وبالإضافة إلى ذلك فإنهم انضموا إلى الحلقات العلمية التي كان يقصدها كثير من مثقفي البدو<sup>(١)</sup>، أمثال: أبي مالك بن كركرة<sup>(٢)</sup>، وأبي ثروان العكلي<sup>(٣)</sup>.

ولم تكن البادية مدرسة العلماء فحسب، إنما كان يقصدها الأمراء. قال أبو محمد اليزيدي (ت ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م): «كان أبي يكلم الأمين والمأمون بكلام يتفصحان به ويقول: كان أولاد الخلفاء من بني أمية يخرج بهم إلى البدو حتى يتفصحوا، وأنتم أولى بالفصاحة منهم»<sup>(٤)</sup>. ووجه الرشيد بالمعتصم إلى البادية ليتعلم الفصاحة<sup>(٥)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن البصرة امتازت بسوق باديتها المعروف باسم «المربد». وهو مكان بظاهر البصرة تفد إليه الأعراب من بواديهم للتجارة بالإبل والماشية وتبادل السلع والعروض، كما كان يلتقي فيه الخطباء والشعراء والرواة والتسابون وأرباب البلاغة من مختلف القبائل<sup>(٦)</sup>. وكان كثير من طلاب العلم يفدون إليه ليدوتوا ما يجري فيه من الأحاديث، أو لينقلوا عن علماء البادية ما يحفظون من أخبار قبائلهم وأنسابها وأشعارها ومثورها<sup>(٧)</sup>. فقد شهد الربد مفاخرات أشهر الشعراء كجرير والفرزدق وغيرهما وهما يتفاخران بالنسب والقبائل

(١) أحمد شلبي، التربية، ص ١٠١.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٩٣؛ السيوطي، بغية، ج ٢، ص ٢٣٢.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٩٦.

(٤) السيوطي، تاريخ، ص ٣٠٥.

(٥) ابن عبدربه، العقد، ج ٢، ص ٢٧٥.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٥؛ الخربوطلي، الحضارة، ص ١٣٩.

(٧) اسعد طلس، التربية، ص ٦٦؛ قصي الحسين، من معالم الحضارة العربية الاسلامية، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٣ م، ص ١٧٢، سيشار له تالياً (قصي الحسين، من معالم).

والمكارم<sup>(١)</sup>. وكان أبو نواس يغدو على المربد بالواحه للقاء الأعراب الفصحاء<sup>(٢)</sup>. وعن الأصمعي قال: «جئت إلى عمرو بن العلاء، فقال لي: من أين أقبلت يا أصمعي؟ قال: جئت من المربد. قال: هات ما معك، فقرأت عليه ما كتبت في الواحي، فمرت به ست كلمات لم يعرفها، فخرج يعدو في الدرجة، وقال: شمّرت في الغريب... أي غلبتني»<sup>(٣)</sup>. ولم يكن الجاحظ يقتصر على ما يتلقى عن شيوخه، بل كان يذهب إلى مربد البصرة فيلتقي بالأعراب الواردين عليه ويتلقف الفصاحة منهم شفاهاً<sup>(٤)</sup>.

(١) الاصفهاني، الاغانى، ج ٨، ص ٢٨.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج ٦، ص ٢٣٩.

(٣) قصي الحسين، من معالم، ص ١٧٢.

(٤) السندوبي، أدب الجاحظ، ص ٢٨.

## ثالثاً: أعداد المتعلمين:

يبدو أن عدد الطلاب في حلقات العلم ومجالس التدريس لم يكن محدداً، فقد تفاوتت أعداد الطلاب من حلقة إلى أخرى ومن عالم إلى آخر، وقد يكون للازدهار العلمي والتطور الثقافي الذي شهده العصر العباسي الأول أثر كبير في كثرة العلماء وتنوع العلوم، فانعكس ذلك على أعداد الطلاب بشكل واضح. وقد أوردت المصادر التاريخية أعداداً كبيرة لطلبة العلوم في حلقات العلم ومجالسه يصعب في بعض الأحيان تصورها. فقد كان يحضر مجلس أبي الحسين علي بن عاصم الواسطي المحدث (ت ٢٠١هـ / ٨١٦م)، ثلاثون ألفاً<sup>(١)</sup>. واشتهر يزيد بن هارون (ت ٢٠٦هـ / ٨٢١م)، بالحديث والفقه، وكان يحضر مجلسه زهاء سبعين ألفاً من الطلبة<sup>(٢)</sup>. وبلغ عدد طلاب الحديث في جامع الرصافة أكثر من مائة ألف شخص، وكان المحدث عاصم بن علي (ت ٢٢١هـ / ٨٣٦م)، يجلس على سطح المسقطات ويجلس الناس على رحبة النخل التي في الجامع. وقد بلغ المعتصم كثرة الجمع فأمر بحرزهم، فوجه بقطاعي الغنم فحرزوا المجلس عشرين ألفاً ومائة ألف<sup>(٣)</sup>. وضم مجلس عمرو بن مرزوق البصري المحدث (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)، عشرة آلاف رجل<sup>(٤)</sup>. وجلس أبو بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م)، في جامع الرصافة، فاجتمع إليه نحو من ثلاثين ألفاً، وجلس أخوه عثمان (ت ٢٣٤هـ / ٨٤٨م)، في جامع المنصور، فاجتمع إليه أيضاً نحواً من ثلاثين ألف طالب علم<sup>(٥)</sup>. وكان الحضور في مجلس الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، في

(١) الذهبي، العبر ج ١، ص ٢٦٣؛ الياضي، مرآة، ج ١، ص ٤٦٦.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٤، ص ٣٤٦؛ السمعاني، أدب، ص ١٦؛ النووي، تهذيب، ج ٢، ص ١٦٤؛ اسعد طلس، الترية، ص ١٦٠.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٢، ص ٢٤٧ - ٢٤٨؛ السمعاني، أدب، ص ١٧، ٩٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٦٨ - ٦٩؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٢٦٣؛ الذهبي، العبر، ج ١، ص ٣٠١.

(٤) السمعاني، أدب، ص ١٧.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٠، ص ٦٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٢٠٧؛ السيوطي، تاريخ، ص ٣٤٦.

مسجد بغداد خمسة آلاف أو يزيدون، منهم خمسمائة يكتبون عنه<sup>(١)</sup>. وبلغ عدد طلاب الحديث لدى أبي مسلم الكجي (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م)، أربعين ألفاً<sup>(٢)</sup>.

وكذلك كان الحال في قصور الخلفاء ومنازل العلماء، فقد اغتصت بالأعداد الكبيرة من العلماء والفقهاء وطلاب العلم. فعن العتابي (ت ٢٢٠هـ / ٨٣٥م)، قال: «كنا بباب الفضل ابن يحيى البرمكي أربعة آلاف ما بين شاعر وزائر»<sup>(٣)</sup>. ولما دخل المأمون بغداد وقر بها قراره، اختير لمجالسته ومحادثته مائة فقيه<sup>(٤)</sup>. وبنى المأمون شبه منبر بجانب قصره ببغداد، وجلس عليه سليمان بن حرب المحدث (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)، والناس حوله، وقد قدر عددهم أربعين ألفاً<sup>(٥)</sup>. ويكثر عدد طلاب العلم في منزل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م)، فقد قال أبو محمد اليزيدي: «صرت يوماً إلى منزل الخليل بن أحمد الفراهيدي، والمجلس غاص بأهله»<sup>(٦)</sup>. وكان طلاب العلم من الأطباء يحضرون مجلس أبي دلف العجلي (ت ٢٢٥هـ / ٨٣٩م)، فربما اجتمع في مجلسه عشرون رجلاً<sup>(٧)</sup>. وكان يحضر حلقة ابن الاعرابي (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م)، زهاء مائة شخص يأخذون عنه العلم<sup>(٨)</sup>. وكان في مجلس داود بن علي الأصفهاني المحدث (ت ٢٧٠هـ / ٨٨٣م)، أربعمئة طالب من أصحاب

(١) أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، مناقب الامام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد أمين الخانجي، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٠م، ص ٢١٠، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، مناقب الامام أحمد)؛ أبو زهرة، ابن حنبل، ص ٣٩.

(٢) السمعاني، أدب، ص ٩٦؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٣٩.

(٣) الصولي، اخبار، ج ١، ص ٣.

(٤) ابن طيفور، بغداد، ص ٣٦؛ رفاعي، عصر، ج ١، ص ٣٦٠.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ ج ٩، ص ٣٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٩٢؛ الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٣٩٣؛ الذهبي، العبر، ج ١، ص ٣٠٧.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ٢٠ ج، ص ١٨٧.

(٧) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١١٢.

(٨) ابن النديم، الفهرست، ص ١٣٧؛ الففطي، إنباء، ج ٣، ص ١٣؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ١٠٥.

ومما يلاحظ أن حلقات العلم كانت تتسع أو تضيق تمشيّاً مع أعداد الطلاب الذين يتحلّقون حول القائم بالتدريس<sup>(٢)</sup>، وهذه الأعداد بدورها كانت تتوقف على مدى شهرة العالم، وتعمقه في مادته، ومهارته في التدريس<sup>(٣)</sup>، فقد كان مجلس يوحنا بن ماسوية (ت ٢٤٣هـ / ٨٥٧م)، من المجالس العامة بالأطباء والفلاسفة، وأهل العلم، وكان فيه دعاية شديدة «يحضر بعض من يحضر من أجلها»<sup>(٤)</sup>. وجلس عتبة النحوي قريباً من حلقة ابن مناذر، فترك الناس حلقة ابن مناذر وتوجهوا إلى حلقة عتبة<sup>(٥)</sup>.

ورغم ما قد يكون في الأعداد الواردة من مبالغة تضيق بها سعة المساجد في العراق، وسعة القصور والمنازل، إلا أن فيها دلالة واضحة على مقدار الاقبال على طلب العلم والسعي من أجله، ومدى استعداد العالم لتقبل مثل هذه الأعداد، وهي بالتالي انعكاسٌ لمدى شهرته وغزارته في العلم.

(١) الشيرازي، طبقات، ص ٩٢؛ الذهبي، العبر، ج ١، ص ٣٩٠.

(٢) بشار معروف، «التربية والتعليم»، ج ٨، ص ٣٨؛ بليغ، «المسجد»، ص ٢٠٦.

(٣) أحمد شلبي، التربية، ص ٣٠٤؛ بليغ، «المسجد»، ص ٢٠٦.

George Makdisi, The Rise of Colloques, P. 18.

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٢٤؛ ابن العبري، مختصر، ص ١٣١.

(٥) الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ١٨٩.

## رابعاً : من التعليم:

يبدو أنه لم يكن هناك سن محددة لطلب العلم، بل كان كل مسلم يدرك أن من واجبه أن يطلب العلم ما أتيح له ذلك، في أي فترة من فترات عمره. فقد ذكر أن إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه فقال: «يا عم ما عندك من ما يقول هؤلاء، فقال: يا أمير المؤمنين: شغلونا في الصغر واشتغلنا في الكبر. فقال: لِمَ لا تتعلمه اليوم، قال: أويحسن بمثلي طلب العلم، قال: نعم. والله لأن تموت طالباً للعلم خير من أن تعيش قانعاً بالجهل. قال: والى متى يحسن بي طلب العلم؟ قال: ما حسنت بك الحياة»<sup>(١)</sup>.

وقد طلب بعضهم العلم أو بعضاً من العلوم على كبر سنه. فقد طلب عيسى بن عُنجار (ت ١٨٦هـ / ٨٠٢م)، العلم على كبر السن<sup>(٢)</sup>. وقال الفراء: «إنما تعلم الكسائي (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م)، النحو على كبر سنه»<sup>(٣)</sup>. وتعلم أبو معشر البلخي (ت ٢٧٢هـ / ٨٨٦م)، النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره<sup>(٤)</sup>.

على أن أكثر المرين كانوا يدركون أن التبكير في طلب العلم له كبير فائدة، وعظيم جدوى، لنشاط الجسم، وصفاء النفس، ولهذا آثروا أن يكون طالب العلم شاباً<sup>(٥)</sup>. لذلك لم يتردد الآباء على أن يلحقوا أبنائهم بحلقات العلم وهم في سن مبكرة، كما حرص الصبيان

(١) الوشاء، الظرف، ص ٥٠؛ الماوردي، أدب، ص ٤٤؛ الطرطوشي، سراج، ج ١، ص ٢٠٤.

(٢) الذهبي، العبر، ج ١، ص ٢٢٧.

(٣) ابن الأنباري، نزهة، ص ٥٩؛ القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٢٥٧ - ٢٥٨؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ١٣٣؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢٠٩؛ السيوطي، بغية، ج ٢، ص ١٦٣؛ ابن وادان، تاريخ، ص ١٧٣.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٥٥٧؛ القفطي، اخبار، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٥) أحمد شلبي، التربية، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

أنفسهم، بل تنافسوا في الجلوس المبكر أمام المدرسين للاستماع إليهم، والانتفاع بهم<sup>(١)</sup>، قال أبو عمر بن العلاء القاري (ت ١٥٤هـ / ٧٧٠م): «نظرت في العلم قبل أن أختن»<sup>(٢)</sup>. وطلب سفيان الثوري (ت ١٦١هـ / ٧٧٧م)، العلم وهو حدث<sup>(٣)</sup>، وقال: «ينبغي للرجل أن يكره ولده على طلب الحديث فإنه مسؤول عنه»<sup>(٤)</sup>. وطلب الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م)، العلم وهو ابن بضع عشرة سنة<sup>(٥)</sup>. وطلب عبدالله بن المبارك (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م)، العلم وهو ابن عشرين سنة<sup>(٦)</sup>، وقال أبو يوسف (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م): «توفي أبي وخلفني صغيراً في حجر أُمِّي، فأسلمتني إلى قصار، أخدمه، فكنت أدع القصار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة، فاجلس فاستمع»<sup>(٧)</sup>. وطلب عبيد بن وهب بن مسلم (ت ١٩٧هـ / ٨١٢م)، العلم وهو ابن سبع عشرة سنة<sup>(٨)</sup>. وكان أبو نواس (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، يتردد على حلقات الدرس في المساجد صغيراً<sup>(٩)</sup>. وطلب سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، العلم في صغره<sup>(١٠)</sup>. وقال الزهري: «ما رأيت طالباً للعلم أصغر منه»<sup>(١١)</sup>. وقد وصف طلبه

(١) أحمد شلبي، التربية، ص ٣٠٢.

(٢) الذهبي، العبر، ج ١، ص ١٧١؛ اليافعي، مرآة، ج ١، ص ٣٤٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ١، ص ٢٣٧.

(٣) الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٢٠٦؛ الذهبي، سير، ج ٧، ص ٢٣٠.

(٤) أبو نعيم الاصفهاني، حلية، ج ١، ص ٣٦٥.

(٥) الذهبي، سير، ج ٨، ص ٤٩، ٦٤.

(٦) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٣٧٩.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٧٢ - ٧٣؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٣٨٨؛ الاربلي، خلاصة، ص ١٢٩.

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٤٠؛ الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٣٠٤؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٢٢٣.

(٩) الشكعة، الشعر، ص ٢٧٣.

(١٠) الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٢٦٢؛ الذهبي، سير، ج ٨، ص ٤٥٦.

(١١) الرامهرمزي، المحدث، ص ١٨٥.



للعلم صغيراً، فقال: «لو رأيتني ولي عشر سنين طولي خمسة أشبار، ووجهي كالدينار وأنا كشعلة نار ثيابي صغار وأكمامي قصار وذيلي بمقدار ونعلي كأذان الفار، اختلف إلى علماء الأمصار، فإذا اتيت قالوا أوسعوا للشيخ الصغير»<sup>(١)</sup>. ونشأ الشافعي يتيماً في حجر أمه في قلة عيش وضيق حال، وكان في صباه يجالس العلماء ويكتب ما يستفيده<sup>(٢)</sup>. وقال: «حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين»<sup>(٣)</sup>. وطلب الحسن ابن زياد اللؤلؤي الفقيه (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، العلم وهو ابن بضع عشرة سنة<sup>(٤)</sup>. وقال الاصمعي (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م): «جلست إلى أبي عمرو بن العلاء المقرئ النحوي، ولي تسع عشرة سنة»<sup>(٥)</sup>. وكان أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، يختلف إلى مجلس القاضي أبي يوسف، ثم ترك ذلك وأقبل على سماع الحديث، فكان أول طلبه الحديث في سنة ثمانين ومائة، وقد بلغ من العمر ست عشرة سنة<sup>(٦)</sup>. وحفظ الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، تصانيف ابن المبارك وهو صبي<sup>(٧)</sup>. وكان المبرد النحوي (ت ٢٨٦هـ / ٨٩٩م)، يلازم حلقة أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، ويلازم القراءة عليه وهو غلام<sup>(٨)</sup>. وكان ثعلب النحوي (ت ٢٩١هـ / ٩٠٣م)، يقول: «ولدت سنة مائتين، وابتدأت في طلب العربية في

(١) الاربلي، خلاصة، ص ١٩٥؛ الذهبي، سير، ج ٨، ص ٤٥٩.

(٢) أبو نعيم الاصفهاني، حلية، ج ٩، ص ٦٩؛ النووي، تهذيب، ج ١، ق ١، ص ٤٦؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ١٦٦.

(٣) أبو نعيم الاصفهاني، حلية، ج ٩، ص ٧٣؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ١٦٦؛ ابن الجوزي، المتظم، ج ١٠، ص ١٣٦؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٢، ص ٢٦.

(٤) الذهبي، سير، ج ٩، ص ١٩٣.

(٥) القفطي، إنباه، ج ٤، ص ١٣٤.

(٦) أبو نعيم الاصفهاني، حلية، ج ٩، ص ١٦٢؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٣٤٠؛ كارل بروكلمان، تاريخ الادب، ج ٣، ص ٣٠٨.

(٧) الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٢٦٢.

(٨) ابن الانباري، نزهة، ص ١٤٦؛ القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٥٩؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ٦٠٧.

سنة ست عشرة ومائتين، ونظرت في حدود الفراء وسني ثمانين عشرة سنة، وبلغت خمساً وعشرين سنة، وما بقي عليّ مسألة للفراء الا وأنا احفظها»<sup>(١)</sup>.

وقد جلس بعضهم للإفادة والفتيا في سن مبكرة. فقد قال يزيد بن هارون: «أخذ العلم عن سفيان الثوري، وهو ابن ثلاثين سنة»<sup>(٢)</sup>. وتأهل مالك بن انس للفتيا، وجلس للإفادة، وله احدى وعشرين سنة<sup>(٣)</sup>. وكان سيويو النحوي يجلس في المسجد، «وكان شاباً جميلاً نظيفاً قد تعلق من كل علم بسبب، وضرب في كل أدب بسهم مع حداثة سنه»<sup>(٤)</sup>. وحدث وكيع بن الجراح الكوفي المحدث (ت ١٩٧هـ / ٨١٢م)، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة<sup>(٥)</sup>. وأفتى الشافعي (٢٠٤هـ / ٨١٩م)، وهو ابن خمس عشرة سنة<sup>(٦)</sup>. وكان سفيان ابن عيينه اذا جاءه شيء من الفتيا أو التفسير التفت إلى الشافعي وقال: «سلوا هذا الغلام»<sup>(٧)</sup>.

يظهر مما سبق الحرص على التبكير في اللحاق بحلقات العلم ومجالسه، لما في ذلك من فائدة كبيرة، مع أن هذا لم يمنع بعضهم من طلب العلم على كبر سنه. وقد يتفاوت سن قبول الطلاب للجلوس في حلقات ومجالس العلم بين تخصص وآخر، وربما هو في اللغة اكبر من الحديث، والفقه اكبر من اللغة. وقد يكون معدل سن قبول العلماء لطلبة العلم يتراوح بين

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ١٤٦؛ ابن الانباري، نزهة، ص ١٧٤؛ القفطي، إنباه، ج ١، ص ١٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٢، ص ٤٤٢؛ ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ١٠٢؛ الذهبي، تذكرة، ج ٢، ص ٦٦٦؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ٣٩٦.

(٢) ابن الجوزي، الصفوة، ج ٣، ص ٩٧.

(٣) الذهبي، سير، ج ٨، ص ٦٤.

(٤) القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٣٥٢؛ الذهبي، سير، ج ٨، ص ٣٥٢.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٣، ص ٤٦٨؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج ٣، ص ١١٣.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١٣٦؛ النووي، تهذيب، ج ١، ص ٥٩؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٦٤.

(٧) ابن خلكان، وفيات، ج ٤، ص ١٦٤؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٣٠٣.

العاشرة والسادسة عشرة وهو متوسط سن فراغ الطالب من المرحلة الابتدائية (الكتاب)، مع الأخذ بعين الاعتبار التفاوت في ذكاء الطلاب الذي يتيح لبعضهم مغادرة الكتاب في سن مبكرة. حيث يبدأ الطالب بارتداد حلقات العلم ومجالسه، وقد تأهل بعضهم ليرأس حلقات العلم ومجالس الافتاء في سن مبكرة، وفي ذلك دليل على ما تمتع به هؤلاء من ذكاء أتاح لهم القدرة على الإفادة والإفتاء، فوصلوا إلى مراكز علمية مرموقة وهم في مطلع الشباب، ومقبل العمر.

### خامساً: مواعيد التعليم:

يبدو أن انعقاد حلقات ومجالس العلم في المساجد، ارتبط بمواعيد الصلاة، فقد كان أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م)، يجلس للناس ويفقههم من صلاة الفجر إلى الظهر، ثم إلى العصر، ثم إلى المغرب، ثم إلى العشاء<sup>(١)</sup>، وقد قال عبدالله بن المبارك المحدث (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م): «كنت أحضر مجلس أبي حنيفة بالغداة والعشي»<sup>(٢)</sup>. ودخل الكسائي (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م)، مسجد السبيع في الكوفة مع آذان الفجر، فصلّى، وجلس في حلقة حمزة بن حبيب الزيات المقرئ<sup>(٣)</sup>. وعن وكيع بن الجراح المحدث (ت ١٩٧هـ / ٨١٢م)، قال: «كان أبي يجلس لأصحاب الحديث من بكرة إلى ارتفاع النهار، ثم ينصرف فيقول»<sup>(٤)</sup>. وكان قطرب النحوي (ت ٢٠٦هـ / ٨٢١م)، ينكر إلى سيبويه، قبل حضور أحد من الطلاب، فقال له يوماً: «ما أنت الا قطرب ليل»<sup>(٥)</sup>. وكان الشافعي (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، «يجلس في حلقاته

(١) الخطب البغدادي، تاريخ، ج ١٣، ص ٣٥٦.

(٢) الموفق المكي، مناقب، ص ٣٠٩ - ٣١٠.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١١، ص ٤٠٥.

(٤) الذهبي، سير، ج ٩، ص ١٤٩.

(٥) ابن وادان، تاريخ العباسين، ص ٣٧٢.

إذا صلى الفجر، فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث، فيسالونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا، فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انقضاء النهار<sup>(١)</sup>. وفي هذا إشارة إلى قدرة الشافعي العلمية ورغبته في نشر علمه بين الناس طلباً للأجر والثواب.

وقد تستمر حلقات العلم ومجالسه في المساجد إلى ما بعد صلاة العشاء فقد كان أبو حنيفة «يركع في كل ليلة بعد العشاء أربعاً ثم يجلس يلقي المسائل وينظر»<sup>(٢)</sup>. وكان للإمام مالك (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م)، مجلس بعد العشاء يجلس فيه للتعليم.<sup>(٣)</sup> وتذاكر عبدالله بن المبارك (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م) الحديث مع أحد العلماء عند باب المسجد بعد صلاة العشاء فما زال كذلك حتى جاء المؤذن فأذن الفجر<sup>(٤)</sup>.

وكانت بعض المجالس تخصص يوم واحد في الأسبوع، فقد كان ابن مناذر النحوي (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م)، يعقد حلقة للنحو في كل يوم جمعة<sup>(٥)</sup>. وكان الكسائي (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م)، يعقد مجلساً للعلم في كل يوم ثلاثاء<sup>(٦)</sup>. وكان لمحمد بن أحمد بن كيسان النحوي (ت ٢٩٩هـ / ٩١١م)، مجلساً بعد صلاة الجمعة في جامع المنصور<sup>(٧)</sup>. وكان الشعراء يجتمعون في كل يوم جمعة في القبة المعروفة بهم «قبة الشعراء» بجامع بغداد، ينشدون

(١) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٤٠٥؛ George Makdisi, The Rise of Colloges, P. 81

(٢) الموفق المكي، مناقب، ص ٢٣٢.

(٣) الكردري، مناقب، ص ٢٩٤.

(٤) الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٢٧٧.

(٥) أبي عمران، المرقصات، ص ١٦٩.

(٦) الزجاجي، مجالس، ص ٢٦٩.

(٧) القفطي، إنباء، ج ٣، ص ٥٩.

الشعر، ويعرض كل منهم على أصحابه ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها<sup>(١)</sup>.

وكما هو الحال في حلقات ومجالس العلم في المساجد، كان الحال في منازل العلماء حيث وردت إشارات إلى أوقات انعقاد حلقات العلم في منازل العلماء، فقد كان خلف بن أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر يأتیان بشار بن برد (ت ١٨٦هـ / ٧٨٤م)، ويسلمان عليه، ثم يقولان: «يا أبا معاذ: ما أحدثت فيجيزهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له حتى وقت الظهر»<sup>(٢)</sup>. وكان منزل عبدالله بن المبارك (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م)، ملتقىً للعلماء يجتمعون في كل يوم<sup>(٣)</sup>. وكان الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، يذاكر وكيعاً (ت ١٩٧هـ / ٨١٢م)، في منزله بعد صلاة العشاء<sup>(٤)</sup>، ومر عبدالرحمن بن يوسف بن خراش الحافظ (ت ٢٨٣هـ / ٨٩٦م)، بمنزل أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، في وقت مبكر، فتذاكراً معاً حتى الصباح<sup>(٥)</sup>.

أما المجالس التي تعقد في قصور الخلفاء والأمراء، فقد كانت مرتبطة بدعوة الخليفة أو الأمير لانعقادها<sup>(٦)</sup>، فقد دعا المأمون بحضور الفقهاء إلى مجلسه وأمرهم بالإبكار إليه في السحر، قال حماد بن زيد: «فغدونا عليه قبل طلوع الفجر، فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظرنا»<sup>(٧)</sup>. وذكر المسعودي: «ان المأمون كان يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء

(١) الاصفهاني، الاغانى، ج ٣، ص ١٧٣؛ ابن الجوزي، المتظم، ج ١١، ص ١٣١؛ ابن نباته، سرح، ص ٣٢٥.

(٢) الاصفهاني، الاغانى، ج ٣، ص ١٨٤.

(٣) ابن الجوزي، الصفوة، ج ٤، ص ١٢١.

(٤) ابن الجوزي، مناقب الامام أحمد، ص ٥٧.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٠، ص ٣٣٣.

(٦) أحمد شلبي، التربية، ص ٧٢.

(٧) ابن عبدربه، العقد، ج ٥، ص ٣٥٠.

«فلا يزالون كذلك إلى أن تزول الشمس»<sup>(١)</sup>، بينما ذكر السيوطي: «ان للمامون كل اسبوع يومان يجلس فيهما لمناظرة العلماء، فيجلس المناظرون من الفقهاء والمتكلمون بحضرته على صفاتهم ومراتبهم»<sup>(٢)</sup>. ووجه الواصل إلى المجلساء والمغنين أن يذكروا إليه في يوم حدده لهم.<sup>(٣)</sup>

نتبين مما سبق أن مجالس العلم وحلقاته في المساجد، ارتبطت بأوقات الصلاة، وربما بدأت قبل صلاة الفجر، إلا أن أغلبها كان يلقي بعد صلاة الفجر، وهي الفترة الأولى ثم تليها الفترة الثانية لتنتهي عند صلاة الظهر. أما الفترة الثالثة فتنتهي بعد صلاة العصر، وتستمر الفترة الرابعة حتى آذان المغرب. وربما عقدت بعض المجالس بعد صلاة المغرب، لتستمر إلى صلاة العشاء، وربما إلى ما بعد صلاة العشاء. وهذا لا يعني وجود حلقة واحدة في موضوع واحد في الصباح مثلاً لتستمر إلى العشاء، وعلى فترات، بل قد يجاورها حلقات أخرى، وفي مواضيع أخرى ولعلماء آخرين.

ان هذا الاتساع في عقد حلقات العلم، والذي شمل جميع ساعات النهار، ومعظم ساعات الليل، منح طلاب العلم فرصة كاملة للأخذ من العلم ما وسعهم ذلك، وكان بوسعهم أن ينتقلوا من مكان إلى آخر طلباً لمزيد من العلوم.

اما حلقات ومجالس العلم التي كانت تعقد في منازل العلماء وقصور الخلفاء والامراء، فقد ارتبطت بالاشخاص، حيث تحدد أوقات المجالس وعددها. وقد تعقد بطريق الصدفة فيلتي عالم بآخر وطالب علم بعالم وليستمر النقاش لفترة قد تطول أو تقصر.

(١) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٢.

(٢) السيوطي، تحفة، ص٣٧٩.

(٣) انظر: الاصفهاني، الاغانى، ج٩، ص٢٩٠ - ٢٩١.

## سادساً : مدة التعليم:

يبدو الاختلاف واضحاً في المدة الزمنية التي يقضيها الطالب في ملازمة الحلقات ومجالس العلم. فقد ذكر عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريح (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م)، انه جالس عمرو بن دينار بعدما فرغ من عطاء سبع سنين، وذكر ايضاً انه حضر عطاء عشرين سنة<sup>(١)</sup>. وصحب أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م)، حماد بن سلمة النحوي (ت ١٦٩هـ / ٧٨٥م)، عشر سنين، ثم اراد اعتزال حلقة، والجلوس في حلقة لنفسه، ولكنه لم يفعل، وقد اخذ عهداً على نفسه أن لا يفارقه حتى يموت<sup>(٢)</sup>. وجالس مبارك بن فضالة البصري الراوي (ت ١٦٥هـ / ٧٨١م)، الحسن البصري ثلاث عشرة سنة<sup>(٣)</sup>. واختلف أبو عبيدة معمر بن المثنى النحوي اللغوي (ت ٢٠٩هـ / ٨٢٤م)، إلى حلقة يونس بن حبيب النحوي (ت ١٨٣هـ / ٧٩٩م)، اربعين سنة<sup>(٤)</sup>. وحضر أبو عبدالله محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٧هـ / ٨٠٢م)، مجلس أبي حنيفة ستين، ثم تفقه على أبي يوسف<sup>(٥)</sup>. ولزم غندر الحافظ البصري (ت ١٩٣هـ / ٨٠٨م)، شعبة بن الحجاج المحدث (ت ١٦٠هـ / ٧٧٦م)، عشرين سنة<sup>(٦)</sup>. واختلف أبو بكر بن عياش القاريء (ت ١٩٣هـ / ٨٠٨م)، إلى عاصم بن علي نحواً من ثلاث سنين<sup>(٧)</sup>. واقام النضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ / ٨١٦م)، بالبادية، يطلب العلم، اربعين سنة<sup>(٨)</sup>. وقال نافع بن عبدالله (ت ٢٠٦هـ / ٨٢١م): «جالست مالكا اربعين أو خمسا

(١) الشيرازي، طبقات، ص ٧١.

(٢) الموفق المكي، مناقب، ج ١، ص ٥١ - ٥٢؛ الذهبي، سير، ج ٦، ص ٣٩٧.

(٣) الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٢٠١.

(٤) القفطي، إنباه، ج ٤، ص ٧٧؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٧، ص ٢٤٤ - ٢٤٥؛ اليافعي، مرآة، ج ١، ص ٤٠٠.

(٥) الشيرازي، طبقات، ص ١٣٥.

(٦) الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٣٠١.

(٧) الذهبي، سير، ج ٨، ص ٥٠٧.

(٨) السيوطي، بغية، ج ٢، ص ٣١٦.

وثلاثين سنة، كل يوم ابكر واهجر وأروح»<sup>(١)</sup>. وقال أبو زيد الانصاري النحوي (ت ٢١٥هـ / ٨٣٠م)، «جلست إلى يونس بن حبيب، عشر سنين، وجلس اليه قبلي خلف الاحمر عشرين سنة»<sup>(٢)</sup>. واكب الاصمعي على رأس أبي زيد الانصاري مقبلاً، وقال: «هذا عالمنا ومعلمنا منذ ثلاثين سنة»، ثم جاء خلف الاحمر، فقبل رأس أبي زيد وجلس، وقال: «هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشرين سنة»<sup>(٣)</sup>. ولزم أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ / ٩٠٣م)، مجلس محمد بن زياد الاعرابي (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م)، بضع عشرة سنة<sup>(٤)</sup>. ويذكر أن أبا العباس ثعلب، لم يرح مجلس ابراهيم الحربي الفقيه (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م)، وقال أبو العباس: «ما فقدت ابراهيم الحربي في مجلس لغة أو نحو خمسين سنة»<sup>(٥)</sup>.

نلاحظ مما سبق:

- لم تكن المدة التي يقضيها الطالب في طلب العلم محددة بفترة زمنية، فقد تفاوتت من شخص لآخر، ومن علم لآخر، وقد تطول فترة العلم أو تقصر تبعاً لظروف الطالب، ورغبته في موضوع العلم ومجالسه.

- أن ملازمة بعض الطلبة لعلمائهم مدداً طويلة؛ دليل على مدى قدرة العالم، ومدى احترام الطالب لهذا العالم.

- حرية الطالب في اختيار العالم الذي يريد، وتحديد مدة طلبه للعلم وقد يستغرق حياته كلها، مع ما في ذلك من تحمل وصبر وطول نفس.

(١) ابو نعيم الاصفهاني، حلية، ج ٦، ص ٣٢٠؛ الذهبي، سير، ج ٨، ص ١٠٨.

(٢) القفطي، إنباه، ج ٤، ص ٧٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٨٥١؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٧، ص ٢٤٥؛ اليافعي، مرآة، ج ١، ص ٤٠٠.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢٦٨؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ٥٨٣.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص ١٣٧؛ القفطي، إنباه، ج ٣، ص ١٣٠.

(٥) القفطي، إنباه، ج ١، ص ١٩٣؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ١، ص ٤٤.



## سابعاً : أساليب وطرق التعليم:

### ١ - طريقة الإملاء :

تقوم طريقة الإملاء على أن يقوم العالم بالقاء بعض ما يحفظه، أو من مذكرات كتبها، على من يحضرون مجلسه<sup>(١)</sup>، مطيلاً للقراءة ومرتباً للفقرات والمسائل<sup>(٢)</sup>. ويقوم الطلبة بكتابة ما يمليه العالم فيما يحملونه من أوراق<sup>(٣)</sup>. وحينما ينتهي العالم من إملاء النص، يقوم بالشرح والتفسير والتوضيح لما غمض منها، والطلاب يدونون هذه الشروح على هامش أوراقهم التي كتبوا فيها الأصول<sup>(٤)</sup>. وعندما يكمل العالم إماليه كانت تعرض عليه، أو يقوم الطلاب بقراءتها عليه ليصحح ما قد يكون بها من أخطاء<sup>(٥)</sup>.

ويبدو أن أسلوب الإملاء عُرف منذ القرن الاول للهجرة، فقد كان الرسول ﷺ - يُملي على كتابه (رضي الله عنهم)<sup>(٦)</sup>. ودعا يوماً بأديم وعلي بن أبي طالب عنده «فلم يزل رسول الله ﷺ يُملي وعلي يكتب حتى ملأ بطن الأديم وظهره وأكراعه»<sup>(٧)</sup>. وقدم علي بن أبي طالب الكوفة، فرأى أصحاب عبدالله بن مسعود يفتقرون الناس، والناس يكتبون<sup>(٨)</sup>. وكان وائلة بن الأشجع المحدث (ت ٨٥هـ / ٧٠٤م)، يملئ على الناس الأحاديث وهم

(١) سعيد اسماعيل، معاهد، ص ٢٢٥؛ منير أحمد، تاريخ التعليم، ص ٦٣؛ بليغ، «المسجد»، ص ٢٣٠.

(٢) النحاس، صناعة، ص ١١٥.

(٣) سعيد اسماعيل، معاهد، ص ٢٢٥.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٥٥؛ ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص ٩٤.

(٥) محمد منير، تاريخ التربية، ص ١٧٢؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ٢٢٥؛ منير أحمد، تاريخ التعليم، ص ٦٤؛ ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص ٩٥.

(٦) السمعاني، أدب، ص ١٣.

(٧) الراهرمزي، المحدث، ص ٦٠١. وأكارعه: أطرافه، وأكارع الارض اطرافها القاصية. ابن منظور، لسان، ج ٨، ص ٣٠٧.

(٨) الكردي، مناقب، ص ٦٤.

يكتبونها بين يديه<sup>(١)</sup>. وذكر الشافعي أن مُعلم الكُتّاب الذي درس فيه القرآن كان يُملي على الصبيان وهم يكتبون<sup>(٢)</sup>. وعن سفيان الثوري (ت ١٦١هـ / ٧٧٧م)، أنه جاء إلى يونس بن حبيب، فأخذ يسأله ويملي عليه<sup>(٣)</sup>. وكان ابن منذر (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م)، يجلس في المسجد وعنده اصحاب الاخبار والشعر يكتبون عنه<sup>(٤)</sup>. ولما قدم أبو نواس (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، مصر، كان يجلس في الجامع والناس حوله وهو ينشدهم الاشعار وهم يكتبون عنه<sup>(٥)</sup>. وأملى عبدالرحمن بن مهدي العنبري (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، عشرين ألف حديث حفظاً<sup>(٦)</sup>. وذهب الحسين بن علي الصدائي الراوي الى ابي داود الحضري المحدث (ت ٢٠٣هـ / ٨١٨م)، فاملى عليه حتى انتهى ما معه من ورق<sup>(٧)</sup>. وذهبت جماعة من اصحاب الكسائي إلى الفراء (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، يسألوه أن يُملي عليهم بعض النحو<sup>(٨)</sup>. وقد كان له مجلساً للاملاء، يعقد في يوم معين<sup>(٩)</sup>. وأمر المأمون الفراء بوضع كتاب في النحو فاملأه وكتبه الناس عنه<sup>(١٠)</sup>. وفي مسجد البصرة كان يجلس مسلم بن الوليد (ت ٢٠٨هـ / ٨٢٣م)، يُملي من شعره<sup>(١١)</sup>، وكان الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، يلزم مجلس اسحاق

(١) محمد كرد علي، «التدوين في الاسلام»، مجلة المقتطف، م ٧٧، القاهرة ١٩٣٠م، ص ٢٦٦، سيشار له تالياً (كرد علي، التدوين).

(٢) ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص ٩٤.

(٣) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٠٦.

(٤) الاصفهاني، الاغاني، ج ١٨، ص ١٢٧؛ أبي عمران، المرقصات، ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٥) السيوطي، تحفة، ص ٣٣٧.

(٦) ابن الجوزي، الصفوة، ج ٤، ص ٣.

(٧) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٧.

(٨) ابن النديم، الفهرست، ص ١٣٣.

(٩) القفطي، إنباه، ج ٤، ص ١٠، ج ٢، ص ٥٦.

(١٠) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١٧٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ١٧٨؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢٧٢؛ ابن وادرن، تاريخ العباسيين، ص ٣٧٤.

(١١) المرزباني، الموشح، ص ٤٤٥؛ أحمد امين، ضحى، ج ٢، ص ٥٣.

ابن مرار الشيباني اللغوي (ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م)، ويكتب اماليه<sup>(١)</sup>، وقدم أحمد بن الفرات ابن خالد الضبي (ت ٢٥٨هـ / ٨٧١م)، مصر فاملى على طلابه «كذا وكذا ألف حديث عن ظهر قلبه، فلما وصلت الكتب اليه قوبلت بما أملى فلم يختلف الا في مواضع يسيره وكان يقول: حضرت مجلس يزيد بن هارون فاملى ثلاثين حديثاً فحفظتها»<sup>(٢)</sup>. وحدث أبو بكر بن الانباري قال: «املى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي أو قرأ على باب داره»<sup>(٣)</sup>.

واتخذ بعضهم شخصاً يبلغ عنه ما يقول ليصل إلى من بعد في مجلس الدرس، وقد عُرف هذا الشخص باسم «المستملي»<sup>(٤)</sup>، فقد كان سيويه يستملي على حماد بن سلمه النحوي (ت ١٦٩هـ / ٧٥٨م)<sup>(٥)</sup>. وإذا اتسع المجلس يستعان بأكثر من مستملي، بحيث يبلغ بعضهم بعضاً ما يقوله المملي<sup>(٦)</sup>. فقد كان في مجلس علي بن عاصم الواسطي المحدث (ت ٢٠١هـ / ٨١٦م). أكثر من مئة ألف انسان، وكان يستملي عليه هارون الديك، وهارون مكحلة<sup>(٧)</sup>، وجلس سليمان بن حرب المحدث (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)، والناس حوله، وقد قُدِّر عدددهم

(١) ابو المحاسن يوسف بن الحسن بن المبرد، بحر الدم فيمن تكلم فيه الامام أحمد بمذح أو ذم، تحقيق روحية عبدالرحمن السويقي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م، ص ١٨٣، سيشار له تالياً (ابن المبرد، بحر الدم).

(٢) ابن عساكر، تهذيب، ج ١، ص ٤٣٦.

(٣) أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي، الامالي، ج ٢، ط ٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٦م، ج ١، ص ٥٤، سيشار له تالياً (الامالي، القالي).

(٤) شوقي ضيف، العصر العباسي، ص ١٠٠.

(٥) ابو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي واداب السامع، تحقيق محمد عجاج الخطيب، ج ٢، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩١م، ج ٢، ص ٨٣، سيشار له تالياً (الخطيب البغدادي، الجامع)؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٤٢؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٣، ص ١١٩٩؛ الذهبي، سير، ج ٨، ص ٣٥٢؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ١٨٢؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ٥٤٩.

(٦) ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص ٩٥.

(٧) السمعاني، ادب، ص ١٧، ٩٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٦٨ - ٦٩؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٢٦٣.

باربعين الفأ، وقد استعان بهارون المملي «وكان صوته كالرعد»<sup>(١)</sup>. ولما زار البخاري (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، بغداد، عُقدت له مجالس فيها، وكان يحضر مجلسه أكثر من عشرين الفأ، ولكثرة عددهم كان في مجلسه ثلاثة مستملين<sup>(٢)</sup>. واملى أبو مسلم الكجي (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م)، الحديث، وقد كان في مجلسه سبعة مستملين يبلغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه<sup>(٣)</sup>.

ويقف المستملي عادة على رجليه بخلاف العالم والطلبة، الا اذا وجد مقعداً عالياً يجلس عليه بحيث يراه الطلاب ويسمعونه<sup>(٤)</sup>. فقد كان هارون المستملي يركب نخلة معوجة<sup>(٥)</sup>.

ومن الصفات الواجب توفرها في المستملي، أن يكون جهوري الصوت، ذكياً، سريع الفهم، سريع الادراك والفطنة «افصح الحاضرين لساناً، واوضح بياناً، واحسنهم عبارة واجودهم اداء»<sup>(٦)</sup>، وان يكون ملماً بالعلم الذي يستمليه، وله بعض الخبرة فيه، ليساعده ذلك على تجنب الغلط والخطأ. وعليه تبليغ كلام العالم إلى البعيد عنه بامانة ودقة<sup>(٧)</sup>. فقد كان سيويو يستملي على حماد بن سلمه، فقال له حماد يوماً: قال رسول الله «ما من اصحابي الا اخذت عليه ليس ابا الدرداء». فقال سيويو: أبو الدرداء. فقال حماد: لخت يا سيويو<sup>(٨)</sup>.

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٩، ص ٣٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٩٢؛ الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٣٩٣؛ الذهبي، العبر، ج ١، ص ٣٠٧.

(٢) السمعاني، أدب، ص ١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٦؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٣٩؛ اسعد طلس، التربية، ص ١٦٣.

(٤) الخطيب البغدادي، الجامع، ج ٢، ص ٨١.

(٥) السمعاني، أدب، ص ٩٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٦٨؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٢٦٣.

(٦) السمعاني، أدب، ص ٩٣.

(٧) اسعد طلس، التربية، ص ١٦٣؛ ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص ٩٥.

(٨) الخطيب البغدادي، الجامع، ج ٢، ص ٨٣ - ٨٤؛ ابن الانباري، نزهة، ص ٤٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ١١٩٩؛ الذهبي، سير، ج ٨، ص ٣٥٢؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ١٨٢؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ٥٤٩.

## ٢- طريقة السماع والحفظ:

وتقوم هذه الطريقة على أن يقوم العالم بالقاء علومه على الطلاب ليسمعها الطلاب ويحفظونها دون كتابتها<sup>(١)</sup>. وربما كان الحفظ من اهم شروط العلم عند المسلمين، وقد يكون ذلك راجعاً إلى حاجتهم إلى الاعتماد على الذاكرة اكثر من الاعتماد على الكتابة. وقد كانوا يفخرون بالعلم الذي « حوته الصدور » لا بالعلم الذي « حوته السطور »<sup>(٢)</sup>. كقول الخليل بن أحمد الفراهيدي:

ليس بعلم ما حوى القمطر      ما العلم الا ما حواه الصدر<sup>(٣)</sup>

وقول سليمان بن مهران الاعمش:

نستودع العلم قرطاساً نضيعه      وبئس مستودع العلم القراطيس<sup>(٤)</sup>

وأوضح الإمام الشافعي اهمية الحفظ فقال:

علمي معي حيثما يَمَمْتُ ينفعني      قلبي وعاء له لا بطن صندوق

إن كُنْتُ في البيت كان العلم فيه معي      أو كنت في السوق كان العلم في السوق<sup>(٥)</sup>

(١) منير أحمد، تاريخ التعليم، ص ٦٣؛ ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص ٨٠.

(٢) عبدالله عبدالدايم، التربية، ص ١٨٥.

(٣) ابن عبدالبر، جامع، ج ١، ص ٦٨؛ أبو بكر جابر الجزائري، العلم والعلماء، دار الكتب السلفية، القاهرة د، ت، ص ٣٤، سيشار له تالياً (أبو بكر الجزائري، العلم).

(٤) الرامهرمزي، المحدث، ص ٣٨٧؛ ابن عبدالبر، جامع، ج ١، ص ٦٩.

(٥) أبو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي، ديوان، جمع وتحقيق أميل بديع يعقوب، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩١م، ص ١١٠، سيشار له تالياً (الشافعي، ديوان).

وقد كان بعض علماء المسلمين يرى البدء بالحفظ قبل الفهم، فكان يقال: «أول العلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العقل، والخامس النشر»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو الدرداء: «كن عالماً، أو متعلماً، أو مستمعاً، ولا تكن الرابع فتهلك»، يعني ممن لا يعلم، ولا يتعلم، ولا يستمع<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن بعض العلماء لا يسمح بالكتابة في حلقاتهم لعدم رغبتهم في الاملاء والكتابة، أو أن مواد الكتابة غير متوفرة، أو بسبب كثرة عدد الطلاب، لذلك نجد بعضهم يضع شخصاً ليراقب الطلبة ويمنعهم من الكتابة، مثال ذلك الحجاج بن ارطاة الراوي (ت ١٤٩هـ / ٧٦٦م)، الذي اتخذ غلاماً مراقباً في حلقة<sup>(٣)</sup>.

وتتعدد الروايات التي تشير إلى السماع والحفظ، التي تظهر التفاوت في مقدرة الطلاب على الحفظ. فقد قال أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م)، «جلست إلى حماد، فكنت اسمع مسائله، فاحفظ قوله، ثم يعيدها في الغد فاحفظها»<sup>(٤)</sup>. وكان أبو يوسف (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م)، معروفاً بحفظ الحديث، فكان يحضر حلقة المحدث فيحفظ خمسين حديثاً، ثم يقوم ويمليها على الناس<sup>(٥)</sup>. وسمع هارون الرشيد كتاب الموطأ من مالك بن انس، كما سمعه من حضر من فقهاء الحجاز والعراق والشام واليمن الذين حضروا المجلس<sup>(٦)</sup>. وقال سفيان بن عيينه (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م): «ما كتبت شيئاً الا

(١) السمرقندي، تنبيه، ص ٣٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤١.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٨، ص ٢٣٣.

(٤) الموفق المكي، مناقب، ص ٥١؛ الذهبي، سير، ج ٦، ص ٣٩٧.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٧٢ - ٧٣؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٣٨٨.

(٦) مجهول، الامامة، ج ٢، ص ١٨٣.

حفظته قبل أن يكتبه»<sup>(١)</sup>. وقال الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م): «حفظت الموطأ قبل أن آتي مالكا»<sup>(٢)</sup>. وقال: «دخلت المسجد فكنت اجالس العلماء فأحفظ الحديث والمسألة»<sup>(٣)</sup>. وكان أبو محمد عبدالله بن نافع الصايغ (ت ٢٠٦هـ / ٨٢١م)، امياً لا يكتب، وقد قال: «صحبت مالكا، اربعين سنة، ما كتبت عنه شيئاً، وإنما كان حفظاً اتحفظه»<sup>(٤)</sup>. وحكي عن أبي مُجَلِّم السعدي (ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م)، انه قال: «لما قدمت مكة لزمت ابن عيينه، فلم اكن افارق مجلسه فقال لي يوماً: يا فتى أراك حسن الملازمة والاستماع، ولا أراك تحظى من ذاك بشيء، قلت: وكيف؟ قال: لأنني لا أراك تكتب شيئاً مما يمر، قلت: اني احفظ، قال: كل ما حدثت به حفظته؟ قلت: نعم، فأخذ دفتر انسان بين يديه، وقال: أعد عليّ ما حدثت به اليوم، فأعدته فما خرمته منه حرفاً»<sup>(٥)</sup>. وقال حاشد بن اسماعيل الحافظ (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م)، وآخر: «كان البخاري يختلف معنا إلى السماع وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أياماً، فكنا نقول له: فقال: إنكما قد أكثرتما عليّ، فاعرضا عليّ ما كتبتما، فآخرجنا اليه من كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها على ظهر قلب، حتى جعلنا نُحْكَمُ كُتُبنا من حفظه»<sup>(٦)</sup>. وقال أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ / ٩٠٣م): «ما بقي للفراء عليّ مسألة الا وأنا احفظها واضبط موضعها»<sup>(٧)</sup>.

(١) الذهبي، سير، ج ٨، ص ٤٦١.

(٢) أبو نعيم الاصفهاني، حلية، ج ٩، ص ٦٩؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٦٤.

(٣) أبو نعيم الاصفهاني، حلية، ج ٩، ص ٧٣؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ١٦٦.

(٤) الشيرازي، طبقات، ص ١٤٧.

(٥) المرزباني، نور القبس، ص ٢١٢؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ٢٥٨.

(٦) السبكي، طبقات، ج ٢، ص ٢١٧.

(٧) ابن النديم، الفهرست، ص ١٤٦؛ ابن الانباري، نزهة، ص ١٧٤؛ الففطي، إنباه، ج ١، ص ١٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٢، ص ٥٤٢؛ ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ١٠٢؛ الذهبي، تذكرة، ج ٢، ص ٦٦٦؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ٣٩٦.

## ٢ = طريقة المناظرة:

وقف المسلمون على أهمية المناظرة فأولوها عناية كبرى، كواحدة من طرق التعليم في مراحل التعليم العليا<sup>(١)</sup>، لما لها من أهمية في شحذ الذهن، وتقوية الحجة، وتربية العقل على التفكير السليم، والتوصل إلى الحقائق بأسلوب سليم، ولما لها من أهمية في تنمية روح الاجتهاد والقياس، وتعويد اللسان على التعبير الشفوي السليم<sup>(٢)</sup>. فيكون في ذلك إثراء تربوي واضح، وتعليم مفتوح يقوم على مراعاة المواهب، وتنوع القدرات<sup>(٣)</sup>. وقد سبق أن تحدثنا عن بعض المناظرات الهامة التي كانت تعقد في حلقات العلم ومجالسه في المساجد والقصور والمنازل<sup>(٤)</sup>.

وحتى تصل المناظرة إلى المستوى المنشود لا بد أن يكون المتناظرين عالين بارعين متسامحين، غير حقودين ولا غيورين ولا مرائين<sup>(٥)</sup>، وإن يكون مرادهما من المناظرة بحث العلم وحياء الحق<sup>(٦)</sup>، فإن كان مراد أحدهما المغالبة والمفاخرة، فيرى الآجري (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م): «عدم اقامة تلك المناظرة»<sup>(٧)</sup>. وقال الغزالي (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م)، في جواز المناظرة «لكن تجوز إذا اردت اظهار الحق وذلك لان لا تفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك»<sup>(٨)</sup>. وقال الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، «ما ناظرت احداً

(١) عبدالله عبدالدايم، التربية، ص ١٨٧؛ الابراشي، تاريخ علماء، ص ٢٠٤.

(٢) عبدالرؤوف يوسف، أخلاق العالم، ص ١٥٣؛ الابراشي، تاريخ علماء، ص ٢٠٤.

(٣) ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص ٤٩٧.

(٤) انظر: الفصل نفسه.

(٥) العلومي، العيد، ص ١١٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ١١٦.

(٧) الآجري، أخلاق العلماء، ص ٧٨ - ٨٠.

(٨) الغزالي، ايها الولد، ص ٣٢.



فأحييت أن يخطيء بل أحب أن يوفق ويسدد، وما ناظرت أحداً، الا ولم ابال بين الله الحق على لساني أو لسانه»<sup>(١)</sup>. وإذا ظهر الحق على لسان أحدهما فعلى الطرف الآخر أن يلتزم قوله ويعدل عن الباطل، اذا تبين له الحق على لسان مناظره<sup>(٢)</sup>. قال الشافعي: «ما ناظرت أحداً فباليت مع من كانت الحجة إن كانت معه صرت إليه»<sup>(٣)</sup>. وقال: «ما ناظرت أحداً فانكر الحجة الا سقط من عيني»<sup>(٤)</sup>. وعلى المتناظرين عدم انقياد أحدهما للآخر قبل وجوب الحجة عليه مثبتاً الباطل. فقد ناظر المأمون محمد بن القاسم النوشجاني المتكلم، «فجعل يصدقه ويطريه ويستحسن قوله، فقال له المأمون: تنقاد لي إلى ما تظن أنه يسري، قبل وجوب الحجة عليك ولو شئت أن اقتسر الأمور بفضل بيان، وطول لسان، وأبهة الخلافة، وسطوة الرياسة، لصدقت وإن كنت كاذباً، وصوّبت وإن كنت مخطئاً، وعدّلت وإن كنت جائراً، ولكن لا ارضى الا بازالة الشبهة، وغلبة الحجة، وإن شر الملوك عقلاً، واسخطهم رأياً من رضي بقولهم»<sup>(٥)</sup>. وعلى المتناظرين أيضاً، الاحتراز من الشغب والغضب، فإن هدف المناظرة استخراج الصواب «وذلك إنما يحصل بالتأمل والتأني والانصاف، ولا يحصل ذلك بالغضب والشغب»<sup>(٦)</sup> فقد روي أنه اجتمع متكلمان، فقال أحدهما: «هل لك في المناظرة؟ قال: على شرائط الا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب»<sup>(٧)</sup>.

(١) أبو نعيم الاصفهاني، حلية، ج ٩، ص ١١٨؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ١٦٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١٣٧؛ الاربلي، خلاصة، ص ٢٠٩؛ العلموي، المعيد، ص ٢٦.

(٢) الأجرى، أخلاق العلماء، ص ٧٨ - ٨٠.

(٣) ابن الجوزي، تليس، ص ١٤٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(٥) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج ٣، ص ١١٦.

(٦) الزرنوجي، تعليم، ص ٧٢؛ الديوه جي، التربية، ص ٨٨.

(٧) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٧٨؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٨٥.

مما سبق يتضح أن للمناظرة جوانب سلبية واخرى ايجابية، ويمكن القول انه اذا ابعدت الجوانب السلبية من حلقة المناظرة، فإنها ستكون من الاساليب المهمة والناجحة في التعليم، خاصة في التعليم العالي، اذ تعد من ألوان التعبير الشفوي لأنها تقوم على استعراض وجهات النظر المتعارضة، والتركيز عليها.

#### ٤- طريقة السؤال:

يبدو أن طرح الاسئلة من قبل المتعلم والإجابة عليها من قبل العالم، كانت من احدى طرق التعليم في الحلقات والمجالس العلمية. قال تعالى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وقال الرسول ﷺ: «العلم خزانة مفتاحها المسئلة»<sup>(٢)</sup>. ووصف السؤال بأنه نصف العلم<sup>(٣)</sup>. وقيل: «اذا كنت لا تدري ولم تك بالذي يسأل من يدري فكيف اذا تدري»<sup>(٤)</sup>. وقال الشاعر:

شفاء العمر طول السؤال وإنما      تمام العمر طول السكوت على الجهل<sup>(٥)</sup>

وقيل لدغفل النسابة (ت ٦٥هـ / ٦٨٤م): «بم ادركت هذا العلم؟ فقال: بلسان سؤال وقلب عقول»<sup>(٦)</sup>. وعن ميمون بن مهران (ت ١١٧هـ / ٧٣٥م)، قال: «التودد إلى الناس نصف العقل، وحسن المسألة نصف الفقه»<sup>(٧)</sup>. وعن أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م)، قال:

(١) سورة النحل: آية ٤٣.

(٢) ابن عبد البر، جامع، ج ١، ص ٨٧؛ العلمي، المعيد، ص ٧٠.

(٣) ابن عبد البر، جامع، ج ١، ص ٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٩.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٩؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ١٤٩.

(٦) ابن قتيبة، عيون، ج ٢، ص ١٣٤؛ ابن عبد البر، جامع، ج ١، ص ٨٩؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ١٤٩؛ ابن عساكر، تهذيب، ج ٥، ص ٢٤٦.

(٧) الخطيب البغدادي، الجامع، ج ١، ص ٢١٣.

«لقد لزمتم حماداً لزوم ما أعلم أن احداً لزم أحداً مثل ما لزمته وكنت أكثر السؤال»<sup>(١)</sup>.  
وروي بأن الخليل بن أحمد الفراهيدي قال: «العلوم اقفال والسؤالات مفاتيحها»<sup>(٢)</sup>. وقال  
سفيان بن عيينه (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، : «جالست عبدالكريم الجزري سنين، وكان يقول  
لأهل بلده: انظروا هذا الغلام يسألني وأنتم لا تسألوني»<sup>(٣)</sup>.

وعلى الاصمعي (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م)، بلوغه المرتبة التي وصل اليها لجرأته على  
السؤال واستعماله في تعليمه ودراسته<sup>(٤)</sup>. وقال الغزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م): «فالسؤال  
مأمور به. فاعلم انه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم في السؤال عنه، فإن السؤال عما لم تبلغ  
مرتبتك إلى فهمه مذموم»<sup>(٥)</sup>. وعلى طالب العلم أن لا يتتابه الخوف أو التردد والحياء أو الكبر  
عن سؤال ما أشكل عليه فهمه<sup>(٦)</sup>، فقد قيل: «لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر»<sup>(٧)</sup>. وقال  
الخليل بن أحمد الفراهيدي: «منزلة الجهل بين الحياء والانفة»<sup>(٨)</sup>. وأوصى يحيى بن خالد  
البرمكي ابنه جعفر موضحاً له طريقة السؤال والاجابة قائلاً: «لا ترد على أحد جواباً حتى  
تفهم كلامه، فإن ذلك يصرفك عن جواب كلامه إلى غيره، ويؤكد الجهل عليك، ولكن افهم

(١) الموفق المكي، مناقب، ص ٥٣.

(٢) المرزباني، نور القبس، ص ٦٠؛ ابن عبدالبر، جامع، ج ١، ص ٨٩.

(٣) الذهبي، سير، ج ٨، ص ٤٦٢.

(٤) المرزباني، نور القبس، ص ٩٠.

(٥) الغزالي، إحياء، ج ١، ص ٦٤.

(٦) ابن عبدالبر، جامع، ج ١، ص ١٤٨؛ العلموي، المعيد، ص ٧٠؛ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر  
السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، ج ٢، دار الكتب  
العلمية، بيروت ١٩٧٩م، ج ٢، ص ١٤٧، سيشار له تالياً (السيوطي، تدريب).

(٧) العلموي، المعيد، ص ٤٢؛ القاسم، اداب، ص ٨٦.

(٨) ابو زكريا، يحيى بن شرف النووي، المجموع، ج ٢٠، دار الفكر، د.م، د.ت، ج ١، ص ٣٧، سيشار له تالياً  
(النوي، المجموع).

عنه، فإذا فهمته فأجبه ولا تعجل بالجواب قبل الاستفهام، ولا تستحي أن تستفهم إذا لم تفهم، فإن الجواب قبل الفهم حمق، وإذا جهلت فأسئلي فيدو لك، واستفهامك أجمل وخير من السكوت على العي<sup>(١)</sup>. وقال شيخ للمأمون: «أقبيح بي أن استفهم؟ فقال: بل قبيح بك أن تستبهم»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن حزم (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)، : «وصفة سؤال المتعلم هو أن تسأل عن ما لا تدري لا عن ما تدري، فإن السؤال عما تدريه سخف وقلة عقل وشغل لكلامك وقطع لزمانك بما لا فائدة فيه لا لك ولا لغيرك، وربما أدى إلى اكتساب العداوات. وهو يعد عين الفضول، فإن اجابك الذي سألت بما فيه كفاية لك فاقطع الكلام، وإن لم يجبك بما فيه كفاية أو أجابك بما لم تفهم، فقل له: لم افهم، واستزده فإن لم يزدك بياناً وسكت أو عاد عليك الكلام الأول، ولا مزيد فأمسك عنه، والا حصلت على الشر والعداوة ولم تحصل على ما تريد من الزيادة»<sup>(٣)</sup>.

وعلى المعلم ملازمة الانصاف في بحثه وخطابه، ويسمع السؤال من مورده على وجهه وإن كان السائل صغيراً، ولا يترفع عن سماعه فيحرم الفائدة، قاصداً الاستفادة أو الافادة<sup>(٤)</sup>، روي عن الخليل بن أحمد الفراهيدي انه قال: «إن لم تعلم الناس ثواباً فعلمهم لتدرس بتعليمهم ما عندك! ولا تجزع ممن يقرع السؤال فإنه ينبهك على علم ما لم تعلم»<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن عبد البر، جامع، ج ١، ص ١٤٨. والعي: العاجز في نطقه فلا يتمكن من إظهار مراده من كلامه، جمعها أعياء. ابن منظور، لسان، ج ١٥، ص ١١٢.

(٢) الراغب الأصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٤٧.

(٣) ابو محمد علي بن احمد بن حزم الاندلس، الأخلاق والسير أو رسالة في مداواة النفس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل، تحقيق ايضا رياض، ابسالاً ١٩٨٠م، ص ١٠٠ - ١٠١، سيشار له تالياً (ابن حزم، الأخلاق)؛ ابن حزم، رسائل، ج ١، ص ٤١١ - ٤١٢.

(٤) ابن جماعة، تذكرة، ص ٩٢؛ القاسم، اداب، ص ٤٣؛ الديوه جي، التربية، ص ٨٨.

(٥) المرزباني، نور القبس، ص ٦٠؛ ابن عبد البر، جامع، ج ١، ص ٩٠.

وعلى العالم أن يفكر قبل أن يجيب على السؤال<sup>(١)</sup>. روي عن الفراهيدي انه جاء رجل يسأله فأتفق الخليل يفكر، وأطال التفكير، حتى ذهب الرجل وسأل عن ذلك فقال: «ما أجبت بجواب حتى أعرف ما عليّ فيه من الاعتراضات والمواخذات»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «إن الرجل ليسأل عن المسألة ويعجل في الجواب، فيصيب فاذمه، ويسأل عن مسألة، فيثبت في الجواب فيخطيء فأحمده»<sup>(٣)</sup>. وعلى العالم عدم التخرج من قول لا أدري أو لا أعرف إن سئل عن شيء أو عُرِض في الدرس ما لا يعرفه<sup>(٤)</sup>. قال ابن مسعود رضي الله عنه، يوصي المعلمين: «يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لا يعلم فليقل «الله أعلم»، فإن من العلم أن تقول «الله أعلم»<sup>(٥)</sup>. جاء رجل إلى مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، فقال له: «يا أبا عبد الله جئتك من مسيرة ستة أشهر، حملني أهل بلدي مسألة اسألك عنها قال: فسل. فسأله الرجل عن المسئلة، فقال: لا أحسنها. قال: فبهت الرجل كأنه قد جاء إلى من يعلم كل شيء، فقال أي شيء أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم، قال: تقول لهم، قال مالك: لا أحسن»<sup>(٦)</sup>. وقال مالك: «ينبغي للعالم أن يألف فيما أشكل عليه قول لا أدري فإنه عسى أن يُهَيَأَ له خير»<sup>(٧)</sup>. وقد قال ابن وهب: «وكنتم اسمعه كثيراً ما يقول لا أدري»<sup>(٨)</sup>. وسئل الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) عن مسألة في زواج المتعة، فقال: «والله

(١) الأجرى، أخلاق العلماء، ص ٧٣، ١٢٨؛ الزرنوجي، تعليم، ص ٧٣.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ١، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٣) أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرورزي المعروف بابن الصلاح، أدب المفتي والمستفتي، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط ١، عالم الكتب، مكة ١٩٨٦م، ص ٨٢، سيشار له تالياً (ابن الصلاح، أدب).

(٤) الأجرى، أخلاق العلماء، ص ٧٣، ١٢٨؛ العلمي، المعيد، ص ٥٦.

(٥) ابن عبد البر، جامع، ج ٢، ص ٥١؛ العلمي، المعيد، ص ٥٦؛ اسعد طلس، التربية، ص ٧٢ - ٧٣.

(٦) ابن عبد البر، جامع، ج ٢، ص ٥٣؛ النووي، تهذيب، ج ٢، ص ٧٨.

(٧) ابن عبد البر، جامع، ج ٢، ص ٥٤.

(٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٤.

ما ندري»<sup>(١)</sup>.

وسأل احدهم ثعلب النحوي (ت ٢٩١هـ / ٩٠٣م)، عن مسألة، فقال: «لا أدري»، فقال له السائل: «اتقول لا أدري وإليك تضرب أكباد الأبل وإليك الرحلة من كل بلد. فقال له ثعلب: لو كان لأمك بعدد ما أدري بحر لاستغنت»<sup>(٢)</sup>.

ومما يدخل في مجال السؤال «الفتيا» وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ افْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾<sup>(٤)</sup>. وفي الحديث قوله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»<sup>(٥)</sup>. ويقال: افتاه في الأمر، أبانه له. وافتيته في مسألة، إذا اجتبه عنها. ويقال: أفتاه في المسألة إذا أجابه<sup>(٦)</sup>. فالاستفتاء في اللغة يعني السؤال عن امر أو عن حكم مسألة، وهذا السائل يسمى المستفتي والمسؤول الذي يجيب: هو المفتي، وقيامه بالجواب هو الافتاء وما يجيب به هو الفتوى<sup>(٧)</sup>.

وقد تورع الكثير من العلماء عن الفتيا على الرغم من تبحرهم في العلم، كما كانوا كثيراً ما يحيلون المستفتي إلى ما يروونه افضل منهم وأعلم<sup>(٨)</sup>. لقوله ﷺ: «اجروكم على الفتيا

(١) ابن جماعة، تذكرة، ص ٩٣.

(٢) النووي، تهذيب، ج ٢، ق ١، ص ٢٧٣.

(٣) سورة النساء: آية، ١٢٧.

(٤) سورة يوسف: آية ٤٦.

(٥) البخاري، صحيح، ج ١، ص ٥٣.

(٦) ابن منظور، لسان، ج ١٥، ص ١٤٧.

(٧) ابن الصلاح، أدب، ص ٢٤ (مقدمة المحقق).

(٨) اسعد طلس، التربية ص ١٥١.

اجروكم على النار»<sup>(١)</sup>. وعن البراء قال: «أدركت عشرين ومائة من الانصار من اصحاب رسول الله ﷺ، يسأل احدهم عن المسألة، فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول»<sup>(٢)</sup>. وجاء رجل إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء أياماً ما يجيبه، فقال: «يا ابا عبدالله، إني أريد الخروج، وقد طال التردد إليك! قال: فاطرق طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: ما شاء الله يا هذا. اني إنما أتكلم فيما احتسب فيه الخير، ولست احسن مسألتك هذه»<sup>(٣)</sup>. وروي عن الشافعي «انه سئل عن مسألة، فسكت فقليل، له الا تجيب؟ فقال: حتى أدري، الفضل في سكوتي أو في الجواب»<sup>(٤)</sup>. واستفتي الحسن بن زياد اللؤلؤي في مسألة، فاختأ فيها ولم يعرف الذي افتاه، فاستأجر منادياً، فنادى: «ان الحسن بن زياد استفتي يوم كذا وكذا في مسألة فاختأ، فمن كان افتاه الحسن بن زياد بشيء فليرجع اليه، فلبث أياماً لا يفتي حتى وجد صاحب الفتوى فأعلمه انه اخطأ، وأن الصواب كذا وكذا»<sup>(٥)</sup>. وكان أحمد ابن حنبل يستفتي فيكثر أن يقول: «لا أدري»<sup>(٦)</sup>.

ولا بد للمفتي من استكمال شروط الاستفتاء التي اشترطها المتأخرون، فقد اشترط المتأخرون في المفتي شروطاً لا شك في أن القدماء اعتبروها كلها، لما في ذلك من التحري. منها أن يكون مسلماً، مكلفاً، عدلاً، ثقة، مأموناً، متزهياً عن اسباب الفسق، وخوارم المروءة، سليم الذهن، رصين الفكر، صحيح التصرف والاستنباط، قوي الضبط متيقظاً<sup>(٧)</sup>.

(١) الدارمي، سنن، ج ١، ص ٢٠؛ ابن عبدالبر، جامع، ج ١، ص ١٧٧.

(٢) ابن عبد البر، جامع، ج ١، ص ١٧٧؛ ابن الجوزي، تليس، ص ١٤٧؛ ابن الصلاح، أدب، ص ٧٩.

(٣) ابن الصلاح، أدب، ص ٧٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ٧٩.

(٧) المصدر نفسه، ص ٨٦؛ العلموي، المعيد، ص ٨٥؛ اسعد طلس، التربية، ص ١٥٢.

## ٥ = الرحلة في طلب العلم:

دعا الإسلام إلى الرحلة لطلب العلم، ظهر ذلك من خلال الآيات القرآنية، والاحاديث النبوية قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وقال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاءاً لطالب العلم»<sup>(٢)</sup>. وقوله ﷺ: «ما من خارج من بيته في طلب العلم الا وضعت له الملائكة أجنحتها»<sup>(٣)</sup>. وعن انس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع»<sup>(٤)</sup>. وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ انه قال: «ان الناس لكم تبع، وإن رجالاً يأتونكم من اقطار الارضين يتفقهون في الدين، فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيراً»<sup>(٥)</sup>.

وبهذا فان الاسلام يعطي مكانة للعالم ولطالب العلم ويحثهم على طلب العلم والرحلة من اجله. وقد استجاب المسلمون في جميع عصورهم إلى هذه الدعوة. فخرجت اعداد كبيرة من طلبة العلم من مختلف الاقاليم الاسلامية عن اوطانها إلى معاهد التعليم، فكانوا يرحلون من بلد إلى بلد، يقطعون مسافات طويلة، غير مباليين بما يعترضهم من صعاب، صابرين على ألم الغربة وعناء السفر، لسماع حديث أو التأكد من ضبطه، أو الالتقاء بعالم سمع به وملازمته للأخذ عنه<sup>(٦)</sup>. وقد ترجم ذلك من خلال أقوال الصحابة والتابعين، قال أبو الدرداء

(١) سورة التوبة: آية ١٢٢.

(٢) ابن ماجه، سنن، ج ١، ص ٨١؛ الترمذي، سنن، ج ٥، ص ٤٧؛ السمرقندي، تنبيه، ص ٣٣٣.

(٣) ابن ماجه، سنن، ج ١، ص ٧٧.

(٤) الترمذي، سنن، ج ٥، ص ٢٩.

(٥) ابن ماجه، سنن، ج ١، ص ٩٠؛ الترمذي، سنن، ج ٥، ص ٣٠.

(٦) أحمد امين، ضحى، ج ٢، ص ٦٩؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٣١٨؛ باقر القرشي، النظام، ص ١٩٤.



(ت ٣٢هـ / ٦٥٢م): «لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحداً يفتحها عليّ الا رجل يبرك الغماد<sup>(١)</sup> لرحلت اليه»<sup>(٢)</sup>. وقول عبدالله بن مسعود (ت ٣٢هـ / ٦٥٢م): «لو اعلم احداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الأبل لأتيته»<sup>(٣)</sup>. وقال أبو العالية الرياحي الراوي: «كنا نسمع الرواية عن اصحاب رسول الله ﷺ، ونحن بالبصرة، فما نرضى حتى نركب إلى المدينة فنسمعها من أفواههم»<sup>(٤)</sup>. وقال الشعبي (ت ١٠٣هـ / ٧٢١م): «أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع»<sup>(٥)</sup>.

وقال الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م):

تغرب عن الأوطان في طلب العلى      وسافر ففي الاسفار خمس فوائد  
تفرج همّ، واكتساب معيشة      وكلم، وأداب، وصحبة ماجد<sup>(٦)</sup>

وعن عبدالله بن أحمد بن حنبل، قال: سألت أبي - رحمه الله - عمّن طلب العلم، ترى له أن يلزم رجلاً عنده علم فيكتب عنه؟ او ترى أن يرحل إلى المواضع التي فيها العلم، فيسمع منهم؟ قال: يرحل، يكتب عن الكوفيين، والبصريين، وأهل المدينة، ومكة، ويسأل

(١) موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل بلد في اليمن. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٧٥.

(٢) ابو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م، ص ١٩٥، سيشار له تالياً (الخطيب البغدادي، الرحلة)؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٧٥.

(٣) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص ٤٤٢؛ الغزالي، ايها الولد، ص ٦٤.

(٤) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص ٤٤٢؛ الغزالي، ايها الولد، ص ٦٤؛ الحاج محمد أحمد، العلم (فضله، طلبه، من اداب العالم، جانب من أخلاق العلماء ووصاياهم ومواقفهم واقوالهم، ط ١، دار المطبوعات الحديثة، جدة ١٩٧٨م، ص ٧١، سيشار له تالياً (الحاج محمد أحمد، العلم).

(٥) المقدسي الحنبلي، الآداب الشرعية، ج ٢، ص ٥١.

(٦) الغزالي، ايها الولد، ص ٦٥.

الناس يسمع منهم<sup>(١)</sup>. ويتحدث ابن خلدون عن الرحلة في طلب العلم، فيقول: «الرحلة في طلب العلوم مفيدة، لأن البشر يأخذون معارفهم، وأخلاقهم تارة علماً وتعليماً وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشد استحكاماً وأقوى رسوخاً»<sup>(٢)</sup>. وكانت قيمة الطالب في نظر الناس تتناسب مع ما قام به من رحلات لطلب العلم، ومع عدد المدرسين الذين تلقى عنهم، لأن ذلك يعتبر رصيده العلمي، وهي حالة تشير إلى تعدد موارده العلمية، وغزارته في التحصيل<sup>(٣)</sup>، ويقول ابن خلدون: «والرحلة تفيد كثرة الشيوخ، وعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة ورسوخها، فتعدد المشايخ يفيد تعدد الطرق إذ أن لكل منهم طريقته في التعليم»<sup>(٤)</sup>. وقد شجع ذلك طالب العلم للرحيل إلى جهات مختلفة لتلقي العلم، والنفقة على العلماء والأخذ عنهم<sup>(٥)</sup>. وقد أنفق المقتدرون منهم أموالاً طائلة لتمويل أسفارهم وتنقلاتهم وإقاماتهم في البلاد التي يطلبون العلم فيها، فقد أنفق موسى بن نصره بن هشام بن عبدالله الفقيه (ت ٢٢١هـ / ٨٣٦م) في طلبه للعلم سبعمائة ألف درهم<sup>(٦)</sup>. ورحل محمد بن سلام البيكندي الحافظ (ت ٢٢٥هـ / ٨٣٩م)، وسمع من مالك وخلق كثير، وقال: «أنفقت في طلب العلم أربعين ألفاً وفي نشره مثلها»<sup>(٧)</sup>. وخلف

(١) الغزالي، أيها الولد، ص ٦٤؛ أقلانية، النظم، ص ١٠٦.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٠٠؛ مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م؛ ج ١، ص ٤٣، سيشار له نالياً (حاجي خليفة، كشف).

(٣) أحمد شلبي، التربية، ص ٣٢٠.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٩٩؛ حاجي خليفة، كشف، ج ١، ص ٤٣.

(٥) أحمد شلبي، التربية، ص ٣٢٠.

(٦) الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٣٨٧-٣٨٨.

(٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢٢؛ الذهبي، العبر، ج ١، ص ٣١٠.

والد يحيى بن معين بن عون المري (ت ٢٣٣هـ / ٨٤٧م) ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم، فانفق ذلك كله على الحديث، لما توسع في طلبه ورحلاته من أجله<sup>(١)</sup>. وانفق سهل ابن محمد السجستاني (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٤م) في طلب العلم وعلى العلماء مائة ألف دينار عيناً غير الضياع والمنازل<sup>(٢)</sup>. وكان أحمد بن مهدي بن رستم الحافظ (ت ٢٧٢هـ / ٨٨٥م)، صاحب اموال، وقد انفق على اهل العلم ثلاثمائة ألف درهم<sup>(٣)</sup>. وورث ابراهيم بن اسحاق الحربي الفقيه (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م)، عن ابيه اموالاً كثيرة، فانفقها على طلب العلم<sup>(٤)</sup>.

وتكثر روايات الرحلة في طلب العلم في المصادر والتي توضح هذا النشاط وهذا الاتساع في نطاق الرحلات في طلب العلم، سواء من العراق أو اليه، ويبدو أن دراسة الحديث كانت الدعامة الهامة التي حفزت الطلاب على أن يذلولوا هذا الجهد الكبير. فقد ارتحل معمر بن راشد الازدي (ت ١٥٣هـ / ٧٧٠م) إلى اليمن في طلب الحديث<sup>(٥)</sup>، ورحل أبو عمرو الاوزاعي الفقيه (ت ١٥٧هـ / ٧٧٣م)، إلى اليمامة، ومكة، والبصرة، ودمشق، وبغداد<sup>(٦)</sup>. ورحل شعبة بن الحجاج المحدث (ت ١٦٠هـ / ٧٧٦م)، إلى مكة، وذكر رحلته هذه بقوله: «فرحلت إلى مكة لم ارد الحج اردت الحديث»<sup>(٧)</sup>. وقيل في سفيان الثوري (ت ١٦١هـ / ٧٧٧م)، : «وما بدد في الاسلام أحد حديث في الامصار تبديد الثوري، فانه حدث بالبصرة ما لم يحدث بالكوفة، وحدث بالشام ما لم يحدث بالعراق، وحدث بالعراق، وحدث باليمن ما لم يحدث بالعراق ولا بالشام، وحدث بالري ما لم يحدث بغيرهما من

(١) الخطيب البغدادي، الرحلة، ص ٢٠٧.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٣، ص ١٤٠٦.

(٣) الذهبي، تذكرة، ج ٢، ص ٥٩٧ - ٥٩٨.

(٤) القفطي، إنباه، ج ١، ص ١٩١.

(٥) الذهبي، العبر، ج ١، ص ١٦٩؛ اليافعي، مرآة، ج ١، ص ٣٤٢.

(٦) الرامهرمزي، المحدث، ص ٢٣١.

(٧) الخطيب البغدادي، الرحلة، ص ١٥٢ - ١٥٣.

الأمصار»<sup>(١)</sup>. ورحل ابراهيم بن طهمان المحدث (ت ١٦٣هـ / ٧٧٩م)، في طلب العلم وورد بغداد وحدث بها ثم انتقل إلى مكة فسكنها إلى آخر عمره<sup>(٢)</sup>. وكان عبدالله بن لهيعة (ت ١٧٤هـ / ٧٩٠م)، من الكتّابين للحديث والجمّاعين للعلم، والرحالين فيه، وكان يكنى بأبي خريطة، وذلك «انه كانت له خريطة معلقة في عنقه، فكان يدور عليهم، فكان اذا رأى شيخاً سأل: من لقيت وعمن كتبت»<sup>(٣)</sup>. وارتحل عبدالله بن المبارك المحدث (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م)، إلى الحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة وخراسان<sup>(٤)</sup>. وقد قال أحمد بن حنبل: «لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه، رحل إلى اليمن، وإلى مصر والشام، والبصرة، والكوفة»<sup>(٥)</sup>. ورحل المعافى بن عمران أبو مسعود الأزدي الموصلّي (ت ١٨٤هـ / ٨٠٠م)، في طلب الحديث<sup>(٦)</sup>. وارتحل الكسائي (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م)، إلى حمزة الزيات الكوفي (ت ١٥٦هـ / ٧٧٢م)، وقرأ عليه<sup>(٧)</sup>. كما ارتحل إلى البصرة فأخذ اللغة عن الخليل بن أحمد الفراهيدي<sup>(٨)</sup>، ورحل القاسم بن يزيد الجرمي (ت ١٩٤هـ / ٨٠٩م)، وكتب عمّن لحق من الحجازيين والكوفيين والبصريين والشاميين والموصلين، وكان حافظاً للحديث<sup>(٩)</sup>. وعن محمد ابن سعيد الترمذي المحدث (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، قال: «قدمت البصرة اكتب الحديث»<sup>(١٠)</sup>.

(١) الرامهرمزي، المحدث، ص ٦٢٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ٢٦٥.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٢، ص ٩٩.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٢٦٣؛ الذهبي، سير، ج ٨، ص ٣٨١.

(٥) الخطيب البغدادي، الرحلة، ص ٩١؛ الذهبي، سير، ج ٨، ص ٣٩٧؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ٥١؛ السبكي، طبقات، ج ٢، ص ١٢١؛ ابن المبرد، بحر الدم، ص ٨٩.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ١٠١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٢، ص ١٤٩.

(٧) الزبيدي، طبقات، ص ١٢٨.

(٨) ابن الجزري، غاية، ج ١، ص ٥٣٦.

(٩) الذهبي، سير، ج ٩، ص ٢٨٣.

(١٠) المصدر نفسه، ج ٩، ص ١٨٧.

ورحل الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، إلى مكة ومنها رحل إلى المدينة للقاء مالك بن انس ثم قدم بغداد فاقام بها سنتين، ثم خرج إلى مكة، ثم عاد إلى بغداد، ثم خرج إلى مصر ولم يزل بها إلى أن توفي<sup>(١)</sup>. ورحل بشر بن الحارث ويكنى ابا نصر (ت ٢٢٧هـ / ٨٤١م)، في طلب العلم إلى مكة والكوفة والبصرة<sup>(٢)</sup>. ورحل اسحق بن راهوية الحافظ (ت ٢٣٨هـ / ٨٥٢م)، في طلب العلم إلى العراق، والحجاز واليمن، والشام<sup>(٣)</sup>. ورحل أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، في طلب العلم، إلى الكوفة والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والجزيرة<sup>(٤)</sup>. وكان محمد بن هشام بن عوف التميمي (ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م)، اماماً في اللغة وعلم الشعر وايام الناس، وقد رحل في طلب الحديث مراراً إلى مكة والكوفة والبصرة<sup>(٥)</sup>. ورحل أبو عمرو الهروي اللغوي (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، إلى العراق في شببته فأخذ عن الكثير من علمائها<sup>(٦)</sup>. ورحل أبو داود سليمان بن معبد النحوي (ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م)، في طلب العلم إلى العراق والحجاز ومصر واليمن<sup>(٧)</sup>. وقدم حميد الخزاز (ت ٢٥٨هـ / ٨٧١م)، إلى بغداد ليسمع التفسير من حسين المروزي الحافظ (ت ٢١٤هـ / ٨٢٩م)، وقد نزل عند أحمد بن حنبل<sup>(٨)</sup>. وسافر أحمد بن الفرات الضبي الحافظ (ت ٢٥٨هـ / ٨٧١م)، كثيراً في طلب العلم، وسمع وجمع في الرحلة بين البصرة والكوفة

(١) الرامهرمزي، المحدث، ص ٣٣٢؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ١٦٥؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٣٩٥؛ النووي، تهذيب، ج ١، ص ٤٧؛ ابن خلكان، وفیات، ج ٤، ص ١٦٥.

(٢) ابن الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٢٥٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٢، ص ٣٤٨ - ٣٤٩.

(٤) السبكي، طبقات، ج ٢، ص ٣٠ - ٣١؛ أبو زهرة، ابن حنبل، ص ٢٥ - ٢٧.

(٥) السيوطي، بغية، ج ١، ص ٢٥٧.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٣، ص ١٤٢٠.

(٧) السيوطي، بغية، ج ١، ص ٦٠٣.

(٨) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٨، ص ١٦٤.

والحجاز واليمن والشام ومصر والجزيرة. وكان يقول: «كتبت عن الف وسبعمائة وخمسين رجلاً»<sup>(١)</sup>. وأراد البخاري (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، أن يجمع اكبر عدد من الاحاديث الصحيحة، فجمع احاديث بخارى وبلخ ومرو ونيسابور وبغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة ودمشق وعسقلان وحمص، وقد التقى بكثير من علماء هذه الامصار واخذ عنهم<sup>(٢)</sup>. ورحل أبو اسحاق النيسابوري (ت ٢٦٥هـ / ٨٧٨م)، في طلب العلم إلى البلدان، واستوطن بغداد<sup>(٣)</sup>. وارتحل ابن ماجة (ت ٢٧٣هـ / ٨٨٦م)، إلى البصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر، والري، لكتابة الحديث<sup>(٤)</sup>. وطاف أبو داود السجستاني المحدث (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، البلاد وكتب عن العراقيين، والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزيريين<sup>(٥)</sup>. ورحل أبو حاتم الرازي الحافظ (ت ٢٧٧هـ / ٨٩٠م)، في طلب الحديث، وقد تنقل في الكثير من البلاد الاسلامية. قال ابنه عبدالرحمن: «سمعت أبي يقول: «اول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين احصيت ما مشيت على قدمي زيادة على الف فرسخ، لم أزل احصي حتى زاد على ألف فرسخ تركته»<sup>(٦)</sup>. وفي هذا اظهر الى مدى المعاناة التي يلقاها العالم في طلبه للعلم.

ولم تقتصر الرحلة في طلب العلم على العلوم الدينية، بل كان للعلوم والمعارف الأخرى نصيبها في ذلك. فقد كان اليمان بن أبي اليمان (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م)، حافظاً للكثير من الآداب والاشعار وقد خرج إلى بغداد، وسامراء في ذلك ولقي الشعراء والعلماء<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن عساكر، تهذيب، ج ١، ص ٣٤٦.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج ٤، ص ١٨٩؛ الذهبي، تذكرة، ج ٢، ص ٥٥٦.

(٣) ابن الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج ٤، ص ٢٧٩؛ الذهبي، تذكرة، ج ٢، ص ٦٣٦.

(٥) الرامهرمزي، المحدث، ص ٢٣٠؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٤٠٤ - ٤٠٥.

(٦) الخطيب البغدادي، الرحلة، ص ٢١٣؛ الذهبي، تذكرة، ج ٢، ص ٥٦٧.

(٧) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٨٤٤.

ودخل ابراهيم الموصللي (ت ١٨٨ هـ / ٨٠٣ م)، إلى العراق ثم رحل إلى البلاد في طلب الاغاني، فبرع فيها بالعربية والعجمية<sup>(١)</sup>. وارتحل حنين بن اسحاق العبادي الطبيب المترجم (ت ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م)، إلى بلاد الروم لجمع الكتب والتزود في العلم، «وقد وصل في رحلاته إلى اقصى بلاد الروم، كما طاف بمدن العراق والشام ومصر»<sup>(٢)</sup>.

ولم تقتصر الرحلة في طلب العلم والتزود بالمعرفة على العلماء والادباء والمفكرين بل امتدت لتشمل الخلفاء العباسيين وأبنائهم. فقد كان المنصور يرحل في طلب العلم قبل توليه الخلافة<sup>(٣)</sup>. وتوجه الرشيد من العراق إلى الحجاز قاصداً الفضيل بن عياض (ت ١٨٧ هـ / ٨٠٢ م)، ليسمع منه الموعظة والحديث<sup>(٤)</sup>. كما رحل مع ولديه الأمين والمأمون لسماع الموطن من الامام مالك بن انس في المدينة، قال القاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) في بعض رسائله: «ما أعلم أن لملك رحلة في طلب العلم الا للرشيد، فانه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطن من مالك»<sup>(٥)</sup>.

يتضح مما سبق:

- استجابة العرب المسلمين لدعوة الاسلام في حثه على الرحلة لطلب العلم من خلال الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين.
- كانت الرحلة في طلب العلم احدى الوسائل المهمة في التحصيل العلمي عند العرب،

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج ٥، ص ١٤٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ١٥٦؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٨٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٢، ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٤٣؛ علي عبدالله الدفاع، اعلام العرب والمسلمين في الطب، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣، ص ٦٥، سيشار له تالياً (الدفاع، اعلام).

(٣) السيوطي، تاريخ، ص ٢٦٣.

(٤) مجهول، الامامة، ج ٢، ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٥) السيوطي، تاريخ، ص ٢٩٤؛ ابن وادان، تاريخ العباسيين، ص ٨٤.

وقد عرفها العرب المسلمين منذ عهد الرسول ﷺ.

- شدة اهتمام المسلمين بالارتحال في طلب العلوم والمعارف، وخصوصاً فيما يتعلق بالحديث النبوي وجمعه.
- كانت العراق مركزاً للاشعاع الحضاري، لذلك فقد زارها الكثير من طلاب العلم من مختلف انحاء الدولة الاسلامية، في الوقت الذي خرج منه الكثير من العلماء إلى أطراف الدولة الاسلامية للاستفادة والاستزادة، وقد تكون الرحلات ضمن مدن العراق لسماع عالم والأخذ عنه.
- لم تقف مشاق السفر وأخطاره، ومفارقة الأهل والبلد، حائلاً دون القيام بالرحلات فقلما نجد بين العلماء من لم يرحل في طلب العلم، وربما قطع الواحد منهم آلاف الاميال لمجرد قراءة كتاب أو سماع حديث واحد.
- لقد انفق الكثير من طلاب العلم اموالاً طائلة في سبيل طلب العلم وتمويل اسفارهم وتنقلاتهم واقاماتهم في البلاد التي يطلبون العلم فيها، مما يؤكد حرصهم على العلم والبذل السخي في طلبه.
- كانت الرحلة في طلب العلم من أبرز مظاهر النشاط العلمي والثقافي، كما كانت في الوقت نفسه من الاسباب الرئيسة التي ساعدت على انتقال العلوم والمعارف وتبادلها واطلاع طلاب العلم على أحوال الدنيا ومعرفة أوضاع الشعوب وتقاليدها.

## ٦ - توجيه الطلاب حسب مواهبهم:

حرص المسلمون على توجيه الطلاب على حسب مواهبهم واستعداداتهم الذهنية، وكانت عملية التوجيه هذه تبدأ بعد أن يجتاز الطالب المرحلة الاولى للتعليم (مرحلة الكتاب).



فبيدأ الطالب بالتعرف على العلوم ثم يتوجه إلى العلم أو الحرفة على حسب استعداداته وتكوينه. وقد ذكر حاجي خليفة ذلك في قوله: «ومن شرائط التحصيل أن لا يدع فناً من فنون العلم الا وينظر فيه نظراً يطلع به على غايته ومقصده وطريقته وبعد المطالعة في الجميع أو الأكثر اجمالاً إن مال طبعه إلى فن عليه أن يقصده ولا يتكلف غيره فليس كل الناس يصلحون للتعلم ولا كل من يصلح لتعلم علم يصلح لسائر العلوم بل كلٌ ميسر لما خلق له»<sup>(١)</sup>. وقيل: «اختر كل انسان للفن الذي يستطيع، فبقدر شهوته يكون نفاذه فيه»<sup>(٢)</sup>. وقد رأى بعضهم أن الطالب اذا وجه أو التحق بحلقة دون توجيه، ورأى المدرس في هذه الحال أو تلك أن الطالب ينبغي أن يفارق هذه الحلقة إلى سواها، فان المدرس ما كان يتردد في ابلاغ الطالب هذه النتيجة، وينصحه بان يغير الموضوع الذي شغل به نفسه ويدرس موضوعاً آخر وفي هذا يقول ابن جماعة: «واذا علم أو غلب على ظنه انه لا يفلح في فن أشار عليه بتركه والانتقال إلى غيره ومما يرجى فيه فلاحه»<sup>(٣)</sup>. وقد روي «ان يونس بن حبيب كان يختلف إلى الخليل بن أحمد يتعلم منه العروض، فصعب عليه تعلمه، فقال له الخليل يوماً، من اي بحر قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

ففطن يونس إلى ما عناه الخليل، فترك العروض وأخذ يتعلم النحو، وقواعد اللغة حتى أصبح في ذلك إماماً وعالماً شهيراً»<sup>(٤)</sup>.

وبدأ محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، يتعلم الفقه على محمد بن

(١) حاجي خليفة، كشف، ج ١، ص ٤٦.

(٢) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٤٦.

(٣) ابن جماعة، تذكرة، ص ١٠٢.

(٤) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٤٦.

الحسن الشيباني، فقال له محمد: اذهب فتعلم علم الحديث، لما رأى أن ذلك العلم أليق بطبعه، فطلب البخاري علم الحديث فصار فيه مقدماً<sup>(١)</sup>.

من ذلك نرى حرص العلماء المسلمين على توجيه الطالب إلى العلم الذي يستطيع البروز فيه، فكان العالم لا يتردد في أن يطلب من الطالب أن يترك الحلقة وينصحه ويرشده بتغيير الموضوع اذا وجده غير قادر على استيعاب الدروس الملقاة في هذا الموضوع. وكان الطالب لا يتردد في قبول مثل هذه النصيحة.

اما اذا وفق الطالب في اختيار الموضوع فانه يستمر في دراسته حتى يصل إلى المرحلة التي تؤهله ليكون مُقدماً فيه.

ومن ذلك نلمس المستوى الرفيع الذي وصله التعليم في الاسلام، والذي اتاح الفرصة لظهور علماء افذاذ تخصصوا في علم معين، بالاضافة إلى اطلاعهم الواسع على العلوم الاخرى.

(٣) الزرنوجي، تعليم، ص ١١٤.

## ثامناً : مكانة العلماء :

اهتم الإسلام بالعلم والمعرفة اهتماماً كبيراً، وانعكس هذا الاهتمام على العلماء الذين حظو بكثير من الاجلال والتقدير والتعظيم، وقد ورد تأكيد ذلك في القرآن الكريم، حيث قال الله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات﴾<sup>(١)</sup>. وقوله تعالى: ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر ألوا الالباب﴾<sup>(٣)</sup>. واكدت السنة على ذلك، فقد مر الرسول ﷺ على مجلسين احدهما فيه قوم يدعون الله والثاني جماعة يُعلمون الناس فعدل إلى حلقة العلم، وقال: «انما بعثت معلماً»<sup>(٤)</sup>. وقال عليه الصلاة والسلام: «وان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الانبياء»<sup>(٥)</sup>. لهذا كان العلماء موضع احترام الخاصة من خلفاء وامراء، وموضع احترام العامة من الناس. فقد نُصح احد الخلفاء برسالة هامة جاء فيها: «واعلم أن مواقع العلماء من ملكك مواقع السرج المتألقة والمصابيح المتعلقة وعلى قدر تعاهدك لها تبذل من الضياء، وتجلبو بنورها صور الاشياء»<sup>(٦)</sup>. وقال أبو الاسود الدؤلي: «ليس شيء أعز من العلم، الملوك يحكام على الناس، والعلماء يحكام على الملوك»<sup>(٧)</sup>. وقيل لابي جعفر المنصور: «قد حقق الله لك كل مرغوب ومأرب، فهل بقيت لك لذة أو بغية لم تنلها؟ فقال: نعم، بقيت لذة واحدة وهي أعلى من جميع ما نلتته أن اقعد في مصطبة وحولي أصحاب

(١) سورة المجادلة: اية ١١.

(٢) سورة فاطر: آية ٢٨.

(٣) سورة الزمر: اية ٩.

(٤) ابن ماجه، سنن، ج ١، ص ٨٣؛ عبد الحي الكتاني، التراتيب، ج ٢، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٥) ابن ماجه، سنن، ج ١، ص ٨١.

(٦) أحمد شلبي، الترية، ص ٢٢٩؛ محمد سعد الدين، العلماء، ص ١١٢.

(٧) ابن جماعة، تذكرة، ص ٧٠؛ أحمد شلبي، الترية، ص ٢٢٩؛ اسعد طلس، الترية، ص ٤٧.

الحديث<sup>(١)</sup>. وكان أبو جعفر المنصور يدخل البصرة في أيام بني أمية مستتراً، فيجلس في حلقة أزهر بن سعد السَّمان المحدث (ت ٢٠٣هـ / ٨١٨م)، فلما افضت الخلافة إليه قدم عليه أزهر السَّمان الكوفة فرحب به وقرب منزلته<sup>(٢)</sup>. ويظهر إجلال واحترام المنصور لمالك بن انس بان كان يجلسه إلى جانبه<sup>(٣)</sup>. ونبغ أبو دلالة الشاعر النديم (ت ١٦١هـ / ٧٧٧م)، في أيام بني العباس، فانقطع إلى السفاح والمنصور وكانوا يقدمونه ويفضلونه<sup>(٤)</sup>. وكان المهدي شديد التواضع مع العلماء، فقد كان الفقيه صالح المري يدخل عليه على حمارة ويدنو به من بساط المهدي، فيأمر ولديه موسى وهارون قائلاً: «قوما فأنزلا عمكما»<sup>(٥)</sup>. وكان الرشيد يخضع للكبار ويتأدب معهم<sup>(٦)</sup>، وإذا امتنع عليه أحدهم بعدم المجيء إلى مجلسه، قصده بنفسه لأخذ الموعدة منه، فقد وجه الرشيد إلى مالك بن أنس ليأتيه فيحدثه، فقال مالك: «إن العلم يؤتى! فصار الرشيد إلى منزله، فاستند معه إلى الجدار، فقال: يا أمير المؤمنين، من إجلال الله تعالى إجلال العلم، فقام وجلس بين يديه»<sup>(٧)</sup>. ولما بلغ الرشيد موت عبدالله بن المبارك (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م)، حزن عليه وجلس للعزاء<sup>(٨)</sup>، وقال أبو يوسف (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م):

(١) ابن كثير، البداية، ج ١، ص ١٢٩؛ السيوطي، تاريخ، ص ٢٦٦.

(٢) ابن عبدربه، العقد، ج ١، ص ٢١٦؛ السيوطي، تحفة، ص ٨٧؛ فخر الدين فخر الدين، اخبار وطرائف عن الملوك والخلفاء والمغنين والشعراء والعشاق، ط ١، دار الحرف العربي للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩١، ص ٦٦، سيشار له تالياً (فخر الدين، اخبار).

(٣) مجهول، الامامة، ص ١٨٠.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٣٢٠؛ وقاعي، عصر، ج ٣، ص ٣٠٠.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٩، ص ٣٠٦.

(٦) الذهبي، العبر، ج ١، ص ٢٤٣.

(٧) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ٣٤؛ ابن نباته، سرح، ص ٢٦٢.

(٨) الذهبي، سير، ج ٩، ص ٢٨٨.

«كنت اجالس الرشيد، وأكل معه على مائدته»<sup>(١)</sup>. ولما مات أبو يوسف مشى الرشيد في جنازته وصلى عليه بنفسه وقال: «ينبغي لاهل الاسلام أن يُعزي بعضهم بعضاً بابي يوسف»<sup>(٢)</sup>. ولما اشتدت علة الكسائي (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م)، جعل الرشيد يدخل عليه ويعوده دائماً<sup>(٣)</sup>. وكان أبو معاوية الضرير (ت ١٩٥هـ / ٨١٠م)، يأكل مع الرشيد ويصب الرشيد على يديه الماء<sup>(٤)</sup>. وحج الرشيد، فزار سفیان بن عیینة (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، في منزله<sup>(٥)</sup>. واشرف الرشيد يوماً على الكسائي وهو لا يراه، فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجة يريدها، فقام الأمين والمأمون فوضعاها بين يديه، وقد شجعهما الرشيد<sup>(٦)</sup>. وكان احد أبناء الرشيد يصب الماء على قدمي الاصمعي في وضوئه، وقد غائب الرشيد الاصمعي في ذلك، وقال: «لماذا لم تأمره بان يصب الماء باحدى يديه ويغسل بالآخرى رجلك»<sup>(٧)</sup>. ومر الرشيد مرة بحلقة محمد بن الحسن بن فرقد (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م)، فقام الناس كلهم الا محمد بن الحسن، ولما سأل الرشيد عن ذلك، قال: كرهت أن اخرج من طبقة العلماء إلى طبقة العامة<sup>(٨)</sup>. ودخل الاصمعي وخلف الاحمر إلى مجلس أبي زيد الانصاري، فاكب كل منهما

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٧٣.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ١، ص ٣٠١.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ١٣.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ٣٢٣؛ ابن طباطبنا، الفخري، ص ١٩٤؛ الاربلي، خلاصة، ص ١٠٩؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٢٨٨؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢٢٣ - ٢٢٤؛ الكردي، مناقب، ص ١٠٩؛ السيوطي، تاريخ، ص ٢٨٥.

(٥) ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص ١٣١؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٧٤٨.

(٧) الزرنوجي، تعليم، ص ٥١.

(٨) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٢، ص ١٧٣.

على رأس أبي زيد يقبلانها اعترافاً منهما بفضله وتعليمه لهما<sup>(١)</sup>. ولما عزم النضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ / ٨١٦م)، على الخروج من البصرة إلى خراسان، شيعه نحو ثلاثة آلاف من المحدثين والفقهاء واللغويين والنحاة والادباء<sup>(٢)</sup>. وقرب المأمون العلماء<sup>(٣)</sup>، وكان يتفقدتهم إذا غابوا عنه ويزورهم إذا انقطعوا في بيوتهم<sup>(٤)</sup>، كما كان يتلطف بهم ويتواضع لهم، فقد كان العتابي (ت ٢٢٠هـ / ٨٣٥م)، يجلس بين يديه وقد أسنّ، فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده، واعتمد الشيخ على المأمون فما زال المأمون ينهضه رويداً رويداً حتى نهض<sup>(٥)</sup>. وسار أبناء المأمون على نهج أبيهم، فتنازعوا على تقديم نعل مؤدبهم الفراء (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م) عندما نهض، أيهم يقدمه إليه<sup>(٦)</sup>. وقال الحسن بن الربيع المحدث (ت ٢٢٠هـ / ٨٣٥م): «قدمت بغداد فلما خرجت شيعة اصحاب الحديث»<sup>(٧)</sup>. وكان سلمويه (ت ٢٢٥هـ / ٨٣٩م)، عالماً بالطب، ولما مرض عاده المعتصم وبكى عنده<sup>(٨)</sup>، وكان الخليفة الوائق بالله يكرم مؤدبه هارون بن زياد ويقربه من مجلسه لما قام بتعليمه منذ الصغر<sup>(٩)</sup>.

وسعى الخلفاء والامراء إلى تقليد العلماء المناصب، ومنها القضاء وان دل هذا على شيء فانما يدل على تلك المكانة العلمية والاجتماعية الرفيعة التي كان يتمتع بها العلماء، لان

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢٦٨؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٤٩٥؛ السيوطي، بنية، ج ١، ص ٥٨٣.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٧٥٨.

(٣) المقرئ، السلوك، ج ١، ص ١٦.

(٤) ابن دقماق، الجوهر، ج ١، ص ١٣٢.

(٥) رفاعي، عصر، ج ٣، ص ٢٥٣.

(٦) ابن الانباري، نزهة، ص ٨٢ - ٨٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١٧٩؛ القفطي، إنباه، ج ٤، ص ١٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ١٧٩؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٧، ص ٣٠٨.

(٨) ابن العبري، مختصر، ص ١٤٠.

(٩) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ١٢؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٣٢٣.

مثل هذه المهام يتطلب خبرة وثقافة ومواصفات معينة، ورغم ذلك فإن الكثير منهم كان يرفض هذه المناصب، فقد عرض المنصور قضاء الكوفة على أبي حنيفة فابى<sup>(١)</sup>. وامتنع عبدالله ابن ادريس (ت ١٩٢هـ / ٨٠٧م)، من القضاء قائلاً للرشيد: «لا أصلح»<sup>(٢)</sup>. وأراد الرشيد أن يولي وكيلاً (ت ١٩٧هـ / ٨١٢م)، قضاء الكوفة فامتنع<sup>(٣)</sup>. ورفض أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، قضاء اليمن، بعد أن عرضه عليه الشافعي بأمر من الرشيد<sup>(٤)</sup>.

من خلال ذلك نلاحظ أن العلماء، تمتعوا بمكانة اجتماعية مرموقة، فكانوا موضع احترام الخاصة والعامة. وتعلو مكانة العالم ويتردد ذكره بازدياد علمه ومعرفته، وقد يكون ذلك سبباً في أن يكون العالم جليساً مقرباً للخليفة أو الأمير، ويشاركه موائده، أو يكون سبباً في اختياره ليتولى احد المناصب وبالذات منصب القضاء.

(١) المؤلف المكي، مناقب، ص ١٩١؛ النووي، تهذيب، ج ٢، ق ١، ص ١٢٧؛ الكردري، مناقب، ص ٢٤٦؛ ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص ١٠١.

(٢) الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٢٨٣.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٩.

(٤) ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٣٤٢؛ أبو بكر الجزائري، العلم، ص ٣٠٥.

## تاسعاً : الاجازات العلمية:

الإجازة العلمية في اللغة، تعني اعطاء الأذن وبهذا فقد اشار الفيروزآبادي إلى ذلك بقوله: «أجاز سوغ له»<sup>(١)</sup>. اما ابن منظور فيذكر: اذن وتسويغ، وعلى هذا نقول: اجزت له رواية كذا، كما نقول: أذنت له وسوغت له<sup>(٢)</sup>.

اما اصطلاحاً: فهي عند علماء الحديث، أن يأذن ثقة من الثقات لغيره رواية حديث أو كتاب سواء كان ذلك الكتاب من تصنيفه أم كان يرويه عن شيوخه بالاسناد<sup>(٣)</sup>. وقد كان الطالب يسعى لطلب العلم ما أتيح له الفراغ والمال والموهبة، ويكتفي بالقليل من العلم أو يجمع منه الكثير على حسب ظروفه الخاصة. وهو ينتقل من دور الطالب في الحلقة إلى دور الرحلة في طلب العلم، إلى أن يصبح شيخاً له حلقة خاصة بعد أن يستحصل الاجازة بذلك، وهذا لم يكن ليحصل عليه طالب العلم بيسر وسهولة، فقد كان يتردد طويلاً قبل أن ينقل نفسه من مجلس التعلم إلى مجلس التعليم، لذلك فان الطالب الذي يرغب في الحصول على الاجازة يجب أن يثبت جدارته ومؤهلاته امام الامتحان الذي يمر به مع الطلبة أو الشيوخ، فاذا استطاع اقناع الشيوخ والطلبة الذين تحلقوا حوله بانه يستطيع القيام بعملية التعليم، عندئذ تستوجب اجازته بعد الاجابة عن الاسئلة التي يوجهها له شيوخه وطلبتهم فإن لم يوفق في ذلك يرجع إلى مكانه الاول، طالباً يتلقى العلم في حلقات ومجالس العلم<sup>(٤)</sup>. روي أن ابا حنيفة كان يلتحق بحلقة حماد بن سلمة ثم أحس أن في مقدوره أن يستقل عنه، ويكون

(١) مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٤ ج، دار المعرفة، بيروت د.ت، ج ٢، ص ١٧٠، سيشار له تالياً (الفيروزآبادي، القاموس).

(٢) ابن منظور، لسان، ج ٨، ص ٤٣٦.

(٣) ابو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، المعروف بابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨ م، ص ٧٢، سيشار له تالياً (ابن الصلاح، مقدمة).

(٤) أحمد شلبي، الترية، ص ٢٦١.



لنفسه حلقة يعلم فيها ففعل، ولكن طالباً سأل سؤالاً، فلم يستطيع أن يجيب عنه ففرض حلقة وعاد إلى حلقة استاذة<sup>(١)</sup>. وروي أن ابا يوسف مرض مرضاً شديداً، فعاده معلمه أبو حنيفة النعمان، وقال له: «لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين» فلما برىء من مرضه، اعجب بنفسه بسبب شهادة شيخه له، فعقد مجلساً للامالي، فلما عرف أبو حنيفة ذلك، ادرك أن ابا يوسف تعجل، فارسل أبو حنيفة له رجلاً يسأله عن خمس مسائل، وقد أجاب عليها أو يوسف باجابات خاطئة، فأدرك أبو يوسف تقصيره، وعاد إلى أبي حنيفة<sup>(٢)</sup>.

X من ذلك ندرك قيمة الاجازة من الشيخ لطالبه، اذ هي اعلان بقدرته على قيادة حلقة العلمية ونجاحه في عمله وعلمه، اما اذا اختار لنفسه هذا الطريق، وهو طريق الاستقلال عن شيخه قبل اجازته، فانه قد يتعرض إلى مواقف تعيده ثانية إلى شيخه لاستكمال مسيرته في التأهيل العلمي. وقد كان للحديث وروايته عناية خاصة عند المسلمين، فالطالب لا تجوز روايته قبل اجازته من شيخه، ولا يجزئ على التحدث الا بهذه الاجازة، قال ابن عبد البر القرطبي: «الاجازة لا تجوز الا لماهر بالصناعة، حاذق بها، يعرف كيف يتناولها، ويكون في شيء معين معروف لا يشكل اسناده»<sup>(٣)</sup>. وانتقل هذا من الحديث إلى سواه من العلوم، فاذا ثابر الطالب على الاستماع لامالي الشيخ في الادب أو التاريخ أو غيرهما، أو لشرح يقوم به المدرس لكتاب ما، وتأكد المدرس من استفادة الطالب، كتب له على الورقة الاولى أو الاخيرة من الكتاب يقول فيها مثلاً: «اتم فلان قراءة هذا الكتاب وأجزت له تدريسه»<sup>(٤)</sup>.

وقسم المحدثون الاجازة إلى نوعين: الشفوية والتحريرية<sup>(٥)</sup>. اما الشفوية، فقد روي بأن

(١) الموفق المكي، مناقب، ج ١، ص ٥٧.

(٢) أحمد شلبي، التربية، ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٣) ابن عبد البر، جامع، ج ٢، ص ١٨٠.

(٤) أحمد شلبي، التربية، ص ٢٦٣؛ بليغ، «المسجد»، ص ٢٣١.

(٥) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص ٣٦٣. ولمزيد من المعلومات، انظر: المصدر نفسه، ص ٣٦٣ - ٣٨٨.

رجلاً، سأل الحسن البصري فقال: «يا أبا سعيد منزلي ناءٍ والاختلاف يشق عليّ، ومعني أحاديث فان لم تكن ترى بالقراءة بأساً قرأت عليك؟ قال: ما أبالي إن قرأت عليّ أو قرأت عليك، واخبرتك انه حدثني به، قال: يا أبا سعيد، فأقول: حدثني الحسن؟ قال: نعم، فقل حدثني الحسن»<sup>(١)</sup>. وعن الأوزاعي، قال: «دفع إلي يحيى بن أبي كثير صحيفة، فقال: أروها عني»<sup>(٢)</sup>. وروي بان الحجاج بن محمد المصباحي (ت ٢٠٦هـ / ٨٢١م)، قال لابن جريح: «هذه الكتب التي عرضتها عليك احدث بها عنك؟ قال: نعم، وقل حدثني ابن جريح»<sup>(٣)</sup>. ويذكر بان حسين بن علي الكرايسي الفقيه المتكلم (ت ٢٤٨هـ / ٨٦٢م)، قال: «لما كانت قدمة الشافعي الثانية أتيته، فقال له فأذن لي أن أقرأ عليك الكتب فأبى، وقال: خذ كتب الزعفراني»<sup>(٤)</sup>، فانسخها فقد اجزتها، فآخذها اجازة»<sup>(٥)</sup>.

أما المكاتب، فقد روي بان محمد بن يحيى الذهلي (ت ٢٥٨هـ / ٨٧١م)، قد كتب بخطه اجازة للاصبهانين كتب «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، أتاني سعيد بن عمر أبو عثمان البرذعي، بهذه الأحاديث المتضمنة الرقعة... وهذه أحاديثي... فقد أجزتها له وليرويه عني»<sup>(٦)</sup>.

ولم تقتصر الاجازة عند العلماء العرب والمسلمين على العلوم الدينية، وإنما كان للعلوم الطبيعية نصيبها في الاجازة، فقد حدثتنا الروايات التاريخية عن إجراء امتحانات من قبل العلماء المتخصصين في علوم الفلك والنجوم في عهد الخليفة المأمون للمشتغلين من الطلبة بهذه

(١) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص ٣٦٣.

(٢) الرامهرمزي، المحدث، ص ٤٣٧.

(٣) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص ٣٦١.

(٤) ابو علي الحسن بن محمد بن الصباح، الزعفراني، صاحب الامام الشافعي، برع في الفقه والحديث، توفي سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٣م. النووي، تهذيب، ج ٢، ق ١، ص ٧٧.

(٥) الرامهرمزي، المحدث، ص ٤٤٨.

(٦) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص ٣٥٩.

الحقول العلمية لتوظيفهم في المراصد، وقد أشير إلى أن الخليفة المأمون قد أوكل إلى سند بن علي المنجم الاشراف على الامتحان، وان اجتياز الطالب لهذا الامتحان يعني اجازته بالعمل بالمراصد<sup>(١)</sup>. ولم يقتصر الامر على علم الفلك، بل كان لعلم الصيدلة نصيبه في ذلك، فقد امتحن الافشين، ومعه زكريا الطيفوري، الصيادلة سنة ٢٢٠هـ / ٨٣٥م<sup>(٢)</sup>.

ويشترط لصحة الاجازة أن يكون الفرع معارضاً بالأصل حتى كأنه هو، وأن يكون المجيز عالماً بما يجيز به، ثقة في دينه وروايته، معروفاً بالعلم، وان يكون المستجيز من اهل العلم، حتى لا يوضع العلم الا عند أهله<sup>(٣)</sup>. وهكذا فان الاجازة الشهادة العلمية للطالب من قبل شيخه بالأهلية بأن يروي عنه، وأن الاجازة تدل على المستوى العلمي لمن منحت له بكل انواع الاجازات وفي أية طريقة تمت ولا تمنح إلا لمن كان ذا معرفة تهيء له أن يجيد تدريس الكتاب المجاز به، أو رواية الأحاديث المأذون له في روايتها<sup>(٤)</sup>.

(١) القفطي، اخبار، ص ١٤١.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ٩٢؛ أحمد عيسى بك، البيمارستانات، ص ٤٩.

(٣) ابن الصلاح، مقدمة، ص ٧٨ - ٧٩.

(٤) أحمد شلبي، التربية، ص ٢٦٧.

## الفصل الرابع

### تعليم المرأة

## أولاً : الموقف العام من تعليم الإناث :

يبدو أن المرأة في الاسلام، اخذت فرصتها في التعليم، فقد فرض طلب العلم على المرأة، كما فرض على الرجل في الاسلام. قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»<sup>(١)</sup>. ومدلول كلمة مسلم هنا لا يقتصر على الذكور من المسلمين فقط، بل شمل الإناث ايضاً. وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران، رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك، اذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة يطؤها فادبها فاحسن تأديبها، وعلمها فاحسن تعليمها، ثم اعتقها فتزوجها فله أجران»<sup>(٢)</sup>.

وقد كان الرسول ﷺ، ومنذ بداية الدعوة الاسلامية يهتم بتعليم النساء أمور دينهن الحنيف، فقد اغتنم فرصة مبايعة النساء له، كي يعظهن ويفقهن في الدين، فقد كانت أسماء بنت يزيد الأنصارية تسأله عن بعض الأمور الدينية الخاصة بالنساء ما لهن وما عليهن<sup>(٣)</sup>. وتشهد عائشة (رضي الله عنها)، لنساء الأنصار في هذا الأمر إذ تقول: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»<sup>(٤)</sup>. ولم تكتف النساء بمبادرات الرسول في تعليمهن أمور دينهن، بل أنهن سعين عند النبي ﷺ، كي يجعل لهن يوماً من نفسه، ليعظهن ويفقهن في الدين. فعن أبي سعيد الخدري قال: «قال النساء للنبي ﷺ غَلَبْنَا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن»<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن ماجه، سنن، ج ١، ص ٨١.

(٢) البخاري، صحيح، ج ٢، ص ٨٧ - ٨٩؛ ابن عبد البر، جامع، ج ١، ص ٩٢ - ٩٣.

(٣) ابن عساكر، تهذيب، ج ٧، ص ٤٤٠؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج ٦، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ج ٦، ص ٥٨١، سيشار له تالياً (ابن حجر العسقلاني، تهذيب).

(٤) البخاري، صحيح، ج ٢، ص ١٥٨؛ ابن عبد البر، جامع، ج ١، ص ٨٨.

(٥) البخاري، صحيح، ج ١، ص ٩٩.

وحدث شعبة عن أيوب قال: قال عطاء بن أبي رباح عن ابن العباس «أن رسول الله ﷺ خرج ومعه بلال، فظن أنه لم يُسمع فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تُلقِي القرط والخاتم وبلال يأخذ في طرف ثوبه»<sup>(١)</sup>. لذلك تهافت النساء كتهافت الرجال على طلب العلم والتثقف بثقافة الاسلام<sup>(٢)</sup>. وقد كان على نساء النبي ﷺ بنص القرآن أن يتلقين العلم عن رسول الله ليعلمنه للناس من بعده<sup>(٣)</sup>. قال تعالى: ﴿واذكرون ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾<sup>(٤)</sup>. وقد كن رضي الله عنهن، يحفظن من احاديثه الكثير، فكن خير مبلغ<sup>(٥)</sup>. فكانت أم المؤمنين عائشة - مثلاً - مصدراً هاماً في الفقه للرجال والنساء. قال عطاء بن أبي رباح: «كانت عائشة أم المؤمنين افقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة»<sup>(٦)</sup>. وكانت تحسن الفرائض فقد كان الاكابر من أصحاب رسول الله يرسلون اليها فيسألونها عن السنن<sup>(٧)</sup>.

ومنح الاسلام المرأة المتعلمة فرصة تعليم نساء المسلمين وبناتهم. فقد كانت الشفاء بنت عبدالله العدوية (ت ٢٠هـ / ٦٤٠م)، كاتبة قبل الاسلام، وعندما اسلمت أمرها، الرسول ﷺ، أن تُعلم أم المؤمنين حفصة (ت ٤٥هـ / ٦٦٥م)، فقد روي عنه ﷺ، انه قال للشفاء بنت العدوية: «الا تعلمين حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة»<sup>(٨)</sup>.

(١) البخاري، صحيح، ج ١، ص ٩١ - ٩٢.

(٢) أحمد حسين، الاسلام والمرأة، دار الشرق الاوسط للنشر، القاهرة، د.ت، ص ٢٥، سيشار له تالياً (أحمد حسين، الاسلام).

(٣) القابسي، الرسالة، ص ٢٩٠؛ اقلانية، النظم، ص ١٤٢ - ١٤٣؛ أحمد حسين، الاسلام، ص ٢٥.

(٤) سورة الاحزاب: آية ٣٤.

(٥) اقلانية، النظم، ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٦) ابو الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، ج ٨، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج ٨، ص ١٤٠، سيشار له تالياً (ابن حجر العسقلاني، الاصابة).

(٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٥٢ - ٥٣.

(٨) البلاذري، فتوح، ص ٤٥٨؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٦٩؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج ٦، ص ٦٠١؛ اسعد طلس، التربية، ص ٩٢.

وبالإضافة إلى حث الآباء لبناتهم على التعليم، كانوا أيضاً يعلموهن بأنفسهم، فقد علم سعد بن أبي وقاص ابنته عائشة (ت ١١٧هـ / ٧٣٥م)، وقد قالت: «علمني أبي الكتاب»<sup>(١)</sup>.

واستمر الاهتمام بتعليم الاناث في العصر الأموي، فنبغ الكثير منهن في التفسير والحديث والفقه، مثال ذلك خيرة أم الحسن البصري<sup>(٢)</sup>، وسبيعة بنت حبيب البصرية<sup>(٣)</sup>، وأم الدرداء الاوصائية (٨١هـ / ٧٠٠م)<sup>(٤)</sup>، وفقية مولاة أبي امامة (ت ٨١هـ / ٧٠٠م)<sup>(٥)</sup>، ومعاذة بنت عبدالله العدوية (ت ٨٣هـ / ٧٠٢م)<sup>(٦)</sup>، وعائشة بنت طلحة (ت ١٠١هـ / ٧١٩م)<sup>(٧)</sup>، وسكينة بنت الحسين (ت ١١٧هـ / ٧٣٥م)<sup>(٨)</sup>.

اما في العصر العباسي حيث ازدهرت العلوم والثقافات المختلفة، فقد تمكنت المرأة من بلوغ اقصى درجات العلم والثقافة، ومما يبدو في هذا العصر أن الجواري كن أكثر نشاطاً في المجال الأدبي والفني من الحرائر، وقد يكون السبب في ذلك النظام الاجتماعي السائد في

(١) البلاذري، فتوح، ص ٤٥٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٣٤٨؛ محمد بن خلف بن حيان وكيع، اخبار القضاة، ج ٣، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٥٥، سيشار له تالياً (وكيع، اخبار).

(٣) ابن حجر العسقلاني، الاصابة، ج ٨، ص ١٠٣.

(٤) ابن عساكر، تاريخ (تراجم النساء)، ص ٤٢٢؛ الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٥٤؛ اليافعي، مرآة، ج ١، ص ١٩٥؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج ٦، ص ٦٢٥.

(٥) ابو نعيم الاصبهاني، حلية، ج ١٠، ص ١٢٩.

(٦) ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج ٦، ص ٦١٥.

(٧) الاصفهاني، الاغانى، ج ١١، ص ١٧٩؛ ابن عساكر، تاريخ (تراجم النساء)، ص ٢٠٧؛ وداد سكاكيني، «مجالس الادب عند نساء العرب»، مجلة المقتطف، م ١٠٢، ج ١، ص ١٩٤٣م، ص ٤٥٣، سيشار له تالياً (وداد سكاكيني، «مجالس»).

(٨) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٣٤٦ - ٣٤٧؛ وداد سكاكيني، «مجالس»، ص ٤٥٤؛ باسمه كياي، تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص ٨٨، سيشار له تالياً (باسمه كياي، تطور المرأة).

المجتمع، حيث تحجب الحرة، فقد كان الناس يغارون على الحرائر أكثر مما يغارون على الجواري، ويحجبون الحرة ويشددون في تحجبها، وقد جرت العادة ألا يرى الرجل من يريد الزواج بها رؤية كاملة، إذا كانت من الحرائر إلا في حدود ما يسمح به الشرع الاسلامي لمريد الخطبة، بخلاف الأمة فقد كان يستطيع أن يراها ويتعرف طباعها واخلاقها بحكم مخالطتها قبل أن يقدم على الاقتران بها. اما الجارية فهي سافرة إلى حد بعيد بحكم انها في كل وقت عرضة لان تباع وتشتري. وكان الميل إلى تعليمهن الآداب والفنون واضحاً، دعاهم إلى ذلك - فيما يبدو - الناحية التجارية، فقد كان علم الجارية وأدبها يُقوّم في سوق الرقيق بأكثر مما يُقوّم بدنّها، وان الجارية اذا قُوّمت بمائتي دينار قُوّمت باضعاف ذلك مغنية أو اديبة<sup>(١)</sup>. وقد سئل أحمد بن حنبل عن رجل مات وترك ولداً وجارية مغنية، فاحتاج الصبي إلى بيعها، فقال: «لا تباع على أنها مغنية، فقل له: انها تساوي ثلاثين ألف درهم ولعلها اذا بيعت ساذجة تساوي، عشرين ديناراً»<sup>(٢)</sup>. لذلك كان تدريب الجواري على الاداب السلطانية وتعليمهن مختلف الصناعات والفنون، كالرقص والغناء والضرب على الأوتار، اضافة إلى حفظ الاشعار والنوادر، وكل ما يمكن أن يجعل من الجارية محدثة لبقة، ونديمة متندرة، وقينة مطربة<sup>(٣)</sup>، وراقصة مثيرة<sup>(٤)</sup>. فلا غرابة أن نجد بعض الجواري وقد ابدعت في أكثر من مجال، خصوصاً المجال الأدبي والفني. فقد كانت حُسنية جارية من السبي، اسلمت في زمن الرشيد، وكانت عالمة فاضلة، وبصيرة بالأخبار والآثار<sup>(٥)</sup>. وطلب الرشيد من الأصمعي أن

(١) أحمد امين، ضحى، ج ١، ص ٩٨ - ٩٩.

(٢) ابن الجوزي، تليس، ص ٢٨١.

(٣) القينة: جمعها قيان، وهي الجارية المغنية. النووي، تهذيب، ج ٣، ص ١٠٧.

(٤) سليم التنير، الشاعرات من النساء (أعلام وطوائف)، ط ١، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٨م، ص ٤٥، سيشار له تالياً (التنير، الشاعرات).

(٥) عمر رضا كحالة، اعلام النساء، ٥ ج، ط ٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤، ج ١، ص ٢٦٤، سيشار له تالياً (كحالة، اعلام).



٨ يكشف من العلم ما عند جاريتين أهديتا اليه. فسأل احداهن، فوجد عندها من العلم ما شمل القرآن والاخبار والأشعار والنحو والعروض<sup>(١)</sup>. وكانت جنان، جارية عبدالوهاب بن عبدالمجيد الشقفي محدث البصرة (ت ١٩٤هـ / ٨٠٩م)، «جارية حسناء اديبة عاقلة، تعرف الاخبار وتروي الاشعار»<sup>(٢)</sup>. وكانت دنانير (ت ٢٠٥هـ / ٨٢٠م)، جارية يحيى بن خالد البرمكي، «من احسن الناس وجهاً، واطرفهم واكملهم، واحسنهم ادباً واكثرهم رواية للغناء والشعر»<sup>(٣)</sup>. ونشأت مقيم الهشامية (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)، في البصرة وبها تأدبت وغنت، وكانت من احسن الناس وجهاً وغناءً وادباً، وكانت تقول الشعر»<sup>(٤)</sup>. وكانت عنان (ت ٢٢٦هـ / ٨٤٠م)، جارية الناطفي، شاعرة ظريفة من مولدات اليمامة، وبها نشأت وتآدبت، وكانت «مليحة الادب والشعر، سريعة البديهة»<sup>(٥)</sup>. وكانت سكن (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م)، جارية محمود بن حسين الوراق (ت ٢٢٥هـ / ٨٣٩م)، فيما وصفت لعبدالله بن المعتز بن المتوكل (ت ٢٩٦هـ / ٩٠٨م)، «من احسن خلق الله وجهاً، واكثرهم ادباً، واطيبهم غناء»<sup>(٦)</sup>. ونشأت محبوبة (ت ٢٤٧هـ / ٨٦١م)، جارية المتوكل في الطائف، فبرعت في الادب، واجادت قول الشعر، وحذاقة الغناء»<sup>(٧)</sup>. وكانت فضل (ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م)، جارية

(١) ابن الانباري، نزهة، ص ٩٤؛ الشريشي، شرح، ج ٢، ص ٣٣٣.

(٢) أبي عمران، المرقصات، ص ٩٦ - ٩٧.

(٣) الاصفهاني، الاغاني، ج ١٨، ص ١٤؛ السيوطي، المستطرف، ص ٢٨؛ كحالة، اعلام، ج ١، ص ٤١٧.

(٤) السيوطي، المستطرف، ص ٦٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٦) عبدالله بن المعتز بن المتوكل، طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦م، ص ٣٦٦، سيشار له تالياً (ابن المعتز، طبقات)؛ الشكعة، الشعر، ص ٤٨٠.

(٧) السعودي، مروج، ج ٤، ص ١٤٣؛ الاصفهاني، الاماء، ص ١١٧؛ الشريشي، شرح، ج ٢، ص ٣٢٥؛ ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٣٥٦؛ محمد بن أبي بكر بن قيم بن الجوزية، اخبار النساء، شرحه وقدم له عبدمنها، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م، ص ٥٢، سيشار له تالياً (ابن قيم الجوزية، اخبار)؛ الابشهي، المستطرف، ج ٢، ص ١٨٨.

المتوكل - وقد نشأت في البصرة - «سمراء ادبية، فصيحة سريعة الهاجس، مطبوعة في الشعر، احسن خلق الله خطأ، وافصح كلاماً، وابلغه في مخاطبة، واثبتته في محاوره»<sup>(١)</sup>. وكانت عريب المأمونية (ت ٢٧٧هـ / ٨٩٠م)، محسنة وشاعرة صالحة الشعر، وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام، وجودة الضرب، والمعرفة بالنظم والاوزان، والرواية للشعر والادب<sup>(٢)</sup>. قال حماد بن اسحاق قال أبي: «ما رأيت امرأة قط احسن وجهاً، وأدباً وغناءً، وضرباً وشعراً، ولعباً بالشطرنج من عريب، وما تشاء أن تجد خصلة حسنة ظريفة، بارعة في امرأة الا وجدتها فيها»<sup>(٣)</sup>.

واهتم الخلفاء والأمراء والاعيان بالجواري المبدعات، الأمر الذي ادى إلى ارتفاع ائمانهن اضعافاً مضاعفة، وقد اقبل الخلفاء والأمراء على شراء الجواري اللواتي اظهرن ابداعاً في مجالات العلم والادب والفن<sup>(٤)</sup>.

(١) السيوطي، المستظرف، ص ٥٠ - ٥١.

(٢) الاصفهاني، القيان، ص ١١١؛ أبو الحسن علي بن محمد بن جميل المعافري، الحدائق الغناء في اخبار النساء، تحقيق عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٧٨م، ص ٩٨، سيشار له تالياً (المعافري، الحدائق).

(٣) الاصفهاني، الاماء، ص ١٠٦؛ ابن عساكر، تاريخ (تراجم النساء)، ص ٢٢٩؛ السيوطي، المستظرف، ص ٣٧.

(٤) انظر: الاصفهاني، الاغانى، ج ١٧، ص ٣٢؛ الاصفهاني، القيان، ص ١٢٦؛ أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، لطائف اللطف، تحقيق عمر الاسعد، ط ٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٠٠، سيشار له تالياً (الثعالبي، لطائف)؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٣، ص ٨٨؛ ابن عبد البر، بهجة، ج ٣، ص ٣٥٨؛ أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، الانساب، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي، ج ٥، ط ١، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨م، ج ٥، ص ٥٨٦، سيشار له تالياً (السمعاني، الانساب)؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، احكام النساء، مكتبة التراث الاسلامي، القاهرة د.ت، ص ١٤٢، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، احكام)؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١، ص ٣٠١؛ السيوطي، تاريخ، ص ٣٢٣؛ السيوطي، المستظرف، ص ٥٩.

يظهر مما سبق:

- أن الإسلام أكد على أهمية تعليم المرأة ورفع منزلتها بتعليمها وتشقيفها وانقاذها من الجهل ومنحها الفرصة المتكافئة مع الرجل، لأن تحصيل العلم أمر ضروري وفضيلة إنسانية، وهو وسيلة للتغير الاجتماعي المطلوب احداثه على ايدي النساء والرجال.

- حث الآباء لبناتهم على التعليم، بل أن بعضهم كان يعلمهن بنفسه أو يدعو من يعلمهن، وقد كان لذلك الأثر الكبير في نبوغ الكثير منهن في مجالات العلم المختلفة.

- لم يكن عمل المرأة مقصور على الأعمال المنزلية، بل كانت تتعاطى العلم والتعليم منذ العهود الأولى، حيث تصدرت مجالس العلم والأدب مشاركة فاعلة، وبروز الجواري في مجالات العلم والأدب والفن، حيث تُدرَّب الجارية على الآداب، والفنون، بما يجعلها محدثة لبقة، ونديمة متندرة، وقينة مطربة، وراقصة مثيرة، وعلاقة ذلك باقبال الخلفاء وكبار رجال الدولة، من الأمراء والأغنياء على الجواري المبدعات، وأثر ذلك على ارتفاع أثمانهن.

## ثانياً : المواد التعليمية

### ١- القراءة والكتابة:

يبدو أن اهتمام الاسلام بتعليم المرأة كان له الأثر الكبير على إقبال المرأة في العصر العباسي الأول لتعليم القراءة والكتابة. فقد كانت عُلّية بنت المهدي (ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م)، تقبل على قراءة القرآن وقراءة الكتب<sup>(١)</sup>. وبلغت زبيدة بنت جعفر المنصور (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م)، مبلغاً عظيماً من الثقافة، وقد كانت تبعث في رسائلها الفياضة آياتاً شعرية إلى زوجها الرشيد<sup>(٢)</sup>. وكان لها «توقيعات في حواشي الكتب واسافلها... أجود اختصاراً واجمع للمعاني»<sup>(٣)</sup>. وذكر أن عاملاً لزبيدة كتب اليها كتاباً فوقعت في ظهره أن «أصلح كتابك وإلا صرفناك عن عملك، فتأمله فلم يظهر له فيه شيء، فعرضه على بعض إخوانه، فرأى فيه في الدعاء لها. وادام كرافيك، فقال: انها تخيلت انك دعوت عليها، فإن كرامة النساء دفنهن، فغير وأعاد الكتاب اليها فقبلته»<sup>(٤)</sup>. وقد كان لها مائة جارية يقرأن القرآن<sup>(٥)</sup>. وكانت عريب المأمونية (ت ٢٧٧هـ / ٨٩٠م) بارعة في الخط<sup>(٦)</sup>. وكان لها مكاتبات مثورة

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج ١٠، ص ١٧٢؛ ابن الجوزي، احكام، ص ١٤٢؛ العاملي، الكشكول، ص ٦٦٣؛ التتير، الشاعرات، ص ١٠٦.

(٢) علي ابراهيم حسن، نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨١م، ص ٧٤، سيشار له تالياً (علي ابراهيم، نساء).

(٣) القلقشندي، صبح، ج ١، ص ٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٧.

(٥) ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٣١٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٢، ص ٢٦١؛ ياسين بن خير الله العمري، مهذب الروضة الفحاء في تواريخ النساء، تحقيق رجاء محمود السامرائي، دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٦م، ص ٢١٨، سيشار له تالياً (خير الله العمري، مهذب).

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ١٢٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٢، ص ٣٠٥؛ واجدة مجيد الاطرقيري، «المرأة»، حضارة العراق، ج ١٣، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٥م، ج ٥، ص ١٣٥، سيشار له تالياً (واجدة الاطرقيري، «المرأة»).

ومنظومة<sup>(١)</sup>. وكانت تلبس قميصاً موشحاً بالذهب، مكتوباً في رشامة:

واني لاهواه مسيئاً ومحسناً واقضي على قلبي له بالذي يقضي<sup>(٢)</sup>

وغنت جارية للوائق من وراء ستارة:

اظلم إن مصابكم رجلاً اهدى السلام تحية ظلم

فقلت الجارية: علمني أعلم الناس بالعربية، المازني (ت ٢٤٨هـ / ٨٦٢م)<sup>(٣)</sup>.

وعما يجدر ذكره أن بعضهن كن يتولين الكتابة للخلفاء والأمراء وفي دواوين الدولة، فقد كان للخيزران (ت ١٧٣هـ / ٧٨٩م)، كاتبة تسمى خالصة<sup>(٤)</sup>، ولزبيدة (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م)، جارتان تكتبان لديها، وهما سكر وتركية، ثم كتبت سكر للمأمون من بعدها<sup>(٥)</sup>. وكان للأمير ابراهيم بن المهدي (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)، كاتبة تسمى ميمونة<sup>(٦)</sup>.

ويبدو أن البعض كره تعليم النساء الكتابة والخط، وقد اعتبروا تعليم الكتابة والخط من العلوم الواجب على المرأة تجنبها لما فيها من خطر وشر<sup>(٧)</sup>. فقد جاء في النهي عن ابن عباس (رضي الله عنه)، انه قال: «لا تسكنوا النساء العلالى ولا تعلموهن الكتابة»<sup>(٨)</sup>. وقال عمر

(١) الاصفهاني، الاماء، ص ١٠٧؛ المعافري، الخدائق، ص ١٠١؛ السيوطي، المستطرف، ص ٣٨؛ كحاله، اعلام، ج ٣، ص ٢٦٢؛ عبد الامير مهنا، معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والاسلام، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م، ص ١٧٢، سيشار له تالياً (عبد مهنا، معجم النساء).

(٢) أحمد امين، ضحى، ج ١، ص ٩٦.

(٣) النحاس، صناعة، ص ٣٩؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٧٢.

(٤) الجاحظ، رسائل، ج ٢، ص ١٨٣.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥٦.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٠، ص ١٨٣.

(٧) الابراشي، تاريخ علماء، ص ١٢٦؛ Goldziher, "Education", vol. 5. p.204.

(٨) الصولي، ادب الكتاب، ص ٥٠.

ابن الخطّاب: «لا تسكنوا نساءكم العُرف، ولا تعلموهن الكتابة، واستعينوا عليهن بالعمى»<sup>(١)</sup>. وقال الجاحظ: «وكان يقال: لا تعلموا بناتكم الكتاب، ولا تروهن الشعر، وعلموهن القرآن، ومن القرآن سورة النور»<sup>(٢)</sup>. وقيل: «ان المرأة التي تتعلم الكتابة كالافعى تحتسي سُمّاً»<sup>(٣)</sup>. وأكد القابسي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)، على ذلك بقوله: «انما تُعلم ما يرجى لها صلاحه، ويؤمن عليها من فتنه وسلامتها من تعلم الخط انجى لها»<sup>(٤)</sup>. وقال المغراوي (ت ٩٢٠هـ / ١٥١٤م): «وترك تعليمها الخط أصوب، لما عسى أن تستعين به فساداً، فان الكتابة لا تحتاج مع كتبها إلى رسول لمن تهوى»<sup>(٥)</sup>. ومن الوصايا التي اوردتها بعض المصادر والخاصة بتعليم المرأة، أن لا يعلم الخط لأمرأة ولا لجارية، لأن ذلك مما يزيد لها شراً<sup>(٦)</sup>. ولعل الخشية على الاناث من فساد اخلاقهن، ومن معلمي السوء، هي التي جعلت كثير من الفقهاء منذ زمن بعيد يحرمون عليها تعلم الكتابة، ويبيحون لها تعلم القراءة، وقراءة القرآن فحسب، ويوصونها بتعلم سورة النور خاصة، لما فيها من الوعظ والتأديب والتعليم<sup>(٧)</sup>.

## ٢- العلوم الدينية:

اهتم الاسلام بالعلوم الدينية، وحث النساء المسلمات على دراستها وتعلمها، وانعكس ذلك على نساء العصر العباسي، فظهرت بينهن من كانت تقرأ القرآن وتعلمه، فقد سأل الأصمعي إحدى جوارى الرشيد اللواتي أهدين اليه بحروف من القرآن فأجابته «وكانها تقرأ

(١) ابن عبد البر، بهجة، ج ٣، ص ٣٣.

(٢) الجاحظ، البيان، ج ٢، ص ١٨٠.

(٣) الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٠٤؛ ابن الاخوة القرشي، معالم، ص ٢٦١.

(٤) القابسي، الرسالة، ص ٢٨٩.

(٥) المغراوي، جامع، ص ٣٥.

(٦) الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٠٤؛ ابن بسم، نهاية الرتبة، ص ١٦٢.

(٧) اسعد طلس، التربية، ص ٩٢.

الجواب من كتاب»<sup>(١)</sup>. وكانت عليّة بنت المهدي (ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م)، تُقبل على الصلاة وقراءة القرآن<sup>(٢)</sup>. وبالإضافة إلى اهتمام زبيدة بنت المنصور وزوجة الرشيد (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م)، في القرآن، فقد كان لها مائة جارية يحفظن القرآن، «فكان يُسمع في قصرها دوي كدوي النحل من القراءة»<sup>(٣)</sup>. وكانت فاطمة النيسابورية الزاهدة (ت ٢٢٣هـ / ٨٣٧م)، تتكلم في معاني القرآن<sup>(٤)</sup>. وقال سهل بن المرزبان: «كنت احضر أحياناً ببغداد مجلس عنان المسمة، وكان الافاضل كثيراً ما يتتابونها للسمع الفائق، وكانت تبتدىء بالقرآن»<sup>(٥)</sup>. وقالت ميمونة بنت شاقولة الواعظة: «أذا أنا جار لنا فصليت ركعتين، وقرأت من فاتحة كل سورة آية حتى ختمت القرآن، وقلت: اللهم اكفنا أمره، ثم نمت ففتحت عيني فرأيت النجوم مصطفة فقرأت: ﴿فسيكفيكم الله وهو السميع العليم﴾»<sup>(٦)</sup>، فلما كان السحر قام ذلك الانسان لينزل فزلقت قدمه فوقع فمات»<sup>(٧)</sup>.

واقبلت نساء هذا العصر على رواية الحديث عن الرسول ﷺ، أو عن الثقات من الصحابة، ومن رواة عنهن من النساء والرجال، فكانت بُنانة بنت يزيد العيشية (ت ١٤٢هـ / ٧٥٩م)، راوية من راويات الحديث، وقد روت عن عائشة رضي الله عنها<sup>(٨)</sup>. واشتهرت

(١) الشريشي، شرح، ج ٢، ص ٣٢٤.

(٢) الاصفهاني، الاغانى، ج ١٠، ص ١٧٢؛ ابن الجوزي، احكام، ص ١٤٢؛ عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، نزهة الجلساء في اشعار النساء، تحقيق عبداللطيف عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة د.ت، ص ٧٢، سيشار له تالياً (السيوطي، نزهة)؛ العاملي، الكشكول، ص ٦٦٣.

(٣) ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٣١٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٢، ص ٢٦١؛ خير الله العمري، مهذب، ص ٢١٨.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٢، ص ٢٩١.

(٥) الثعالبي، الكناية، ص ١٩ - ٢٠.

(٦) سورة البقرة: آية ١٣٧.

(٧) ابن الجوزي، احكام، ص ١٥٠.

(٨) ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج ٦، ص ٥٨٤؛ كحالة، اعلام، ج ١، ص ١٤٩.

نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي (ت ٢٠٨هـ / ٨٢٣م)، برواية الحديث<sup>(١)</sup>. وروت حميضة بنت ياسر الحديث عن جدتها يسيره، وروى عنها ابنها هانيء بن عثمان وعنه عبدالله بن داود الخريجي (ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م)، وروى لها أبو داود والترمذي<sup>(٢)</sup>. وكانت خديجة أم محمد محدثة، روى عنها عبدالله بن أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م)، وكانت تغشى مجلس الامام أحمد بن حنبل وتسمع منه ويحدثها<sup>(٣)</sup>.

ولم يقتصر دور النساء على رواية الحديث فقط، بل تعداه إلى الفقه، فقد أخذت الخيزران (ت ١٧٣هـ / ٧٨٩م)، الفقه عن الامام الأوزاعي<sup>(٤)</sup>. وكان الامام مالك يُقرأ عليه الموطأ، فإن لحن القاريء في حرف، أو زاد، أو نقص، تدق ابنته الباب، فيقول ابوها للقاريء: ارجع، فالغلط معك، فيرجع القاريء، فيجد الغلط<sup>(٥)</sup>. وكانت عُلَية بنت المهدي (ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م)، مثقفة ثقافة دينية وفقهية، فقد كانت تستعمل المصطلحات الفقهية في شعر الغزل برشاقة<sup>(٦)</sup>. وروت حُسن، جارية الامام أحمد بن حنبل عنه مسائل كثيرة<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن خلكان، وفيات، ج ٥، ص ٤٠٨.

(٢) ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج ٦، ص ٥٩٠.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٤، ص ٤٣٥؛ كحالة، اعلام، ج ١، ص ٣٠٣.

(٤) عبدالامير مهنا، اخبار النساء في كتاب الاغانى لابي فرج الاصفهاني، ط ١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٨٨م، ص ١١٢، سيشار له تالياً (عبد الأمير مهنا، اخبار النساء)؛ عبد مهنا، معجم النساء، ص ٨٢؛ خير الدين الزركلي، الاعلام، ج ٨، ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م، ج ٢، ص ٣٢٨، سيشار له تالياً (الزركلي، الاعلام).

(٥) اقلانيه، النظم، ص ١٤٣؛ Goldziher, "Education", vol.5.p.205.

(٦) الشكعة، الشعر، ص ٤٥٨؛ عبد مهنا، اخبار النساء، ص ٢٥٣.

(٧) السيوطي، المستطرف، ص ٢١.



## ٢- الفصاحة والبلاغة:

وتظهر فصاحة المرأة وبلاغتها في القول الأمر الذي يدل على المستوى الأدبي واللغوي والتعليمي الذي وصلتته المرأة في هذا العصر، فقد كانت دنانير (ت ٢٠٥هـ / ٨٢٠م)، جارية يحيى بن خالد البرمكي، اديبة فصيحة<sup>(١)</sup>. وكانت زبيدة بنت أبي جعفر المنصور (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م)، من ذوات العقل والرأي والفصاحة والبلاغة<sup>(٢)</sup>. وقد قالت للمأمون عند دخوله بغداد: «اهتكت بخلافة قد هنأت نفسي بها عنك قبل أن أراك، ولئن كنت قد فقدت ابناً خليفة لقد عوضت ابناً خليفة لم ألدّه، وما خسر من اعتاض مثلك، ولا ثكلت أم ملأت يدها منك، وأنا أسأل الله اجراً على ما آخذ وامتاعاً بما عوض، فقال المأمون: ما تلد النساء مثل هذه، وماذا ابقت في هذا الكلام لبلغاء الرجال»<sup>(٣)</sup>. وتميزت زينب بنت سليمان بن علي (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م)، بالعقل والرأي والفصاحة والبلاغة<sup>(٤)</sup>، وكانت فضل (ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م)، جارية المتوكل، اديبة فصيحة، سريعة البديهة<sup>(٥)</sup>. ووُصفت الجارية سكن لعبدالله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ / ٩٠٨م)، فقيل: «من أحسن خلق الله وجهاً، وأكثرهم ادباً، وأطيبهم غناءً، فتأتي بالمعاني الجياد، والألفاظ الحسان»<sup>(٦)</sup>. وكانت عريب (ت ٢٧٧هـ / ٨٩٠م)، جارية المأمون، «من أفصح النساء لساناً، وابلغهن بياناً»<sup>(٧)</sup>. وذكر أن بلاغتها في كتبها<sup>(٨)</sup>.

(١) الاصفهاني، الاماء، ص ٤٥.

(٢) كحالة، اعلام، ج ٢، ص ١٧.

(٣) ابن الجوزي، احكام، ص ١٣٨.

(٤) كحالة، اعلام، ج ٢، ص ٦٨.

(٥) ابن المعتز، طبقات، ص ٤٢٦؛ الاصفهاني، الاغاني، ج ١٩، ص ٢٥٧ - ٢٥٨؛ الاصفهاني، الاماء، ص ٥٠؛ الكتبي، فوات، ج ٣، ص ١٨٥.

(٦) الشكعة، الشعر، ص ٤٨٠.

(٧) ابن المعتز، طبقات، ص ٤٢٥ - ٤٢٦؛ الاصفهاني، القيان، ص ١١١؛ التنير، الشاعرات، ص ٢٢٣.

(٨) كحالة، اعلام، ج ٣، ص ٢٦٢.

تبدو مساهمة المرأة في الشعر واضحة، فقد حفلت كتب الأدب العربي وكتب التراجم بالحديث عن كثير من الادبيات البليغات والشاعرات اللواتي كن في كثير من الحالات نظيرات للرجال المعاصرين لهن، وربما كان لهن التفوق عليهم<sup>(١)</sup>. فقد كانت الخيزران (ت ١٧٣هـ/ ٧٨٩م)، أديبة شاعرة، إضافة إلى نفوذها السياسي<sup>(٢)</sup>. وكانت رابعة العدوية (ت ١٨٥هـ/ ٨٠١م)، شاعرة اديبة متصفوة، تستعمل في مناجاتها لله اسلوباً مملوءاً بالركة والعذوبة والصفاء<sup>(٣)</sup>. وقد عاصرتها ريحانة الشاعرة الصوفية وقد اكدت في شعرها من التحدث عن اثارها الحياة الأخرى على الحياة الدنيا<sup>(٤)</sup>. وتحدثت ميمونة الشاعرة الصوفية المعاصرة لرابعة في شعرها عن المعرفة الصوفية لله تعالى<sup>(٥)</sup>. وشجع أبو جعفر المنصور ابنته زبيدة (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، على حفظ الشعر، فنشأت مولعة بالشعر، محبة للأدب، حتى كانت تُزين حيطان حجرتها بالسناثر الموشاة بالأبيات الجميلة من الشعر البديع<sup>(٦)</sup>. وقد كانت في شعرها رقيقة مجيدة، وكثيراً ما كانت تبعث برسائلها الفياضة ابياتاً شعرية إلى زوجها الرشيد، وقد رثت ولدها الأمين بقصائد رائعة تدل على علو منزلتها في الشعر<sup>(٧)</sup>. وعرف عن عليّة بنت المهدي (ت ٢١٠هـ/ ٨٢٥م)، انها شاعرة معروفة بالنبوغ الشعري والمعاني الرقيقة والعبارة الجزلة<sup>(٨)</sup>.

(١) أحمد شلبي، التربية، ص ٣٣٧.

(٢) كحالة، اعلام، ج ١، ص ٤٠٠؛ عبدمنها، معجم النساء، ص ٨٢.

(٣) ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٤) الشريشي، شرح، ج ٤، ص ٣٤٥؛ التنير، الشاعرات، ص ٢١٨.

(٥) التنير، الشاعرات، ص ٢٢٠.

(٦) الابراشي، تاريخ، ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٧) أحمد شلبي، التربية، ص ٣٣٩؛ حسن ابراهيم، تاريخ، ج ٢، ص ٤٣١؛ علي ابراهيم، نساء، ص ٧٤.

(٨) ابن الجوزي، احكام، ص ١٤٢؛ كحالة، اعلام، ج ٣، ص ٣٣٤؛ التنير، الشاعرات، ص ١٠٥ - ١٠٦.

وكان الرشيد يبالغ في اكرامها واحترامها، ولها ديوان شعر<sup>(١)</sup>. وقد استعملت الكثير من المصطلحات الفقهية في شعر الغزل برشاقة<sup>(٢)</sup>، «وكانت تحب أن تراسل بالأشعار من تختصه»<sup>(٣)</sup>، وكانت تقول الشعر في خادم لها يقال له رشاً<sup>(٤)</sup>. ومن الشاعرات المبدعات ايضاً خديجة بنت الرشيد<sup>(٥)</sup>. وحسناً جارية يحيى بن خالد البرمكي<sup>(٦)</sup>. ومما روى عن أبي نواس انه حضر يوماً عند زهير بن المسيب، صاحب شرطة الرشيد، فاخرج له جارية من جواريه شاعرة يقال لها مجيبة، وقد سألها أن يمتحنها<sup>(٧)</sup>، وبلغت دنائير جارية يحيى بن خالد البرمكي، مكانة مرموقة في قول الشعر وروايته، وقد كان الشعراء يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر<sup>(٨)</sup>. وسأل الأصمعي جارية للرشيد أهديت اليه عن الاشعار والعروض، وقال: «فما قصرت في جوابي في كل فن اخذت فيه، فقلت لها: فانشدينا بيتاً فانشدت»<sup>(٩)</sup>. وكانت لبابة بنت علي بن المهدي، شاعرة، وقد تزوجها الأمين، ورثته في قصيدة بعد مقتله<sup>(١٠)</sup>. وكانت رقية بنت أبي العتاهية حافظة لشعر ابيها<sup>(١١)</sup>. وكانت عِنانُ جارية

(١) ابن الكازروني، مختصر، ص ١٢٠؛ الكتبي، فوات، ج ٣، ص ١٢٣؛ ابن الغزي، ديوان، ج ٣، ص ٢٦٧.

(٢) الشكعة، الشعر، ص ٤٥٨.

(٣) الاصفهاني، الاغاني، ج ١٠، ص ١٧٣.

(٤) الصولي، اخبار، ج ٣، ص ٦١.

(٥) السيوطي، نزهة، ص ٤٩.

(٦) الزجاجي، الامالي، ص ٦٢.

(٧) السيوطي، تحفة، ص ٢٧٣؛ عبدمنها، معجم النساء، ص ٢٣٧.

(٨) الاصفهاني، الاغاني، ج ١٣، ص ٣٣٨، ج ١٨، ص ١٤؛ السيوطي، المستطرف، ص ٢٨.

(٩) ابن الانباري، نزهة، ص ٩٤.

(١٠) المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٥٠٤.

(١١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٥٦.

الناطفي شاعرة ادبية فصيحة<sup>(١)</sup>، ولها مساجلات شعرية مع عدد كبير من الشعراء<sup>(٢)</sup>، منهم أبو نواس<sup>(٣)</sup>. وعن أحمد بن معاوية، قال: قال لي رجل: «تصفحت كتباً فوجدت فيها بيتاً جهدت جهدي أن أجد من يجيزه، فلم أجده، فقال لي صديق: عليك بعنان جارية الناطفي، فاتيتها، فانشدتها:

وما زال يشكو الحب حتى حسبه      تنفس من احشائه أو تكلما  
فما لبث أن قالت:

ويكي فابكي رحمة لبكائه      إذا ما بكى دمعاً بكيت له دماً<sup>(٤)</sup>

وفي هذا دلالة واضحة على فصاحة عنان وسرعة جوابها وتمكنها من الشعر. ولقبت خديجة بنت المأمون بالعطارة لاستخدامها العطر، وقد كانت شاعرة امتاز غزلها بالظرف والرقّة<sup>(٥)</sup>. وكانت عريب جارية المأمون من الشاعرات الفصيحات البليغات<sup>(٦)</sup>، وقد كان لها مكاتبات منظومة<sup>(٧)</sup>. وقد وردت لها اشعار كثيرة<sup>(٨)</sup>. وكانت عائشة بنت الخليفة

(١) ابن المعتز، طبقات، ص ٤٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٢، ص ٣٠١؛ السيوطي، المستطرف، ص ٣٨.

(٢) الاصفهاني، الاغانى، ج ٢٢، ص ٥٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٢، ص ٣٠١؛ السيوطي، المستطرف، ص ٣٨.

(٣) الوشاء، الظرف، ص ٣٣٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٢، ص ٣٠١.

(٤) الاصفهاني، القيان، ص ٢٥.

(٥) الاصفهاني، الاغانى، ج ١٥، ص ٣٢٩؛ التنير، الشاعرات، ص ٢٥٤.

(٦) ابن المعتز، طبقات، ص ٤٢٥ - ٤٢٦؛ الاصفهاني، الاماء، ص ٩٩؛ الاصفهاني، القيان، ص ١١١؛ ابن عساكر، تاريخ (تراجم النساء)، ص ٢٢٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ١٢٦؛ المعافري، الحدائق، ص ٩٨؛ السيوطي، المستطرف، ص ١٣، ٣٧.

(٧) الاصفهاني، الاماء، ص ١٠٧.

(٨) انظر: ابن عساكر، تاريخ (تراجم النساء)، ص ٢٢٩ - ٢٣٩.

ادبية شاعرة، وقد كان يرتاد مجلسها أهل الأدب والشعر<sup>(١)</sup>. وجمعت فضل جارية المتوكل الجمال والفصاحة والبداهة الشعرية، وجودة الشعر<sup>(٢)</sup>، وكانت تتبع آثار الشعراء فتخرج منها مواضع خطئهم وغلطهم<sup>(٣)</sup>، كما كانت تهاجي الشعراء وتساجلهم<sup>(٤)</sup>. واهدى عبدالله بن طاهر بن الحسين (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)، إلى المتوكل جارية يقال لها محبوبة، وقد برعت في قول الشعر وقد ألزم المتوكل محبوبة مجلسه، فكانت لا تفارقه<sup>(٥)</sup>. وكانت سكن، جارية محمود الوراق الشاعر (ت ٢٢٥هـ / ٨٣٩م) تقول الشعر فتأتي بالمعاني الجياد والالفاظ الحسان<sup>(٦)</sup>.

وترد الإشارة عن كثير من الشاعرات كعتبة جارية المهدي<sup>(٧)</sup>، وطيف البغدادية<sup>(٨)</sup>، والحجناء بنت نصيب الاصفر الحبشي التي امتدحت المهدي وابنته عليّة<sup>(٩)</sup>، ومجيبة جارية هارون الرشيد<sup>(١٠)</sup>، وتيماء جارية خزيمية بن خاز التميمي، أحد كبار قادة الرشيد والمأمون (ت ٢٠٣هـ / ٨١٨م)<sup>(١١)</sup>، وفنون جارية يحيى بن معاذ، أحد قواد الرشيد (ت ٢٠٦هـ /

(١) السيوطي، نزهة، ص ٦٠.

(٢) ابن المعتز، طبقات، ص ٤٢٦؛ الاصفهاني، الإماء، ص ٤٩ - ٥٠؛ السيوطي، المستطرف، ص ٥٠.

(٣) ابن المعتز، طبقات، ص ٤٦١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٢٦؛ الاصفهاني، الاغاني، ج ١٩، ص ٢٥٧ - ٢٥٨؛ الاصفهاني، الاماء، ص ٥٠.

(٥) السعدي، مروج، ج ٤، ص ١٤٣؛ الشريشي، شرح، ج ٢، ص ٣٢٥؛ ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٣٥٦.

(٦) ابن المعتز، طبقات، ص ٣٦٦.

(٧) النحاس، صناعة، ص ١٧١.

(٨) السيوطي، نزهة، ص ٦٠.

(٩) التنير، الشاعرات، ص ١٤٢.

(١٠) السيوطي، تحفة، ص ٢٧٣.

(١١) الاصفهاني، الاماء، ص ٧٣.

٨٢١م<sup>(١)</sup>، وجنان جارية آل عبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفي، وكانت تروي الأشعار، وقد كان يهواها أبو نواس<sup>(٢)</sup>، وذلفاء جارية ابن طرخان<sup>(٣)</sup>، وتزيف التي حظيت عند المأمون حتى انزلها منزلة عريب<sup>(٤)</sup>، ومراد جارية علي بن هشام - احد قادة المأمون (ت ٢١٧هـ / ٨٣٢م) - وقد كانت تقول الشعر في فتوحاته وأفعاله<sup>(٥)</sup>. ومُتيم الهشامية، جارية علي بن هشام<sup>(٦)</sup>، وسمراء وهيلانه، وهما شاعرتان كانتا لرجلين من نخاسي بغداد<sup>(٧)</sup>، وزهراء الكلاية، وقد كانت تحدث اسحاق الموصللي وتناشده<sup>(٨)</sup>، وبنان جارية المتوكل<sup>(٩)</sup>، وخنساء جارية هشام المكفوف، وقد كانت فضل الشاعرة تهاجيه<sup>(١٠)</sup>، وكان لكل واحدة منهما عصبة من الشعراء يتعصبون لها<sup>(١١)</sup>. وغير هؤلاء كثير مما حفلت به كتب الأدب والتراجم، مما يؤكد على الدور الذي اضطلعت به المرأة العباسية في قول الشعر وحفظه وروايته، ومدى مساهمتها في الحياة الادبية والثقافية، وفي ذلك ما يؤكد على المستوى الثقافي الرفيع الذي وصلت اليه مما يظهر مستواها العلمي والتعليمي، اذا ما علمنا أن أشعار الكثير منهن تميزت بالبلاغة والفصاحة والمعاني الرقيقة والعبارات الجزلة، فكان ذلك سبباً في أن يقصد الشعراء والادباء بعض الشاعرات للمساجلة والمذاكرة.

(١) المصدر نفسه، ص ٧٩.

(٢) أبي عمران، المرقصات، ص ٩٧.

(٣) الاصفهاني، القيان، ص ٨٧؛ السيوطي، المستطرف، ص ٢٧.

(٤) السيوطي، المستطرف، ص ١٧.

(٥) الاصفهاني، الاماء، ص ٨٧.

(٦) الاصفهاني، القيان، ص ١٠٣؛ السيوطي، المستطرف، ص ٦٢.

(٧) الاصفهاني، الاماء، ص ٩٥.

(٨) كحالة، اعلام، ج ٤، ص ٢٠؛ التنير، الشاعرات، ص ٢٦٤.

(٩) الاصفهاني، الاماء، ص ١٢١؛ السيوطي، المستطرف، ص ١٢.

(١٠) ابن المعتز، طبقات، ص ٤٢٥؛ الاصفهاني، القيان، ص ١١٦.

(١١) الاصفهاني، القيان، ص ١١٦.

## ٥ = الغناء والموسيقى:

يبدو الاتجاه نحو تعليم الغناء والموسيقى واضحاً لدى الناس في العصر العباسي الاول، وبالذات الجوّاري منهم، ويبدو أن الاثمان الباهظة التي تُدفع في شراء القيّان المغنيات، بالإضافة إلى شغف الناس بالغناء والموسيقى كان دافعاً إلى العناية بتعليمهم مثل هذه الفنون، فآخذ نوابغ المغنين يعلمون جواريتهم الحانهم واصواتهم، وطريقة غنائهم<sup>(١)</sup>. فقد اشترى عبدالرحمن بن عمرو المغني والملقب بدحمان (ت ١٦٥هـ / ٧٨١م)، جارية بمائتي دينار، فعلمها الغناء وباعها بعشرة آلاف دينار<sup>(٢)</sup>. وعرضت جارية بثلاثمائة دينار، فلما علمها ابراهيم بن المهدي المغني (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)، الغناء، عرض في ثمنها ثلاثة آلاف دينار<sup>(٣)</sup>. وكان كل من ابراهيم بن المهدي، وابراهيم بن ماهان الموصلي المغني (ت ١٨٨هـ / ٨٠٣م)، يدرب الجوّاري على الغناء، ثم يبيعونهن بأثمان عالية<sup>(٤)</sup>. وكانت أمان مغنية من مغنيات العصر العباسي، وكان يهواها أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة المهلب، فجعل يرددها إلى ابراهيم الموصلي واسحاق بن ابراهيم الموصلي المغني (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م)، فتآخذ عنهما، فكلما زادت في الغناء زاد في سومه<sup>(٥)</sup>.

وقد اوردت المصادر الكثير من الاشارات المتعلقة بتعليم الاناث فن الغناء والموسيقى، فقد كان خليل المعلم يلقب خليلان، وكان يؤدب الصبيان ويلقنهم القرآن والخط ويعلم الجوّاري الغناء<sup>(٦)</sup>، وكان ابراهيم الموصلي، من اكثر الناس نشاطاً في تعليم الجوّاري وتثقيفهن، ومن

(١) أحمد أمين، ضحى، ج ١، ص ٨٩؛ التنير، الشاعرات، ص ٤٦؛ باسمه كياتي، تطور المرأة، ص ٩٣.

(٢) انظر: الاصفهاني، الاغاني، ج ٦، ص ٢٦ - ٢٧؛ أحمد أمين، ضحى، ج ١، ص ٩١.

(٣) أحمد أمين، ضحى، ج ١، ص ٩١.

(٤) بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص ١٩٢.

(٥) الاصفهاني، الاغاني، ج ٥، ص ١٥٦؛ كحالة، اعلام، ج ١، ص ٧٩؛ حسن ابراهيم، تاريخ، ج ٢، ص ٤٠٧.

(٦) الاصفهاني، الاغاني، ج ٢١، ص ٢١٩؛ طوطح، التربية، ص ٦٩.

اسبقهم في التوجه إلى ذلك، فقد روي عن ابنه اسحاق قوله : «أول من علم الجوّاري المثنّات أبي، فانه بلغ بالقيان كل مبلغ، ورفع من اقدارهن»<sup>(١)</sup>. وقد اقام ابراهيم الموصلي (ت ١٨٨ هـ / ٨٠٣ م)، ويزيد بن حوراء المغني شركة لتعليم القيان أصول الغناء، على أن تُقسم الأرباح بينهما مناصفة<sup>(٢)</sup>. ومن أشهر تلاميذ ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق مقيم الهشامية (ت ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م)، جارية علي بن هشام البصرية، التي وُصفت بانها مولدة صفراء، نشأت وتأدبت في البصرة وغنت بها<sup>(٣)</sup>. وكذلك أخذت قلم الصالحية، جارية صالح بن عبد الوهاب، الغناء عن ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق<sup>(٤)</sup>. وأخذت خمار، جارية هارون بن عبد الله بن الربيع، الغناء عن ابراهيم الموصلي<sup>(٥)</sup>. وحدث اسحاق بن ابراهيم الموصلي، عن ابيه، قال: قال لي زلزل (ت ١٧٤ هـ / ٧٩٠ م): «عندي جارية قد علمتها الغناء»<sup>(٦)</sup>. وأخذت الجارية بذل، الغناء عن دحمان وفليح وابن جامع وابراهيم الموصلي وغيرهم<sup>(٧)</sup>، ويقال انها كانت تغني ثلاثين الف صوت<sup>(٨)</sup>. وكان دحمان يغني ويعلم الجوّاري الغناء<sup>(٩)</sup>. وكانت ليس،

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج ٥، ص ١٥٦؛ الاصفهاني، القيان، ص ٩٢؛ الفلقشندي، صبح، ج ١، ص ٤٩٤؛ السيوطي، الوسائل، ص ١٤٧؛ سعيد عبدالفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية، ط ٢، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦ م، ص ٤٢١، سيشار له تالياً (سعيد عاشور، دراسات).

(٢) الاصفهاني، الاغاني، ج ٣، ص ٢٤٦.

(٣) الاصفهاني، الاماء، ص ٩١؛ الاصفهاني، القيان، ص ١٠٣؛ السيوطي، المستطرف، ص ٦٢.

(٤) الاصفهاني، الاغاني، ج ١٣، ص ٣٤٨؛ الاصفهاني، القيان، ص ١٢٦؛ السيوطي، المستطرف، ص ٥٩.

(٥) كحالة، اعلام، ج ١، ص ٣٥٧.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٥.

(٧) الاصفهاني، الاغاني، ج ١٧، ص ٣٢؛ الاصفهاني، القيان، ص ١١٩. وفليح هو فليح بن أبي العوراء، وهو احد مغني الدولة العباسية وله فضل كبير في الغناء والموسيقى. الاصفهاني، الاغاني، ج ٤، ص ٣٦٢.

(٨) الاصفهاني، الاغاني، ج ١٧، ص ٣٢؛ الاصفهاني، القيان، ص ١١٩.

(٩) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٢.



جارية عبدالله بن طاهر، مغنية مجيدة، وقد صنع اسحاق الموصلي لهاً لحناً وطلب منها أن تلقيه على كل جارية تعلمها<sup>(١)</sup>.

وأخذت دنانير، جارية يحيى بن خالد البرمكي، الغناء عن فليح وابراهيم بن المهدي وابن جامع واسحاق الموصلي وغيره<sup>(٢)</sup>. وأخذت دمن، جارية اسحاق الموصلي الغناء عن اسحاق الموصلي ومخارق وغيرهما<sup>(٣)</sup>، وكانت شارية، مولدة من مولدات البصرة، اشتراها ابراهيم بن المهدي، فأخذت غناؤه كله أو أكثره عنه<sup>(٤)</sup>، وعلمها اساليبه المستحدثة في الغناء<sup>(٥)</sup>. وكانت عريب جارية لعبدالله بن اسماعيل، صاحب مراكب الرشيد، فرباها وادبها وعلمها الغناء<sup>(٦)</sup>. ونشأت فريدة الكبرى بالحجاز، ثم وقعت إلى الربيع بن يونس حاجب الرشيد، فتعلمت الغناء، ثم صارت إلى البرامكة<sup>(٧)</sup>. وأقام ابراهيم بن المهدي بتعليم الجارية هدية الغناء، وبعث معها عود معمولاً من العود الهندي مكللاً بالجواهر، والبسها حلة منسوجة بالذهب، وأرسل بها هدية إلى الأمين<sup>(٨)</sup>. وكانت سكن، جارية طاهر بن الحسين، جارية مولدة ببيضاء، حسنة الغناء، وقد أخذت الغناء عن اسحاق الموصلي وطبقته<sup>(٩)</sup>.

ونجد أسماء لمغنيات قمن بتعليم الغناء والموسيقى، فقد جاء اسحاق الموصلي إلى عائكة

(١) كحالة، اعلام، ج ٤، ص ٢٩٧.

(٢) الاصفهاني، الاغاني، ج ١٨، ص ١٤؛ السيوطي، المستطرف، ص ٢٨.

(٣) كحالة، اعلام، ج ١، ص ٤١٤.

(٤) الاصفهاني، الاغاني، ج ١٥، ص ٣٢١.

(٥) سعيد عاشور، دراسات، ص ٤٣١؛ كحالة، اعلام، ج ٢، ص ٢٨٠.

(٦) كحالة، اعلام، ج ٣، ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٧) الاصفهاني، القيان، ص ٩٨؛ السيوطي، المستطرف، ص ٤٩.

(٨) الاصفهاني، القيان، ص ١٠٢.

(٩) الاصفهاني، الاماء، ص ٧٥.

بنت شهدة - جارية من مولدات المدينة - فآخذ منها صوتاً أو صوتين<sup>(١)</sup>. وكان مخارق (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م)، مملوكاً لعاتكة وقد علمته الغناء<sup>(٢)</sup>. وكانت الجواري تختلف إلى سلامة الزرقاء صاحبة ابن رامين النخاس، فيتعلمن منها الغناء<sup>(٣)</sup>. وقال حماد بن اسحق الموصلي (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م): «كان أبي يستحسن غناء جواري الحارث بن بسخر، ويعتمد على تعليمهن لجواريه، وكان اذا اضطرب على واحدة منهن أو على غيرهن صوت، أو وقع فيه اختلاف اعتمد على الرجوع فيه اليهن»<sup>(٤)</sup>.

وتبرز أسماء لبعض الحرائر اللواتي اشتهرن بالغناء وقمن بتعليمه، فقد كانت عُلّية بنت المهدي، تقول الشعر الجيد، وتصوغ فيه الالخان الحسنة<sup>(٥)</sup>. وكان ابراهيم بن المهدي، يأخذ الغناء عن اخته عُلّية<sup>(٦)</sup>. ويقول عبدالله بن العباس ابن الفضل بن الربيع: «انه ما اجتمع في الاسلام قط اخ واخت احسن غناءً من ابراهيم بن المهدي واخته عليه، وكانت تقدم عليه»<sup>(٧)</sup>. ويحكى عن عَرِيب انها قالت: «أحسن يوم رأيته واطيبه يوم اجتمعت مع ابراهيم بن المهدي، عند اخته عُلّية، وعندهم اخوهم يعقوب وكان احذق الناس بالزمر»<sup>(٨)</sup>. واشترت امرأة من بني هاشم، مولدة من مولدات البصرة، واسمها شارية، فقامت بتعليمها الغناء<sup>(٩)</sup>. ويبرز اسم خديجة بنت الخليفة المأمون كشاعرة ومغنية، فقد غنت احدى المغنيات يوماً بين يدي المتوكل

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج ٥، ص ٢٤٥؛ الاصفهاني، القيان، ص ٧٨؛ الشريشي، شرح، ج ٢، ص ٢٩٨.

(٢) الاصفهاني، الاغاني، ج ٦، ص ٢٤٧؛ الاصفهاني، القيان، ص ٧٨.

(٣) كحالة، اعلام، ج ٢، ص ٣١.

(٤) الاصفهاني، الاغاني، ج ٢٣، ص ٥٣.

(٥) المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٧٢.

(٦) الصولي، اخبار، ج ٣، ص ٥٥.

(٧) الكتبي، فوات، ج ٣، ص ١٢٥.

(٨) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٢؛ أحمد شلبي، التربية، ص ٣٤٢ - ٣٤٥؛ باسمه كياي، تطور المرأة، ص ٩٩.

(٩) كحالة، اعلام، ج ٢، ص ٢٨٠.

مقطوعة عذبة، فطرب المتوكل، وقال: لمن هذا الغناء؟ ف قيل: «الشعر والغناء جميعاً لخديجة بنت المأمون»<sup>(١)</sup>.

وابدعت بعض الجواري لدرجة أن تقوم بتأليف الكتب في الغناء. فقد كان لدنانير، جارية يحيى بن خالد البرمكي «كتاب مجرد في الاغاني مشهور»<sup>(٢)</sup>. وكان لغناء عريب، جارية المأمون «ديوان مفرد من شعرها»<sup>(٣)</sup>. وقيل أن لبذل «كتاب في الاغاني منسوب الاصوات غير مُجَنَّس، يشمل على اثني عشر الف صوت»<sup>(٤)</sup>.

وفي مجال الموسيقى، برعت كثير من النساء، فقد كانت عليّة بنت المهدي ماهرة في صناعة الموسيقى والألحان<sup>(٥)</sup>. واصبحت الجارية هدية، مبدعة في استخدام العود بعد أن علمها ابراهيم بن المهدي<sup>(٦)</sup>. وكانت قلم الصالحية تتقن الضرب على العود<sup>(٧)</sup>. وبرعت عاتكة بنت شهدة بالضرب على العود، لدرجة انها اصبحت معلمة حاذقة في هذا المجال. فقد أخبر حماد بن اسحق عن ابيه انه ذكر عاتكة بنت شهدة يوماً، فقال: «كانت اضرب من رأيت بالعود، وقد مكثت سبع سنين اختلف اليها في كل يوم فتضاربني ضرباً أو ضربين، ووصل اليها مني ومن أبي اكثر من ثلاثين الف درهم بسببي دراهم وهدايا»<sup>(٨)</sup>. وكان مخارق المغني (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م)، مملوكاً لعاتكة، وقد علمته الغناء «ووضعت يده على العود»<sup>(٩)</sup>.

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج ١٥، ٣٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ١٨، ص ١٤؛ الاصفهاني، القيان، ص ٨٣؛ السيوطي، المستطرف، ص ٢٨.

(٣) الاصفهاني، القيان، ص ١١١؛ السيوطي، المستطرف، ص ٣٧؛ واجدة الاطرقجي، «المرأة»، ص ١٣٥.

(٤) الاصفهاني، الاغاني، ج ١٧، ص ٣٢؛ الاصفهاني، القيان، ص ١١٩.

(٥) العامل، الكشكول، ص ٦٦٣.

(٦) الاصفهاني، القيان، ص ١٠١.

(٧) الاصفهاني، الاغاني، ج ١٣، ص ٣٤٨؛ الاصفهاني، القيان، ص ١٢٦.

(٨) الاصفهاني، الاغاني، ج ٦، ص ٢٤٧؛ الاصفهاني، القيان، ص ٧٨.

(٩) الاصفهاني، الاغاني، ج ٦، ص ٢٤٧؛ الاصفهاني، القيان، ص ٧٨.

واشتهرت عريب، جارية المأمون بالضرب على العود<sup>(١)</sup>، وقد وضعت الف صوت<sup>(٢)</sup>. وكذلك اشتهرت مؤنسة، جارية المأمون، بالضرب على العود<sup>(٣)</sup>. وعرفت سكن، جارية محمود الوراق بإيقاعها الحسن<sup>(٤)</sup>.

## ٦- رواية الاخبار:

يبدو أن بعض النساء كان لديهن معرفة برواية الاخبار والسير فقد عني أبو جعفر المنصور بتربية ابنته زبيدة وشجعها على حفظ الاخبار والسير<sup>(٥)</sup>. وكانت عُلّية ابنة المهدي تقول بعض الروايات<sup>(٦)</sup>. وامتنح الأصمعي احدى جوارى الرشيد، فكان عندها علم برواية الاخبار<sup>(٧)</sup>. وكان حسنية من الجوارى اللواتي اسلمن في زمن الرشيد، وكانت عالمة فاضلة، بصيرة بالاخبار والآثار<sup>(٨)</sup>. وكانت جنان، جارية عبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفي، عالمة بالاخبار والآثار<sup>(٩)</sup>. وريت الجارية بذل في البصرة، وقد عرفت بكثرة الرواية<sup>(١٠)</sup>.

## ٧- الطب والرياضيات:

ويظهر دور المرأة في مجال الطب فيما روي عن الجارية تودد وقد اشتراها الرشيد بمائة

(١) السيوطي، المستطرف، ص ٣٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ١٢٦.

(٣) السيوطي، المستطرف، ص ٦٩.

(٤) التنير، الشاعرات، ص ١٤٥.

(٥) الابراشي، تاريخ، ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٦) سعيد عاشور، دراسات، ص ٤٢٣.

(٧) ابن الانباري، نزهة، ص ٩٤؛ الشريشي، شرح، ص ٣٢٤.

(٨) كحالة، اعلام، ج ١، ص ٢٦٤.

(٩) أبي عمران، المرقصات، ص ٩٦ - ٩٧.

(١٠) الاصفهاني، الأغاني، ج ١٧، ص ٣٢.

الف دينار بعد أن فازت في امتحان صعب وضعه لها العلماء في الطب وفي علوم أخرى<sup>(١)</sup>. ويبدو أن بعض النساء كان لهن بعض الاهتمام بعلم الرياضيات، فقد قال العتبي ذات يوم لابن الجهم: «الا تتعجب من فلان، نظر في كتاب لافليدس مع جارية سلمويه في يوم واحد، وساعة واحدة، فقد فرغت الجارية من الكتاب، وهو بعد لم يُحكم مقالة واحدة، على أنه حر مُخير، وتلك أمة مقصورة، وهو احرص على قراءة الكتاب من سلمويه على تعليم الجارية»<sup>(٢)</sup>.

يظهر مما سبق:

- اتساع دائرة التعليم لتشمل الإناث إضافة إلى الذكور، نتيجة إلزام الاسلام للمرأة في الإقبال على التعليم.

- بلغت المرأة مبلغاً عظيماً من الناحية الثقافية والعلمية، فاشتركت المرأة في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والادارية للمجتمع الاسلامي، ووصلت إلى درجة كبيرة في النهضة العقلية وفي الثقافة والعلم. فكانت تنظم الشعر وتصوغ الالحان وتجالس العلماء والادباء والشعراء والرواة وتناظرهم.

- لم يقتصر تعليم المرأة على معرفة القراءة والكتابة وبعض الامور الدينية، بل شمل العلوم الدينية، ورواية الاخبار، والسير والادب، والموسيقى والغناء والطب والرياضيات، إلى جانب بعض العلوم الاخرى المتفرقة، مما يؤكد تنوع ثقافة المرأة وتصدرها لموضوعات ثقافية متعددة.

- لم تقتصر نهضة المرأة التعليمية على الجواري دون الحرائر أو العكس، بل شملت

(١) أحمد شلبي، التربية، ص ٣٥١؛ التنير، الشاعرات، ص ٤٥.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٥٤.

الحرائر والجواري على حد سواء مع بروز دور الجواري في الشعر والغناء والموسيقى .

- ارتفاع شهرة بعض الجواري الراجع إلى نبوغهن في مجالات العلم المختلفة، إضافة إلى إتقانها الكبير للغناء والرقص والموسيقى، وقد تدربن على أيدي كبار المغنين الذين حفل بهم المجتمع الاسلامي .

- مغالة الخلفاء وكبار الاعيان من رجال الدولة والاغنياء باثمان الجواري الأمر الذي أدى إلى ارتفاع اثمانهن الذي اغرى الكثير من المغنين ودفعهم إلى احتراف تجارة القيان، فكانوا يشترون الجارية، ويدربونها على الغناء والعزف واداب الحديث والمعاشرة، ويبيعونها بعد ذلك بربح كبير .

## ثالثاً : اماكن تعليم المرأة:

### ١- الكتاتيب:

يبدو أن تعليم الاناث في الكتاتيب يعود إلى العصر الجاهلي، اذ ترد الاشارة إلى التحاق البنات بالكتّاب قبل الاسلام. فقد كانت ظلمة صبيّة في الكتّاب<sup>(١)</sup>. وذكر أحمد بن الفضل الكاتب: «ان غلاماً وجارية كانا في كتّاب، فهويها الغلام، فلم يزل يتلطف بمعلمه حتى صيره قريباً منها، فلما كان في بعض ايامه في غفلة من الغلمان كتب في لوح الجارية»<sup>(٢)</sup>. وروى الجاحظ أن الوليد بن عبدالمك (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٤ م) مر بمعلم صبيان، فرأى عنده جارية، فقال: «ويلك ما لهذه الجارية، فقال: اعلمها القرآن»<sup>(٣)</sup>. ويذكر أن خليلاً المعلم الملقب بخليان «كان يؤدب الصبيان، ويعلم الجواري الغناء في موضع واحد»<sup>(٤)</sup>. وقد كان يوماً يردد على صبي يقرأ بين يديه قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم﴾<sup>(٥)</sup>، ثم يلتفت إلى صبية يردد عليها:

اعتاد هذا القلب بلباله      ان تُرْبِت للبين أجماله<sup>(٦)</sup>

ويروى أن علي بن اديم - وهو من تجار الكوفة - كان يهوى جارية يقال لها منهلة، وقد

(١) ابن قتيبة، عيون، ج ٤، ص ١٠١؛

Hamidullah, "Education System in the Time of The Prophet", Islamic Culture, vol.13.

No. 1. 1939, p.50, سيشار له تالياً (Hamidullah, Education System).

(٢) الديوه جي، التربية، ص ٢٨.

(٣) الجاحظ، البيان، ج ٢، ص ٢٠٣؛ اسعد طلس، التربية، ص ٩٢.

(٤) الاصفهاني، الاغانى، ج ٢١، ص ٢١٩؛ طوطح، التربية، ص ٦٩؛ سامي مكّي العاني، معجم القاب الشعراء، ط ١، مكتبة الفلاح، دبي، ١٩٨٢م، ص ٨٠، سيشار له تالياً (سامي العاني، معجم القاب).

(٥) سورة لقمان: آية ٦.

(٦) الاصفهاني، الاغانى، ج ٢١، ص ٢١٩.

شاهدها تختلف إلى الكتاب<sup>(١)</sup>.

من خلال ذلك يبدو أن تعليم الاناث في الكتاب إلى جانب الصبيان كان امراً مألوفاً منذ الجاهلية، وتوسع في القرنين الأول والثاني الهجريين، الا أن البعض في فترة تالية قد أنكر ذلك. فقال ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م): «اكره للمعلم أن يعلم الجواري، ولا يخلطهن مع الغلمان، لان ذلك فساد لهم»<sup>(٢)</sup>. وقد يكون في هذا النص اشارة إلى أن تعليم الاناث في الكتاتيب في العصر العباسي الاول، كان خاصاً بالجواري دون الحرائر. خاصة اذا علمنا أن تعليم الجواري كان لرفع ائمانهن عند بيعهن، وقد اكد القابسي ضرورة التفريق بين الذكور والاناث في الكتاب، مما يؤكد تعليم الاناث في الكتاب، حيث قال: «ومن صلاحهم ومن حسن النظر اليهم الا يخلط بين الذكران والاناث»<sup>(٣)</sup>. واذا علمنا أن القابسي توفي في ٤٠٣هـ / ١٠١٢م، فهذا يؤكد على أن الكتاتيب الخاصة بتعليم الاناث، استمرت إلى فترة ما بعد العصر العباسي الأول.

يبدو مما سبق أن الكتاتيب الخاصة بتعليم الاناث، انقسمت إلى كتاتيب اختلط فيها الذكور والاناث، وكتاتيب كانت مقتصرة على الاناث فقط. ومع أن هناك كتاتيب خاصة بتعليم الاناث في العصر العباسي الاول - وهذا ما اشار اليه ابن سحنون - الا أن انتشارها كان اقل بكثير من انتشارها في فترة صدر الاسلام، مما يؤكد حرص المسلمين في هذه الفترة على حجب الحرائر، واقتصار تعليمهن على المنازل أو يجلب لها معلم خاص يقوم بتعليمها.

(١) الاصفهاني، الاغانى، ج ١٥، ص ٢٠٩؛ الاصفهاني، القيان، ص ٩٢.

(٢) ابن سحنون، ادا، ص ١١٧؛ القابسي، الرسالة، ص ٣١١.

(٣) القابسي، الرسالة، ص ٣١١؛ الاهواني، التربية، ص ١٠٥؛ اسعد طلس، التربية، ص ٩٢.



يبدو إنه ونتيجة لاهتمام الاسلام بتعليم المرأة، أن ظهر بين النساء من كانت تتعلم وتعلم في المساجد. فقد كانت النساء تحضر مجالس القصاص في مسجد البصرة، على الرغم من انكار الحسن البصري (ت ١١٠هـ / ٧٢٨م)، لاجتماع النساء والرجال في هذه المجالس، خوفاً من الفساد والفتنة<sup>(١)</sup>. وكانت لمسر بن كدام الكوفي المحدث (ت ١٥٢هـ / ٧٦٩م)، ام عابدة: «فكان يحمل لها لبدًا ويمشي معها حتى يدخلها المسجد، فييسط لها اللبد، فتقوم فتصلي ويتقدم هو إلى مقدم المسجد فيصلي ثم يقعد ويجتمع اليه من يريد فيحدثهم، ثم ينصرف اليها فيحمل لبدها وينصرف معها»<sup>(٢)</sup>. ويروى أن عبدالمملك بن جريح (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م)، روى عن ست عجائز من عجائز المسجد الحرام<sup>(٣)</sup>. وجاءت امرأة إلى حلقة أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م)، وكان يطلب الكلام، فسألته عن مسألة<sup>(٤)</sup>. واراوت ام أبي حنيفة أن تستفتي في شيء فافتاها أبو حنيفة، فلم تقبل، فدخلت إلى القاص أبي زرعة في مسجد الحضرميين لتستفتيه في الامر. فقال أبو زرعة: «القول كما قال أبو حنيفة فرضيت وانصرفت»<sup>(٥)</sup>. وكان للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، دروس خاصة بالنساء يلقيها في المسجد مساءً<sup>(٦)</sup>. وقد كانت خديجة أم محمد، محدثة، روى عنها عبدالله بن أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م)، وكانت خديجة تغشى سنة ٢٢٦هـ / ٨٤٠م، الامام

(١) ابن الجوزي، القصاص، ص ٣٠١.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٣٤٥؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج ٣، ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٠، ص ٤٠٢.

(٤) أبو عبدالله حسين بن علي الصيمري، اخبار أبي حنيفة واصحابه، ط ٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٢٠، سيشار له تالياً (الصيمري، اخبار).

(٥) الموفق المكي، مناقب، ص ٢٥٤.

(٦) منير الدين أحمد، تاريخ التعليم، ص ٨١.

أحمد بن حنبل وتسمع منه ويحدثها<sup>(١)</sup>.

من خلال ما سبق تبدو أهمية المسجد في تعليم المرأة، وتثقيفها، وقد كان بوسع المرأة الذهاب إلى المسجد وحضور حلقات العلم فيها والاستماع إلى ما يدور فيها من مذكرات ومناظرات، وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك دروس خاصة بهن يلقيها بعض العلماء.

### ٣- البيوت:

يبدو أن البيوت ومنذ بداية الاسلام، كانت المعهد الاول الذي تتلقى فيه المرأة علمها وتعليمها، والذي ما لبث أن أصبح مسرحاً لعقد الندوات والمناقشات والمناظرات، التي شملت جوانب مختلفة من العلم والثقافة، دعت اليها المرأة أو شاركت فيها. فقد روى الاصمعي أن ابنة أبي عمرو بن العلاء التميمي (ت ١٥٤هـ / ٧٧٠م)، كانت تحضر مجلس ايها وقد حجب الشدي على نحرها<sup>(٢)</sup>. وانتقلت رابعة العدوية (ت ١٨٥هـ / ٨٠١م)، إلى البصرة حيث جمعت حولها كثيراً من المريدين والاصحاب الذين وفدوا عليها لحضور مجلسها وذكرها لله والاستماع إلى اقوالها<sup>(٣)</sup>. واستأذن عليها ناس منهم سفيان الثوري، فتذاكروا عندها ساعة، وذكروا شيئاً من الدنيا<sup>(٤)</sup>. ودخل عليها سلام بن أبي مطيع، وقد اخذ بذكر الدنيا، فقالت: «انما يذكر شيء هو شيء اما شيء ليس شيء فلا»<sup>(٥)</sup>. ودخل سفيان الثوري يوماً عليها فقال: «واحزنانه!»، فقالت: قل: واقلة حزنانه، لو كنت محزوناً ما هناك العيش، إنما انت ايام، فاذا ذهب يوم مضى بعضك»<sup>(٦)</sup>. وحدث سهل ابن المرزبان قال: «كنت احضر

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٤، ص ٤٣٥.

(٢) الزبيدي، طبقات، ص ٣٧.

(٣) "Rābi'ā AL-Ādawiya" E.I.

(٤) الذهبي، سير، ج ٨، ص ٢٤١ - ٢٤٢.

(٥) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٢٤٣.

(٦) ابن الجوزي، احكام، ص ١٤٥؛ اليافعي، مرآة، ج ١، ص ٣٠٦.

أحياناً ببغداد مجلس عنان المسمعة وكان الأفاضل كثيراً ما يتتابونها للسماع الفائق، وكانت تبدىء بالقرآن استفتاحاً ببركته فتجيده جداً ثم تأخذ في شأنها<sup>(١)</sup>. وكانت عليّة بنت حسان، زوجة اسماعيل بن ابراهيم (ت ١٩٣هـ / ٨٠٨م)، تعقد مجالس العلم في دارها بالبصرة، وتشترك مع الحاضرين في المحادثة والمسائلة<sup>(٢)</sup>. وكانت عنان جارية الناطقي (ت ٢٢٦هـ / ٨٤٠م)، قد اشتهرت بقول الشعر في الدولة العباسية، ولم يزل فحول الشعراء في عصرها يلقونها في منزل مولاها فيقارضونها الشعر وتتصف منهم<sup>(٣)</sup>. وتصفح أحدهم كتاباً فوجد فيه بيتاً من الشعر وقد جهد أن يجد من يجيزه، فلم يجده، فقال له صديق: عليك بعنان جارية الناطقي، فاتيتها، فانشدتها<sup>(٤)</sup> وكان الشعراء يفدون إلى سمراء وهيلانه - وهما جاريتان شاعرتان لرجلين من نخاسي بغداد - ويستمعون إلى اصواتهما، وقيمون عندهما ويجتمع لذلك اهل الادب والكتاب<sup>(٥)</sup>. وكانت عمرة الجمحية، شاعرة يجتمع اليها الشعراء للانشاد والمحادثة، وكان أبو دهل الجمحي الشاعر يهواها، فكان لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع اليها<sup>(٦)</sup>.

وفي الوقت الذي كانت فيه النساء تستقبلن العلماء والادباء والشعراء في بيوتهن، كان البعض الآخر يرتاد مجالس العلماء والادباء والشعراء التي يعقدونها في بيوتهم أو مجالسهم الخاصة. فقد كان لبشار بن برد مجلس يجلس فيه، ويقال له البردان، وكان النساء يحضرنه

(١) الثعالبي، الكناية، ص ١٩ - ٢٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٢٣٥.

(٣) الاصفهاني، الاغانى، ج ٢٢، ص ٥٢١؛ الاصفهاني، الإماء، ص ٢٤؛ السيوطي، المستطرف، ص ٣٨.

(٤) الاصفهاني، الاماء، ص ٢٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ٩٥.

(٦) كحالة، اعلام، ج ٣، ص ٣٤٦.

فيه<sup>(١)</sup>. وكانت خَشَّابة فارسية تغشى مجلس بشار بن برد، وكان اليها مائلاً<sup>(٢)</sup>. وكانت نساء من اعراب قيس عيلان في ظاهر البصرة يحضرن مجلس بشار، حيث كان يأتيهن وينشدنه اشعاره التي يمدح بها قيساً<sup>(٣)</sup>. وكانت خديجة ام محمد، تغشى مجلس أحمد بن حنبل وتسمع منه<sup>(٤)</sup>.

وهكذا تظهر اهمية البيت في تعليم المرأة وثقيفها، الذي لم يقتصر دور المرأة فيه على حضور الندوات والمناقشات والمناظرات والاستماع اليها، بل تعداه إلى أن تكون فيه المرأة مشاركة فاعلة. وقد دعت الكثير منهن العلماء والادباء والشعراء لعقد الندوات في بيوتهن. التي شملت جوانب العلم المختلفة، مما يشعر بالمستوى، التعليمي والثقافي الذي وصلته المرأة في هذا العصر.

#### ٤ - قصور الخلفاء ورجال الدولة:

يبدو أن نساء القصر من زوجات وبنات وجواري قد اخذن فرصتهن في التعلم والثقافة، وقد برز منهن الكثير في مجالات العلم والادب والفن، فكان البعض منهن تحضر مجالس العلم أو تدعو اليها لتشمل جوانب العبادة والعلم والادب والفن، التي يحضرها العلماء والشعراء واهل الفنون، وتدور بينهم المناظرات والمناقشات فيحضرنها مشاركات وفاعلات. فقد احضر المهدي مزنة امرأة مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ / ٧٤٤ - ٧٤٩م)، فتباحثوا في اخبار الناس وأيامهم والدول وتنقلها، «فما تركت لأحد في المجلس كلاماً»<sup>(٥)</sup>.

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج ٣، ص ٢٣٢؛ عديمها، اخبار النساء، ص ١٩.

(٢) الاصفهاني، الاغاني، ج ٣، ص ٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٠٠.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٤، ص ٣٤٥.

(٥) المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٣٥٨.

ودخل المهدي أيام خلافته على جماعة من جواريه، وهن مجتمعات في حجرة بعضهن، فجلس عندهن فقلن له: «لو اذنت لبشار في الدخول علينا لنسامره ونحادثه فأمر به فأحضر، واجتمعن عليه فحدثهن، وجعل يسرد عليهن من نوادره وملحه وينشدن عيون شعره»<sup>(١)</sup>. وبلغت زبيدة بنت جعفر المنصور (ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م)، مبلغاً عظيماً من الثقافة، وكانت تناظر الرجال في شتى نواحي الثقافة والفن<sup>(٢)</sup>. وأقام الرشيد بالرقّة في فصل الصيف، وأطال المكوث فيها، فقد كانت اثيرة لديه لطيب هوائها ورقّة انسامها، فاشتقت زبيدة لبغداد، وفكرت في حيلة تقنع بها الرشيد بالعودة إليها، فجمعت الشعراء، وطلبت منهم وصف عاصمة الخلافة بغداد، فتسابق الشعراء إلى القول في فضل بغداد، مما اقنع الرشيد بالعودة<sup>(٣)</sup>. وكانت الجوّاري تجتمع لدى زبيدة لقراءة القرآن «وكان يسمع في قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن»<sup>(٤)</sup>. وكانت حسناء جارية يحيى بن خالد البرمكي مغنية شاعرة يدخل إليها الشعراء يقارضونها الشعر، فتأتي بكل مستحسن منّ الجواب<sup>(٥)</sup>. وحضرت عريب، جارية المأمون مجلساً للغناء ضم إبراهيم بن المهدي واخته غلية وأخوها يعقوب<sup>(٦)</sup>. وكان لعائشة بنت المعتصم مجلس يرتاده أهل الأدب واللغة<sup>(٧)</sup>. وكانت فضل، جارية المتوكل شاعرة أدبية، يجتمع عندها الأدباء والشعراء<sup>(٨)</sup>. وكانت تجلس في مجلس المتوكل على كرسي تقارض

(١) ابن المعتز، طبقات، ص ٢٣.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٣١٥؛ علي إبراهيم، نساء، ص ٧٤.

(٣) ابن المعتز، طبقات، ص ٢٤٦؛ الشكعة، الشعر، ص ٦٠٢.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٣١٤؛ خير الله العمري، مهذب، ص ٢١٨.

(٥) الاصفهاني، الاماء، ص ١٤٧.

(٦) الاصفهاني، الاغانى، ج ١٠، ص ١٨٣؛ الكتبي، فوات، ج ٣، ص ١٢٥.

(٧) كحالة، اعلام، ج ٣، ص ١٩١؛ التنير، الشاعرات، ص ٢٥٥.

(٨) ابن المعتز، طبقات، ص ٤٢٦؛ الاصفهاني، الاغانى، ج ١٩، ص ٢٥٧-٢٥٨؛ الاصفهاني، الاماء، ص ٥٠؛

الكتبي، فوات، ج ٣، ص ١٨٥؛ السيوطي، المستطرف، ص ٥١.

الشعراء الشعر بحضرته<sup>(١)</sup>. واجادت محبوبة، جارية المتوكل، قول الشعر وحذاقة الغناء، فشغف بها المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة<sup>(٢)</sup>.

من خلال ما سبق يظهر الدور الذي لعبته القصور في رفع المستوى العلمي والادبي، لنسائه من حرائر وجواري، حيث نالت المرأة في القصور نصيبها من العلم والتعليم، فكانت مشاركة وفاعلة في مجالس العلم والأدب التي تعقد في القصور، بل كان البعض منهم يدعو لعقد مثل هذه المجالس التي يحضرها كبار العلماء والادباء والشعراء، مما يؤكد المستوى الثقافي الرفيع الذي وصلت اليه المرأة وحرية الفكر التي اتاحها كبار رجالات القصور لنساءهم، فبرز العديد من اسماء النساء اللواتي لعبن دوراً كبيراً في الحياة العلمية والادبية.

وهكذا كان للمرأة في المجتمع العراقي نصيب وافر من الثقافة والاطلاع، وكان لها مساهمات مختلفة تدل على علو المكانة التعليمية والثقافية للمرأة في العصر العباسي الاول، نجد ذلك من خلال كتب التاريخ والأدب والأخبار التي حفلت باسماء النساء حرائر وجواري، قد حفل بهن العصر في مختلف صنوف الثقافة والمعرفة.

(١) الاصفهاني، الإمام، ص ٥٧؛ السيوطي، المستطرف، ص ٥١.

(٢) المسعودي، مروج، ج ٤، ص ١٤٣؛ ابن قيم الجوزية، اخبار، ص ٥٢؛ الابشيهي، المستطرف، ج ٢، ص ١٨٨؛ السيوطي، المستطرف، ص ٦٣.

## الفصل الخامس

### الوسائل المهيّنة على التعلم

## أولاً: أدوات الكتابة :

### ١- القلم:

يبدو أن القلم استخدم كأداة معينة في التعليم، منذ العصر الجاهلي، إذ كان الصبيان يستخدمونه في الكتابة<sup>(١)</sup>، وقد ورد ذكر القلم في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد سمي القلم قلماً لأنه قُلم أي قُطع وسُوِّي كما يُقَلَّم الظفر<sup>(٤)</sup>. وكلُّ عود يُقَطع ويُحز رأسه ويُقَلَّم بعلامة فهو قلم. ويقال للذي يُقَلَّم به مِقلَم، وقِلام<sup>(٥)</sup>. وقد قيل لأعرابي: «ما القلم؟ ففكر ساعة، وجعل يُقلب يديه، وينظر إلى أصابعه، ثم قال: لا أدري. فقيل له: توهمه في نفسك، فقال: هو عود قُلم من جوانبه كتقليم الأظافر»<sup>(٦)</sup>. وقد قيل انه لا يسمى قلماً حتى يُبرى، اما قبل ذلك فهو قصبة<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن قتيبة، عيون، ج ٤، ص ١٠١؛ أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق سليم النعيمي، ج ٢، مطبعة العاني، بغداد ١٩٧٦م، ج ٢، ص ٤٩١، سيشار له تالياً (الزمخشري، ربيع).

(٢) سورة القلم: آية ١.

(٣) سورة العلق: آية ٣، ٤، ٥.

(٤) النحاس، صناعة، ص ١٠٤؛ أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبدالمجيد، ج ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١ - ١٩٨٣م، ج ١، ص ١٦٥، سيشار له تالياً (البطليوسي، الاقتضاب)؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٦٧؛ الفلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٧٩.

(٥) البطليوسي، الاقتضاب، ج ١، ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٦؛ الفلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٧٩.

(٧) النحاس، صناعة، ص ١٠٤؛ الفلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٧٩.



وتظهر مكانة القلم من بين أدوات الكتابة من خلال أقوال العلماء والشعراء والكتاب، فقد قال عبد الحميد بن يحيى الكاتب (ت ١٣٢هـ / ٧٤٩م): «القلم شجرة ثمرها الالفاظ»<sup>(١)</sup> وقال ابن المقفع (ت ١٤٢هـ / ٧٥٩م): «القلم بريد القلب، يخبر بالخبر وينظر بلا نظر»<sup>(٢)</sup>. وقال سهل بن هارون (ت ٢١٥هـ / ٨٣٠م): «القلم انف الضمير، إذا رُغف أعلن أسرار» وأبان آثاره»<sup>(٣)</sup>. وقال الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ / ٨١٣-٨٣٣م): «لله در القلم كيف يحوك وشي المملكة»<sup>(٤)</sup>. وقال أبو ذؤلف القاسم بن عيسى العجلي القائد الأديب (ت ٢٢٦هـ / ٨٤٠م): «القلم صانع الكلام، يفرغ ما يجمعه العلم ويصوغ ما يسكبه اللب»<sup>(٥)</sup>. وأنشد أبو تمام الطائي (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م)، مبيناً شرف القلم وفضله:

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت له الرقاب وذلت خوفه الامم  
فالموت والموت لا شيء يغالبه ما زال يتبع ما يجري به القلم  
كذا قضى الله للاقلام مذ بُريت أن السيوف لها مذ أرهفت خدم<sup>(٦)</sup>

وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م): «من عَرَفَ النعمة في بيان اللسان كان يفضل النعمة في بيان القلم أعرف»<sup>(٧)</sup>. وقال علي بن يحيى بن منصور (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م): «بنور القلم تضيء الحكمة»<sup>(٨)</sup>. وقيل:

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٦؛ القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٧٥.

(٢) الصولي، أدب الكتاب، ص ٦٧.

(٣) ابن عبدربه، العقد، ج ٤، ص ٢٨٠؛ الصولي، أدب الكتاب، ص ٦٧؛ القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٧٧.

(٤) الصولي، أدب الكتاب، ص ٦٧؛ الراغب الأصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ١١١؛ القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٧٧.

(٥) الصولي، أدب الكتاب، ص ٦٧.

(٦) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٧٧ - ٤٧٨.

(٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٧٧.

(٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٧٧.

وأهيف مذبوح على صدر غيره      يترجم عن ذي منطق وهو أبكم  
تراه قصيراً كلما طال عمره      ويضحى بليغاً وهو لا يتكلم<sup>(١)</sup>

وقال القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): «وأعلم أن القلم اشرف آلات الكتابة وأعلاها رتبة، إذ هو المباشر للكتابة دون غيره، وغيره من آلات الكتابة كالأعوان»<sup>(٢)</sup>.

وتتعدد اسماء الاقلام التي استخدمت والتي تنوع بتنوع الخطوط، فلكل نوع من الخطوط نوع من الاقلام<sup>(٣)</sup>، فكان قلم الثلثين<sup>(٤)</sup>، ثم ثقل الطومار والشامي، وقلم النصف<sup>(٥)</sup>. وفي عهد المأمون اخترع قلم جديد باسم القلم الرياسي - نسبة إلى ذي الرياستين، الفضل بن سهل وزير المأمون (ت ٢٠٢هـ / ٨١٧م) - بحيث اشتقت منه اقلام عدة<sup>(٦)</sup>.

وحتى يكون القلم صالحاً للكتابة لا بد من توفر صفات معينة في شكله وقصبه، فجودة القلم من جودة قصبه، فقد كتب جعفر بن يحيى البرمكي (ت ١٨٧هـ / ٨٠٢م)، إلى محمد ابن الليث: «اما بعد فليكن قلمك بحرياً لا سميناً ولا رقيقاً، ما بين الرقة والغلظ»<sup>(٧)</sup>. وقال العتابي الشاعر (ت ٢٢٠هـ / ٨٣٥م): «سألني الاصمعي يوماً بدار الرشيد أي الاناييب للكتابة أصلح وعليها اصبر؟ فقلت: ما نشف بالهجير ماؤه، وستره من تلويحه غشاؤه، من التبرية

(١) الابشيهي، المستطرف، ج ٢، ص ٢٦٦.

(٢) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٧٤.

(٣) انظر: ابن النديم، الفهرست، ص ٣٣؛ البطليوسي، الاقتضاب، ج ١، ص ١٧٠ - ١٧٣؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٢، ص ٦١٧؛ القلقشندي، صبح، ج ٣، ص ٥١ - ٦٤؛ السيوطي، الوسائل، ص ١٣١.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٣؛ البطليوسي، الاقتضاب، ج ١، ص ١٧٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٢، ص ٦١٧.

(٥) البطليوسي، الاقتضاب، ج ١، ص ١٧٠.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٤؛ البطليوسي، الاقتضاب، ج ١، ص ١٧٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٢، ص ٦١٧؛ السيوطي، الوسائل، ص ١٣١؛ طلب صبار، رسوم، ص ١٠٦.

(٧) ابن عبدربه، العقد، ج ٤، ص ٢٧٧.

القشور، الدُرِّيَّة الظهور، الغَضِيَّة الكُسُور»<sup>(١)</sup>. وكتب عبدالله بن طاهر بن الحسين امير خراسان (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)، إلى اسحق بن إبراهيم الخزاعي والي بغداد أن يوجه اليه باقلام قصية، كتاباً نسخته: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، اما بعد فإننا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الاسم، ولزمت لزوم الوسم، فحلت محل الأنساب، وجرت مجرى اللقب، وجدنا الاقلام الصُّخْرِيَّة اُجْرِي في الكواغد، وأمر في الجلود، كما أن البحرية منها اسلس في القراطيس، وألين في المعاطف، وأشد لتصرف الخط فيها، ونحن في بلد قليل القصب رديته، وقد احببت أن تتقدم في اختيار اقلام صخرية... وتطلبها من مظانها ومنابتها، من شطوط الانهار، وارحاء الكروم، وان تتيمن باختيارك منها الشديدة الصلبة، النقية الجلود، القليلة الشحوم، الكثيرة اللحوم، الضيقة الاجواف، الرزينة المحمل، فانها ابقى على الكتابة... وأن تقصد بانتقائك الرقاق القُضبان، المقومات المتون، الملس المعاهد، الصافية القشور، الطويلة الانابيب... المعتدلة القوام، المستحكمة ييساً، وهي قائمة على اصولها لم تُعْجَل عن إِبَّانٍ يَنْعُها، ولم تؤخر إلى الاوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء، وعفن الانداء، فاذا استجمعت عندك، أمرت بقطعها ذراعاً ذراعاً، قطعاً رقيقاً، ثم عبأت منها حزماً فيما يصونها من الاوعية، وتكتب معه بعدتها واصنافها من غير تأخير ولا توان إن شاء الله»<sup>(٢)</sup>. ويبدو من هذه الرواية أن العراق كان من مصادر القصب المتميز بالجودة.

وقال محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم (ت ٢٣٣هـ / ٨٤٧م)، في صفات الاقلام: «خير الاقلام ما استحکم نضجه، وخف بزره، قد تساعدت عليه السعود في فلك البروج حولاً كاملاً، تؤلفه بمختلف اركانها وطباعها، ومتباين انواعها وانحائها، حتى إذا بلغ اشده واستوى، وشقت بوازله ورقته شمائله... وتعرى عنه ثوب المصيف، بانقضاء الخريف، وكشف عن لون البيض المكنون... قطع ولم يعجل عن تمام مصلحته ولم يؤخر

(١) الفلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٨٠.

(٢) الصولي، أدب الكتاب، ص ٦٨ - ٧٠.

إلى الاوقات المخوفة عاهاتها عليه من خصر الشتاء، وعفن الانداء، فجاء مستوي الاناييب معتدلها، مُثَقَّف الكعوب مقومها»<sup>(١)</sup>. وقال إبراهيم بن محمد الشيباني (ت ٢٩٨هـ / ٩١٠م): «ينبغي للكاتب أن يتخير من اناييب القضيب أقله عُقْدًا، وأكثره لحمًا، وأصلبه قِشْرًا، واعتدله استواء»<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن القلم استخدم في تدوين آيات القرآن، وسوره بعد نزولها على الرسول ﷺ وكان يقوم بذلك كتبة الوحي<sup>(٣)</sup>. فقد روى خارجة بن زيد عن ابيه قوله: «كنت اكتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ «لا يستوي القاعدون من المؤمنين»<sup>(٤)</sup> . . . . . وقلمي رطب ما جف»<sup>(٥)</sup>. وكان القلم من أدوات الكتابة التي يستخدمها الصبيان في الكتابيب»<sup>(٦)</sup>. ومر علي بن أبي طالب بابي حكيمة وهو يكتب المصاحف فقال له: «اجلك قلمك»<sup>(٧)</sup>. وفي زمن عمر بن عبدالعزيز استخدم ما يعرف بالقلم الجليل في الكتابة<sup>(٨)</sup>. وتوفرت الاقلام في مجالس الاحمر (ت ١٩٤هـ / ٨٠٩م)، التي كان يعقدها في قصر الرشيد لما كان مؤدباً لابنائه<sup>(٩)</sup>، وكان عبدالرحمن بن مهدي البصري الحافظ (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، لا يتحدث في مجلسه، ولا يقوم احد، ولا يُرى فيه قلم . . . . . وان رأى من يرى قلماً تغير وجهه غضباً<sup>(١٠)</sup>. واستخدم

(١) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨٠.

(٣) الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ١٧٩، ج ٣، ص ١٧٣.

(٤) سورة النساء: آية ٩٥.

(٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ١، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(٦) ابن قتيبة، عيون، ج ٤، ص ١٠١.

(٧) أحمد عقل، تمويل، ص ٢٩.

(٨) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٣١٢.

(٩) القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٣١٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٦٧٢.

(١٠) الذهبي، سير، ج ٩، ص ١٥٤.

سفيان بن عيينه المحدث (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، القلم في سن مبكرة، فقد قال: «لو رأيتني ولي عشر سنين... وقلمي كالموزة»<sup>(١)</sup>. واستخدم الامام الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م) القلم وانشد:

سهرى لتنقيح العلوم الذلي      من وصل غانية وطيب عناق  
وصرير اقلامي على صفحاتها      احلى من الدوكاء والعشاق<sup>(٢)</sup>

وكان يحيى بن يحيى النيسابوري (ت ٢٢٦هـ / ٨٤٠م)، يحضر مجلس مالك بن انس، فانكسر قلمه، فتأوله المأمون - وقد كان حاضراً للمجلس - قلماً، فامتنع يحيى عن قبوله<sup>(٣)</sup>. ودخل المأمون ذات يوم إلى الديوان فنظر إلى غلام على اذنه قلم<sup>(٤)</sup>. وكان الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، إذا خرج ليحدث اخرج معه قلماً<sup>(٥)</sup>.

وحتى يكون القلم جيد الخط لا بد من بريه بطريقة تجعله كذلك، فقد قال عبد الحميد بن يحيى الكاتب (ت ١٣٢هـ / ٧٤٩م)، لرغبان - وكان يكتب بقلم قصير البرية - «أتريد أن وجود خطك؟ قال: نعم، قال: فاطل جلفة قلمك واسمنها، وحرّف القطعة وأيمنها، قال رغبان: ففعلت ذلك فجاء خطي»<sup>(٦)</sup>. وقيل أن الأخول المحرر<sup>(٧)</sup> كان عجيب البراية للقلم، فكان خطه رائقاً بهجاً من غير إحكام ولا إتقان<sup>(٨)</sup>.

(١) الاربلي، خلاصة، ص ٨٠؛ الذهبي، سير، ج ٨، ص ٤٥٩.

(٢) الشافعي، ديوان، ص ١٦٢؛ الغزالي، ايها الولد، ص ٦٨.

(٣) ابن الجوزي، الصفوة، ج ٤، ص ١٠٥؛ ابن عربي، محاضرة، ج ١، ص ٤٤٣.

(٤) البيهقي، المحاسن، ص ٤٣٧.

(٥) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص ٢٨٧.

(٦) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٨٩.

(٧) ابو الحسين، اسحق بن ابراهيم بن عبدالله بن اصباح بن بشر بن الاسود التميمي، وكان ابراهيم احول، وكان اسحق يُعلم المقتدر العباسي. ابن النديم، الفهرست، ص ٣٥.

(٨) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٨٨.

وقد حدد بعضهم الطريقة التي تتم بها بري الاقلام، فقد أوصى جعفر بن يحيى البرمكي وزير الرشيد (ت ١٨٧هـ / ٨٠٢م)، محمد بن الليث، موضحاً له طريقة بري القلم: «فأبره برياً مستويّاً كمنقار الحمامة، اعطف قطته، ورقق شفرته»<sup>(١)</sup>. وقال العتابي (ت ٢٢٠هـ / ٨٣٥م): «سألني الاصمعي يوماً بدار الرشيد: أي نوع من البري أصوب واكتب؟ فقلت: البرية المستوية القطعة التي عن يمين سنّها برية تأمن معها المجة عند المدة والمطة، والهواء في شقها فتيق، والريح في جوفها خريق، والمداد في خرطومها رفيق»<sup>(٢)</sup>. وقال إبراهيم بن محمد الشيباني (ت ٢٩٨هـ / ٩١٠م): «يجب يكون البري من جهة نبات القصب، من أعلاها إذا كانت قائمة على أصلها، فإن محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس»<sup>(٣)</sup>.

ولبري الأقلام تستخدم السكين أو المديّة، وقد قال ابن الاعرابي (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م): «يقال للسكين مَدِيّة، ومَدِيّة، ومَدِيّة»<sup>(٤)</sup>. وقال الجاحظ: «تقال بضم الميم وفتحها وكسرهما، وتجمع على مَدِيّ، وهي السكين»<sup>(٥)</sup>. وقال بعض الكتاب: «وهي مسن الاقلام، تستمد بها إذا كُلت وتطلق بها إذا وقفت وتلمها إذا تشعثت»<sup>(٦)</sup>. وأحسن السكاكين «ما عرض صدره، وأرهف خصره، ولم يفضل عن القبضة نصابه»<sup>(٧)</sup>. وقد كان خلف الأحمر النحوي (ت ١٩٤هـ / ٨٠٩م) يدفع إلى حاضري مجلسه الاقلام والسكاكين<sup>(٨)</sup>. وكان أحمد

(١) ابن عبدربه، العقد، ج ٤، ص ٢٧٧.

(٢) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٨٨.

(٣) ابن عبدربه، العقد، ج ٤، ص ٢٥٥؛ القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٨٧.

(٤) النحاس، صناعة، ص ١٠٤.

(٥) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٩٥.

(٦) الصولي، أدب الكتاب، ص ١١٥؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ١١٥؛ القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٩٦.

(٧) الصولي، أدب الكتاب، ص ١١٥؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ١١٥.

(٨) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٦٧٢.

ابن يوسف الكاتب (ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م) يكتب بين يدي المأمون، فطلب المأمون منه السكين فدفعها إليه، والنصاب في يده<sup>(١)</sup>.

وينبغي أن تكون السكين حادة جداً لبراية الاقلام، وأن لا تستعمل الا في البراية<sup>(٢)</sup>، «لئلا تكل وتفسد»<sup>(٣)</sup>. قال الوزير أبو علي بن مقلة: «واستحد السكين جداً، ولتكن ماضية جداً، فانها إذا كانت كالة جاء الخط رديئاً مضطرباً»<sup>(٤)</sup>. وأهدى الحسن بن وهب الكاتب (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٤م)، إلى صديق له سكيناً، وكتب اليه: «اهدت اليك سكيناً املح من الوصل، واقطع من البين»<sup>(٥)</sup>.

كما سبق تظهر أهمية القلم كأداة من أدوات الكتابة التي استخدمها العلماء والمتعلمون من خلال اقوالهم وافعالهم، وقد تعددت اسماءها وتنوعت بتنوع الخطوط، وحتى يكون القلم جيداً وصالحاً للكتابة لا بد أن تتوفر فيه صفات معينة في مصدر قصبه ونوعه وفي شكله وطريقة برية. وقد حُددت الطريقة التي تُبرى فيها الاقلام، كما حُددت صفات السكين (المدية) كأداة مستخدمة في بري الاقلام.

## ٢- الدواة (الحبرة):

تتكون من الجونة، وهي الظرف الذي فيه الليقة والخبر<sup>(٦)</sup>، وكانت تُصنع من

(١) ابن سعد الابي، ثر الدر، ج ٥، ص ١٢٣.

(٢) ابن عبدربه، العقد، ج ٤، ص ٢٥٥؛ الصولي، أدب الكتاب، ص ٥٤؛ الخطيب البغدادي، الجامع، ج ٢، ص ٣٩٤ - ٣٩٥؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ١١٤؛ السمعاني، ادب، ص ١٦١؛ القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٩٦؛ العلموي، المعيد، ص ١٣٣.

(٣) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٩٧.

(٥) الخطيب البغدادي، الجامع، ج ١، ص ٣٩٥.

(٦) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٩٨.

الخزف، أو الزجاج، أو النحاس<sup>(١)</sup>، أو من أجود العيدان وارفعها ثمناً، كالابنوس والساسم والصندل<sup>(٢)</sup>. والمقصود بالليقة: ما يوضع داخل الظرف من قطن أو حرير أو صوف<sup>(٣)</sup>. وإذا الصق القطن أو غيره بالدواة فهو ليقة، مشتق من قولهم: «ما يليق فلان بقلبي، أي ما يلصق به»<sup>(٤)</sup>. وقد قال الجاحظ: «ولا تستحق اسم الليقة حتى تُلاق في الدواة بالمداد»<sup>(٥)</sup>. وقال بعض الكتاب: «ويتعين على الكاتب أن يتفقد الليقة ويُطَيِّبها بأجود ما يكون، فإنها تروح على طول الزمن»<sup>(٦)</sup>. أما المداد فسمي بذلك لانه يمد القلم، أي يعينه وكُلُّ شيء مددت به شيئاً فهو مداد<sup>(٧)</sup>. ويقال امددت الدواة: إذا جعلت فيها المداد<sup>(٨)</sup>. كما قال الله عز وجل: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾<sup>(٩)</sup>.

أما الحِبر، فاصله اللون، يقال: فلان ناصح الحِبر يراد به اللون الخالص الصافي من كل شيء<sup>(١٠)</sup>. وسُئِلَ الفراء النحوي (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م) عن المداد لم سمي حِبراً؟ فقال: «يقال للمعلم حَبْرٌ وحِبرٌ يعني بفتح الحاء وكسرهما، فأرادوا مداد حبر، أي مداد عالم، فحذفوا

(١) محمد منير، تاريخ التربية، ص ١٧٩.

(٢) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٧٠.

(٣) النحاس، صناعة، ص ١٠٧؛ القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٩٨.

(٤) النحاس، صناعة، ص ١٠٧؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٦٣.

(٥) البطليوسي، الاقتضاب، ج ١، ص ١٦٣.

(٦) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٤٩٩.

(٧) الصولي، أدب الكتاب، ص ١٠٣؛ البطليوسي، الاقتضاب، ج ١، ص ١٦٤؛ القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٥٠٠.

(٨) النحاس، صناعة، ص ١٠٦.

(٩) سورة لقمان: آية ٢٧.

(١٠) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٥٠٠ - ٥٠١.



مداد، وجعلوا مكانه حبراً<sup>(١)</sup>. وقال الاصمعي: «يقال: على أسنانه حبر إذا كثرت صفرتها حتى صارت تضرب إلى السواد»<sup>(٢)</sup>. والحبر الأثر، يعني أثر الكتابة في القرطاس<sup>(٣)</sup>. وقيل: «أما سمي الحبر حبراً لانه تحبر به الاخبار»<sup>(٤)</sup>. قال الحسن بن سهل الوزير (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م): «أما سمي الحبر حبراً، لأن البليغ إذا حبر الفاظه، ونمى بيانه، احضرك من معاني الحكم آتق من جرات البرّ ومقومات الوشي»<sup>(٥)</sup>. وقال المبرد: «وانا أحسب انه سمي بذلك لان الكتاب يُحبر به، أي يُحسن، آخذاً من قولهم: حبرت الشيء تحبيراً إذا احسنته»<sup>(٦)</sup>.

وقد وردت بعض الروايات التي تؤكد شرف المداد والحبر، واختيار اللون الاسود، فقد قال عبدالله بن المبارك (ت ١٨١هـ/ ٨٩٧م): «الحبر في الثوب خلوق العلماء»<sup>(٧)</sup>. وكتب جعفر بن يحيى البرمكي (ت ١٨٧هـ/ ٨٠٢م) إلى محمد بن الليث: «وليكن مدادك صافياً خفيفاً إذا استمددت منه ليله»<sup>(٨)</sup>. وقيل لوراق: «أخف رداءة خطك بجودة حبرك»<sup>(٩)</sup>. وقال الشافعي:

مداد الفقيه على ثوبه      احب الينا من الغالية<sup>(١٠)</sup>

(١) النحاس، صناعة، ص ١٠٧؛ البطليوسي، الانتصاب، ج ١، ص ١٦٤؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٦٣؛ القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٥٠١.

(٢) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٦٤؛ القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٥٠١.

(٣) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٥٠١.

(٤) الصولي، أدب الكتاب، ص ٩٤.

(٥) الخطيب البغدادي، الجامع، ج ١، ص ٣٨٥؛ السمعاني، أدب، ص ١٤٩.

(٦) الصولي، أدب الكتاب، ص ١٠٤؛ القلقشندي، صبح، ص ٢، ص ٥٠١.

(٧) السمعاني، أدب، ص ١٤٩؛ الذهبي، سير ج ٨، ص ٤٠٩.

(٨) ابن عدي، العقد، ج ٤، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٩) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ١١٦.

(١٠) المغراوي، جامع، ص ٤٩.

وكان إبراهيم بن يزيد النخعي الفقيه (ت ٩٥هـ / ٧١٣م) يقول: «من المروءة أن يُرى في ثوب الرجل وشفتيه مداد»<sup>(١)</sup>. وقال علان الشعوبي الوراق (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م): «عطروا دفاتركم بسواد الحبر»<sup>(٢)</sup>. وسُئل وراق عن حاله فقال: «عيشي أضيق من محبرة... ووجهي عند الناس اشد من الحبر الزاج... وشرابي اسود من الحبر»<sup>(٣)</sup>. وتذاكر بعضهم الالوان عند الرشيد، فقال بعضهم: «احسنها البياض، وقال الآخر: احسنها الخضرة لون الجنة، وقال آخر: احسنها لون الذهب، ومحمد بن الحسن<sup>(٤)</sup> ساكت، فقال له الرشيد: لم لا تتكلم؟ فقال: لو كان صيغ احسن من السواد لكُتِبَتْ به كتب الله المنزلة»<sup>(٥)</sup>. وعن عبدالله ابن أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م) قال: «حدثني ابي، قال: رأيي الشافعي وأنا في مجلس وعلى قميصي حبر وأنا، اخفيه، فقال: لم تخفيه وتستره؟ فان الحبر على الثوب من المروءة»<sup>(٦)</sup>. وقال ابن الرومي (ت ٢٨٣هـ / ٨٩٦م):

كأنه السوان دهم الخيل      حبر أبي حفص لعاب الليل

يسيل للاخوان أي سيل      بغير ميزان وغير كيل<sup>(٧)</sup>

وأشدد أبو العباس ثعلب النحوي (ت ٢٩١هـ / ٩٠٣م):

لا تجزعي من المداد ولطخه      ان المداد خلوق ثوب الكاتب

وشم المداد لكاتب في ثوبه      سمة تلوح له بحسن مناقب<sup>(٨)</sup>

(١) ابن سحنون، ادا، ص ٨٨؛ القاسي، الرسالة، ص ٣١٤؛ المغراوي، جامع، ص ٤٩.

(٢) الخطيب البغدادي، الجامع، ج ١، ص ٣٨٥؛ السمعاني، أدب، ص ١٤٩.

(٣) الخطيب البغدادي، الجامع، ج ١، ص ٣٩٠ - ٣٩١؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ١٠٦.

(٤) محمد بن الحسن الفقيه ابن فرقد الشيباني (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م).

(٥) الخطيب البغدادي، الجامع، ج ١، ص ٣٨٣.

(٦) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ٥٣.

(٧) الصولي، أدب الكتاب، ص ٩٤.

(٨) السمعاني، أدب، ص ١٥٠.

وربما كتب بعضهم العلم بماء الذهب. فقد ذكر السمعاني، أن أحمد بن مهدي قال: «أردت أن اكتب كتاب الاموال لابي عبيد، فخرجت لاشتري ماء الذهب فلقيت ابا عبيد، فقلت: يا ابا عبيد، اني أريد أن اكتب كتاب الاموال بماء الذهب، فقال: اكتبه بالحبر فانه ابقى»<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن الدواة (المحبرة)، استخدمت كأداة من ادوات الكتابة، بما فيها المداد، والحبر، منذ العصر الجاهلي، فقد كانت ظلمة صبية في الكتاب، فكانت تضرب دوى الصبيان واقلامهم<sup>(٢)</sup>. واستخدمت الدواة في زمن الرسول ﷺ. فعن البراء بن عازب (رضي الله عنه)، قال: «لما نزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup> قال النبي ﷺ، ادع لي زيدا وليجيء باللوح والدواة»<sup>(٤)</sup>. واستخدمت الدواة في زمن علي بن أبي طالب، فعندما قدم الكوفة بعد مَرَّتْ عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) رأى اصحابه يفقهون الناس ورأى في مسجد اربعمائة محبرة يكتبون الفقه<sup>(٥)</sup>. وقال يوماً لكتابه عبيد الله بن أبي رافع: «إذا كتبت فالتق دواتك واطل من قلمك، وفرج بين السطور، وقارب بين الحروف»<sup>(٦)</sup>. ويبدو أن الدواة استخدمت في زمن محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري الفقيه المحدث (ت ١٢٤هـ/ ٧٤٢م)، حيث قال: «من خرج من بيته بلا محبرة فقد نوى الصدقة من نيته»<sup>(٧)</sup>.

(١) السمعاني، أدب، ص ١٤٨ - ١٤٩؛ اسعد طلس، التربية، ص ١٧٣.

(٢) ابن قتيبة، عيون، ج ٤، ص ١٠١.

(٣) سورة النساء: آية ٩٥.

(٤) البخاري، صحيح، ج ١٩، ص ١٠.

(٥) الكردري، مناقب، ص ٦٤.

(٦) ابن عبدالبر، بهجة، ج ١، ص ٣٥٦.

(٧) السمعاني، أدب، ص ١٥٥.

وقد استخدمت الدواة في العصر العباسي الأول. فقد أرسل المنصور في طلب بعض وجوه بين هاشم من ييوتهم في الوقت الذي كان يجلس البعض الآخر عنده، وعندما اخذوا مجالسهم عنده، أمر أن يضع بين يدي كل واحد منهم دواة وورق<sup>(١)</sup>. وظهر سفيان الثوري (ت ١٦١هـ / ٧٧٧م)، أهمية المحبرة فقال: «المحبرة رأس مال كبير»<sup>(٢)</sup>. وذكر الجاحظ انه دخل على اسحاق بن سليمان (ت ١٧٨هـ / ٧٩٤م)، بعد عزله - وكان أمير البصرة في عهد الرشيد - فوجد عنده من جملة ما وجد من مواد الكتابة، المحابر<sup>(٣)</sup>. وسمع الرشيد من ابن السماك الزاهد (ت ١٨٣هـ / ٧٩٩م)، موعظة فدعا الرشيد بدواة وقرطاس وكتبها بيده<sup>(٤)</sup>. وخرج الكسائي (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م)، إلى البادية وقد انفذ خمس عشرة قنية حبر، في كتابة ما أخذه في اللغة عن العرب في بوادي الحجاز ونجد وتهامة<sup>(٥)</sup>. وقال أبو يوسف: «دخلت على الكسائي في مسألة فقهية وهو في فراشه فاقرأته رقعة، فقال لي: خذ الدواة واكتب»<sup>(٦)</sup>. وكانت المحابر متوفرة في مجلس الاحمر النحوي (ت ١٩٤هـ / ٨٠٩م)، الذي كان يعقده في قصر الرشيد<sup>(٧)</sup>. ووصل المحدث وكيع بن الجراح الكوفي (ت ١٩٧هـ / ٨١٢م) انساناً بصرة دنائير لكونه كتب من محبرته<sup>(٨)</sup>. ونظر سفيان بن عيينه المحدث (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م) إلى

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١، ص ٣٨٥؛ ابن الجوزي، المتظم، ج ٩، ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٢) الخطيب البغدادي، الجامع، ج ١، ص ٣٨٧.

(٣) الجاحظ. الحيوان، ج ١، ص ٦١؛ ابن طباطبا، الفخري، ص ٦.

(٤) ابن الازرق، بدائع، ج ١، ص ٥١٤.

(٥) ابن الانباري، نزهة، ص ٥٩؛ ابن الجوزي، المتظم، ج ٩، ص ١٦٩؛ القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٢٥٨؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٦٧٢؛ الاربلي، خلاصة، ص ١٥٧؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ١٣٢؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢٠٩؛ السيوطي، بغية، ج ٢، ص ١٦٣.

(٦) السيوطي، الاشباه، ج ٥، ص ١٠٥.

(٧) القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٣١٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٦٧٢.

(٨) الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٣٠٩؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٥٧.

صبي، فكان أهل المسجد تهاونوا به لصغره فقال سفيان: «لو رأيتني ولي عشر سنين محبرتي كالجوزة»<sup>(١)</sup>. وظهر الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، أهمية المحابر في حفظ العلم وتدوينه، إذ قال: «لولا المحابر لخطب الزنادقة على المنابر»<sup>(٢)</sup>. وقال: «العلم بلا محبرة كان كمن حضر الطاحونة بلا طعام»<sup>(٣)</sup>. وتقدم إلى المأمون رجل غريب بيده محبرة، وقال: «يا أمير المؤمنين، رجل من أهل الحديث منقطع به»<sup>(٤)</sup>. وقال المأمون لمن حضر مجلسه الذي أراد أن يفقه به: «ما رأيت لكم حلاوة، وإنما المجلس لأصحاب الخلقان والمحابر»<sup>(٥)</sup>. يعني أصحاب الحديث، وغضب كاتب المأمون على غلام «فرماه بالدواة وشجه»<sup>(٦)</sup>. وكان الامام أحمد بن حنبل يرى المحابر بأيدي طلبة العلم فيقول: «هذه سرج الاسلام»<sup>(٧)</sup>. ويذكر بان صالحاً بن أحمد بن حنبل قال: «رأى رجل مع أبي محبرة، فقال: يا أبا عبدالله انت قد بلغت هذا المبلغ وانت امام المسلمين، فقال: معي المحبرة إلى المقبرة»<sup>(٨)</sup>. وقال إبراهيم بن اسحاق الحربي الفقيه (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م): «لزم أحمد بن حنبل ستين فكان إذا خرج ليحدثنا يخرج معه محبرة مجلدة بجلد أحمر»<sup>(٩)</sup>. وكان عدد الطلاب يعرف باحصاء محابريهم التي يضعونها امامهم، والتي كانت أهم عتاد الطالب<sup>(١٠)</sup>. فقد أملى أبو مسلم الكجي (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م) الحديث

(١) الاربلي، خلاصة، ص ٨٠؛ الذهبي، سير، ج ٨، ص ٤٥٩.

(٢) السمعاني، أدب، ص ١٥٣؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ٥٣.

(٣) السمعاني، أدب، ص ١٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٤٦؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٢٣٧.

(٥) السمعاني، أدب، ص ٢٢؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٢٣٦.

(٦) ابن سعد الابي، نثر الدر، ج ٥، ص ٢٤٠.

(٧) الخطيب البغدادي، الجامع، ج ١، ص ٣٨٧.

(٨) ابن الجوزي، تليس، ص ٤٠٠؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ٥٤.

(٩) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٥٧.

(١٠) متز، الحضارة، ج ١، ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

في رجة غسان «وكتب الناس عنه وقوفاً بأيديهم المحابر، ثم مُسحت الرجة وحسب من حضر بمحبرة فبلغ ذلك نيفاً وأربعين ألف محبرة»<sup>(١)</sup>.

### ٣- اللخاف:

استعان المتعلمون في تدوين ما يأخذونه من علوم وحديث وآداب باللخاف. وهي صفائح من الحجارة البيضاء الرقاق<sup>(٢)</sup>. وقد كان العرب المسلمون يكتبون القرآن حين ينزل ويقرأ عليهم الرسول ﷺ، في اللخاف، فعن زيد بن ثابت (رضي الله عنه)، انه قال: عند جمعه القرآن: «فجعلت اتبع القرآن من... واللخاف»<sup>(٣)</sup>.

واستخدم الخزف في تدوين الأدب والحديث والعلوم. فعندما خرج الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، من الكتاب، كان يتلقت الخزف ليكتب فيه الحديث، ويضعه في جرة لأمه حتى ملأها، وكان أبو العتاهية (ت ٢١١هـ / ٨٢٦م)، وهو جرار «يأتيه الاحداث والمتأدبون فينشدهم اشعاره فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبون فيها»<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن مادة الفحم كانت تستخدم في الكتابة على اللخاف والخزف<sup>(٥)</sup>، فقد كتب المهدي على الارض بفحمة، قول عبدالله بن مصعب والي اليمامة في عهده (ت ١٨٤هـ /

(١) السمعاني، أدب، ص ٩٦.

(٢) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٥١٥؛ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٤، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت ١٩٨٧م، ج ١، ص ١٦٨، سيشار له تالياً (السيوطي، الاتقان).

(٣) البخاري، صحيح، ج ١٩، ص ٧؛ القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٥١٥؛ محمد كردعلي، خطط الشام، ج ٦، ط ٣، مكتبة النوري، دمشق، ١٩٨٣م، ج ٤، ص ١٦، سيشار له تالياً (كرد علي، خطط).

(٤) ابو نعيم الاصفهاني، حلية، ج ٩، ص ٧٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٣٩٥.

(٥) حبيب زيات، «صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام»، مجلة المشرق، م ٤٨، ١٩٥٤م، ص ٨، ١٠، سيشار له تالياً (حبيب زيات، «صحف»).

فإن يحجبوها أو عجل دون وصلها مقالة واش أو وعيد أمير<sup>(١)</sup>

ويروى أن المأمون أشرف يوماً من قصره فرأى رجلاً قائماً ويده فحمة، وهو يكتب بها على حائط القصر، فقال المأمون لأحد غلمانه: «انزل إلى ذلك الرجل وامسك بيده، واقرأ ما كتب واثني به»<sup>(٢)</sup>. وكان سعدون المجنون (ت ١٩٠هـ / ٨٠٥م) من أهل البصرة من عقلاء المجانين وحكمائهم، وقد رؤي ويده فحمة وهو يكتب بها على قصر خراب<sup>(٣)</sup>.

وكانت كَرَبُ النخل - وهي أصول السَّعف الغلاظ العراض التي تيبس فتصير مثل الكتف -<sup>(٤)</sup> من الادوات التي استعان بها الشافعي في حديثه<sup>(٥)</sup>.

واستعان المتعلمون بالاكثاف. وهي العظم للبعير أو الشاة، كانوا إذا جف كتبوا عليه<sup>(٦)</sup>. فقد نشأ الشافعي يتيماً في حجر أمه في قلة عيش وضيق حال، وكان في صباه يجالس العلماء ويكتب ما يستفيد في العظام<sup>(٧)</sup>. فقد قال: «فكنت اجالس العلماء فاحفظ الحديث والمسألة، فكنت انظر إلى العظم يلوح فاكتب فيه الحديث والمسألة، وكانت لنا جرة عظيمة فاذا امتلأ العظم تركته في الجرة»<sup>(٨)</sup>.

(١) الاصفهاني، الاغانى، ج ٢٣، ص ٣٨٦ - ٣٨٧.

(٢) السيوطي، تحفة، ص ١٦٤.

(٣) الكتبي، فوات، ج ٢، ص ٤٩.

(٤) ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٧١٣.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٣٩٥.

(٦) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٥١٥؛ السيوطي، الاتقان، ج ١، ص ١٦٨؛ كردعلي، خطط، ج ٤، ص ٢٢٢.

(٧) أبو نعيم الاصفهاني، حلية، ج ٩، ص ٧٣؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٣٩٥؛ النووي، تهذيب، ج ١، ص ٤٦؛ الاربلي، خلاصة، ص ٢٠٨.

(٨) أبو نعيم الاصفهاني، حلية، ج ٩، ص ٧٣؛ أبو الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ١٦٦؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٣٩٥؛ النووي، تهذيب، ج ١، ص ٤٦؛ الاربلي، خلاصة، ص ٢٠٨.

واستخدمت ألواح الطين والواح الخشب، كادوات للكتابة، وكانت ألواح الخشب هي الغالبة في الاستخدام في كتاتيب الصبيان، وذلك لخفة حملها، وسهولة مسحها<sup>(١)</sup>. فقد كان المعلم في الكتّاب يكتب عليها، ثم يحفظها ويعطيها للصبيان كي يقلدوه<sup>(٢)</sup>، وقد كان بعضها من الخشب المصقول، يكتب الصبيان فوقها باقلامهم، بعد أن يغمسوها في الحبر<sup>(٣)</sup>. فقد حُبس علي بن الجهم في المكتب من قبل معلمه لشيء وجد عليه، فأخذ شق لوح وكتب فيه إلى أمه شاكية<sup>(٤)</sup>. وكان غلام سعيد الجوهري الذي كان قد لزم المأمون في الكتّاب، إذا احتاج المأمون إلى محو لوحه بادر إليه فأخذ اللوح من يده فمحاها<sup>(٥)</sup>. ومر الجاحظ بمعلم صبيان، وقد قال لأحدهم: «اقرأ لوحك»<sup>(٦)</sup>.

ويبدو أن بعض الصبيان لجأوا إلى محو الواحهم بارجلهم<sup>(٧)</sup>، أو ببصاقهم<sup>(٨)</sup>، وقد يستخدم بعضهم منديلاً لمسح الواحهم<sup>(٩)</sup>، أو يلجأ إلى بلّ اللوح بالماء إذا ما امتلأ بالكتابة،

(١) الاهواني، التربية، ص ٢٥٦؛ هونكه، شمس، ص ٣٩٣؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٢٩؛ محمد طه الحاجري، «الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية»، مجلة المجمع العلمي العراقي، م ١٣، ١٩٦٦م، ص ٧٢، سيشار له تالياً (الحاجري، «الورق، م ١٣»).

(٢) Goldziher, "Education", vol, 5, p.199.

(٣) سعيد اسماعيل، معاهد، ص ١٨٨.

(٤) ابن المعتز، طبقات، ص ٣١٩.

(٥) رفاعي، عصر، ج ١، ص ٣٣٤.

(٦) الابشيهي، المستطرف، ج ٢، ص ٣٢١؛ عياش، العصا، ص ٥٤؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص ٥٦٨.

(٧) ابن سحنون، اداب، ص ٨٦.

(٨) المصدر نفسه، ص ٨٦؛ ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣١٨؛ ابن حجر الهيتمي، تحرير المقال، ص ٣٣.

(٩) ابن سحنون، اداب، ص ٨٨؛ القاسبي، الرسالة، ص ٣١٤.



ليعود كاتباً عليه من جديد<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن اقلاماً مصنوعة من التراب الأبيض، استخدمها الصبيان في الكتابة على الواحهم لكثرة انتشارها، وسهولة الحصول عليها من كل مكان<sup>(٢)</sup>. ويظهر أن هذه الاقلام أصبحت تُصنع فيما يبدو، وتستورد من بلاد فارس، في فترة تالية فقد ذكر المقدسي أنها كانت من جملة تجارات تبريز، إذ قال: «وطين ايض يكتب به الصبيان الواحهم»<sup>(٣)</sup>.

واستخدمت الألواح لتدوين مختلف العلوم، فقد دعا الرسول ﷺ زيد بن ثابت ليأتيه باللوح والدواة، ليكتب آية نزلت عليه<sup>(٤)</sup>. وروى عيسى بن عمر النحوي (ت ١٤٩هـ/ ٧٦٦م) أن عبدالله بن أبي اسحاق سمع موعظة، فاخرج الواحه، فكتبها<sup>(٥)</sup>. وعن سفيان الثوري (ت ١٦١هـ/ ٧٧٧م): «انه جاء إلى يونس بن حبيب، فاخذ يسأله ويملي عليه ومعه الواح»<sup>(٦)</sup>. وقال أبو عبيدة النحوي البصري (ت ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م): «اختلفت إلى يونس بن حبيب اربعين سنة، املاً كل يوم الواحي من حفظه»<sup>(٧)</sup>. ودخل الفراء النحوي، إلى بغداد، فسأل عن الكسائي فاتاه في مسجده، الذي يعقد فيه للناس، فوجد عند غلام يسأله ويكتب

(١) ابن سحنون، اداب، ص ٨٧؛ القابسي، الرسالة، ص ٣١٤؛ المغراوي، جامع، ص ٤٩؛ ابن حجر الهيتمي، تحرير المقال، ص ٣٣.

(٢) حبيب زيات، «صحف»، م ٤٨، ص ٢١.

(٣) ابو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مكتبة خياط، بيروت، د.ت، ص ٤٤٣، سيشار له تالياً (المقدسي، احسن التقاسيم).

(٤) البخاري، صحيح، ج ١٩، ص ١٠.

(٥) السيرافي، اخبار، ص ٩٠.

(٦) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٠٦.

(٧) القفطي، إنباه، ج ٤، ص ٧٦؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٧، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

ما يمليه عليه في الواح معه<sup>(١)</sup>. ويروى أن بشر بن الحارث الزاهد (ت ٢٢٧هـ / ٨٤١م)، التقى يحيى بن سعيد القطان البصري الحافظ (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، في بغداد، فقال له: «معك الواح؟ قال، نعم، فقال: ناولني، وكتب له عشرة احاديث»<sup>(٢)</sup>. وخرج أبو نواس (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، إلى بادية بني اسد واخذ يغدو على المريد بالواحة للقاء الاعراب الفصحاء<sup>(٣)</sup>. وعن الاصمعي (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م)، قال: «جئت إلى عمرو بن العلاء فقال لي: من اين اقبلت يا اصمعي؟ قال: جئت من المريد، قال: هات ما معك، فقرأت عليه ما كتبت في الواحي»<sup>(٤)</sup>. وكان الخليل بن أبي نافع المزني الموصلي (ت ٢١٧هـ / ٨٣٢م)، من علماء الموصل قد اتخذ لوحاً يكتب فيه كل ما يتكلم به ويحصى في آخر النهار فيجده بضع عشرة كلمة<sup>(٥)</sup>. ويظهر أن استخدام بعض المتعلمين للالواح كان للكتابة العاجلة، ثم ينقلون ما فيها إلى دفاترهم، فيروى أن كيسان بن المعرف النحوي (ت ٢٩٩هـ / ٩١١م) كان يخرج إلى الاعراب فينشده، فيكتب في الواحه غير ما ينشده، وينقل من الواحه إلى الدفاتر غير ما فيها<sup>(٦)</sup>.

## ٥ - الجلود:

ويبدو أن الجلود كانت من مواد الكتابة منذ الجاهلية، ويقال للمدبوغ منها الادم<sup>(٧)</sup>، قالت

(١) الزجاجي، مجالس، ص ٢٦٩.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٤، ص ١٣٥.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ٦، ص ٢٣٩.

(٤) قصي الحسين، من معالم، ص ١٧٢.

(٥) ابن الجوزي، المتنظم، ج ١١، ص ٦.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢٢٤٦.

(٧) حبيب زيات، «الجلود والرقوق والطروس في الاسلام»، مجلة الكتاب، م ٤، السنة الثانية، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٤٧، ج ٩، ص ١٣٥٨، سيشار له تالياً (حبيب زيات، «الجلود»).

أم سلمة، زوج الرسول ﷺ: «دعا رسول الله ﷺ باديهم وعلي بن أبي طالب عنده، فلم يزل رسول الله ﷺ يعلي وعلي يكتب حتى ملأ بطن الاديم وظهره واكارعه»<sup>(١)</sup>. وأمر أبو بكر الصديق زيد بن ثابت ليكتب القرآن في قطع الاديم<sup>(٢)</sup>.

واشتملت الجلود على جلود الغنم والمعزى والحمير وسائر الدواب الاهلية والوحشية، ويظهر أن جلد الحمير الوحشية كان يسمى (الفلجان)<sup>(٣)</sup>، فقد ذكر: «ان الفرس كانت تكتب في جلود الجواميس والبقر والغنم، وان الروم تكتب أيضاً في الفلجان، وهو جلود الحمير الوحشية»<sup>(٤)</sup>. وذكر ابن النديم: «ان رجلاً يقال له محمد بن الحسين ويعرف بابن أبي بَغرة، جماعة للكتب، له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة... فاخرج قمطراً<sup>(٥)</sup> كبيراً فيه نحو ثلثمائة رطل، جلود... وجلود آدم»<sup>(٦)</sup>. وقد اشتهر عمرو بن العاص (رضي الله عنه)، بتجارته في الجاهلية «وكان يختلف بتجارته إلى مصر وهي الادم والعطر»<sup>(٧)</sup>. ويبدو استخدام الجلود في فترة العصر العباسي الأول فيما رواه ابن خلكان في حديثه عن مسك الجفر وهو جلد الماعز «تقول الشيعة أن الامام جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ / ٧٦٥م)، كتب لهم فيه كل ما يحتاجون اليه وكل ما يكون إلى يوم القيامة»<sup>(٨)</sup>. والجفر لغة: الجلد الصغير، وأصل التسمية

(١) الرامهرمزي، المحدث، ص ٦٠١. وأكارعه: يعني أطرافه، وأكارع الأرض أي أطرافها القاصية. ابن منظور، لسان، ج ٨، ص ٣٠٧.

(٢) السيوطي، الاتقان، ج ١، ص ١٦٩.

(٣) حبيب زيات، «الجلود»، ص ١٣٥٨.

(٤) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٥١٥؛ حبيب زيات، «الجلود»، ص ١٣٥٩.

(٥) القماطر: مفردا قمطر وتعني الصندوق المصنوع من القصب. ابن منظور، لسان، ج ٥، ص ١١٦.

(٦) القفطي، إنباه، ج ١، ص ٤٢ - ٤٣؛ حبيب زيات، «الجلود»، ص ١٣٥٩.

(٧) أبو عمرو محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تهذيب وتصحيح رفن كست، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة د.ت، ص ٦ - ٧، سيشار له تالياً (الكندي، الولاة).

(٨) حبيب زيات، «صحف»، ص ٤٨م، ص ١٣.

«ان هارون بن سعد العجلي كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق، فيه علم ما سيقع لاهل البيت عموماً، ولبعض منهم خصوصاً، كان مكتوباً عنده في جلد ثور صغير مما يقع له ولنظرائه من رجالاتهم كشفاً وكرامة، فكتبه هارون وسماه «الجفر» باسم الجلد الذي كتب فيه»<sup>(١)</sup>. وكانت الجلود البيض تفضل للكتابة لظهور سواد الحبر عليها، ويقال لها القُضْم، جمع قضيم، وفي حديث الزهري: «قبض رسول الله ﷺ والقرآن في القُضْم»<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن الكتابة على الجلود قبل الدباغة كانت تصعب جداً، والارجح انها كانت تصقل ليهون مرّ القلم عليها، ويسرع الخط فيها<sup>(٣)</sup>. فقد كانت الجلود المصقولة متوفرة في قصر الرشيد لتعليم ابنائه بما في ذلك كتابة النحو عن خلف الاحمر النحوي (ت ١٩٤هـ / ٨٠٩م)، حين كان مؤدياً لابناء الرشيد<sup>(٤)</sup>.

اما الرق، بفتح الراء، فهي الجلود الرقاق التي هُذِّبَتْ وعولجت بالصناعة، حتى تصلح لما يراد له من الكتابة<sup>(٥)</sup>. وهو كما يقول المبرد، فيما يحكيه القلقشندي عنه «ما يرقق من الجلود ليكتب فيه»<sup>(٦)</sup>. وقال ابن خلدون: «وكانت السجلات اولاً لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد»<sup>(٧)</sup>. ووردت كلمة الرق في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ، وَكِتَابٍ مُّسْتَوٍ، فِي رَقٍّ

(١) ابن الازرق، بدائع، ج ١، ص ١٤٩.

(٢) ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٥٩٩، اعتماد القبصري، فن التجليد، ص ١١؛ حبيب زيات، «الجلود»، ص ١٣٥٩.

(٣) محمد منير، تاريخ التربية، ص ١٧٩؛ حبيب زيات، «الجلود»، ص ١٣٥٩.

(٤) القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٣١٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٦٧٢.

(٥) محمد طه الحاجري، «الورق والوراقة في الحضارة الاسلامية»، مجلة المجمع العلمي العراقي، م ١٢، ١٩٦٥، ص ١٢٣، سيشار له تالياً (الحاجري، «الورق»، م ١٢).

(٦) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٥١٤؛ الحاجري، «الورق»، م ١٢، ص ١٢٣.

(٧) ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٣٢.

منشور<sup>(١)</sup>. وقيل لوراق ما تشتهي قال: «قلماً مشاقاً وحبراً براقاً وجلوداً رفاقاً»<sup>(٢)</sup>. واجمع الصحابة على كتابة القرآن في الرق لطول بقائه أو لانه الموجود عندهم حينئذ، وقد بقي الناس على ذلك إلى أن ولي الرشيد الخلافة<sup>(٣)</sup>. وكان الشافعي يطلب الحديث في حديثه، ويكتب في الرقوق<sup>(٤)</sup>. وذكر الجاحظ عن اسحاق بن سليمان (ت ١٧٨هـ / ٧٩٤م) - وكان أمير البصرة في عهد الرشيد - انه دخل عليه بعد عزله من الامارة «واذا هو في بيت كتبه، وحواليه الرقوق...»<sup>(٥)</sup>.

ويبدو أن الرقوق كانت تصنع في الكوفة، وقد أتيح لها أن تجود في صناعتها، ففي خبر أورده الجاحظ ما يدل على أن الرقوق الكوفية كانت رقوقاً مرموقة معروفة بالجودة، فقد قال في سياق كلامه عن الكتب والعناية بها والحرص عليها: «وقيل لابن داحة وقد اخرج اليه كتاب أبي الشَّمَمَقْ الشاعر (ت ٢٠٠هـ / ٨١٥م)، وهو في جلود كوفية، ودفتين طائفتين بخط عجيب»<sup>(٦)</sup>. وإلى جانب الكوفة كانت هناك واسط والبصرة. وكما كانت الرقوق الكوفية اجود انواع الرقوق، كانت الرقوق البصرية أرداها، فاما الواسطية فهي متوسطة بين هذه وتلك، كما يستخلص ذلك من كلام الجاحظ في الموازنة بين الكاغد والرق انه «احمل للغش، يغش الكوفي بالواسطي، والواسطي بالبصري»<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة الطور: آية ١-٣.

(٢) محمد بن حسين الوراق، ديوان، جمع وتحقيق عدنان راغب العبيدي، وزارة التربية والتعليم، بغداد ١٩٦٩م، ص ١٣، سيشار له تالياً (محمود الوراق، ديوان)؛ الصولي، أدب الكتاب، ص ٩٥؛ الخطيب البغدادي، الجامع، ج ١، ص ٣٩٧؛ الراغب الأصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ١٠٦؛ السمعاني، أدب، ص ١٦٣.

(٣) الفلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٥١٥.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٣٩٥.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٦١؛ ابن طباطبا، الفخري، ص ٦.

(٦) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٦١؛ الحاجري، «الورق»، م ١٣، ص ٧٧.

(٧) الحاجري، «الورق»، م ١٣، ص ٧٧، ٨٣.

## ٦- القراطيس:

والى جانب الرقوق المصنوعة من الجلد، كان هناك القراطيس (ورق البردي)<sup>(١)</sup>. وقد ورد القراطيس في القرآن الكريم مفرداً ومجموعاً<sup>(٢)</sup>. قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْطَاسٍ تَبْدُونَهَا وَتَخْفُونَ كَثِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن المصدر الأول للقراطيس كان مصر حيث ينبت نبات البردي<sup>(٥)</sup>. يقول الجاحظ: «ويجلب من مصر الحمر الهماليج، والثياب الرقاق، والقراطيس»<sup>(٦)</sup>. ويؤكد هذا أيضاً ما أورده الجهمشيارى في أن المنصور وقف على كثرة القراطيس في خزائنه فقال لصالح صاحب المصلى: «اني امرت بإخراج حاصل القراطيس في خزائنا، فوجدته شيئاً كثيراً جداً، فتول بيعه، وان لم تُعط بكل طومار<sup>(٧)</sup> الا دانقاً (سدس الدرهم)، فان تحصيل ثمنه اصلح منه. فقال صالح: وكان الطومار في ذلك الوقت بدرهم، فانصرفت من حضرته على هذا، فلما كان الغد دعاني فدخلت عليه، فقال لي: فكرت في كتبنا، وانها قد جرت في القراطيس،

(١) الحاجري، «الورق»، م ١٢، ص ١٢٧؛ أحمد الشامي، «اوراق البردي العربي مصدراً أصيلاً للتاريخ الاسلامي»، مجلة المؤرخ العربي، ع ٩، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٩٧٨م، ص ١٢١، سيشار له تالياً (أحمد الشامي، «اوراق البردي»).

(٢) الحاجري، «الورق»، م ١٢، ص ١٢٧.

(٣) سورة الانعام: آية ٧.

(٤) سورة الانعام: آية ٩١.

(٥) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٥١٤؛ شوقي ضيف، العصر العباسي، ص ١٠٣؛ محمد منير، تاريخ التربة، ص ١٧٩؛ الحاجري، «الورق»، م ١٢، ص ١٢٨؛ حبيب زيات، «الجلود»، ص ١٣٥٩.

(٦) الحاجري، «الورق»، م ١٣، ص ٧٢.

(٧) الطومار، الورقة الكاملة. القلقشندي، صبح، ج ٦، ص ١٨٠.

وليس يُؤمن من حادث بمصر، فتقطع القراطيس عنا بسببه، فنحتاج إلى أن نكتب فيما لم تعودهُ عُمالنا، فدع القراطيس استظهاراً على حالها»<sup>(١)</sup>. وفي هذا ما يشير إلى أن القراطيس كانت قد أصبحت أداة من أدوات الديوان الضرورية، وفي بيعه لها ما يشير إلى أن القراطيس تجاوزت الديوان، وخرجت إلى الحياة العامة، ولم تعد مقصورة على كتب الخلفاء أو الاعمال الديوانية<sup>(٢)</sup>. فقد تمثل سليمان بن مهران الاعمش (ت ١٤٨هـ / ٧٦٥م) بهذا البيت:

نستودع العلم قرطاساً نضيّعه وبئس مستودع العلم القراطيس<sup>(٣)</sup>

وانشد يونس بن حبيب النحوي (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م):

استودع العلم قرطاساً فضيَّعه فبئس مستودع العلم القراطيس<sup>(٤)</sup>

وسمع الرشيد من ابن السماك (ت ١٨٣هـ / ٧٩٩م)، موعظة فدعا الرشيد بدواة وقرطاس وكتبها بيده<sup>(٥)</sup>. ودخل احدهم على سلم الخاسر الشاعر (ت ١٨٦هـ / ٨٠٢م)، فاذا بين يديه قراطيس، فيها اشعار يرثي بيعضها ام جعفر<sup>(٦)</sup>. وكتب جعفر بن يحيى البرمكي (ت ١٨٧هـ / ٨٠٢م)، إلى محمد بن الليث، يستوصفه الخط، فكتب اليه: «..... وليكن قرطاسك رقيقاً مستوي النسيج»<sup>(٧)</sup>. واعرب أبو نواس (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م)، عن حاجته إلى قطعة قرطاس فقال:

(١) الجهشاري، الوزراء، ص ١٣٨.

(٢) الحاجري، «الورق»، م ١٣، ص ٧١.

(٣) الرامهرمزي، المحدث، ص ٣٨٧.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٦١.

(٥) ابن الازرق، بدائع، ج ١، ص ٥١٤.

(٦) رفاعي، عصر، ج ٢، ص ٣٥٢.

(٧) ابن عبدربه، العقد، ص ٢٧٨.

أريد قطعة قرطاس فتعجزني      وجُلّ صحبي اصحاب القراطيس  
لحاهم الله من وُدِّ ومعرفة      إن المياسير منهم كالمفالس<sup>(١)</sup>

ويبدو أن القراطيس، استخدمت في كتاتيب الصبيان، إلى جانب الألواح، فقد أشار أبو نواس إلى ذلك بقوله:

واحتازها لون جرى في جلدها      يقف كقرطاس الوليد هجان<sup>(٢)</sup>

واستعمل الشافعي في حديثه القراطيس في تدوين الحديث، فكان يذهب إلى الدواوين يستوهب الطوامير ليكتب فيها<sup>(٣)</sup>. وقال الاصمعي (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م): «دخلت على الرشيد وهو ينظر في كتاب ودموعه تسيل على خده فلما ابصرني قال: رأيت ما كان مني؟ قلت: نعم يا امير المؤمنين، فقال: اما إنه لو كان لأمر الدنيا ما كان هذا ثم رمى اليّ بالقرطاس فاذا فيه شعر أبي العتاهيه...»<sup>(٤)</sup>. وكتب بشر بن الحارث الزاهد (ت ٢٢٧هـ / ٨٤١م): الحديث في حلقة عيسى بن يونس في قرطاس<sup>(٥)</sup>. واخذ علي بن الجهم الشاعر (ت ٢٤٩هـ / ٨٦٣م) الدواة والقرطاس وكتب ابياتاً من الشعر<sup>(٦)</sup>. وقال المبرد النحوي (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م): «رأيت الجاحظ يكتب شيئاً، فتبسم، فقلت: ما يضحك؟ فقال: لم يكن القرطاس صافياً، والخبر نامياً، والقلم مواتياً، والقلب خالياً، فلا عليك أن تكون عانياً»<sup>(٧)</sup>.

(١) أبو نواس، ديوان، ص ٦٠٤.

(٢) الحاجري، «الورق»، م ١٣، ص ٧٧.

(٣) أبو نعيم الاصفهاني، حلية، ج ٩، ص ٧٧؛ ابن الجوزي، المتظم، ج ١٠، ص ١٣٥؛ الاربلي، خلاصة، ص ٢٠٨.

(٤) الماوردي، أدب، ص ١٣٣.

(٥) الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٢٨١.

(٦) ابن قيم الجوزية، اخبار، ص ٥٢.

(٧) الخطيب البغدادي، الجامع، ج ١، ص ٣٩٧؛ السمعاني، أدب، ص ١٦٣.



ومن احسن ما مدح به كاتب قول عبدالله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ / ٩٠٨م):

إذا اخذ القرطاس خِلت يمينه      تُفْتَحُ نوراً أو تنظم جوهرًا<sup>(١)</sup>

ولاتساع استخدام القرطاس، وعدم اقتصار القرطاس على الاعمال الديوانية، فظهرت الحاجة اليه ماسة، حتى بدا كأن مصر لم تعد تكفي هذه الحاجة، وان الضرورة تدعو إلى أن تكون صناعة القراطيس صناعة عراقية، فتنشأ لها المصانع في العراق، ويحمل اليها الصناع من مصر يتولونها ويضعون اسس العمل فيها<sup>(٢)</sup>، وقد حاول المعتصم هذه المحاولة، وان لم تنجح، كما ذكر ابن الفقيه إذ يقول: «وقد حمل المعتصم بالله صنع القراطيس إلى سر من رأى، مع تربتها ومائها، وأمرهم باتخاذها هناك فلم يخرج منه الا الخشن الذي ينكسر»<sup>(٣)</sup>.

## ٧- الورق (الكاغد):

يبدو أن صناعة ورق الكاغد انتقلت إلى بغداد في زمن الرشيد<sup>(٤)</sup>، إذ أمر الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي (ت ١٩٢هـ / ٨٠٧م) بتأسيس أول معمل لصناعة ورق الكاغد في حدود سنة ١٧٨هـ / ٧٩٤م<sup>(٥)</sup>. وعندما كثر الورق وانتشر بين الناس امر الا يكتب الا في

(١) القلقشندي، صبح، ج ١، ص ٧٥.

(٢) الحاجري، «الورق»، م ١٣، ص ٧٢.

(٣) المرجع نفسه، م ١٣، ص ٧٢.

(٤) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٥١٥؛ سعيد عاشور، دراسات، ص ٣٧٤؛ فاروق عمر، الخليفة المجاهد، ص ٩٤.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٣٢؛ سعيد عاشور، دراسات، ص ٣٤٧؛ هونكه، شمس، ص ٤٦؛ محمد ضيف الله البطاينة، في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، ط ١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٤م، ص ١٤٨، سيشار له تالياً (محمد البطاينة، تاريخ)؛ عبدالمنعم الغلامي، مآثر العرب والاسلام في القرون الوسطى، مطبعة ام الربيعين، الموصل، ١٩٤٠م، ص ٢٤٨ - ٢٤٩، سيشار له تالياً (الغلامي، مآثر).

الكاغد، «لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والاعادة، فتقبل التزوير بخلاف الورق فانه متى محي منه فسد، وإن كُشط ظهر كسطه»<sup>(١)</sup>. والظاهر من سياق هذا الخبر أن تحريم الكتابة في غير الكاغد إنما كان مقصوداً به الصكوك والعقود والعهود والمواثيق، وما إلى ذلك مما يتقيد الناس به، وترتبط معاملاتهم بنصه<sup>(٢)</sup>. وعلل ابن خلدون هذا الاتجاه في استخدام ورق الكاغد بقوله: «ثم طما بحر التأليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه، وضاف الرق عن ذلك، فإشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد، وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان، وصكوكه، واتخذته الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية، والعلمية، وبلغت الاجادة في صناعة ما شاءت»<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن صناعة ورق الكاغد كانت في بلاد الصين وانتقلت إلى سمرقند<sup>(٤)</sup>، وعندما احتل العرب هذه المدينة على يد قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٩٤هـ / ٧١٢م، عملوا على تطوير هذه الصناعة وتنقيتها من الشوائب بحيث صارت سمرقند اكبر مركز لصناعة ورق الكاغد، ومنها انتقل إلى بغداد، ثم انتشر في جميع البلاد الاسلامية لرخصه ونعومته وسهولة استعماله، بينما اخذ الرق الجلدي والبردي المصري في الاختفاء<sup>(٥)</sup>. وقد عرف هذا الورق عند ابن النديم بالورق الخراساني الذي يُصنع من الكتان إذ يقول: «فان الورق الخراساني فيعمل من الكتان، ويقال انه حدث في ايام بني امية، وقيل: في الدولة العباسية وقيل أنه قديم العمل، وقيل أنه حديث، وقيل أن صناعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق

(١) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٥١٦؛ اعتماد القصيري، فن التجليد، ص ٢٠.

(٢) الحاجري، «الورق»، م ١٣، ص ٧٨.

(٣) ابن خلدون المقدمة، ص ٥٣٢.

(٤) القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٥١٥.

(٥) سعيد عاشور، دراسات، ص ٣٤٧.

الصيني»<sup>(١)</sup>. وأورد القفطي ما يثبت أن هذه التسمية كانت متداولة، فقد قال إبراهيم بن اسحق الحربي ( ٢٨٥هـ / ٨٩٨م): «جلست على باب الدار، وإذا رجل معه حملان محملان، وكان الحاج الخراساني قد قدم، وهو يسأل عن بيت إبراهيم الحربي، فقلت له: أنا إبراهيم، فقال: قد سير اليك رجل من خراسان هذين الحملين، وهما ورق خراساني، فقلت: من هو؟ فقال: قد احلفني الا أذكر لك اسمه، فاخذتهما منه، ودعوت الله لمرسلهما ولحاملها»<sup>(٢)</sup>.

وشاع استخدام الكاغد بصورة عامة بين العلماء والمتعلمين، فقد أمر المنصور أن يضع بين يدي كل واحد من جلسائه دواة وورق<sup>(٣)</sup>. وكان ورق الكاغد من محتويات مجالس خلف الاحمر النحوي (ت ١٩٤هـ / ٨٠٩م) في قصر الرشيد<sup>(٤)</sup>. ويقول الامام الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م):

وألذ من نقر الفتاة لدِّقِّها      نقري لألقي الرمل عن اوراقني<sup>(٥)</sup>

وكانت مكتبة محمد بن الحسين ويعرف بابن أبي بكرة تحتوي على ورق صيني، وورق تهامي، وورق خراساني<sup>(٦)</sup>. ودخل محمد بن منذر النحوي (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م)، المسجد الجامع بالبصرة فوقعت عينه على غلام مستند، فخرج والتمس غلاماً ورقعة ودواة، فكتب اليه ابياتاً مدحه بها وسأل الغلام الذي التمسه أن يوصل الرقعة إلى الفتى المستند إلى السارية فذهب بها الغلام، فلما قرأها كتب اليه على ظهرها يقول:

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٤٨؛ الحاجري، «الورق»، م ١٢، ص ١٣٥.

(٢) القفطي، إنباه، ج ١، ص ١٩٢.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ١٠٥ - ١٠٦؛ طلب صبار، رسوم، ص ١٦٠.

(٤) القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٣١٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٦٧٢.

(٥) الشافعي، ديوان، ص ١٦٣؛ الغزالي، ايها الولد، ص ٦٨.

(٦) القفطي، إنباه، ج ١، ص ٤٣؛ حبيب زيات، «الجلود»، ص ١٣٥٩.

مثل امتداحك لي بلا ورق      مثل الجدار بيني على خص  
والذُّ عندي من مديحك لي      سود البغال ولين القمص  
فاذا عزمت فهيء لي ورقاً      فاذا فعلت فلست استعصي<sup>(١)</sup>

وقيل:

لمحبرة تجالسني نهاري      أحبُّ إليَّ من انس الصديق  
ورزمة كاغد في البيت عندي      أحبُّ إليَّ من عدل الرقيق<sup>(٢)</sup>

وحمل سند بن علي المنجم اوراقاً تحمل ما استخرجه من قريحته وما سمعه من غيره<sup>(٣)</sup>. وحدث أبو مسحل عبدالوهاب<sup>(٤)</sup>، قال: «كان اسماعيل بن صبيح الكاتب قد اقدم ابا عبيدة من البصرة في ايام الرشيد إلى بغداد وأحضر الأثرم، وهو يومئذ وراق، وجعله في دار من دوره، واغلق عليه الباب، ودفع اليه كتب أبي عبيدة وامره بنسخها، فكنت انا وجماعة من اصحابنا نصير إلى الأثرم، فيدفع اليها الكتاب من تحت الباب، ويدفع اليها ورقاً ايض من عنده ويسألنا نسخه وتعجيله<sup>(٥)</sup>. وكتب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) إلى ملك البرغر<sup>(٦)</sup> كتاباً يحتوي على اكثر من مائة ورقة<sup>(٧)</sup>. ويذكر بان صبيان قد جاءوا إلى محمد بن غالب بن

(١) أبي عمران، المرقصات، ص ١٦٢.

(٢) ابن عبدالبر، جامع، ج ٢، ص ٢٠٤؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٣، ص ٢٥.

(٣) ابن الداية، المكافاة، ص ١٤٣.

(٤) اعرابي يكنى بابي محمد واسمه عبدالوهاب بن حريش، حضر بغداد وافداً على الحسن بن سهل الوزير. ابن النديم، الفهرست، ص ٩٦.

(٥) ابن الانباري، نزهة، ص ١٢٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ١٩٧١.

(٦) ارض تقع على ساحل بحر مالطس (الاسود). وسكانها من الاتراك، وقد تميزوا بشدة البأس، وقد قاموا بهجمة القسطنطينية، ولم تمتنع منهم الا باسوارها. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٨٥.

(٧) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٤٧.

تتمام البصري الحافظ (ت ٢٨٣هـ / ٨٩٦م) فقالوا: «يا أبا جعفر أخرج القماطر، فنحن بنادرة الحديث، فقال: اكتبوا - لاخيركم الله - فأخرجوا كاغداً رثاً، فقال لهم التمام: يا بني الكاغد رخيص ببغداد، فلو كتبتموه في كاغد أجود من هذا»<sup>(١)</sup>.

## ٨٨ الرقاع:

ومما يرد ذكره في مجال المواد المعينة على التعليم، الرقاع. فقد تكون من اكتاف أو جلد أو رق أو كاغد<sup>(٢)</sup>. فقد أمر أبو بكر الصديق زيد بن ثابت بجمع القرآن، وكان بعض ما جمعه مكتوباً في الرقاع<sup>(٣)</sup>. ودخل أبو يوسف على الكسائي ليقراه رقعة كانت بيده<sup>(٤)</sup>، وخرج الرشيد يوماً إلى مجلسه، وفي يده رقعتان على نسخة واحدة من شعر أبي العتاهية<sup>(٥)</sup>. ودخل ابن مناذر النحوي (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م)، المسجد الجامع بالبصرة فالتمس رقعة ودواة فكتب فيها أبياتاً من الشعر<sup>(٦)</sup>. وحكى الجاحظ أن أبا الهذيل العلاف المتكلم (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م)، سأل رقعة يكتب بها إلى الحسن بن سهل الوزير (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م)، يستعينه على ضائقة لحقته<sup>(٧)</sup>. وطلبت ميمونة بنت شاقولة الواعظة من ابنها رقعة ودواة لتكتب شيئاً وضعت في جوف حائط<sup>(٨)</sup>.

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٣، ص ١٤٦.

(٢) السيوطي، الاتقان، ج ١، ص ١٦٨.

(٣) كردعلي، خطط، ج ٤، ص ١٦.

(٤) السيوطي، الاشباه، ج ٥، ص ١٠٥.

(٥) الاصفهاني الاغانى، ج ٤، ص ٩٩.

(٦) أبي عمران، المرقصات، ص ١٦٢.

(٧) ابن نباته، سرح، ص ٢٤٤.

(٨) ابن الجوزي، احكام، ص ١٥١.

اما الصحيفة، فيتغير مفهومها بتغير السياق واختلاف الملابسات، وقد جاءت في القرآن في صيغة الجمع، في اكثر من موضع<sup>(١)</sup>. قال تعالى: ﴿وقالوا لولا ياتينا بآية من ربه، اولم تأتئهم بيئتة ما في الصحف الاولى﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿اولم ينبا بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى﴾<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿بل يريد كل امريء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة﴾<sup>(٥)</sup>. وقوله تعالى: ﴿رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة﴾<sup>(٦)</sup>. وقيل أن المصحف سمي مصحفاً لجمعة الصحف<sup>(٧)</sup>.

ويبدو أن كلمة الصحيفة كانت تطلق بمعنى اللوح، والجلود، والرقوق، والاكتاف، والعصب، والقراطيس، والكاغد<sup>(٨)</sup>. فقد كان أبو بكر الصديق اول من جمع القرآن في الصحف<sup>(٩)</sup>. وقال سعيد بن جبیر: «كنت اكتب عند ابن عباس، فاذا امتلأت الصحيفة اخذت نعلي، فكتبت فيها حتى تمتليء»<sup>(١٠)</sup>، ولما ولي المنصور «أمر وزيره ابا ايوب المورياني أن يكتب

(١) الحاجري، «الورق»، م ١٢، ص ١٢١.

(٢) سورة طه: آية ١٣٣.

(٣) سورة النجم: آية ٣٦، ٣٧.

(٤) سورة الاعلى: آية ١٨، ١٩.

(٥) سورة المدثر: آية ٥٢.

(٦) سورة البينة: آية ٢، ٣.

(٧) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٦٢؛ القلقشندي، صبح، ج ٢، ص ٥١٥.

(٨) ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، اساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٢م، ص ٢٤٩، سيشار له تالياً (الزمخشري، اساس البلاغة).

(٩) السيوطي، الاتقان، ج ١، ص ١٦٩.

(١٠) الرامهرمزي، المحدث، ص ٣٧١.

بحمل الاموال في صحف، وان تصفر الصحف، فجرى الامر على ذلك»<sup>(١)</sup>.

#### ١٠. الدفاتر:

ويرد ذكر الدفاتر في كثير من الروايات، فقد ظلت الكتب تثبت في صحف وتحفظ في الدواوين حتى كانت خلافة أبي العباس السفاح (١٣٢ - ١٣٦هـ / ٧٤٩ - ٧٥٣م)، فجعلها خالد بن برمك في دفاتر، واتخذ الدفاتر من الجلود<sup>(٢)</sup>. وقيل: «من لم يكن له دفتر في كفه لم يُثب الحكمة في قلبه، وينبغي أن يكون في الدفتر بياض»<sup>(٣)</sup>. وكان عبدالله بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز (ت ١٨٤هـ / ٨٠٠م)، لا يجالس الناس وينزل المقبرة «ولا يكاد يرى الا وفي يده دفتر فسل عن ذلك، فقال: لم ارقط اوعظ من قبر ولا امتع من دفتر ولا اسلم من وحدة»<sup>(٤)</sup>. وغدا الندماء وابناء الوزراء إلى المنصور بالمحابر والدفاتر<sup>(٥)</sup>. وكان المستنير بن عمر بن النخعي يضرب اللبن في الكوفة ويبيعه ليشترى دفاتر ليكتب فيها العلم والحديث<sup>(٦)</sup>. وقال أبو عمر بن العلاء المقريء (ت ١٥٤هـ / ٧٧٠م): «ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه فرأيتَه ينظر في دفتر وجليسه فارغ اليد الا اعتقدت انه اعقل منه وافضل»<sup>(٧)</sup>. ودخل الجاحظ على محمد بن اسحق امير بغداد وهو معزول وكانت الدفاتر من محتويات خزانة كتبه<sup>(٨)</sup>.

(١) البلاذري، فتوح، ص ٤٥١.

(٢) السيوطي، الوسائل، ص ١٣٢؛ محمد البطاينة، تاريخ، ص ١٤٨.

(٣) الزرنوجي، تعليم، ص ٩٥.

(٤) ابن عبدالبر، جامع، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٥) السيوطي، تاريخ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٦) ابن الجوزي، المتظم، ج ٩، ص ٣٠.

(٧) رفاعي، عصر، ج ٣، ص ١١٤.

(٨) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٦١؛ ابن طباطبا، الفخري، ص ٦؛ رفاعي، عصر، ج ٣، ص ١١٤.

## ١١ ■ الكراسية:

أما الكراسية، فتعني الكتب المضمومة بعضها إلى بعض، والورق الذي الصق بعضه إلى بعض، مشتق من قولهم: «رسم مكرس إذا ألصقت الريح التراب به»<sup>(١)</sup>. وقال الخليل الفراهيدي: «الكراسة مأخوذة من كراس الغنم، وهو أن يبول في الموضع شيئاً بعد شيء فيتلبد»<sup>(٢)</sup>.

## ١٢ ■ الطروس:

أما الطروس فهي الكتاب الذي مُحي ثم كُتب، والجمع اطراس وطروس<sup>(٣)</sup>. وفي اللسان، الطرُسُ الصحيفة، ويقال هي التي محيت ثم كتبت<sup>(٤)</sup>. ويبدو أن الطروس كانت من الجلود أو الرقوق، فقد «اقام الناس ببغداد سنين لا يكتبون الا في الطروس، لان الدواوين نهبت في ايام محمد بن زبيدة، وكانت في جلود، فكانت تمحى ويكتب فيها». وكان المستنير بن عمر النخعي يشتري الطروس ليكتب فيها العلم والحديث<sup>(٥)</sup>. ووردت اشارات إلى من قام بغسل كتبه، اما تورعاً قبل موته، واما في حياته لغرض من الاغراض، فقد قام سفيان الثوري بغسل كتبه كلها. فقد قال أبو العلاء: «والخوفُ الزم سفيان أن يفرق كتبه»<sup>(٦)</sup>.

## ١٣ ■ المساطر:

وكانت المساطر من الوسائل المعينة على التعليم، فقد كانت المساطر من محتويات مكتبة

(١) النحاس، صناعة، ص ١٠٨؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٦٢.

(٢) المقدسي، الحنبلي، الاداب، الشرعية، ج ٢، ص ١٦٢.

(٣) حبيب زيات، «الجلود»، ص ١٣٦٦.

(٤) ابن منظور، لسان، ج ٦، ص ١٢١.

(٥) ابن الجوزي، المتظم، ج ٩، ص ٣٠.

(٦) حبيب زيات، «الجلود»، ص ١٣٦٦.



امير البصرة، اسحاق بن سليمان العباسي (ت ١٧٨هـ / ٧٩٤م)<sup>(١)</sup>. ويبدو انها كانت من الادوات التي استخدمها الوراقون، فقد قال احدهم: «جسمي ادق من مسطرة»<sup>(٢)</sup>.

يظهر مما سبق أن وسائل الكتابة التي استعان بها العلماء والمتعلمون اشتملت على العديد من الادوات التي تعددت وتنوعت وتطورت بتطور الزمن واختلاق الضرورات. ومما يلاحظ أن دور السلطة العباسية كان واضحاً جداً في توفير مثل هذه الادوات وادخال ما استحدث منها لاستخدامها في الجوانب الرسمية من جهة، ولتوفير ما يلزم العلماء والمتعلمين من ادوات تخفف عليهم عناء الكتابة، وتسهل عليهم كلفة التعليم من جهة أخرى. وكان لادخال ورق الكاغد إلى الدولة وصناعته فيها الأثر الكبير في استخدامه من قبل العلماء والمتعلمين، وقد كان أكثر وفرة وارخص ثمناً. ولا شك في أن انتشاره كان حدثاً حضارياً بارزاً كان اثره واضحاً جداً في اتساع حركة التأليف واتساع نطاق العلم والتعليم.

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٦١؛ ابن طباطبا، الفخري، ص ٦.

(٢) الصولي، أدب الكتاب، ص ٩٧؛ الخطيب البغدادي، الجامع، ج ١، ص ٣٩٠ - ٣٩١؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ١٠٦.

## ثانياً : الوراقون:

استدعى ظهور ورق الكاغد وانتشار استعماله، ظهور طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة والكتب، وهؤلاء هم الوراقون، الذين لعبوا دوراً مهماً في تاريخ الحضارة الإسلامية<sup>(١)</sup>. وقد جاءت التسمية من «الورق، بفتح الراء اسم جنس يقع على القليل والكثير، وواحدة ورقة وجمعها أورق، وجمع الورقة ورقات، وبه سمي الرجل الذي يكتب وراقاً»<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن الوراقين كانوا يقومون بنسخ الكتب وتجليدها وتصحيحها وتزويقها وتذهيبها وعرضها للتجار بها، فضلاً عن بيع الورق وأدوات الكتابة<sup>(٣)</sup>. قال ابن خلدون: «وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية»<sup>(٤)</sup>. وكان معروف الوراق يورق كتاب اقليدس والمجسطي ويبيعه بعد تكامل خطه واشكاله وتجليده<sup>(٥)</sup>. وقد بلغ من عناية الوراقين بعملهم أن موته بعضهم خطوطه بالذهب<sup>(٦)</sup>.

ولم تكن مهنة الوراقاة تقف عند حد الاتجار بالكتب والورق وأدوات الكتابة، وإنما تعدى ذلك إلى مهام ثقافية بالغة الأهمية فكانت مغدًى ومراحاً للطلاب والعلماء يتذاكرون فيها ويتناقشون<sup>(٧)</sup>.

(١) محمد ماهر حماده، المكتبات في الاسلام (نشأتها وتطورها ومصائرهما)، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٨م، ص٧٥، سيشار له تالياً (حماده، المكتبات).

(٢) ابن منظور، لسان، ج١٠، ص٣٧٥؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥١٦.

(٣) اعتماد القصيري، فن التجليد، ص٢٠.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص٥٣٢.

(٥) ابن الداية، المكافاة، ص١٤٠ - ١٤١.

(٦) شوقي ضيف، العصر العباسي، ص١٠٤.

(٧) انظر: الفصل الثالث، (حوانيت الوراقين).

ويبدو أن الوراقة كانت من الصنائع التي وفرت الكثير من المتاعب للعلماء وحفظت علمهم من النسيان باستنساخه ورواجه بين الناس. فيصفها السبكي بقوله: «وهي من أجود الصنائع فيها من الاعانة على كتابة المصاحف وكتب العلم ووثائق الناس وعهدهم»<sup>(١)</sup>. ويين ابن خلدون فضل الوراقة بقوله: «وأما الكتابة وما يتبعها من الوراقة فهي حافظة على الانسان حاجته ومقيدة لها عن النسيان ومبلغه ضمائر النفس إلى البعيد الغائب ومخلدة نتائج الافكار والعلوم في الصحف ورافعة رتب الوجود للمعاني»<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن انتشار الورق وازدياد الطلب عليه وعلى أدوات الكتابة، كان سبباً في انتشار حوانيت الوراقين في بغداد وغيرها من مدن العراق. فقد مرّ أبو نواس (ت ١٩٨هـ / ٨١٣م) على احد الوراقين الذين يكتبون في حانوت أبي داود وسأله سؤالاً<sup>(٣)</sup>. وذكر ابن أبي شقيقة الوراق أن الشعراء كانوا يجتمعون في دكان والده ومنهم أبو العتاهية<sup>(٤)</sup>. وكان الجاحظ «يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر»<sup>(٥)</sup>. وحدث أحمد بن وليد: «ودعت اسحاق بن نصير العبادي في بعض خرجاتي الى بغداد، فأخرج إليّ ثلاثة آلاف دينار وقال: إذا دخلت بغداد، فادفع الف دينار إلى ثعلب، والف دينار إلى المبرد وصر إلى قصر وضاح فانظر إلى اول دكان للوراقين، فانك تجد صاحبها إن كان حياً لم يميت قد شاخ، فاجلس اليه وقل له:

(١) السبكي، معيد النعم، ص ١٣٢.

(٢) ابن خلدون، مقدمة، ص ٥٠٨ - ٥٠٩.

(٣) ابن عبدربه، العقد، ج ٧، ص ١٧٩؛ ابن الجوزي، اخبار، ص ١٩١؛ أحمد شلبي، الترية، ص ٦٤؛ رفاعي، عصر، ج ١، ص ٤٢١؛ ناجي معروف، اصالة الحضارة العربية، ط ٣، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٥م، ص ٤٦٧، سيشار له تالياً (ناجي معروف، اصالة).

(٤) ابن المعتز، طبقات، ص ٢٠٧.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٥؛ ابن النديم، الفهرست، ص ٢٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢١٠١ - ٢١٠٢؛ متر، الحضارة، ج ١، ص ٣٢٤.

اسحاق بن نصير يقرأ عليك السلام»<sup>(١)</sup>. وفي هذه الرواية ما يشير إلى كثرة دكاكين الوراقين وانتشارها وقد أصبح لها اسواق خاصة عرفت باسمواق الوراقين. فكان في أيام المأمون بسوق الوراقين رجل يعرف بمعروف يورق الكتب ويبيعها<sup>(٢)</sup>. وكان أحمد بن أبي طاهر المرزوي الأصل (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م)، مؤدب كتاب، ثم تخصص وجلس في سوق الوراقين في الجانب الشرقي من بغداد<sup>(٣)</sup>. وذكر بان طاق الحراني في الجانب الغربي من بغداد كان مكاناً لبيع الكتب فقد ذكر ابن النديم: «ان المرزوي جعفر بن أحمد توفي بالاهواز، وحملت كتبه إلى بغداد وبيعت في طاق الحراني سنة ٢٧٤هـ»<sup>(٤)</sup>. وفي جملة كلام اليعقوبي عن ارباض بغداد «ثم ربح وضاح مولى أمير المؤمنين، المعروف بقصر وضاح صاحب خزانة السلاح، واسواق هناك وأكثر من فيه في هذا الوقت الوراقون اصحاب الكتب فان به أكثر من مائة حانوت للوراقين»<sup>(٥)</sup>. ووصف ابن الجوزي سوق الوراقين ببغداد فقال: «انها سوق كبيرة وهي مجالس العلماء والشعراء»<sup>(٦)</sup>.

وفي عهد الرشيد نشطت جهود الوراقين وعمت فيه منفعة الورق في استنساخ الكتب على ما يبدو فقد اقدم اسماعيل بن صبيح الكاتب (ت ٢١٧هـ / ٨٣٢م) ابا عبيدة من البصرة في أيام الرشيد إلى بغداد، واحضر الاثرم الوراق (ت ٢٣٢هـ / ٨٤٦م) وجعله في دار من دوره لينسخ له كتب أبي عبيدة<sup>(٧)</sup>. وأمر المأمون الفراء (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، «ان يؤلف ما

(١) ابن الداية، المكافاة، ص ١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤١.

(٣) ابن طيفور، بغداد، ص ٦؛ ابن النديم، الفهرست، ص ٢٧٨؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ١، ص ٢٨٣؛ حمادة، المكتبات، ص ٧٧.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٨٦؛ حمادة، المكتبات، ص ٧٧.

(٥) اليعقوبي، البلدان، ص ١٣.

(٦) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص ٢٦.

(٧) ابن الانباري، نزهة، ص ١٢٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ١٩٧١.

جمع به اصول النحو وما سمع من العرب، وأمر أن يفرد في حجرة من حجر الدار واوكل به جوارى وصير له الوراقين فكان يملئ والوراقون يكتبون وكان وراقاه سلمة بن عاصم وأبا نصر بن الجهم<sup>(١)</sup>.

ولما تتيحة الوراق من فرص للقراءة والاطلاع، فقد اشتغل بها علماء أجيال أمثال علان الشعبي الوراق (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م)، الذي امتهن الوراقه وفتح له دكاناً في سوق الوراقين ببغداد<sup>(٢)</sup>. وكان أبو العباس الاحول محمد بن الحسن بن دينار العالم باللغة والشعر، يورق بالاجرة وقد جمع دواوين مائة وعشرين شاعراً<sup>(٣)</sup>. وورق لحنين بن اسحق في منقولاته علوم الاوائل<sup>(٤)</sup>. ووصف أبو موسى سليمان بن محمد الحامضي - وهو من اصحاب ثعلب - بصحة الخط وحسن المذهب في الضبط، وكان يورق لابي العباس ثعلب<sup>(٥)</sup>.

وتشير المصادر إلى أسماء الكثير ممن امتهنوا الوراقه، كان من بينهم العلماء ورواة الحديث والمتصوفون والكتاب والشعراء. نذكر منهم على سبيل المثال وليس الحصر: «ابو عبدالله بن اصبغ بن زيد الوراق الجهني (ت ١٥٩هـ / ٧٦٧م)<sup>(٦)</sup>. وعمرو بن عبد الملك العتزي الوراق (ت ٢٠٠هـ / ٨١٥)<sup>(٧)</sup>. ومحمود بن حسن الوراق (ت ٢٢٥هـ / ٨٣٩م)، وقد كان

(١) ابن الانباري، نزهة، ص ٨٢؛ ابن الجوزي، المتظم، ج ١٠، ص ١٧٨؛ القفطي، إنباه، ج ٤، ص ١٦؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٨١٤؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٦، ص ١٧٨؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ٤٢٨.

(٢) الجهشيارى، الوزراء، ص ١٣١؛ السمعاني، أدب، ص ١٤٩؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٦٣٢.

(٣) السيوطي، بغية، ج ١، ص ٨٢.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص ١٥٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٥٦.

(٦) السمعاني، الانساب، ج ٥، ص ٥٨٤.

(٧) الطبري، تاريخ، ج ٨، ص ٤٤٦، ٤٥٩، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧٥، ٥٠٠.

شاعراً<sup>(١)</sup>، ولقب بالوراق لانه امتهن الوراق<sup>(٢)</sup>. ومنهم أيضاً أبو جعفر أحمد بن محمد بن ايوب الوراق (ت ٢٢٨هـ / ٨٤٢م) وقد كان وراقاً يكتب للفضل بن يحيى بن جعفر البرمكي<sup>(٣)</sup>. وكان عمر بن كركره أبو مالك الاعرابي يعلم في البادية ويورق في الحضر<sup>(٤)</sup>. ومن تلامذة الكندي ووراقيه، حسنويه ونفظويه وسلمويه<sup>(٥)</sup>. وكان زكريا بن يحيى، ويكنى ابا يحيى وراقاً للجاحظ<sup>(٦)</sup>، ومن وراقي المبرد النحوي، ابن الزجاجي، واسمه اسماعيل بن أحمد، والشاشي واسمه إبراهيم بن محمد<sup>(٧)</sup>. ومنهم أيضاً اسماعيل بن اياد الوراق<sup>(٨)</sup>. وابن أبي سعيد الوراق<sup>(٩)</sup>. وابو اسحاق إبراهيم بن مكتوم السلمي الوراق<sup>(١٠)</sup>.

ويبدو أن بعض من امتهنوا الوراقه شكوا مُرَّ العيش، وقلة الجاه، وسوء الحال، قال أبو هفان عبدالله بن أحمد الشاعر: «سألت وراقاً عن حالة، فقال لي: عيشي اضيق من محبرة، وجسمي ادق من مسطرة، وجاهي أرق من الزجاج، ووجهي عند الناس اشد سواداً من الخبر بالزجاج، وحظي اخفى من شق القلم، ويدي اضعف من قصبة، وطعامي امر من العفص، وشرايبي اسود من الخبر، وسوء الحال ألزم لي من الصمغ، فقلت له: عبرت عن

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١٣، ص ٨٧؛ السمعاني، الانساب، ج ٥، ص ٥٨٦.

(٢) محمود الوراق، ديوان، ص ١٥ (مقدمة المحقق).

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٢٥٢؛ السمعاني، الانساب، ج ٥، ص ٥٨٤.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٩٣؛ السيوطي، بغية، ج ٢، ص ٢٣٢.

(٥) القفطي، اخبار، ص ٢٤٦؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٨١.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٤٧؛ القالي، الامالي، ج ١، ص ٢٤٨؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢١١٧.

(٧) ابن النديم، الفهرست، ص ١٢١.

(٨) ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٣٧٣.

(٩) الجهمياري، الوزراء، ص ١٤١.

(١٠) السمعاني، الانساب، ج ٥، ص ٥٨٤.

بلاء بلاء»<sup>(١)</sup>. وفي هذه الرواية إشارة واضحة إلى الأدوات المستخدمة في الوراقة وإلى ما يمكن أن تحويه دكاكين الوراقين من أدوات ووسائل.

وهناك من طابت نفسه لمهنة الوراقة، وفضلها على سواها، حتى اشتهى وتمنى موادها، قيل لوراق «ما تشتهي؟ فقال: قلماً مشاقاً، وحبراً براقاً، وجلوداً رفاقاً، وكل امرئ... على ما يطابق غريزته، ويوافق نخيرته»<sup>(٢)</sup>. وقيل لوراق: «ما السرور؟ قال: جلود واوراق، وحبر براق، وقلم مشاق»<sup>(٣)</sup>.

نلاحظ مما سبق أن انتشار صناعة الورق كانت ذات أثر فعال في ازدهار العلوم وازدياد الطلب على الورق والكتب وأدوات الكتابة، فانتشرت لذلك حوانيت الوراقين واسواقهم في بغداد ومدن العراق الأخرى، والتي لم يقتصر دورها على نسخ وبيع وتوفير الكتب وأدوات الكتابة بل تعدتها لتقوم بمهمة المكتبة العامة التي يفد إليها الطلاب والناس للاطلاع. في الوقت الذي كان فيه الوراق عالماً مشاركاً لا ينشد الربح المادي فقط. فكان معظم الوراقين من العلماء الذين امتنوا الوراقة لما توفره له من القراءة والاطلاع، فساهم هؤلاء بحوانيتهم في توفير مستلزمات التعليم وتوفير الكتب ونشرها. فكان أثرهم فاعلاً في حفظ التراث ودفع عجلة التقدم العلمي. وكانت حوانيتهم واسواقهم صورة بارزة من صور الحياة وعنصراً خطيراً الاثر في الحياة العلمية والأدبية.

(١) محمود الوراق، ديوان، ص ١٢ (مقدمة المحقق)؛ الصولي، أدب الكتاب، ص ٩٧؛ الخطيب البغدادي، الجامع، ج ١، ص ٣٩٠ - ٣٩١؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ١٠٦، وانظر: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي، اللطف واللطائف، تحقيق محمود عبدالله الجادر، ط ١، مكتب دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٤م، ص ٥٥، سيشار له تالياً (الثعالبي، اللطف).

(٢) محمود الوراق، ديوان، ص ١٣ (مقدمة المحقق)؛ الصولي، أدب الكتاب، ص ٩٥؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ١٠٦؛ السمعاني، أدب، ص ١٦٣.

(٣) محمود الوراق، ديوان، ص ١٤ (مقدمة المحقق).

## ثالثاً : الكتب والمكتبات:

## ١ - القيمة الادبية للكتاب:

يبدو اهتمام علماء وأدباء العصر العباسي الأول بالكتاب واضحاً من خلال اقوالهم وافعالهم، فقد شملوه بكل رعاية، ووضعوه موضع التقدير والاحلال، فكثيراً ما نجد احدهم يتحدث عن الكتاب «وكانه يتحدث عن صديق نما ودّه وزاد اخلاصه، أو حبيب طال بعده وكثر الشوق اليه، أو رائد يقود المتكلم للطريق المستقيم، ويأخذ بيده إلى الغاية الرشيدة»<sup>(١)</sup>. حدث أحمد بن عمران قال: «كنت عند أبي ايوب أحمد بن محمد بن شجاع وقد تخلف في منزله، فبعث غلاماً من غلمانه إلى أبي عبدالله بن الاعرابي صاحب الغريب يسئله المجيء اليه فعاد اليه الغلام فقال: سألتك ذلك فقال لي: عندي قوم من الاعراب فاذا قضيت أربي معهم اتيت. قال الغلام: وما رأيت عنده احداً الا أن بين يديه كتاباً ينظر فيها، فينظر في هذا مرة، وفي هذا مرة. ثم ما شعرنا حتى جاء فقال له أبو أيوب: يا أبا عبدالله، سبحان الله العظيم تخلفت عنا وحرمتنا الانس بك، ولقد قال لي الغلام انه ما رأى عندك احداً، وقلت انت مع قوم من الاعراب فاذا قضيت اربي معهم اتيت. فقال ابن الاعرابي (ت ٢٣١هـ / ٨٥٤م):

لنا جلساء ما نغل حديثهم	امينون مأمونون غيباً ومشهداً
إذا ما خلونا كان خير حديثهم	معيناً على نفي الهموم مؤيداً
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى	وعقلاً وتأديباً ورأياً وسوددا
فلا ريباً تخشى ولا سوء عشرة	ولا تنقي منهم لساناً ولا يداً
فان قلت: امواتٌ فلست بكاذب	وإن قلت احياءٌ فلست مفنداً <sup>(٢)</sup>

(١) أحمد شلبي، التربية، ص ١٤١.

(٢) ابن عبدالبر، جامع، ج ٢، ص ٢٠٢؛ ابن عبدالبر، بهجة، ج ١، ص ٥١.



وقيل لابن المبارك: «يا ابا عبد الرحمن لو خرجت فجلست مع اصحابك، قال: اني اذا كنت في المنزل جالست اصحاب محمد ﷺ، يعني النظر في الكتب»<sup>(١)</sup>. وقيل له: «اذا صليت معنا، لِمَ لا تجلس معنا؟ قال: اذهب فاجلس مع التابعين والصحابة. قال: قلنا فاين التابعين والصحابة؟ قال: اذهب انظر في علمي، فادرك اثارهم واعمالهم»<sup>(٢)</sup>.

واسهب الجاحظ في الحديث عن اهمية الكتاب وقيمه، فقال: «والكتاب صامت ما اسكته، وبلغ ما استنطقته، ومن لك بمسامر لا يتديك في حال شغلك، ويدعوك في اوقات نشاطك، ولا يحوجك إلى التجمل له والتذم منه، ومن لك بزائر أن شئت جعل زيارته غباً ووروده خمساً، وإن شئت لزمك لزوم ظلك، وكان منك مكان بعضك... والكتاب هو المجلس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يغريك، والرفيق الذي لا يملك، والمستريح الذي لا يسترشيك، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق ولا يحتال لك بالكذب. والكتاب هو الذي أن نظرت فيه اطال امتاعك، وشحذ طباeck، وبسط لسانك، وجوّد بنانك، وفخم الفاظك، وبجح نفسك، وعمر صدرك، ومنحك تعظيم العوام وصدافة الملوك، وعرفت به شهر، ما لا تعرفه من افواه الرجال في دهر، مع السلامة من الغرم، ومن كد الطلب ومن الوقوف بيباب المكتسب بالتعليم، ومن الجلوس بين يدي من انت افضل منه خلقاً واکرم منه عرقاً،... والكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار ويطيعك في السفر كطاعته في الحضر، ولا يقبل بنوم ولا يعتريه كلال السهر... وهو المعلم الذي أن افتقرت لم يحقرك، وان قطعت المادة لم يقطع عنك الفائدة، وان عُزلت لم يدع طاعتك، وان هبت ريح اعدائك، لم ينقلب عليك»<sup>(٣)</sup>. وقال

(١) ابو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٤٩م، ص ١٢٦، سيار له تالياً (الخطيب البغدادي، تقييد).

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٦.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٥٠ - ٥٢؛ الخطيب البغدادي، تقييد، ص ١٢١ - ١٢٢.

المأمون: «لا شيء اثر للنفس ولا اشرح للصدر، ولا اوفر للعرض، ولا اذكر للقلب، ولا ابسط للسان، ولا اشد للجنان، ولا اكثر وفاقاً ولا اقل خلافاً ولا ابليغ اشارة ولا اكثر عبارة من كتاب تكثر فائدته وتقل مؤونته وتسقط غائلته وتحمد عاقبته، وهو محدث لا يُل وصاحب لا يخل وجليس لا يتحفظ ومترجم عن العقول الماضية والحكم الخالية والامم السالفة يحيي ما اماته الحفظ ويجدد ما اخلفه الدهر ويبرز ما حجبته الغباوة، ويصل إذا قطع الثقة، ويدوم إذا خان الملوك»<sup>(١)</sup>. وقال أبو الطيب المتنبّي (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م):

أعز مكان في الدنا سرجُ سابح وخير جليس في الزمان كتاب<sup>(٢)</sup>

واتخذ بعضهم الكتاب واعظاً وانيساً في الوحشة. فكان عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله ابن عمر بن الخطاب (ت ١٨٤هـ / ٨٠٠م)، يلزم المقابر كثيراً «فكان لا يخلو من كتاب يكون معه ينظر فيه، فقليل له في ذلك، فقال: انه ليس شيء اوعظ من قبر ولا أسلم من وحدة ولا آنس من كتاب»<sup>(٣)</sup>. ورأى المأمون بعض ولده ويده كتاب فقال: «ما هذا يا بني؟ فقال: بعض ما يشحذ الفطنة، ويؤنس في الوحدة. فقال المأمون: الحمد لله الذي رزقني ذرية يرى بعض عقله اكثر مما يرى بعين جسمه»<sup>(٤)</sup>. وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م): «والكتاب... نعم الانيس ساعة الوحدة»<sup>(٥)</sup>. وقال ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ / ٩٠٨م):

جعلت كتبني انيسي من دون كل انيس  
لاني لست ارضى إلا بكل نفيس<sup>(٦)</sup>

(١) الخطيب البغدادي، تقييد، ص ١٢٤.

(٢) ابن طباطبا، الفخري، ص ٦.

(٣) الجاحظ، الحيوان ج ١، ص ٦٢؛ الخطيب البغدادي، تقييد، ص ١٤٢؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ١٢٢.

(٤) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ١١٨.

(٥) البيهقي، المحاسن، ص ٦؛ الخطيب البغدادي، تقييد، ص ١٢١.

(٦) الخطيب البغدادي، تقييد، ص ١٤٣.

وودع رجل صديقاً له فقال: «استعن على وحشة الغربة بقراءة الكتب، فانها السن ناطقة وعيون راقمة»<sup>(١)</sup>. ومما قيل:

نعم المؤانس والجليس كتاب      تخلو به أن ملك الاصحاب  
لا مغشياً ولا متكبراً      ونفاد منه حكمة وصواب<sup>(٢)</sup>

وكانت الكتب، ولا سيما إذا كانت نادرة، جيدة الخط فنية التجليد من انفس الهدايا واجملها وقعاً في النفس، إذا كان المهدي له شخصاً ذا ثقافة عالية. فقد اهدى الجاحظ، كتاب سيويه إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم، وتسلم ابن الزيات الهدية قائلاً للجاحظ: «والله ما اهديت لي شيئاً احب إليّ منه»<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن هذا النوع من الهدايا كانت تقابله أموال من المهدي اليهم تقديراً لجهود المؤلفين من العلماء والأدباء. فقد روي عن أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م) انه ألف كتاباً في «غريب المصنف» اهداه إلى عبدالله بن طاهر فأمر له بالف دينار<sup>(٤)</sup>. واهدى الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك بن الزيات وزير المعتصم فأعطاه خمسة آلاف دينار، واهدى كتاب البيان والتبيين إلى أحمد بن أبي داود المعتزلي فأعطاه كذلك، واهدى كتاب الزرع والثمار والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصولي فأعطاه مثلها<sup>(٥)</sup>.

ويظهر الحرص على الكتب واقتنائها من خلال ممارسات البعض التي تُظهر مدى الاهتمام بالكتاب وقيمتها العلمية والأدبية. فكان عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله (ت

(١) الخطيب البغدادي، تقييد، ص ١٢٤.

(٢) ابن عبد البر، جامع، ج ٢، ص ٢٠٣.

(٣) القفطي، إنباه، ج ٢، ص ٣٥١.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢١٩٩.

(٥) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢١١٧ - ٢١١٨؛ الذهبي، سير، ج ١١، ص ٥٢٩.

١٨٤هـ / ٨٠٠م) ينزل المقبرة، ولا يكاد يُرى الا وفي يده كتاب يقرؤه<sup>(١)</sup>. وكان المأمون، ينام والكتب حول فراشه، ينظر فيها متى انتبه من نومه وقبل أن ينام<sup>(٢)</sup>. وعن أبي العباس المبرد النحوي (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م)، قال: «ما رأيت احرص على العلم من ثلاثة: الجاحظ والفتح بن خاقان وإسماعيل بن إسحاق القاضي. فأما الجاحظ فإنه كان إذا وقع بيده كتاب قرأه من أوله إلى آخره، أي كتاب كان. وأما الفتح فكان يحمل الكتاب في خفة، فاذا قام من بين يدي المتوكل ليبول أو ليصل، اخرج الكتاب، فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريد، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ مجلسه، وأما اسماعيل بن اسحاق فاني ما دخلت عليه قط الا وفي يده كتاب ينظر فيه أو يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه»<sup>(٣)</sup>. ودخل الجاحظ على محمد بن اسحاق أمير بغداد بعد عزله عن الولاية وحوله الكتب فقال الجاحظ: «فما رأيته اhib منه في تلك الحال»<sup>(٤)</sup>. ومما يروى أن الجاحظ والذي احب الكتب وابرز قيمتها وأعلى قدرها انها كانت سبباً في موته وذلك بوقوع مجلدات عليه، وكان من عادته أن يصفها قائمة كالحائط محيطة به وهو جالس وكان عليلاً فسقطت عليه فقتلته<sup>(٥)</sup>. وكان لأبي داود السجستاني المحدث (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، كم واسع وكم ضيق، فقيل له في ذلك، فقال: «الواسع للكتب والآخر لا احتاج اليه»<sup>(٦)</sup> وقال علي بن الجهم الشاعر (ت ٢٤٩هـ / ٨٦٣م): «إذا غشيني النعاس في غير وقت النوم تناولت كتاباً فأجد اهتزازي فيه

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٦٢؛ الخطيب البغدادي، تقييد، ص ١٤٢؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ١٢٢.

(٢) الخطيب البغدادي، تقييد، ص ١٢٤.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٥؛ ابن النديم، الفهرست، ص ٢٣٠؛ ص ٢٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢١٠١ - ٢١٠٢؛ الكتبي، فوات، ج ٣، ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٤) ابن طباطبا، الفخري، ص ٦؛ أحمد شلبي، التربية، ص ١٤٣؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ٣٨٩ - ٣٩٠.

(٥) ابو الفداء، المختصر، ج ٢، ص ٤٧؛ أحمد شلبي، التربية، ص ١٤٣؛ ناجي معروف، اصالة، ص ٤٦٧؛ حماده، المكتبات، ص ٨١.

(٦) السمعاني، أدب، ص ١١٧؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٤٠٥؛ متر، الحضارة، ج ١، ص ٣٢٤.

من الفوائد والارحية التي تعتادني وتعتريني من سرور الاستنباه وعز التين أشد ايقاظاً من نهيق الحمار وهدة الهدم، وإنني إذا استحسنت كتاباً واستجدته رجوت فيه فائدة فلو تراني ساعة بعد ساعة انظر كم بقي من ورقة مخافة استنفاده، وانقطاع المادة من قبله، وإن كان الكتاب عظيم الحجم وكان الورق كبير القدر<sup>(١)</sup>. وروى الحسن بن زياد اللؤلؤي الفقيه (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، انه قال: «لقد غبرت لي اربعون عاماً ما قمت ولا نمت الا والكتاب على صدري»<sup>(٢)</sup>. وباع سند بن علي المنجم دابة والده بسرجهما ولجامها باقل من ثلاثين ديناراً واشترى بها كتاب المجسطي<sup>(٣)</sup>. وتوفي العباس ثعلب النجوي سنة ٢٩١هـ / ٩٠٣م وكان سبب وفاته «انه خرج من الجامع يوم الجمعة بعد العصر، وكان قد لحقه صمم لا يسمع الا بعد تعب، وكان في يده كتاب ينظر فيه في الطريق فقصدته فرس فالقته في هوة، فاخرج منها وهو كالمختلط، فحمل إلى منزله على تلك الحال وهو يتأوه من رأسه فمات ثاني يوم»<sup>(٤)</sup>.

وابلغ بعضهم في وصف الكتاب، فقال عبدالله بن المقفع (ت ١٤٢هـ / ٧٥٩م): «كل مصحوب ذو هفوات والكتاب مأمون الغدرات»<sup>(٥)</sup>. وقال أبو حفص حرملة بن يحيى الحافظ (ت ٢٤٣هـ / ٨٥٧م): «يزاد للعالم عشرة أشياء... والدوام على النظر في الكتب...»<sup>(٦)</sup>. وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م): «اجعل كتبك رأس مال، وما في حفظ ما في كتبك»<sup>(٧)</sup>. وقال بعضهم: «الكتب بساين العلماء»<sup>(٨)</sup>. وقال

(١) البيهقي، المحاسن، ص ١٤.

(٢) ابن عبد البر، جامع، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٣) ابن الداية، المكافاة، ص ١٤١.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ١٠٤.

(٥) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ١١٧.

(٦) السمرقندي، تنبيه، ص ٣٤٢.

(٧) المبرد، الكامل، ج ١، ص ٣٩٤.

(٨) البيهقي، المحاسن، ص ٦.

الجاحظ: «وخير الكتب ما إذا أعدت النظر فيه زادك في حسنه، واوقفك على حدة»<sup>(١)</sup>.  
 وسئل عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري «ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، عن دواء للحفظ، فقال:  
 إدمان النظر في الكتب»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن حزم (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م): «ولا سبيل إلى حفظ  
 المرء لجميع علمه الذي يختص به، فاذا لا سبيل إلى ذلك، فالكتب نعم الخازن له إذا طلب،  
 ولولا الكتب لضاعت العلوم ولم توجد... فلولا شهادة الكتب لاستوت دعوى العالم  
 والجاهل...»<sup>(٣)</sup>.

## ٢- المكتبات وأنواعها:

### أ- المكتبات العامة:

#### ■ بيت الحكمة:

يبدو أن المؤرخين اختلفوا في تسمية بيت الحكمة، فاحياناً يطلق عليه اسم خزانة  
 الحكمة<sup>(٤)</sup>، واحياناً اخرى بيت الحكمة<sup>(٥)</sup>. والخزانة اسم الموضع الذي يخزن فيه الشيء<sup>(٦)</sup>.

(١) الجاحظ، رسائل، ج ٣، ص ٤٢.

(٢) ابن عبد البر، جامع، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٣) ابن حزم، رسائل، ج ٤، ص ٧٧.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٣٦، ٥٥٢؛ القفطي، اخبار، ص ١٦٩؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٣، ص ١٤٠٩؛ ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٨٤؛ ابن نباته، سرح، ص ٢٤٢؛ الفلقشندي، صبح، ج ١، ص ٥٣٧.

(٥) ابن عبدربه، العقد، ج ٢، ص ٧؛ أبو داود، سليمان بن حسان بن جلجل، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م، ص ٦٥، سيشار له تالياً (ابن جلجل، طبقات)؛ ابن النديم، الفهرست، ص ٢٠٩، ٢٣٧، ٥٤١؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٦٣١؛ حاجي خليفة، كشف، ج ١، ص ٦٨١.

(٦) ابو بكر محمد بن الحسن الازدي، جمهرة اللغة، ج ٣، ط ١، دار صادر، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٢١٨، سيشار له تالياً (الازدي، جمهرة اللغة)؛ ابن منظور، لسان، ج ١٣، ص ١٣٩.

فاستعملت للدلالة على المكان الذي حفظت فيه الكتب<sup>(١)</sup>. اما البيت فقد اطلق على المكان الذي يحفظ فيه مال الدولة، فلا يبعد أن يكونوا قد اطلقوا كذلك «بيت الحكمة» على المكان الذي حفظت فيه الكتب. اما كلمة الحكمة، فقد استعملت بمعنى فلسفة، فالظاهر انهم اطلقوا خزانة الحكمة، وبيت الحكمة على المكان الذي جُمعت فيه كتب الفلسفة التي نقلت عن الامم الاخرى<sup>(٢)</sup>. فالخزانة والبيت يراد بهما هنا المكان أو المحل الذي تجمع فيها الكتب بنظام معلوم ليُطالع فيها ويستفاد من علومها<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن النواة الأولى لتأسيس بيت الحكمة كان في خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ / ٧٥٣ - ٧٧٤م)، بدليل انه قد جُمعت له كتب في الطب والنجوم والهندسة والاداب، وقد جمع المنصور هذه الكتب في خزانة كانت النواة الأولى لبيت الحكمة<sup>(٤)</sup>. فقد كان الخليفة المنصور «أول خليفة قرّب المنجمين وعمل باحكام النجوم، وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والاعجمية، بالعربية»<sup>(٥)</sup>. فقد امر بترجمة كتاب السند هند إلى العربية «وان يؤلف فيه كتاب تجده العرب اصلاً في حركات الكواكب»<sup>(٦)</sup>. وقام جورجيس بن جبرائيل الطيب المترجم (ت ١٥٢هـ / ٧٦٩م)، بنقل كتباً كثيرة للمنصور من كتب اليونانيين إلى العربية<sup>(٧)</sup>. وطلب المنصور من محمد بن اسحق (ت ١٥١هـ / ٧٦٨م) تأليف كتاب في السيرة وقد وضعه في خزانته<sup>(٨)</sup>.

(١) الازدي، جمهرة اللغة، ج ٢، ص ٢١٨.

(٢) أحمد امين، ضحى، ج ٢، ص ٦٤؛ حماده، المكتبات، ص ٦٩.

(٣) كوركيس عواد، «خزائن»، ص ٢١٥.

(٤) سعيد اسماعيل، معاهد، ص ٤٢٣؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٣٧.

(٥) السيوطي، تاريخ، ص ٢٦٩؛ حماده، المكتبات، ص ٥٣.

(٦) صاعد الاندلسي، طبقات، ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٧) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ٣٧.

(٨) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١، ص ٢٢١.

ويبدو انه من المرجح أن تأسيس بيت الحكمة كان في عهد الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨م)، فقد روي «ان الرشيد وليّ يوحنا بن ماسويه الطبيب المترجم (ت ٢٤٣هـ / ٨٥٧م)، ترجمة الكتب الطبية القديمة التي وجدها بانقرة وعمورية، وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون وسبوا سبيها»<sup>(١)</sup>. وأوضح من هذا ما ذكره ابن النديم في ترجمة أبي سهل الفضل بن نوبخت الفارسي الاصل «انه كان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد»<sup>(٢)</sup>. وفي موضع آخر «كان علان الشعوبي ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة»<sup>(٣)</sup>.

وقد بلغ بيت الحكمة ذروة ازدهاره في عصر المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ / ٨١٣ - ٨٣٣م)، إذ اولاه اهتماماً كبيراً فيما عرف عن حبه للعلم والعلماء، واخذ من مختلف العلوم بقسط، فقد اهتم بثقافات عديدة وسلك الكثير من الاساليب لتزويد هذه المكتبة بمختلف الكتب، فقد ارسل بعثات مختلفة إلى سائر البلاد للحصول على الكتب<sup>(٤)</sup>. فقد ذكر «ان المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات، وقد استظهر عليه المأمون، فكتب إلى ملك الروم يسأله الاذن في انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم. فاجاب إلى ذلك بعد امتناع، فاخرج المأمون لذلك جماعة... فاخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه اليه امرهم بنقله

(١) صاعد الاندلسي، طبقات، ص ١٠١؛ القفطي، اخبار، ص ٢٤٩؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٢٤.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٥٥٢؛ القفطي، اخبار، ص ١٦٩.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٠٩؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٦٣١.

(٤) صاعد الاندلسي، طبقات، ص ١٢٨؛ ابن العبري، مختصر، ص ١٣٦؛ المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٣٥٧؛ حيدر أحمد الشهابي، تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي (الغور الحسان في تواريخ حوادث الزمان)، علق على حواشيه مارون رعد، اشراف نظير عبود، ج ٤، دار الجليل، بيروت ١٩٩٣م، ج ١، ص ٢٣٠، سيشار له تالياً (الشهابي، تاريخ)؛ أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، ج ١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٥م، ج ٣، ص ٢٤٥، سيشار له تالياً (أحمد شلبي، موسوعة)؛ عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م، ص ١١٤، سيشار له تالياً (عمر فروخ، تاريخ العلوم).



فتقل<sup>(١)</sup>. وقال حنين بن اسحاق الطيب المترجم (ت ٢٦٠هـ / ٨٧٣): «انه سافر إلى بلاد كثيرة، ووصل إلى اقصى بلاد الروم لطلب الكتب التي قصد نقلها»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن نباته المصري في ترجمة سهل بن هارون (ت ٢١٥هـ / ٨٣٠م): «ان المأمون جعله كاتباً على خزانة الحكمة، وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرس، ذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة ارسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان، وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليه احد ابداً، فجمع صاحب هذه الجزيرة بطانته وذوي الرأي واستشارهم في حمل الخزانة إلى المأمون، فكلهم اشاروا بعدم الموافقة، الا مطراناً واحداً، فانه قال: الرأي أن تعجل بانفاذها اليه، فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا افسدتها وواقعت بين علمائها. فارسلها اليه واغتبط بها المأمون، وجعل سهل بن هارون خازناً لها»<sup>(٣)</sup>. وارسل المأمون يوحنا بن ماسويه للبحث عن كتب الاوائل واحضارها لتتقل إلى العربية ومنها كتاب السياسة في تدبير الرياسة، وهو كتاب ارسطوطاليس المعروف «بسر الاسرار»<sup>(٤)</sup>.

وبالاضافة إلى الكتب العلمية وكتب السياسة، فقد احتوت مكتبة بيت الحكمة على كتب النحو، فقد اهتم الخليفة المأمون بعلم النحو فطلب من الفراء أن يؤلف له كتاباً يجمع فيه اصول النحو وما سمع من العرب، فصنف الفراء كتاب «الحدود» فأمر المأمون به ليوضع في الخزان<sup>(٥)</sup>. ومما احتوت عليه مكتبة بيت الحكمة كتاب بخط عبدالمطلب بن هاشم في جلد من آدم. «فيه ذكر حق عبدالمطلب بن هاشم من اهل مكة على فلان بن فلان الحميري من اهل وزل صنعاء، عليه ألف درهم فعنه كيلاً بالحديدة، ومتى دعاه بها اجابه، شهد الله

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٥٠٥؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٤٣؛ حاجي خليفة، كشف، ج ١، ص ٦٨١.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٤٣.

(٣) ابن نباته، سرح، ص ٢٤٢.

(٤) ابن جلجل، طبقات، ص ٦٧؛ حمادة، المكتبات، ص ٦٣.

(٥) ابن الانباري، نزهة، ص ٨٢؛ القفطي، إنباه، ج ٤، ص ١٦؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

والمملكان»<sup>(١)</sup>. وكانت تحتوي أيضاً على المصورات والخرائط الجغرافية والفلكية، فقد ذكر المسعودي نموذج من هذه المصورات، فقال: «وفي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون اجتمع على صنعها عدة من حكماء أهل عصره صور فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك»<sup>(٢)</sup>. وعن كثرة محتويات بيت الحكمة من الكتب والمؤلفات والاسفار، يقول القلقشندي: «فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ولا يقوم عليه نقاسه»<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن خزانة بيت الحكمة استمرت في العمل وتأدية رسالتها بعد المأمون، فمن اخبار بيت الحكمة التي يرد فيها ذكر الأمين والمتوكل «ان يوحنا بن ماسويه ظل اميناً على الترجمة في زمن الرشيد والأمين والمأمون واستمر إلى ايام المتوكل»<sup>(٤)</sup>. واختار المتوكل حنين بن اسحق للترجمة واثمن عليها «ووضع له كتاباً نحارير»<sup>(٥)</sup> عالين بالترجمة»<sup>(٦)</sup>.

ويظهر أن بيت الحكمة اهتم بعد المتوكل، حيث فقدت الشيء الكثير من اهميتها مع توالي الزمن<sup>(٧)</sup>، ولكنها بقيت - فيما يبدو - حتى استولى المغول على بغداد عام

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٠.

(٢) ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، التنبيه والاشراف، لجنة تحقيق التراث، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨١م، ص ٤٦، سيشار له تالياً (المسعودي، التنبيه).

(٣) القلقشندي، صبح، ج ١، ص ٥٣٧.

(٤) ابن جلجل، طبقات، ص ٦٥؛ صاعد الاندلسي، طبقات، ص ١٠١؛ القفطي، الاخبار، ص ٢٤٩؛ ابن ابي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٢٤؛ ابن العبري، المختصر، ص ١٣١.

(٥) النحرير، الحاذق الماهر، العاقل، المجرب، وقيل الفطن المثقن في كل شيء وجمعه النحارير. ابن منظور، لسان، ج ٥، ص ١٩٧.

(٦) ابن جلجل، طبقات، ص ٦٩؛ القفطي، اخبار، ص ١١٩.

(٧) ناجي معروف، اصالة، ص ٤٤٤؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ٤٢٨؛ حماده، المكتبات، ص ٦٩.

٦٥٦هـ/١٢٥٨م<sup>(١)</sup>، فقد ذكر القلقشندي: «ان هذه الخزانة ظلت حتى دهم التتر ببغداد، وقتل ملكهم هولاكو، المستعصم آخر خلفاء العباسيين، فذهبت خزانة الكتب مما ذهب، وذهبت معالمها، وأعفت آثارها»<sup>(٢)</sup>.

ولم تشر المصادر إلى موقع بيت الحكمة إن كان جزءاً من قصر الخليفة، أو كان بناية مستقلة، غير أنه ومن المرجح أنه ألحق بقصر الخليفة بفناء خاص منفرد<sup>(٣)</sup>، ففي نص أشار إلى أن داراً تتكون من عدد من الحجر والخزائن وفيها عدد من الوراقين الذين كانوا يملون على ناس لا يمكن ضبط عددهم لكثرتهم مما يدل على أن هذه الدار كانت مكتبة عامة<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن بيت الحكمة كان مجموعة خزائن، لكل مجموعة من الكتب خزانة<sup>(٥)</sup>، ويؤكد على هذا ما قاله ابن نباتة عند الكلام عن سهل بن هارون: أن المأمون جعله كاتباً على خزانة الحكمة وهي كتب الفلاسفة التي نُقلت للمأمون من جزيرة قبرص<sup>(٦)</sup>. ويغلب الظن كذلك على أن كتب الرشيد قد أفردت في خزانة، وكتب المأمون قد أفردت في أخرى، فنجد استعمال خزانة الرشيد مرة وخزانة المأمون مرة أخرى<sup>(٧)</sup>.

فقد ذكر ابن النديم «ان ابا سهل الفضل بن نوبخت كان في خزانة الحكمة لهارون

(١) حسن إبراهيم، تاريخ، ج ٢، ص ٣٤٨؛ أحمد أمين، ضحى، ج ٢، ص ٦٦؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص ١٨١.

(٢) القلقشندي، صبح، ج ١، ص ٥٣٧؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٣٩؛ أحمد شلبي، التربية، ص ١٨٥.

(٣) أحمد أمين، ضحى، ج ٢، ص ٦٤؛ ناجي معروف، اصالة، ص ٤٤١؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص ٤٢٧.

(٤) ابن الانباري، نزهة، ص ٨١؛ القفطي، إنباه، ج ٤، ص ١٦.

(٥) فاروق عمر، الخليفة المجاهد، ص ٩٤.

(٦) ابن نباتة، سرح، ص ٢٤٢.

(٧) ناجي معروف، اصالة، ص ٤٤١.

الرشيدي»<sup>(١)</sup>. وكان محمد بن موسى الخوارزمي عالم الرياضيات (ت بعد ٢٣٢هـ / ٨٤٦م) «منقطعاً إلى خزانة كتب الحكمة للمأمون»<sup>(٢)</sup>. وكان في خزانة المأمون كتاب بخط يد عبدالمطلب بن هاشم<sup>(٣)</sup>.

وقد ظهر أن خزانة بيت الحكمة ضمت كتباً بلغات اليونان، والفرس، والهند، واللغة القبطية، والآرامية، وقد صُنفت بحسب موضوعاتها، واختير لها المترجمون ممن اتقنوا هذه اللغات، فقد كان بيت الحكمة يضم غرفاً خاصة للترجمة والنسخ والمطالعة وحلقات الدراسة<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن الاهتمام بفهرسة الكتب وتنظيمها كان معروفاً في بيت الحكمة، بحيث يسهل تناولها واستعمالها، فقد قال الحسن بن سهل الوزير (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م): أن المأمون قال له يوماً: «اي كتب العجم اشرف؟ فذكرت كثيراً منها، ثم قلت خاويذان خرد (يتيمة السلطان) يا امير المؤمنين، فدعا المأمون بفهرست كتبه وجعل يقلبه فلم ير لهذا الكتاب ذكراً. فقال: كيف يسقط ذكر هذا الكتاب من الفهرست»<sup>(٥)</sup>. وقد تؤكد لنا هذه الرواية أن الكتب كانت توضع على رفوف مثبتة بجوار الجدران لتوضع فيها الكتب الواحد فوق الآخر، بحيث تكون المجلدات ذات الحجم الكبير في الاسفل وذات الحجم الاصغر في الاعلى<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٥٥٢.

(٢) القفطي، اخبار، ص ١٨٧؛ اسعد طلس، التريية، ص ٩٨؛ ناجي معروف، اصالة، ص ٤٤٤.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٠.

(٤) أحمد امين، ضحى، ج ٢، ص ٦٣؛ عطية القوصي، الحضارة الاسلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٨٥م، ص ١٤٩، سيشار له تالياً (القوصي، الحضارة)؛ عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص ٣٤؛ محمد الحسيني عبدالعزيز، الحياة العلمية في الدولة الاسلامية، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٥م، ص ٥٩، سيشار له تالياً (محمد الحسيني، الحياة).

(٥) أحمد شلبي، التريية، ص ١٥٣؛ حماده، المكتبات، ص ١٥٤؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٣٩.

(٦) حماده، المكتبات، ص ١٥٧؛ الحسيني، الحياة، ص ٥٩؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٣٩.

ومن خلال النصوص المختلفة التي اشارت اليها المصادر يبدو لنا أن ادارة وتنظيم بيت الحكمة كانت تتم من خلال مدراء وموظفين مختصين، يقومون بالاشراف عليه وتدير اموره. فكان المدير أو ما يسمى بصاحب بيت الحكمة والذي يقوم بادارته والى جانبه الامناء على الترجمة أو ما أطلق عليهم اسم الخزنة الذين يقومون بالاشراف على خزائن الكتب واعمال الترجمة في كل خزانة كل حسب معرفته باللغة المنقول عنها، ويساعدهم عدد من الكتاب<sup>(١)</sup>. ومن تولى ادارة بيت الحكمة أبو سهل الفضل بن نوبخت، فقد عهد اليه الرشيد للقيام بشؤون خزانة كتب الحكمة<sup>(٢)</sup> وكان الفضل يتقن اللغة الفارسية فولاه الرشيد نقل ما يجده من كتب الحكمة الفارسية إلى اللغة العربية<sup>(٣)</sup>. ومنهم أيضاً سهل بن هارون (ت ٢١٥هـ / ٨٣٠م) الذي يُذكر عنه «انه كان متحققاً بخدمة المأمون وصاحب خزانة الحكمة له»<sup>(٤)</sup>. ويرد اسم سعيد بن هارون الكاتب كشريك لسهل بن هارون في بيت الحكمة ويصفه ابن النديم بقوله: «انه كان بليغاً مترسلاً»<sup>(٥)</sup>. ويذكر ابن النديم شخصاً آخر هو سَلَمٌ على اعتبار انه «صاحب بيت الحكمة مع سهل بن هارون وأن له نقولاً من الفارسي إلى العربي»<sup>(٦)</sup>. وكان سَلَمٌ احد الذين اخرجهم المأمون لجلب الكتب المخزونة ببلاد الروم بعد المراسلات مع ملكهم<sup>(٧)</sup>. ومنهم أيضاً يوحنا بن ماسويه الطبيب (ت ٢٤٣هـ / ٨٥٧م) الذي جعله الخليفة المأمون رئيساً لبيت الحكمة سنة ٢١٥هـ / ٨٣٠م<sup>(٨)</sup>. ويورد ابن عبد ربه في العقد

(١) القفطي، اخبار، ص ٢٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٩؛ ناجي معروف، اصالة، ص ٤٤٢.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٣٦؛ حماده، المكتبات، ص ٦٦.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٣٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٣٧.

(٧) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٤٣.

(٨) ابن جليل، طبقات، ص ٦٥.

الفريد اسم سليمان كصاحب لبیت الحكمة فقد «دخل جعفر بن يحيى في زي العامة وكتمان النباهة على سليمان صاحب بيت الحكمة ومعه ثمانية بن أشرس، فقال ثمانية: هذا أبو الفضل، فنهض اليه سليمان فقبل يده وقال له: بأبي انت، ما دعاك إلى أن تحمل عبدك هذه المنة التي لا اقوم بشكرها، ولا اقدر أن أكافيء عليها»<sup>(١)</sup>. ويبدو أن سليمان هذا كان صاحباً لبیت الحكمة في أيام الرشيد إذا ما علمنا أن وفاة جعفر بن يحيى كانت في ١٨٧هـ.

أما الامناء على الترجمة فكان منهم سهل بن هارون (ت ٢١٥هـ / ٨٣٠م)، فبالإضافة إلى كونه صاحباً لبیت الحكمة فقد كان اميناً على ترجمة الكتب التي جلبها الخليفة المأمون من قبرص وقد جعله خازناً لها<sup>(٢)</sup>. ومنهم أيضاً يوحنا بن ماسويه الذي قلده الرشيد ترجمة الكتب الطبية التي وجدها بانقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين إفتحها المسلمون، ووضعها اميناً على ترجمة هذه الكتب، وقد «ظل اميناً على الترجمة في زمن الرشيد والأمين والمأمون واستمر إلى أيام المتوكل»<sup>(٣)</sup>، إلى جانب رئاسته لبیت الحكمة في عهد المأمون وما يليه. واحضر المأمون حنين بن اسحق (ت ٢٦٠هـ / ٨٧٣م)، وكان فتي السن وامره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكمة اليوناني إلى العربي واصلاح ما ينقله غيره<sup>(٤)</sup>. وقد كان النقل يتم سابقاً

(١) ابن عبدربه، العقد، ج ٢، ص ٧.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٣٦؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٣، ص ١٤٠٩؛ ابن نباته، سرح، ص ٢٤٢؛ ابن وادان، تاريخ العباسيين، ص ٤٤٨.

(٣) ابن جليل، طبقات، ص ٦٥؛ صاعد الاندلسي، طبقات، ص ١٠١؛ القفطي، اخبار، ص ٢٤٩؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٢٤؛ ابن العبري، المختصر، ص ١٣١.

(٤) ابن جليل، طبقات، ص ٦٩؛ القفطي، اخبار، ص ١١٨؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٤٣؛ شمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري، تاريخ الحكماء (نزهة الارواح وروضة الافراح)، تحقيق عبدالكريم أبو شويرب، ط ١، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس، ١٩٨٨م، ص ٢٩٥، سيشار له تالياً (الشهرزوري، تاريخ).

من اليونانية إلى السريانية ومنها إلى العربية، فلما أتى حنين جعل النقل يتم مباشرة من اليونانية إلى العربية<sup>(١)</sup>.

وكان يساعد المترجمين عدد من الكتاب، فقد عين هارون الرشيد عدداً من الكتاب الحاذقين للكتابة بين يدي يوحنا بن ماسويه<sup>(٢)</sup>. ووضع المتوكل لحنين بن اسحاق كُتّاباً عالمين بالترجمة كاسطفين بن بسيل، وحبيش بن الحسن الاعسم، وموسى بن أبي خالد الترجمان، ويحيى بن هارون<sup>(٣)</sup>. كما كان لحنين كاتباً يعرف بالازرق، وقد قال ابن أبي أصيبعة: «وقد رأيت أشياء كثيرة من كتب جالينوس وغيره بخطه»<sup>(٤)</sup>.

وكان في بيت الحكمة عدد من النساخ الذين يعملون على استنساخ الكتب الجديدة التي لا يوجد منها نسخ في المكتبة، ولا بد من تقديمهم بالدقة وعدم الحذف أو الزيادة، ولا بد أيضاً أنهم يُختارون من ذوي الخطوط الجميلة والمعرفة بشؤون النسخ والنقل<sup>(٥)</sup>، فكان إعلان الشعبي - فارسي الاصل - «منقطعاً إلى البرامكة وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة»<sup>(٦)</sup>. ويبدو أنه كان مشرفاً على النسخ كله في بيت الحكمة، وهو المسؤول عن تزويد المكتبة بالكتب الجديدة، وما يلزمها من اوراق ومحابر ونحوه. فقد اورد ياقوت الحموي «ان علاناً هذا كان وراقاً وله دكان يبيع فيه الكتب وينسخ»<sup>(٧)</sup>.

(١) حمادة، المكتبات، ص ٦٣.

(٢) ابن جليل، طبقات، ص ٦٥؛ القفطي، اخبار، ص ٢٤٩؛ يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، راجعه ونقحه محمد أبو الفرج العش، ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م، ص ٢٣٨، سيشار له تالياً (يوسف العش، تاريخ).

(٣) ابن جليل، طبقات، ص ٦٩؛ القفطي، اخبار، ص ١١٨.

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٤٤؛ أحمد شلبي، التريّة، ص ١٦٦؛ حمادة، المكتبات، ص ٦٤.

(٥) ناجي معروف، اصالة، ص ٤٤٣.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٠٩؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٦٣١.

(٧) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٦٣٢؛ رفاعي، عصر، ج ١، ص ٣٧٥.

ويبدو أن بيت الحكمة كان يحوي فريقاً من المجلدين لتجليد الكتب وحفظها حتى لا تتأثر بكثرة الاستعمال، فقد ذكر «أن أبا الحريش كان يُجلد في خزانة الحكمة للمأمون»<sup>(١)</sup>.

وترد أسماء لبعض الأشخاص الذين عملوا في بيت الحكمة بصفة رسمية كعمر بن الفرخان الطبري أحد رؤساء الترجمة والمتخصص بعلم حركات النجوم<sup>(٢)</sup> والحجاج بن مطر (ت ٢١٤هـ / ٨٢٩م) الذي أرسله المأمون لطلب الكتب والمخطوطات<sup>(٣)</sup>. وأبو زكريا يحيى بن عدي بن حميد المنطقي الذي عمل مترجماً وكان يجيد السريانية وعنها نقل إلى العربية<sup>(٤)</sup>. ومحمد بن موسى الخوارزمي عالم الرياضيات المعروف «وقد كان منقطعاً إلى خزائن كتب الحكمة للمأمون»<sup>(٥)</sup>. ويعقوب بن اسحاق الكندي الفيلسوف (ت ٢٤٦هـ / ٨٦٠م)، الذي كان يراجع ما يترجمه العاملون تحت امرته فيصحح وينقح ترجماتهم<sup>(٦)</sup>. ويحيى بن أبي منصور الموصللي، منجم المأمون وقد كان أحد خزنة بيت الحكمة<sup>(٧)</sup>. وهناك أبو يعقوب اسحاق ابن حنين العبادي (ت ٢٩٨هـ / ٩١٠م)، الذي كان ينقل كتب الحكمة من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية<sup>(٨)</sup>. وابناء موسى بن شاكر وعلى الاخص محمد وأحمد والحسن<sup>(٩)</sup>.

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٥.

(٢) ابن صاعد، طبقات، ص ١٤٢؛ القفطي، اخبار، ص ١٦١.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٥٠٥؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٤٣؛ حاجي خليفة، كشف، ج ١، ص ٦٨١؛ ناجي معروف، اصالة، ص ٤٤٣.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٥٣٤ - ٥٣٥؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ٢٢٧؛ ناجي معروف، اصالة، ص ٤٤٧.

(٥) القفطي، اخبار، ص ١٨٧؛ أبو زيد شلبي، تاريخ، ص ٣٦١؛ اسعد طلس، التربية، ص ٩٨.

(٦) القفطي، اخبار، ص ٢٤١؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٧٩.

(٧) القفطي، اخبار، ص ٢٣٤؛ ناجي معروف، اصالة، ص ٤٤٧.

(٨) ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٢٠٥.

(٩) القفطي، اخبار، ص ٢٠٨.



مما سبق يمكننا أن نتبين الدور الذي لعبته مؤسسة بيت الحكمة بما احتوته من مدراء وموظفين، وبما احتوته من كتب علمية وأدبية نادرة، حرص الخلفاء على جلبها من مختلف المناطق والأماكن وبمختلف اللغات، والانفاق السخي على ما كان فيها من مدراء وموظفين كانوا يقومون بالإشراف على شؤونها وإدارتها وتنظيمها، وقد تم اختيارهم من ذوي العلم والمعرفة، الأمر الذي جعل من بيت الحكمة مكاناً لتلقي العلم ومؤسسة علمية ساهمت في نشر العلم والثقافة، وفي ترجمة العديد من المخطوطات والكتب الأجنبية النادرة، على يد مترجمين حاذقين كان لهم الدور الأبرز في الحفاظ على التراث ونشره وتوفير الكتب للمريدين من طلبة العلم مما وقر الجهد الكبير في البحث عن مصادر تلقي الثقافة والعلم، فكانت الموثل الذي لجأ إليه العديد من العلماء، والمكان الأنسب للبحث، والدراسة، والترجمة، والتأليف.

### ب - مكتبات بين العامة والخاصة:

كانت هناك مكتبات خاصة يملكها بعض العلماء والادباء والاعيان، وقد انشاوها في قصورهم وبيوتهم، ومن اموالهم الخاصة بغية أن ينهلوا منها مختلف المعارف التي يحتاجون اليها، الا انهم لم يقصروا نفعها على انفسهم بل اتاحوا للآخرين الاستفادة منها مما قد نسميه مكتبات شبه عامة أو مكتبات ما بين العامة والخاصة. وقد كان لها دور كبير في استقبال الوافدين عليها لتلقي العلم بما توفر فيها من كتب، ومن أمثلة هذه المكتبات:

- مكتبة اسحق بن إبراهيم الموصلي (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م): المعروف بروايته للشعر وعلمه بالأخبار وحذقه بالغناء، وكان الخليفة المأمون يقول: «لولا ما سبق لاسحاق على السنة الناس وشهر به من الغناء عندهم لوليت القضاة بحضرتي، فإنه أولى به واحق واعف وصدق

تديناً وامانة من هولاء القضاة واكثر»<sup>(١)</sup> وقد كان شديد الولع بالكتب وجمعها، فقد ذكر انه جمع لنفسه «خزانة كتب كبيرة من كل فن»<sup>(٢)</sup>. وقد قال: «لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة قال لي الاصمعي: كم حملت معك من كتبك؟ قلت: تخففت، فحملت ثمانية احمال، ستة عشر صندوقاً، قال: فعجبت فقلت: كم معك يا ابا سعيد؟ قال: ما معي الا صندوق واحد، قلت ليس الا؟ قال: وتستقل صندوقاً من حق!»<sup>(٣)</sup>. وقال أبو العباس ثعلب: «رأيت لاسحاق الموصلي الف جزء من لغات العرب وكلها بسماعه»<sup>(٤)</sup>، وذكر ابن النديم نص بين فيه بأن مكتبة اسحاق الموصلي كانت مكتبة عامة وذلك ما رواه فضل بن محمد اليزيدي، قال: «كنت عند اسحق بن إبراهيم الموصلي فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد اعطني كتاب الاغاني، فقال: أيما كتاب؟ الكتاب الذي صنعته أو الكتاب الذي صنف لي؟»<sup>(٥)</sup>.

- مكتبة الفتح بن خاقان (ت ٢٤٧هـ / ٨٦١م):

وهو وزير الخليفة المتوكل ومستشاره الخاص، وكان شاعراً فصيحاً مفوهاً، واسع الاطلاع مولعاً بالقراءة<sup>(٦)</sup>، حتى قيل انه كان يحضر لمجالسة المتوكل فاذا اراد أن يقوم إلى الموضوع اخرج كتاباً فلا يزال يطالعها في عمره وعوده<sup>(٧)</sup>. وقد كان له خزانة كتب عهد بجمعها

(١) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٢، ص ٥٩٥؛ ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٣٢٨؛ محمود أحمد الحفني، اسحاق الموصلي الموسيقي النديم، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥، ص ٣، ١٧١، سيشار له تالياً (محمود الحفني، اسحاق الموصلي).

(٢) ابن كثير، البداية، ج ١٠، ص ٣٢٨.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٦، ص ٣٤٠.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٢٠٤؛ أحمد امين، ضحى، ج ٢، ص ٦٦.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٧٢.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢١٥٧؛ الكتبي، فوات، ج ٣، ص ١٧٧.

(٧) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٥٥؛ ابن النديم، الفهرست، ص ٢٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢١٠١ - ٢١٠٢.

لعلي بن يحيى المنجم «لم يُرَ أعظم منها كثرة وحسناً»<sup>(١)</sup>. يقول ابن النديم: «ان علي بن المنجم اتصل بالفتح بن خاقان، وعمل له خزانة حكمه، نقل اليها من كتبه، ومما استكتبه للفتح. أكثر مما اشتملت عليه خزانة حكمه قط»<sup>(٢)</sup>. وكان يحضر لهذه المكتبة فصحاء الاعراب وعلماء البصرة والكوفة للقراءة والاطلاع<sup>(٣)</sup>.

- مكتبة علي بن يحيى المنجم (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م):

من خواص المتوكل وندمائه والمتقدمين عنده، وكان شاعراً وراويَةً للاخبار وعالماً بالفلك<sup>(٤)</sup>. وقد اشتهر بجمعه لخزانة كتب كبيرة جمع فيها كتباً من مختلف العلوم والفنون، روى ياقوت الحموي: «انه كان بكركر من نواحي القفص بالقرب من بغداد ضيعة نفيسة لعلي ابن يحيى بن المنجم وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون ويتعلمون فيها صنوف العلم، وكانت الكتب مبدولة في ذلك لهم، والصيانة مشتملة عليهم والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى، فقدم أبو معشر المنجم من خراسان يريد الحج وهو إذ ذاك لا يحسن كبير شيء من النجوم، فوصفت له الخزانة فمضى ورآها فهاله امرها، فأقام بها وأضرب عن الحج وتعلم فيها علم النجوم وأغرق فيه حتى ألحد، وكان ذلك آخر عهده بالحج وبالدين الاسلامي ايضاً»<sup>(٥)</sup>. وفي هذا اشارة إلى تنوع معارفها وغزارة الكتب المتعلقة بالتنجيم، حيث اهتمام علي بن يحيى المنجم.

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢١٥٧؛ الكتبي، فوات، ج ٣، ص ١٧٧.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢١٥٧؛ الكتبي، فوات، ج ٣، ص ١٧٧؛ ناجي معروف، اصالة، ص ٤٥٣؛ اعتماد القصير، فن التجليد، ص ٢٠.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج ٣، ص ٣٧٣؛ كوركيس عواد، «خزائن»، ص ٢١٨.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢٠١٤.

مما سبق يمكننا ملاحظة ما يلي:

- بروز نوع من المكتبات انشأها بعض العلماء والادباء والاعيان لم يقتصر دورها على خدمة صاحبها فقط، انما كانت مفتوحة ابوابها لطالبي العلم ممن يحتاجون اليها، مما قد نطلق عليه مكتبات شبه عامة.

- بروز دور هذه المكتبات في استقبال طلاب العلم من مختلف المناطق، وقد قام اصحابها بالانفاق عليها وتزويدها بالكتب النادرة والانفاق على من يأتي اليها للاستفادة منها والمطالعة فيها.

- احتواء هذه المكتبات على آلاف الكتب، الامر الذي يفسر قدرة اصحابها المالية وشغفهم بالعلم وطلبه.

- حرص بعض العلماء والاعيان على نشر العلم بما وفروه من كتب نادرة في مكتباتهم وبما اتاحوا به الفرصة لطالبي العلم للاستفادة من مكتباتهم وما توفر فيها من كتب، مما يشير إلى تكافل المجتمع الاسلامي، وشعور الفرد فيه بانه مسؤول عن نشر العلم والمعرفة.

### ٣- المكتبات الخاصة:

يبدو انه ولاتساع النهضة العلمية والثقافية في بغداد ومدن العراق الاخرى منذ منتصف القرن الثاني الهجري وازدهارها خلال القرن الثالث الهجري، اقبل بعض العلماء والادباء ورجال الدولة على انشاء المكتبات الخاصة في قصورهم وبيوتهم وقد زودوها بالكتب من مختلف العلوم. وقد حرص هؤلاء على اقتناء الكتب تقديراً منهم لقيمة العلم، فلم ييخلوا ببذل الاموال في شراء الكتب النفيسة القيمة يجلبونها من مختلف البلاد، فكان من الصعب أن تجد عالماً أو اديباً دون أن تكون له مكتبة يرجع اليها في دراسته واطلاعه. وقد اشارت المصادر إلى العديد من هذه المكتبات منها:

- مكتبة أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ / ٧٧٠م)، أحد القراء السبعة.

قال أبو عبيدة: «كان أبو عمرو اعلم الناس بالقرآن والعربية والشعر وایام العرب، وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف»<sup>(١)</sup>.

- مكتبة سفيان الثوري (ت ١٦١هـ / ٧٧٧م) الذي أوصى بدفن كتبه، «وكان ندم على أشياء كتبها عن قوم»<sup>(٢)</sup>. قال أبو عبدالرحمن الحارثي: «دفن سفيان كتبه فكنت اعينه عليها، فقلت: يا ابا عبدالله: في الركاز الخمس»<sup>(٣)</sup>، فقال: خذ ما شئت، فعزلت منها شيئاً كان يحدثني منه»<sup>(٤)</sup>. وقال عيسى بن يونس الكوفي الحافظ (ت ١٨٧هـ / ٨٠٢م): «مات سفيان الثوري مستخفياً قد جعل قميصه خريطة قد ملأها كتباً»<sup>(٥)</sup>.

- مكتبة معاذ بن هشام:

وكان لمعاذ بن هشام بن أبي عبدالله الامام البصري المحدث الفقيه (ت ٢٠٠هـ / ٨١٥م)، مكتبة خاصة<sup>(٦)</sup>، وقال علي بن عبدالله بن المديني البصري المحدث المؤرخ (ت ٢٣٤هـ / ٨٤٨م): «سمعت معاذ بن هشام يقول بمكة، وقيل له ما عندك؟ قال: عندي عشرة آلاف، فانكرها عليه، وسخرنا منه، فلما جئنا إلى البصرة اخرج الينا من الكتب نحواً مما قال»<sup>(٧)</sup>.

(١) الذهبي، سير، ج ٦، ص ٤٠٧ - ٤٠٨؛ الذهبي، العبر، ج ١، ص ١٧٢؛ اليافعي، مرآة، ج ١، ص ٣٤٤؛ حاجي خليفة، كشف، ج ١، ص ٥٢ (مقدمة المحقق)؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ١، ص ٢٣٧.

(٢) الذهبي، سير، ج ٧، ص ٢٦١؛ حاجي خليفة، كشف، ج ١، ص ٥ (مقدمة المحقق).

(٣) المال المدفون، قال اهل الحجاز: «انما الركاز كنوز الجاهلية»، وقيل: «هو المال المدفون خاصة مما كتبه بنو آدم قبل الاسلام». ابن منظور، لسان، ج ٥، ص ٣٥٦.

(٤) الذهبي، سير، ج ٧، ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٥) ابو نعيم الاصفهاني، حلية، ج ٦، ص ٣٦٤.

(٦) الذهبي، سير، ج ٩، ص ٣٧٢.

(٧) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٣٧٣.

- خزانة الواقدي:

يبدو أن خزانة محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، العالم بالمغازي والسير والفتوح<sup>(١)</sup>، كانت تضم آلاف الكتب، والدليل على ذلك ما ذكر عنه انه عندما انتقل من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي من بغداد «حمل كتبه على عشرين ومئة وقر»<sup>(٢)</sup>. وانه خلف بعد وفاته «ستمائة قمطر»<sup>(٣)</sup> كتباً كل قمطر منها حمل رجلين<sup>(٤)</sup>. ومما يحكى عنه انه قال: «ما من احد الا وكتبه اكثر من حفظه، وحفظي اكثر من كتبي»<sup>(٥)</sup>. وقد كان له «غلامان يكتبان الليل والنهار»<sup>(٦)</sup>، واشتهر محمد بن سعد بكتابته للواقدي<sup>(٧)</sup>، حتى اصبح من ابرز مميزات ابن سعد أن يقال عنه كاتب الواقدي<sup>(٨)</sup>.

- مكتبة ابن بسطام:

وخلف يحيى بن عون بن زياد بن بسطام (ت ٢٣٣هـ / ٨٤٧م) من الكتب «مائة قمطر واربعة عشر قمطراً، واربعة حباب شراييه مملوءة كتباً»<sup>(٩)</sup>.

(١) الذهبي، سير، ج ٩، ص ٤٥٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٥٩٨؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٤٥٩؛ والوقر بالكسر الثقل يحمل على ظهر او على الرأس وقيل الحمل الثقيل، ابن منظور، لسان، ج ٥، ص ٢٨٩.

(٣) القمطر والجمع قماطر، ما تصان فيه الكتب وتحفظ. ابن منظور، لسان، ج ٥، ص ١١٦.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص ١٩٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص ٢٥٩٨.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١٧٤؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٤٥٩.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص ١٩٤.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٩٦؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ٣، ص ١٥؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٤، ص ٣٥١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ٢، ص ١٨.

(٨) أحمد شلبي، الترية، ص ١٦٥.

(٩) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٢٠٥. والحب: الجرّة الضخمة. ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٢٩٥.

- خزانة محمد بن عبد الملك الزيات :

وكان لمحمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم (ت ٢٣٣هـ / ٨٤٧م)، مكتبة بسامراء غنية بكتبها، وكان يزودها باستمرار بما يبتاعه أو يُنسخ له أو يُترجم من الكتب أو يُهدى إليه أو يُصنف باسمه<sup>(١)</sup>.

- مكتبة الكندي :

ومن جمع خزانة كتب قيمة واشتهر بها واهتم كل الاهتمام، يعقوب بن اسحق الكندي (ت ٢٤٦هـ / ٨٦٠م)، الذي اهتم بجمع كتب الحكمة والفلسفة اليونانية وعلوم الاوائل، وقد اثار بعمله هذا حسد ابناء موسى بن شاكر ومنهم محمد وأحمد وكانا متقدمين زمن المتوكل، ويكيدان لكل من ذكر بالتقدم في معرفة فاشخصا سند بن علي إلى بغداد وباعداه عن المتوكل ودبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل ووجههما إلى دراه فاخذا كتبه باسرهما وافرداها في خزانة سميت «الكندية»<sup>(٢)</sup>. وقد كانت فهرسة كتبه تزيد على دست كاغد<sup>(٣)</sup>. وفي هذا اشارة إلى ضخامة اعداد الكتب في مكتبة الكندي، والى استخدام الفهارس في المكتبات الخاصة الامر الذي يجعلنا نلمس مدى التقدم الذي وصلت مثل هذه المكتبات.

- مكتبة ابناء موسى بن شاكر :

وهم محمد وأحمد والحسن، وقد اشتهر هؤلاء بحبهم للكتب، وجمعها وانفاق الاموال في طلبها «وانفذوا إلى بلد الروم من اخرجها اليهم. فاحضروا النقلة من الاصقاع

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٧٦؛ أحمد عبد الباقي، معالم، ص ٢٩٢؛ ناجي معروف، اصالة، ص ٤٦٦ - ٤٦٧.

(٢) ابن الداية، المكافاة، ص ١٣٠ - ١٣١؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٨٠.

(٣) الشهرزوري، تاريخ، ص ٣٠٦.

والاماكن بالبذل السخي»<sup>(١)</sup>. ومن انفذوه لطلب الكتب حنين بن اسحق وغيره وقد جاءهم «بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب»<sup>(٢)</sup>. وقد يكون ذلك بعد وفاة المأمون حيث اخذوا يعملون لحسابهم الخاص وقد جمعوا حولهم النقلة والبحاة.

- خزانة الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م):

الذي اشتهر بحبه للكتب وجمعها، فقد قيل عنه انه «لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان»<sup>(٣)</sup>. ويبدو أن خزانة كتبه كانت تحوي على الكثير من الكتب حتى قيل أن سبب وفاته كانت بسبب وقوع مجلدات عليه وقد كان من عادته أن يضعها قائمة كالحائط محيطة به وهو جالس اليها<sup>(٤)</sup>. وكان من وراقيه عبدالوهاب بن عيسى (ت ٣١٩هـ / ٩٢٥م)<sup>(٥)</sup>.

- مكتبة حنين بن اسحق:

كان حنين بن اسحق العبادي (ت ٢٦٠هـ / ٨٧٣م)، من نصارى الحيرة «فاضلاً في صناعة الطب، فصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية»<sup>(٦)</sup>. وقد كان محباً للكتب وجمعها، ويذكر انه «قد سافر بعيداً من اجل جمع الكتب القديمة، ودخل بلاد الروم لطلب الكتب وترجمتها»<sup>(٧)</sup>. ولاهتماماته الطبية كانت مكتبته تحوي على الكثير من كتب الطب، وبعدد كبير

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٥٤٧؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٥، ص ١٦١.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٥٠٤ - ٥٠٥.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢١٠١.

(٤) ابو الفداء، المختصر، ج ٢، ص ٤٧.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج ١١، ص ٢٨.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص ٥٨٦.

(٧) المصدر نفسه، ص ٥٨٦؛ القفطي، اخبار، ص ١١٩.



من الكتب المكتوبة باللغات الاربع التي كان يجيدها»<sup>(١)</sup>.

- مكتبة أبو حاتم السجستاني:

وكان سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، من ساكني البصرة، وكان اماماً في علوم القرآن واللغة والشعر، دخل بغداد «وكان جماعاً للكتب يتبحر فيها»<sup>(٢)</sup>. وقيل: «انه لم يكن بالبصرة مثل كتبه»<sup>(٣)</sup>، وقد بلغت قيمة كتبه عند وفاته اربعة عشر الف دينار وقد اشتراها يعقوب بن الليث الخارجي ونقلت اليه.<sup>(٤)</sup>

- مكتبة أبو اسحاق إبراهيم الحربي:

وكان لإبراهيم أبو اسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، مكتبة كبيرة قد وضعها في دهليز بيته، وغالباً ما كان يجلس فيها للنسخ والمطالعة<sup>(٥)</sup>. والتفت يوماً إلى ابنته التي خافت الفقر بعد موته وقد كان عليلاً وقال: «يا بنية انما خفت الفقر؟ فقالت نعم قال لها: انظري إلى تلك الزاوية، فنظرت فاذا كتب، فقال لها: هناك اثنا عشر الف جزء لغة، وغريب كتبه بخطي، إذا مت فوجهي في كل يوم بجزء تبعينه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر الف درهم ليس هو فقيراً»<sup>(٦)</sup>.

ومن اشتهر بحبه للكتب وجمعها، عبد الملك بن قريب الاصمعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، عالم اللغة والنحو والاخبار والنوادر<sup>(٧)</sup>. ومحمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي (ت

(١) أحمد شلبي، الترية، ص ٢٠١.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ١١٨؛ السيوطي، بغية، ج ١، ص ٦٠٦.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٣، ص ١٤٠٦.

(٤) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٤٠٦.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٣.

(٦) ابن الجوزي، الصفوة، ج ٢، ص ٢٦٤؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ١، ص ٤٤.

(٧) ابن النديم، الفهرست، ص ١١٢.

٢٣١هـ / ٨٤٥م) الراوية والعلامة باللغة الكوفي<sup>(١)</sup>. والحسن بن عثمان أبو حسان الزياتي (ت ٢٤٣هـ / ٧٨٥م)<sup>(٢)</sup>. وأمير بغداد، اسحق بن سليمان العباسي (ت ١٧٨هـ / ٧٩٤م)<sup>(٣)</sup>. ومحمد بن الحسين المعروف بابن أبي بكرة<sup>(٤)</sup>.

يتضح مما سبق:

- اقبال العلماء والادباء والاعيان على اقتناء الكتب، وانشاء المكتبات الخاصة بهم، مما يُظهر حرصهم على العلم واحتواء المعرفة.
- غزارة الكتب التي توفرت في مثل هذه المكتبات، الامر الذي يُظهر مدى الجهد الذي بُذل للحصول عليها معنوياً كان أو مادياً.
- اهتمام بعض العلماء بفهرسة محتويات مكتباتهم، مما يدل على مدى ما وصلت اليه هذه المكتبات من اتساع ودقة في التنظيم.
- حرص اصحاب المكتبات الخاصة على مكتباتهم رغم ما قد وقعوا فيه من ضيق عيش وفقير حال.
- أن شيوع مثل هذه المكتبات وانتشارها في مختلف انحاء الدولة الاسلامية علامة مميزة في تاريخ المجتمع الاسلامي.

## ٢- اعادة الكتب:

يبدو من بعض الروايات أن إعادة الكتب كانت معروفة لدى بعض المكتبات الخاصة،

(١) ابن عبد البر، بهجة، ج ١، ص ٥١.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٢١٧.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٦١؛ ابن طباطبا، الفخري، ص ٦.

(٤) القفطي، إنباه، ج ١، ص ٤٢ - ٤٣؛ حبيب زيات، «الجلود»، ص ١٣٥٩.

ولدى بعض الاشخاص من أهل العلم والمعرفة. فقد قصد بعضهم اصحاب الكتب لاستعارتها.

فقد كان محمد بن الحسن الشيباني الفقيه (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م)، معلماً للشافعي وكان كثير البربه، والانفاق عليه من ماله، واعارته الكتب، حتى يقال انه دفع له حمل بغير كتباً<sup>(١)</sup>. وقال يعقوب ابن السكيت النحوي اللغوي (ت ٢٤٤هـ / ٨٥٨م): «مات أبو عمرو الشيباني وله مائة سنة وثمان عشرة سنة. وكان يكتب بيده إلى أن مات، وكان ربما استعار مني الكتاب وانا إذ ذاك صبي أخذ عنه واكتب من كتبه»<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن بعض اصحاب الكتب رفض اعارتها، فقد روي بان الشافعي قد طلب من محمد بن الحسن كتاب «السير» فلم يجبه إلى ذلك<sup>(٣)</sup>. وقال رجل لابي العتاية اعزني كتابك، فقال: اني اكره ذلك<sup>(٤)</sup>. وكان علي بن المغيرة الاثرم (ت ٢٣٢هـ / ٨٤٦م)، وراقاً، وقد نسخ كتب أبي عبيدة النحوي اللغوي (ت ٢٠٩هـ / ٨٢٤م)، دون علمه «وكان أبو عبيدة من اضمن الناس بكتبه، ولو علم بما فعل الاثرم لمنعه من ذلك ولم يسامحه»<sup>(٥)</sup>.

وسمح بعضهم لنفسه أن يجود بمعظم ماله على أن يتخلى عن كتاب واحد. فقد انشد مسافر بن محمد البلخي قائلاً:

اجود بجمل مالي لا ابالي      وابخل عند مسألة الكتاب

وذلك انني افنيت فيه      عزيز العمر أيام الشباب<sup>(٦)</sup>

(١) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج ١، ص ٣٢٣.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ١٣٥.

(٣) الشافعي، ديوان، ص ١١٦؛ الصيمري، اخبار، ص ١٢٧؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٦٨.

(٤) العلموي، المعيد، ص ١٣٠.

(٥) ابن الانباري، نزهة، ص ١٢٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ١٩٧١.

(٦) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص ١٤٩؛ السمعاني، أدب، ص ١٧٧.

ويحرص البعض على أن لا يعير الكتاب الا لمن توفرت فيه صفات العلم والدين، فقد قيل: «البخل بالعلم على غير اهله قضاء لحقه ومعرفة بفضله»<sup>(١)</sup>. وكان بعض اهل العلم إذا اتاه رجل يستعير منه كتاباً، امتحنه، فان وجده اهلاً له اعاره والا منعه<sup>(٢)</sup>. وقيل ايضاً:

لا تعر كتاباً الا بعد يقين      بان المستعير ذو علم ودين<sup>(٣)</sup>  
وقال بعض الشعراء:

اني حلفت برب البيت والحرم      هل فوقها حلقة ترجى لذي قسم؟  
ان لا اعير كتاباً فيه لي أرب      إلا أختة عندي وذا كرم<sup>(٤)</sup>

وفي الوقت الذي كره فيه بعض العلماء اعارة كتبهم خوفاً من الاستهانة بها أو عدم ارجاعها، نجد بعضهم يقوم باعارتها «لما فيه من الاعانة على العلم مع ما في مطلق العارية من الفضل والاجر»<sup>(٥)</sup>. فعن سفيان الثوري: «من بخل بالعلم، ابتلى باحدى ثلاث: أن ينساه، أو يموت ولا يتتبع به، أو تذهب كتبه»<sup>(٦)</sup>. وقال: «تعجلوا بركة العلم، ليفد بعضكم بعضاً فانكم لعلكم لا تبلغون ما تؤملون»<sup>(٧)</sup>. وقال وكيع: «اول بركة الحديث اعارة الكتب»<sup>(٨)</sup>. وقال ابن المبارك: «من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: اما أن يموت فيذهب علمه، أو ينساه أو يتبع

(١) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص ١٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(٤) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج ١، ص ١١٨.

(٥) الغزالي، ايها الولد، ص ٨٢؛ العلموي، المعيد، ص ١٣٠.

(٦) الغزالي، ايها الولد، ص ٨٢؛ العلموي، المعيد، ص ١٣٠.

(٧) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٦٨.

(٨) الغزالي، ايها الولد، ص ٨٢؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٦٨.

السلطان»<sup>(١)</sup>. وكتب الشافعي إلى محمد بن الحسن بعد أن رفض اعارته كتاب السير:

قل للذي لم ترَ عينُ	من رآه مثله
حتى كأن من رآه	قد رأى من قبله
العلم ينهي أهله	ان يمنعه أهله
لعله يبذله	لأهله لعله

فوجه اليه به في الحال هدية لا عارية<sup>(٢)</sup>. وقال رجل لابي العتاهية، وقد كره أن يعيره كتاباً: «اما علمت أن المكارم موصولة بالمكاره»<sup>(٣)</sup>. وانشد أبو الكرم خميس بن علي بن أحمد الحوزي لنفسه في إعارة الاجزاء، وقد اعتبر أن اخفاء الكتب وعدم اعارتها من صفات البخل:

كتبي لاهل العلم مبدولة	ايديهم مثل يدي فيها
متى ارادوها بلا منة	عارية فليستعبروها
حاشاي أن اكتمها عنهم	بخلاً كما غيري يخفيها
اعارنا اشياخنا كتبهم	وسنة الاشياخ نمضيها <sup>(٤)</sup>

وقال ابن الجوزي: «ينبغي لمن يملك كتاباً أن لا يبخل باعارته لمن هو اهله، وكذلك ينبغي افادة الطالبين، فان الطلبة قليل، وقد عمهم الفقر، فاذا بخل عليهم بالكتاب والافادة كان سبباً لمنع العلم»<sup>(٥)</sup>.

(١) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٦٨.

(٢) الشافعي، ديوان، ص ١١٦؛ الصيمري، اخبار، ص ١٢٧؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٦٨.

(٣) ابن جماعة، تذكرة، ص ١٤٨.

(٤) السمعاني، أدب، ص ١٧٥.

(٥) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٦٨.

واستحب بعضهم اخذ الرهون على على اعادة الكتب، حتى وان كان المستعير صديقاً،  
فقد أنشد أبو حفص، عمر بن عثمان الجنزي لنفسه:

إذا ما اعرت كتاباً فخذ      على ذاك رهناً وخل الحياء  
فانك لم تتهم مستعيراً      ولكن لتذكر منه الاداء<sup>(١)</sup>

وانشد محمد بن خلف المرزبان:

أعر الدفتر للصاحب      بالرهن الوثيق  
انه ليس قيحاً      اخذ رهن من صديق<sup>(٢)</sup>

وقد يكون الرهن نقداً أو عيناً، فقد انشد علي بن أبي بكر الطرازي

يا مستعير كتابي      لا تكثرن عتابي  
الا برهن وثيق      من فضة أو ثياب<sup>(٣)</sup>

وقد يكون كتاباً بكتاب فقد طلب أحدهم من إبراهيم بن ميمون الصائغ كتاباً، فقال:  
«هات رهناً فدفع اليه مصحفاً رهناً»<sup>(٤)</sup>.

ومن شروط الاعارة: المحافظة على الكتاب، وعدم الكتابة في حواشيه واعادته في  
الوقت المحدد، وعدم اعارته، أو يُنسخ منه بغير اذن صاحبه<sup>(٥)</sup>. فعن يونس بن يزيد قال:  
«قال لي الزهري، يا يونس اياك وغلول الكتب، قال: قلت: وما غلول الكتب؟ قال: حبسها

(١) السمعاني، أدب، ص ١٧٩.

(٢) الخطيب البغدادي، تقييد، ص ١٤٩؛ السمعاني، أدب، ص ١٧٨.

(٣) السمعاني، أدب، ص ١٧٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٧٨.

(٥) ابن جماعة، تذكرة، ص ١٤٩ - ١٥٢؛ العلمي، المعيد، ص ١٣١؛ محمد الحسيني، الحياة، ص ٦١؛  
عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص ٣٥.

على اصحابها»<sup>(١)</sup>. وقال الجاحظ وقد تقاضى تلميذاً له كتاباً، وتقاضى التلميذ كتاباً له، فرد الكتاب عليه ثم انشأ الجاحظ يقول:

ايها المستعير مني كتاباً ارضى      لي فيه ما لنفسك ترضى  
لا ترى ردّ ما اعرتك نفعاً      وترى ردّ ما استعرتك فرضاً<sup>(٢)</sup>

وكان بعضهم إذا سألوه إن يعيره كتاباً، قال: «ارني كتبك، فان وجدها مصنونة، مكنونة، اعاره وان رآها مغبرة متغيرة منعه»<sup>(٣)</sup>. وكان بعض اهل العلم يكتب على ظهور كتبه التي يعيرها: «يا رب من حفظ كتابي فاحفظه، ومن اضاعه فلا تحفظه»<sup>(٤)</sup>. وكتب آخر: «كتابي أعز شيء عليّ، واحسانك اليه احسانك الي»<sup>(٥)</sup>.

وقد سهلت إعارة الكتب عمل المتعلمين والباحثين من العلماء، فقد كانت الكتب والمطالعة الحرة متوفرة لهم، مما كان له اكبر الاثر في تقدم الحركة العلمية والتعليمية في هذا العصر.

#### ٤ = هاية المكتبات:

لم يرد ما يدل دلالة صريحة على التمويل المتعلق بالمكتبات، سواء العامة منها أو الخاصة، ولكن هي ملاحظات قد تعطينا دلالة على ما كان ينفق على هذه المكتبات لاستمرار

(١) الخطيب البغدادي، الجامع، ج ١، ص ٢٤٣؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج ٢، ص ١٦٨؛ أبو عبدالله محمد بن سعيد بن رسلان، اداب طالب العلم، ط ١، دار ابن حزم، بيروت ١٩٩٣م، ص ١٧٣، سيشار له تالياً (سعيد بن رسلان، اداب).

(٢) الخطيب البغدادي، الجامع، ج ١، ص ٢٤٤.

(٣) الخطيب البغدادي، تقييد، ص ١٤٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

بقائها، فقد انفق المأمون بسخاء على بيت الحكمة في بغداد<sup>(١)</sup>، «فتنافس اولوا النباهة في العلوم لما كانوا يرونه في احظائه لمتحليها واخصاصه لمقلديها»<sup>(٢)</sup>. فقد خصص المأمون لحنين ابن اسحق راتباً شهرياً مقداره خمسمائة دينار<sup>(٣)</sup>. علاوة على ما تذكر بعض المصادر من انه كان يأخذ من الذهب زنة ما ينقل من الكتب إلى العربية<sup>(٤)</sup>. ويبدو أن الامر اعجب حيناً وسره الحصول على ذهب اكثر بهذه الطريقة، فلجأ إلى كتابة منقولاته على ورق غليظ وباعد بين الاسطر<sup>(٥)</sup>. كما خصص المأمون راتباً شهرياً لحبيش بن الحسن، وثابت بن قرة الخرائني، مقداره خمسمائة دينار لكل واحد منهما<sup>(٦)</sup>. يضاف إلى ذلك ما يُنفق على جمع الكتب وترجمتها وتنقيحها<sup>(٧)</sup>، واثمان الحبر والورق واجور التجليد واثاث المكتبة وغيرها<sup>(٨)</sup>. وقد واصل الواثق والمتوكل الاهتمام بحركة الترجمة والتمويل لها حتى أن المتوكل خصص لحنين بن اسحق راتباً شهرياً مقداره خمسة عشر الف درهم<sup>(٩)</sup>.

وكما هو الحال في الانفاق على المكتبات العامة، كان الانفاق على المكتبات الخاصة، حيث كان يتولى الانفاق عليها مؤسسوها، فهذه خزانة الحكمة لعلي بن يحيى النجم (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، «يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون فيها صنوف العلم،

(١) عبد الباقي، معالم، ص ٣٠٠.

(٢) صاعد الاندلسي، طبقات، ص ١٢٩؛ ابن العبري، مختصر، ص ١٣٦.

(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٤٣؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٤٠؛ الزهراني، النفقات، ص ٣٥٩.

(٥) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٦٠؛ حماده، المكتبات، ص ٦٤.

(٦) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص ١٤٣؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٤٠.

(٧) عمر فروخ، تاريخ العلوم، ص ١١٤؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٤١؛ عبدالله المشوخي، موقف الاسلام والكنيسة من العلم، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٢م، ص ٥١ - ٥٢، سيشار له تالياً (المشوخي، موقف).

(٨) أحمد عقل، تمويل، ص ٤٠؛ حماده، المكتبات، ص ٦٨.

(٩) أحمد عقل، تمويل، ص ٤٠؛ الزهراني، النفقات، ص ٣٦٠.



والكتب مبذولة في ذلك لهم والصيانة مشتملة عليهم، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى<sup>(١)</sup>. وكان أبناء موسى بن شاعر يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحاق، وحيش بن الحسن، وثابت بن قره وغيرهم نحو خمسمائة دينار في الشهر<sup>(٢)</sup>. وكان محمد ابن عبد الملك الزياد الوزير (ت ٢٣٣هـ / ٨٤٧م)، يزود مكتبته باستمرار بما يبتاعه أو ينسخ له، أو يُترجم من الكتب<sup>(٣)</sup>، وقد كان ينفق على النساخين والمترجمين ما يقرب من ألفي دينار في الشهر<sup>(٤)</sup>.

(١) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢٠١٤.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٤٣؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٣٩؛ الزهراني، النفقات، ص ٣٥٨؛ حماده، المكتبات، ص ٦٨.

(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٧٦؛ أحمد عقل، تمويل، ص ٤٠؛ الزهراني، النفقات، ص ٣٥٩؛ حماده، المكتبات، ص ٦٨؛ ناجي معروف، اصالة، ص ٤٦٧.

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج ٢، ص ١٧٦.

# قائمة المصادر والمراجع

## المصادر

### - القرآن الكريم:

- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م)
- ١- المستطرف في كل فن مستظرف، ٢ج، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٩م.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)
- ٢- الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبدالله القاضي، ١٠ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.
- الأجري، أبو بكر محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م)
- ٣- أخلاق أهل القرآن، تحقيق فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٩٨٤م.
- ٤- أخلاق العلماء، تحقيق فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م.
- أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)
- ٥- مسند أحمد بن حنبل، ٦ج، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ابن الأخوة القرشي، محمد بن محمد بن أحمد (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م)
- ٦- معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦م.
- الأربلي، عبدالرحمن بن إبراهيم (ت ٧١٧هـ / ١٣١٧م)
- ٧- خلاصة الذهب المسبوك، صححه مكّي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
- الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م)
- ٨- جمهرة اللغة، ٣ج، ط١، دار صادر، بيروت، د.ت.

- ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد (ت ٨٩٦هـ / ١٤٩٠م)
- ٩- بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، ٢ج، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٧م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م)
- ١٠- الأغاني، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، ٢٥ج، ط٦، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٣م.
- ١١- الإماء الشواعر، تحقيق نوري حمودي القيسي ويونس أحمد السامرائي، ط١، مكتبة النهضة العربية، بغداد ١٩٨٤م.
- ١٢- القيان، تحقيق جليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٨٩م.
- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م)
- ١٣- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٣ج، ط٣، دار الثقافة، بيروت ١٩٨١م.
- ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن محمد بن علي (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م)
- ١٤ الفتوح، ٤ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.
- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد (٥٧٧هـ / ١١٨١م)
- ١٥- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار، الزرقاء ١٩٨٥م.
- ابن اياس الحنفي، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م)
- ١٦- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ٥ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م.

- البخاري، أبو عبدالله أحمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)
- ١٧- صحيح البخاري، شرح الكرمانلي، ٢٥ ج، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨١م.
- ابن بسام، محمد بن أحمد (ت في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي)
- ١٨- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٨م.
- البطليوسي، أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد (ت ٥٢١هـ / ١١٢٧م)
- ١٩- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبدالمجيد، ٣ ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١م.
- ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)
- ٢٠- رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.
- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)
- ٢١- فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م.
- البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢م)
- ٢٢- المحاسن والمساوي، دار صادر، بيروت، د.ت.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٩٧هـ / ٩٠٩م)
- ٢٣- سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، ٥ ج، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٣٧ - ١٩٨٧م.

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)
- ٢٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدّم له وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين، ١٦ ج، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.
- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (٣٨٤هـ / ٩٩٤م)
- ٢٥- الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، ٥ ج، دار صادر، بيروت ١٩٧٨م.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد عبدالحليم (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م)
- ٢٦- أحاديث القصاص، تحقيق أحمد عبدالله باجور، ط ١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٣م.
- الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م)
- ٢٧- الكناية والتعريض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م. (طبع مع الجرجاني، المنتخب).
- ٢٨- اللفظ واللطائف، تحقيق محمود عبدالله الجادر، ط ١، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٤م.
- ٢٩- لطائف اللفظ، تحقيق عمر الأسعد، ط ٢، دار المسيرة، بيروت ١٩٨٧م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)
- ٣٠- البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ٤ ج، ط ٢، دار الجليل، بيروت ١٩٤٨م.
- ٣١- التاج في أخلاق الملوك، دار الفكر، بيروت ١٩٥٥م.
- ٣٢- الحيوان، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ٧ ج، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٩م.

- ٣٣- رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ٤ ج، ط١، دار الجليل، بيروت ١٩٩١ م.
- ٣٤- كتاب المعلمين، تحقيق إبراهيم جريس، جامعة تل أبيب، عكا، ١٩٨٠ م.
- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م)
- ٣٥- رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والناسك المعروفة بـ رحلة ابن جبير، إشراف لجنة تحقيق التراث، ط٢، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦ م.
- الجرجاني، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م).
- ٣٦- المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤ م. (ويليه الثعالبي، الكناية).
- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م)
- ٣٧- غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره برجستراسر، ٢ ج، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٢ م.
- ابن جليل، أبو داود سليمان بن حسان (ت ٣٧٧هـ / ٩٨٧م)
- ٣٨- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥ م.
- ابن جماعة، إبراهيم بن عبدالرحيم بن محمد (ت ٧٧٣هـ / ١٣٧١م)
- ٣٩- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، تحقيق عبدالأمير شمس الدين، ط٢، دار اقرأ للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٦ م.
- الجهشيارى، أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م)
- ٤٠- الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٣٨ م.

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)
- ٤١- أحكام النساء، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، د. ت.
- ٤٢- أخبار الحمقى والمغفلين، تحقيق محمد شريف سكر، ط ١، دار إحياء العلوم، بيروت ١٩٨٨م.
- ٤٣- الأذكياء، تحقيق أسامة عبدالكريم الرفاعي، ط ٢، دار الحضارة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦م.
- ٤٤- تلبيس إبليس، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥م.
- ٤٥- سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م.
- ٤٦- صفوة الصفوة، ضبطها وكتبها هوامشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، ٤ج، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٩م.
- ٤٧- القصاص والمذكرين، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، ط ١، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣م.
- ٤٨- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تصحيح محمد أمين الخانجي، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م.
- ٤٩- مناقب بغداد، صححه محمد بهجت الأثري، مكتبة دار السلام، بغداد، ١٩٢٣م.
- ٥٠- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، ١٨ج، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.
- ابن الحاج، أبو عبدالله محمد بن محمد (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م)
- ٥١- المدخل، ٤ج، ط ١، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة ١٩٢٩م.



- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م)
- ٥١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٢ ج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.
- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤م)
- ٥١- المستدرک علی الصحيحین، ٤ ج، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٠م.
- ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م)
- ٥٢- المحبر، عني بتصحيحه إيليزه ليختن شتير، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٤٢م.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)
- ٥٣- الإصابة في تمييز الصحابة، ٨ ج، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ٥٤- تهذيب التهذيب، ٦ ج، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٣م.
- ٥٥- لسان الميزان، ٦ ج، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، ١٣٢٩ - ١٣٣١هـ / ١٩١١ - ١٩١٢م.
- ابن حجر الهيتمي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٩٧٣هـ / ١٥٦٥م)
- ٥٦- تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٧م.
- ابن حجة، أبو بكر بن علي (ت ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م)
- ٥٧- ثمرات الأوراق، صححه أبو الفضل إبراهيم، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧١م.
- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)
- ٥٨- شرح نهج البلاغة، مراجعة وتحقيق لجنة إحياء الذخائر، ٥ ج، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٦م.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)
- ٥٩- الأخلاق والسير أو رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل، تحقيق إيفا رياض، أبسالا ١٩٨٠م.
- ٦٠- رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، ٤ج، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٧م.
- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد (ت ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م)
- ٦١- البصائر والذخائر، تحقيق إبراهيم الكيلاني، ٤ج، مكتبة أطلس، مطبعة الإنشاء، د.م، ١٩٦٤م.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)
- ٦٢- تاريخ بغداد، ١٤ج، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- ٦٣- تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٤٩م.
- ٦٤- الجامع لآخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمد عجاج الخطيب، ٢ج، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩١م.
- ٦٥- الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥م.
- ٦٦- الكفاية في علم الرواية، تحقيق أحمد عمر هاشم، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٦م.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)
- ٦٧- المقدمة، وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحاده، ٨ج، ط ٢، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨م.

- ابن خلكان، ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)

٦٨ - وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، ٨ ج، دار صادر، بيروت ١٩٧٠م.

- خير الله العمري، ياسين (ت ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م)

٦٩ - مذهب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، تحقيق رجاء محمود السامرائي، دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٦م.

- الدارمي، ابو محمد عبدالله بن عبدالرحمن (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)

٧٠ - سنن الدارمي، تحقيق عبدالله اليماني، ٢ ج، دار المحاسن، القاهرة ١٩٦٦م.

- ابو داود، سليمان بن الاشعث (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)

٧١ - سنن ابي داود، دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت، ٢ ج، ط ١، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، ١٩٨٨م.

- ابن الداية، ابو جعفر احمد بن يوسف بن ابراهيم (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م)

٧٢ - المكافأة وحسن العقبي، تحقيق محمود محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.د.

- ابن دقماق، ابراهيم بن محمد بن أيذر (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م)

٧٣ - الجواهر الثمين في سير الملوك والسلطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، ٢ ج، ط ١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥م.

- الديلمي، ابو شجاع شيرويه بن شهدار (ت ٥٠٩هـ / ١١١٥م)

٧٤ - الفردوس بمأثور الخطاب، ٥ ج، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.

- الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود بن وئند (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م)

٧٥ - الاخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، مكتبة المثني، بغداد، د.ت.

- الذهبي، ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)

٧٦ - تذكرة الحفاظ، ٥ج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٧٧ - سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط وآخرون، ٢٥ج، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢م.

٧٨ - العبر في خبر من غبر، تحقيق ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ٤ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.

٧٩ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، ٤ج، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

- الراغب الاصبهاني، ابو القاسم حسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ / ١١٠٨م)

٨٠ - محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ٤ج، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦١م.

- الراهرمزي، ابو محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م)

٨١ - المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٧١م.

- الزبيدي، ابو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٧٩هـ / ٩٨٩م)

٨٢ - طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م)
- ٨٣ - تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالمنعم الطحاوي، مراجعة بهجة الاثري وعبدالستار احمد فراج، ٢٠ ج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ١٩٦٨م.
- ابن الزبير، ابو الحسن احمد بن القاضي الرشيد (ت في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي).
- ٨٤ - الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميدالله، مراجعة صلاح الدين المنجد، دار المطبوعات والنشر، الكويت ١٩٥٩م
- الزجاجي، ابو القاسم عبدالرحمن بن القاسم (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م)
- ٨٥ - الامالي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- ٨٦ - مجالس العلماء، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، وزارة الارشاد والانباء، الكويت ١٩٦٢م.
- الزركشي، محمد بن عبدالله (ت ٧٩٤هـ / ١٣٩١م)
- ٨٧ - إعلام الساجد باحكام المساجد، تحقيق ابو الوفاء مصطفى المراغي، د.د، القاهرة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.
- الزرنوجي، برهان الدين (ت ٥٩١هـ / ١١٩٤م)
- ٨٨ - تعليم المتعلم في طريق التعلم، تحقيق صلاح محمد الخيمي ونذير حمدان، ط١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت ١٩٨٥م.
- الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م)
- ٨٩ - اساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٢م.
- ٩٠ - ربيع الابرار، تحقيق سليم النعيمي، ٢ ج، مطبعة العاني، بغداد ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

- السبكي، تاج الدين ابو نصر عبدالوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)
- ٩١ - طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبدالفتاح محمد الحلو، ١٠ ج، ط ٧، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.
- ٩٢ - معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، ط ١، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٤٨م.
- ابن سحنون، ابو عبدالله محمد بن ابي سعيد (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)
- ٩٣ - آداب المعلمين، تحقيق محمد العروسي المطوي، دار بو سلامه للطباعة والنشر والتوزيع، تونس ١٩٧٢م.
- ابن سعد الآبي، ابو سعد منصور بن الحسين (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)
- ٩٤ - نثر الدر، تحقيق محمد علي قرنه وآخرون، مراجعة علي محمد البجاوي وحسين نصار، ٧ ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١ - ١٩٩٠م.
- ابن سعد، ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)
- ٩٥ - الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ٩ ج، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.
- ابن سلام، ابو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)
- ٩٦ - الاموال، تحقيق محمد خليل هراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨١م.
- السلمي، ابو عبدالرحمن محمد بن الحسين بن محمد (ت ٤١٢هـ / ١٠٢١م)
- ٩٧ - طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شربية، دار الكتاب النفيس، حلب ١٩٨٦م.
- السمرقندي، نصر بن محمد بن ابراهيم (ت ٣٧٣هـ / ٩٨٣م)

٩٨ - تنبيه الغافلين باحاديث سيد المرسلين، تحقيق الشيخ احمد سلام، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.

- السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م)

٩٩ - أدب الإماء والاستملاء، تحقيق ماكس فايسفايلر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨١م.

١٠٠ - الانساب، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي، ٥ج، ط١، دار الجنان، بيروت ١٩٨٨م.

- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبدالله (ت ٣٦٨هـ / ٩٧٨م)

١٠١ - اخبار النحويين البصريين، تحقيق محمد ابراهيم البنا، ط١، دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٥م.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)

١٠٢ - الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ٤ج، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا، بيروت ١٩٨٧م.

١٠٣ - الاشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، ٩ج، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م.

١٠٤ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ٢ج، ط٢، دار الفكر، مصر الجديدة ١٩٧٩م.

١٠٥ - تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٢م.

١٠٦ - تحذير الخواص من اكاذيب القصاص، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الاسلامي، بيروت ١٩٧٢م.

١٠٧ - تحفة المجالس ونزهة المجالس، باعثناء محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٠٨م.

١٠٨ - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، ٢ج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩م.

١٠٩ - تزيين الممالك بمناقب الامام مالك، ط١، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٩٠٧م.

١١٠ - المستظرف من اخبار الجوارى، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٦٣م.

١١١ - نزهة الجلساء في اشعار النساء، تحقيق عبداللطيف عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

١١٢ - الوسائل الى مسامرة الاوائل، تحقيق اسعد طلس، مكتبة الزوراء، بغداد ١٩٥٠م.

- الشافعي، ابو عبدالله محمد بن ادريس (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)

١١٣ - ديوان الامام الشافعي، جمع وتحقيق اميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩١م.

- الشريشي، ابو العباس احمد بن عبدالمؤمن (ت ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م)

١١٤ - شرح مقامات الحريري، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ٥ج، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

- الشهابي، حيدر احمد (ت ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م)

١١٥ - تاريخ الامير حيدر احمد الشهابي، (الغفر الحسنان في تواريخ حوادث الزمان)،

٤ج، علق على حواشيه مارون رعد، اشراف نظير عبود، دار الجليل، بيروت ١٩٩٣م.



- الشهرزوري، شمس الدين محمد بن محمود (كان حياً سنة ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م)
- ١١٦ - تاريخ الحكماء (نزهة الارواح وروضة الافراح)، تحقيق عبدالكريم او شويرب، ط١، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس ١٩٨٨م.
- الشيرازي، ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف (ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م)
- ١١٧ - طبقات الفقهاء، تحقيق احسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٧٠م.
- الشيزري، عبدالرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م)
- ١١٨ - نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٦م.
- الصابي، ابو الحسن هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م)
- ١١٩ - رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٤م.
- صاعد الاندلسي، ابو القاسم صاعد بن احمد بن عبدالرحمن (ت ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م)
- ١٢٠ - طبقات الامم، تحقيق حياة ابو علوان، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٥م.
- ابن الصلاح، ابو عمرو عثمان بن عبدالرحمن (ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م)
- ١٢١ - ادب المفتي والمستفتي، تحقيق موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، ط١، عالم الكتب، مكة ١٩٨٦م.
- ١٢٢ - مقدمة بن الصلاح في علوم الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨م.
- الصنعاني، ابو بكر عبدالرزاق بن همام (ت ٢١١هـ / ٨٢٦م)
- ١٢٣ - المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي، ١١ج، ط١، المجلس العلمي، بيروت ١٩٧٢م.

- الصولي، ابو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م)
- ١٢٤ - اخبار الشعراء المحدثين، عني بنشره ج. هيورث، ٣ج، دار المسيرة، بيروت ١٩٨٢م.
- الصيمري، أبو عبدالله حسين بن علي (ت ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م)
- ١٢٥ - ادب الكتاب، باعتناء محمد بهجة الاثري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٢٢م.
- ١٢٦ - اخبار ابي حنيفة واصحابه، ط٢، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥م.
- ابن طباطبا، محمد بن علي (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)
- ١٢٧ - الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت.
- الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م)
- ١٢٨ - إعلام الوري بأعلام الهدى، صححه وعلق عليه علي اكبر الغفاري، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩م.
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)
- ١٢٩ - تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ١٠ج، ط٣، ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٧م.
- الطرطوشي، محمد بن الوليد بن محمد (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م)
- ١٣٠ - سراج الملوك، تحقيق جعفر البياتي، ٢ج، ط١، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٩٠م.
- ابن طيفور، ابو الفضل احمد بن طاهر (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م)
- ١٣١ - بغداد، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، عني بنشره وراجع اصله عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة، القاهرة ١٩٤٩م.
- العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين (ت ١٠٣١هـ / ١٦٢١م)
- ١٣٢ - الكشكول، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٣م.

- ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)
- ١٣٣ - الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، ٤ج، ط١، دار الجليل، بيروت ١٩٩٢م.
- ١٣٤ - بهجة المجالس وانس المجالس، تحقيق محمد مرسي الخولي، ٣ج، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢م.
- ١٣٥ - بيان العلم وفضله، ادارة الطباعة المنيرية، ٢ج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨م.
- ابن عبد ربه، احمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)
- ١٣٦ - العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، ٩ج، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.
- ابن العبري، ابو الفرج غريغوريوس بن اهلون الملطي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م).
- ١٣٧ - تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت، د.ت.
- ابو العرب، محمد بن احمد بن تميم المغربي (ت ٣٣٣هـ / ٨٤٧م)
- ١٣٨ - كتاب المحن، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٨٣م.
- ابن عربي، ابو بكر محي الدين (ت ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م)
- ١٣٩ - محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار، ٢ج، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)
- ١٤٠ - تاريخ مدينة دمشق (تراجم النساء)، تحقيق سكيئة الشهابي، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.

١٤١ - تهذيب تاريخ دمشق، هذبه ورتبه عبدالقادر بدران، ٧ ج، ط ٣، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧ م.

- العلمي، عبدالباسط بن موسى بن محمد (ت ٩٨١ هـ / ١٥٧٣ م)

١٤٢ - المعبد في ادب المفيد والمستفيد، ط ١، المكتبة العربية، دمشق ١٩٣٠ م.

- ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبدالحلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م)

١٤٣ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ٨ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- ابي عمران، نور الدين علي بن الوزير (ت ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م)

١٤٤ - المرقصات المطربات، دار حمدو ومحيو، القاهرة ١٩٧٣ م.

- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت حوالي ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م)

١٤٥ - الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السيد احمد السامرائي، المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية، القاهرة ١٩٧٣ م.

- الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م)

١٤٦ - احياء علوم الدين، ٥ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٤٧ - الادب في الدين، تحقيق عبدالله احمد ابو زينة، ط ٤، دار الشروق، بيروت ١٩٨٣ م.

١٤٨ - ايتها الولد، تحقيق علي محي الدين علي القرة داني، ط ٢، دار البشائر الاسلامية، بيروت ١٩٨٥ م.

- ابن الغزي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ١١٦٧ هـ / ١٧٥٣ م)

١٤٩ - ديوان الاسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، ٤ ج، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠ م.

- ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
- ١٥٠ - المختصر في اخبار البشر، ٤ج، ط١، المطبعة الحسنية المصرية، القاهرة، د.ت.
- الفيروزابادي، مجد الدين (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م)
- ١٥١ - القاموس المحيط، ٤ج، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- القابسي، ابو الحسن علي بن محمد بن خلف (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)
- ١٥٢ - الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين، ملحقة بكتاب التربية في الاسلام للاهواني، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠م، ص ٢٦١ - ٣٤٧.
- القاسم، ابن محمد بن علي (ت ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م)
- ١٥٣ - اداب العلماء والمتعلمين، ط١، الدار اليمنية لنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٥م.
- القالي، ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م)
- ١٥٤ - الامالي، ٢ج، ط٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٦م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)
- ١٥٥ - الشعر والشعراء (طبقات الشعراء)، تحقيق مفيد قميحة، راجعه نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.
- ١٥٦ - عيون الاخبار، تحقيق يوسف علي طويل، ٤ج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.
- ١٥٧ - المعارف، تحقيق ثروت عكاشه، ط٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م.
- القرطبي، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م)
- ١٥٨ - الجامع لاحكام القرآن، ٢٠ج، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٥م.

- القرمانى، احمد بن يوسف (ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م)
- ١٥٩ - اخبار الدول وآثار الاول في التاريخ، تحقيق فهمي سعد واحمد حطيط، ٣ج، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٢م.
- القفطى، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م)
- ١٦٠ - إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ٤ج، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٦م.
- ١٦١ - اخبار العلماء باخبار الحكماء، عني بتصحيحه محمد امين الخانجي، دار الكتب الخديوية، القاهرة، د.ت.
- القلقشندي، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)
- ١٦٢ - صبح الاعشى في صناعة الانشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين ويوسف علي طويل، ١٤ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.
- ابن قيم الجوزية، ابو عبدالله محمد بن ابي بكر بن ايوب (ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م)
- ١٦٣ - اخبار النساء، شرحه وقدم له عبد مهنا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.
- ابن الكازروني، علي بن محمد (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)
- ١٦٤ - مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٧٠م.
- الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد بن عبدالرحمن (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م).
- ١٦٥ - فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، ٥ج، دار صادر، بيروت ١٩٧٣م.
- ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)
- ١٦٦ - البداية والنهاية، تحقيق احمد ابو ملحم وآخرون، ١٥ج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.

- الكردري، حافظ الدين بن محمد (ت ٨٢٧هـ / ١٤٢٣م)
- ١٦٧ - مناقب ابي حنيفة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨١م، (طبع مع الموفق المكي، مناقب ابي حنيفة).
- كشاجم، محمود بن الحسين الكاتب (ت ٣٥٨هـ / ٩٦٨م)
- ١٦٨ - ادب النديم، المطبعة الاميرية، بولاق، ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م.
- الكندي، ابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م)
- ١٦٩ - كتاب الولاة وكتاب القضاة، مهذباً ومصصحاً بقلم رفن كست، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، د.ت.
- ابن ماجة، ابو عبدالله محمد بن يزيد (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)
- ١٧٠ - سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ٢ج، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)
- ١٧١ - الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
- ١٧٢ - ادب الدنيا والدين، شرح وتعليق محمد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت ١٩٨٣م.
- ابن المبرد، ابو المحاسن يوسف بن الحسن بن عبدالهادي (ت ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م)
- ١٧٣ - بحر الدم فيمن تكلم فيه الامام احمد بمدح او ذم، تحقيق روحية عبدالرحمن السويقي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.
- المبرد، ابو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م)
- ١٧٤ - الكامل، تحقيق محمد احمد الدالي، ٤ج، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م.

- مجهول

١٧٥ - الامامة والسياسة، ٢ ج، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٦٩ م.

- المحاسبي، ابو عبدالله الحارث بن اسد (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)

١٧٦ - آداب النفوس، تحقيق عبدالقادر احمد عطا، دار الجليل، بيروت ١٩٨٤ م.

- محمود الوراق، ابن حسين (ت ٢٢٥هـ / ٨٣٩م)

١٧٧ - ديوان محمود بن حسين الوراق، جمع وتحقيق عدنان راغب العبيدي، وزارة التربية والتعليم، بغداد ١٩٦٩ م.

- المرزباني، ابو عبيد الله بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م)

١٧٨ - معجم الشعراء، تحقيق عبدالستار احمد فراج، د.د، د.م، ١٩٨٠ م.

١٧٩ - الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نضهة مصر، القاهرة ١٩٦٥ م.

١٨٠ - نور القبس، تحقيق رودلف زلهائم، دار نشر فرانكس شتاير، فيسباون، ١٩٦٤ م.

- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)

١٨١ - التنبيه والاشراف، لجنة تحقيق التراث، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨١ م.

١٨٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرحه وقدم له مفيد محمد قميحة، ٤ ج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦ م.

- ابن مسكويه، ابو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)

١٨٣ - تهذيب الاخلاق في التربية، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٠٧ م.

- مسلم، ابو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م)

١٨٤ - صحيح مسلم بشرح الامام النووي، ١٨ ج، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، د.ت.



- المعافري، ابو الحسن علي بن محمد بن جميل (ت ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م)

١٨٥ - الخدائق الغناء في اخبار النساء، تحقيق عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٧٨م.

- ابن المعتز، عبدالله بن المعتز بن المتوكل (ت ٢٩٦هـ / ٩٠٨م)

١٨٦ - طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار احمد فراج، ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦م.

- المغراوي، احمد بن ابي جمعة (ت ٩٢٠هـ / ١٥١٤م)

١٨٧ - جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق احمد جلولي البدوي ورابع بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.

- المقدسي الحنبلي، ابو عبدالله محمد بن مفلح (ت ٧٦٣هـ / ١٣٦١م)

١٨٨ - الآداب الشرعية والمنح المرعية، ٣ج، مؤسسة قرطبة، مدينة الاندلس، ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م.

- المقدسي، محمد بن أحمد (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)

١٨٩ - احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مكتبة خياط، بيروت، د.ت.

- المقرئ، تقي الدين احمد بن علي (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)

١٩٠ - امتناع الاسماع بما للرسول من الانباء والاحوال والحفدة والمتاع، اعتناء محمود شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.م، ١٩٤١م.

١٩١ - كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، ٢ج، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٩٢ - السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة وسعيد عبدالفتاح عاشور، ٤ج، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٢م.

- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)
- ١٩٣ - لسان العرب، ١٥ ج، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ١٩٤ - مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق رياض عبد الحميد مراد وآخرون، ٢٩ ج، ط١، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤م.
- الموفق المكي، ابو المؤيد الموفق بن احمد (ت ٥٦٨هـ / ١١٧٢م)
- ١٩٥ - مناقب ابي حنيفة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨١م (ويليه الكردي، مناقب).
- ابن نباتة، ابو بكر محمد (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)
- ١٩٦ - شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٩٨٦م.
- النحاس، ابو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل (ت ٣٣٨هـ / ٩٤٩م)
- ١٩٧ - صناعة الكتاب، تحقيق بدر احمد ضيف، ط١، دار العلوم العربية، بيروت ١٩٩٠م.
- ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحق (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)
- ١٩٨ - الفهرست، تحقيق ناهد عباس عثمان، ط١، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة ١٩٨٥م.
- ابو نعيم الاصفهاني، احمد بن عبدالله بن احمد (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)
- ١٩٩ - حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ١٠ ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.
- ابو نواس، الحسن بن هانيء (ت ١٩٩هـ / ٨١٤م)
- ٢٠٠ - ديوان ابي نواس، تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٥٣م.

- النوي، ابو زكريا يحيى بن شرف الدين (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م)
- ٢٠١ - تهذيب الاسماء واللغات، ادارة الطباعة المنيرية، ٣ج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ١٠٢ - المجموع، ٢٠ج، دار الفكر، د.م، د.ت.
- ابن هذيل، ابو الحسن علي بن عبدالرحمن (ت في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي).
- ٢٠٣ - عين الادب والسياسة وزين الحسبة والرياسة، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة ١٩٣٨م.
- الهيثمي، نور الدين بن علي بن ابي بكر (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)
- ٢٠٤ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١٠ج، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦م.
- ابن وادران، حسين بن محمد (كان حياً ١١٧٢هـ / ١٧٥٨م).
- ٢٠٥ - تاريخ العباسيين، تحقيق المنجي الكعبي، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٩٣م.
- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)
- ٢٠٦ - تاريخ ابن الوردي، ٢ج، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٦٩م.
- الوشاء، ابو الطيب محمد بن احمد بن اسحاق (ت ٣٢٥هـ / ٩٣٦م)
- ٢٠٧ - الظرف والظرفاء، تحقيق فهمي سعد، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥م.
- وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ / ٨٢١م)
- ٢٠٨ - اخبار القضاة، ٣ج، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

- اليافعي، عفيف الدين عبدالله بن اسعد (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)
- ٢٠٩ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، تحقيق عبدالله الجبوري، ٤ ج، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)
- ٢١٠ - معجم الادباء، (ارشاد الاريب الى معرفة الاديوب)، تحقيق احسان عباس، ٧ ج، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٩٣م.
- ٢١١ - معجم البلدان، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، ٦ ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.
- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م)
- ٢١٢ - البلدان، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، د.ت.
- ٢١٣ - مشكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم ملورد، ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨٠م.
- ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م)
- ٢١٤ - كتاب الخراج، ط٥، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

### المراجع باللغة العربية:

- ابراهيم محمد الجمل
- ٢١٥ - نشأة المساجد ورسالتها، ٢ ج، مطابع الشعب، القاهرة د.ت.
- احمد امين
- ٢١٦ - ضحى الاسلام، ٣ ج، ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٣٥م.

- احمد حسين

٢١٧ - الاسلام والمرأة، دار الشرق الاوسط للنشر، القاهرة، د.ت.

- احمد شلبي

٢١٨ - التربية الاسلامية (نظمها فلسفتها تاريخها)، ط٦، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة  
١٩٧٨ م.

٢١٩ - موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، ١٠ ج، مكتبة النهضة المصرية،  
القاهرة ١٩٨٥ م.

- احمد عبد الباقي

٢٢٠ - معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية،  
بيروت ١٩٩١ م.

- احمد عبد الجواد الدومي

٢٢١ - احمد بن حنبل (محنة الدين والدنيا)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.

- احمد عقل الساري السالم

٢٢٢ - تمويل مدارس بغداد في العصر العباسي ١٣٢ - ٦٥٦ هـ، (رسالة ماجستير غير  
منشورة)، الجامعة الاردنية ١٩٩٣ م.

- احمد عيسى بك

٢٢٣ - تاريخ اليمارستانات في الاسلام، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨١ م.

- احمد فؤاد الاهواني

٢٢٤ - التربية في الاسلام، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣ م.

- احمد فريد رفاعي

٢٢٥ - عصر المأمون، ٣ ج، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٧ م.

- آدم متر.

٢٢٦ - الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبدالهادي ابو ريده،

٢ ج، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧ م.

- اسماء فهمي

٢٢٧ - مبادئ التربية الاسلامية، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة ١٩٤٧ م.

- اعتماد يوسف القصيري

٢٢٨ - فن التجليد عند المسلمين، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٩٧٩ م.

- باسمه كيالي

٢٢٩ - تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨١ م.

- باقر شريف القرشي

٢٣٠ - النظام التربوي في الاسلام (دراسة مقارنة)، دار التعارف للمطبوعات، بيروت

١٩٨٣ م.

- ابو بكر جابر الجزائري

٢٣١ - العلم والعلماء، دار الكتب السلفية، القاهرة د.ت.

- جان موريس فييه

٢٣٢ - احوال النصاري في خلافة بني العباس، ترجمة حسني زينة، ط١، دار المشرق،

بيروت ١٩٩٠ م.

- جواد علي

٢٣٣ - المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ١٠ ج، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٠ - ١٩٧٣ م.

- الحاج محمد احمد

٢٣٤ - العلم، ط ١، دار المطبوعات الحديثة، جدة ١٩٨٧ م.

- حسن ابراهيم حسن

٢٣٥ - تاريخ الاسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي)، ٤ ج، ط ٧، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٤ م.

- حسن ابراهيم عبدالعال.

٢٣٦ - فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة، مكتب التربية لدول الخليج، الرياض ١٩٨٥ م.

- حسن السندوبي

٢٣٧ - ادب الجاحظ، ط ١، المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٣١ م.

- حسين مؤنس

٢٣٨ - المساجد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨١ م.

- خطاب عطية علي

٢٣٩ - التعليم في مصر في العصر الفاطمي الاول، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٧ م.

- خالد محمد علي الحاج.

٢٤٠ - اعلام التربية والمربين من القدماء والمحدثين، ط ١، الناشر المؤلف، عمان ١٩٨٩ م.

- خليل طوطح

٢٤١ - التربية عند العرب، المطبعة التجارية، القدس، د.ت.

- خير الدين الزركلي

٢٤٢ - الاعلام، ٨ ج، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤ م.

- خير الدين وانلي

٢٤٣ - المسجد في الاسلام، د.د، د.م، ١٩٨٠ م.

- رفاعه الطهطاوي

٢٤٤ - مناهج الالباب المصرية في مباحج الاداب العصرية، دار الطباعة، القاهرة ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م.

- ابو زيد شلبي

٢٤٥ - تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي، ط٣، مكتبة وهبه، القاهرة ١٩٦٤ م.

- زيغريد هونكه

٢٤٦ - شمس العرب تسطع على الغرب (اثر الحضارة العربية في اوروبا)، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة فاروق عيسى الخوري، ط٧، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٢ م.

- سامي مكى العاني

٢٤٧ - معجم القاب الشعراء، ط١، مكتبة الفلاح، دبي ١٩٨٢ م.

- سعيد اسماعيل علي

٢٤٨ - معاهد التربية الاسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٦ م.



- سعيد الديوه جي

٢٤٩ - التربية والتعليم في الاسلام، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد ١٩٨٢م.

- سعيد عبدالفتاح عاشور وآخرون

٢٥٠ - دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية، ط٢، منشورات ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٦م.

- سليم التنير

٢٥١ - الشاعرات من النساء (اعلام وطوائف)، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق ١٩٨٨م.

- شوقي ضيف

٢٥٢ - العصر العباسي الاول، ط٨، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م.

- صالح ابو دياك

٢٥٣ - دراسات في التاريخ الاسلامي (الحضارة الاسلامية ومؤسساتها)، ط١، د.د، عمان ١٩٨٥م.

- ضيف الله يحيى الزهراني

٢٥٤ - النفقات وإداراتها في الدولة العباسية من سنة ١٣٢ - ٣٣٤هـ / ٧٤٩ - ٩٤٥م، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ١٩٨٦م.

- طاهر مظفر العميد

٢٥٥ - العمارة العباسية في سامراء، منشورات وزارة الاعلام، جامعة بغداد ١٩٧٦م.

- طلب صبار محل

٢٥٦ - رسوم دار الخلافة في العصر العباسي الاول ١٣٢ - ٢٤٧هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صلاح الدين، تكريت ١٩٨٩م.

- عامر جاد الله موسى او جبلة

٢٥٧ - تاريخ التربية والتعليم في صدر الاسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، عمان ١٩٨٧م.

- عبدالامير مهنا

٢٥٨ - اخبار النساء في كتاب الاغانى لابي فرج الاصفهاني، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٨٨م.

٢٥٩ - معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والاسلام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.

- عبدالجبار الجومرد

٢٦٠ - هارون الرشيد (دراسة تاريخية اجتماعية سياسية)، ط٢، المكتبة العمومية، بيروت ١٩٥٦م.

- عبدالحكي الكتاني

٢٦١ - التراتيب الادارية، ط٢، دار احياء التراث العربي، بيروت د.ت.

- عبدالرؤوف يوسف عبدالقادر

٢٦٢ - اخلاق العالم والمتعلم عند ابي بكر الآجري، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٩١م.

- عبدالرحمن عثمان حجازي

٢٦٣ - المذهب التربوي عند ابن سحنون، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م.

- عبدالعزيز الدوري

٢٦٤ - الجذور التاريخية للشعبوية، ط ٤، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٦ م.

٢٦٥ - العصر العباسي الاول (دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي)، ط ٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٨ م.

- عبدالعزيز محمد اللميلم

٢٦٦ - رسالة المسجد في الاسلام، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩١ م.

- عبدالغني عبود

٢٦٧ - في التربية الاسلامية، دار الفكر العربي، د.م، ١٩٧٧ م.

- عبدالقادر عياش

٢٦٨ - العصا في حياتنا وتراثنا، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٦٧ م.

- عبدالله عبدالدايم

٢٦٩ - التربية عبر التاريخ، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١ م.

- عبدالله فياض

٢٧٠ - تاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة، مطبعة اسعد، بغداد ١٩٧٢ م.

- ابو عبدالله محمد بن سعيد بن رسلان

٢٧١ - آداب طالب العلم، ط ١، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٣ م.

- عبدالله المشوخي

٢٧٢ - موقف الاسلام والكنيسة من العلم، مكتبة المنار، الزرقاء ١٩٨٢ م.

- عبدالله منسي السعد العمري

٢٧٣ - تاريخ العلم عند العرب، ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٠م.

- عبدالمنعم الغلامي

٢٧٤ - مآثر العرب والاسلام في القرون الوسطى، مطبعة ام الربيعين، الموصل ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م.

- عطية القوصي

٢٧٥ - الحضارة الاسلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٨٥م.

- علي ابراهيم حسن

٢٧٦ - نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨١م.

-- علي حسني الخربوطلي

٢٧٧ - الحضارة العربية الاسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.

- علي عبدالله الدفاع

٢٧٨ - اعلام العرب والمسلمين في الطب، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٣م.

- عمر رضا كحالة

٢٧٩ - اعلام النساء، ج٥، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م.

- عمر فروخ

٢٨٠ - تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م.

- فاروق عمر فوزي

٢٨١ - الخليفة المجاهد هارون الرشيد ١٧٠ - ١٩٣هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩م، ط١، دار الشؤون

الثقافية العامة (افاق عربية) بغداد ١٩٨٩م.

- فالتر هنتس

٢٨٢ - المكايل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي،  
الجامعة الاردنية، عمان ١٩٧٠م.

- فخر الدين فخر الدين

٢٨٣ - اخبار وطرائف عن الملوك والخلفاء والمغنين والشعراء والعشاق، ط١، دار الحرف  
العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩١م.

- فهمي عبدالرزاق سعد

٢٨٤ - العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت  
١٩٨٣م.

- فيليب حتي وآخرون

٢٨٥ - تاريخ العرب، ط٨، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٠م.

- قصي الحسين

٢٨٦ - من معالم الحضارة العربية الاسلامية، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر  
والتوزيع، بيروت ١٩٩٣م.

- كارل بروكلمان

٢٨٧ - تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم النجار وآخرون، ج٦، ط٥، دار المعارف،  
القاهرة ١٩٥٩م.

٢٨٨ - تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط١١، دار العلم  
للملايين، بيروت ١٩٨٨م.

- كاظم الجتّابي

٢٨٩ - مسجد ابي دُلف، وزارة الثقافة والاعلام مديرية الآثار العامة، بغداد ١٩٧٠م.

- ماجد عرسان الكيلاني

٢٩٠ - تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية، ط٢، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة ١٩٨٥م.

- ماجدة فيصل زكريا

٢٩١ - عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٧م.

- محمد ابو زهره

٢٩٢ - ابن خنبل (حياته وعصره آراؤه وفقهه)، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٧م.

- محمد احمد جاد صبح

٢٩٣ - التربية الاسلامية (دراسة مقارنة)، ط٢، ج١، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م.

- محمد أسعد طلس

٢٩٤ - التربية والتعليم في الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥٦م.

- محمد الحسيني عبدالعزيز

٢٩٥ - الحياة العلمية في الدولة الاسلامية، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٥م.

- محمد رضا الحكيمي

٢٩٦ - تاريخ العلماء عبر العصور المختلفة، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٨٣م.

- محمد سعد الشويعر

٢٩٧ - ابو الشمقمق شاعر الفقر والسخرية، ط٢، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض  
١٩٨٣ م.

- محمد شفيق غربال

٢٩٨ - الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧ م.

- محمد ضيف الله البطاينة

٢٩٩ - في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان  
١٩٨٤ م.

- محمد عطية الابراشي

٣٠٠ - تاريخ علماء المسلمين وآثارهم في التربية، ط٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٩ م.

- محمد كرد علي

٣٠١ - خطط الشام، ج٦، ط٣، مكتبة النوري، دمشق ١٩٨٣ م.

- محمد ماهر حماده

٣٠٢ - المكتبات في الاسلام (نشأتها وتطورها ومصانيرها)، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت  
١٩٧٨ م.

- محمد مصطفى هداره

٣٠٣ - المأمون الخليفة العالم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الاسكندرية ١٩٦٦ م.

- محمد منير سعد الدين

٣٠٤ - العلماء عند المسلمين، ط١، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٢ م.

- محمد منير مرسي

٣٠٥ - تاريخ التربية في الشرق والغرب، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٠م.

- محمد مهدي الموسوي

٣٠٦ - تحفة الساجد في احكام المساجد، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٥٦م.

- محمود احمد الحفني

٣٠٧ - اسحاق الموصلي الموسيقي النديم، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م، ١٩٨٥م.

- محمود شكري الالوسي

٣٠٨ - تاريخ مساجد بغداد وآثارها، تهذيب محمد بهجت الاثري، مطبعة دار السلام، بغداد ١٩٧٠م.

- محمود قمبر

٣٠٩ - دراسات تراثية في التربية الاسلامية، دار الثقافة، الدوحة ١٩٨٥م.

- مصطفى الشكعة

٣١٠ - الشعر والشعراء في العصر العباسي، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٦م.

- المكي اقلانيه

٣١١ - النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الاولى، ط١، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

- ملكه ايض

٣١٢ - التربية والثقافة العربية الاسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاث الاولى، دار العلم للملايين، د.م، ١٩٨٠م.



- منير الدين احمد

٣١٣ - تاريخ التعليم عند المسلمين حتى القرن الخامس الهجري، ترجمة سامي الصقار، دار المريخ، الرياض ١٩٨١م.

- ميخائيل عواد

٣١٤ - صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، ط٢، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦م.

- ناجي معروف

٣١٥ - اصالة الحضارة العربية، ط٣، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٥م.

- ونسك

٣١٦ - المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي، ٨ج، مكتبة بريل، لندن ١٩٣٦ - ١٩٦٩م.

- وليم الخازن

٣١٧ - الحضارة العباسية، ط٢، دار المشرق، بيروت ١٩٩٢م.

- ول وايرل ديورانت

٣١٨ - قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ٤٠ج، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٨م.

- يوسف العش

٣١٩ - تاريخ عصر الخلافة العباسية، راجعه ونقحه محمد ابو الفرج العش، ط١، دار الفكر، دمشق ١٩٨٢م.

## المقالات باللغة العربية:

- احمد الشامي

٣٢٠ - «اوراق البردي العربي مصدراً اصيلاً للتاريخ الاسلامي»، مجلة المؤرخ العربي، ع٩،  
الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد ١٩٧٨م، ص١١٨ - ١٤٤.

- بشار عواد معروف

٣٢١ - «التربية والتعليم»، حضارة العراق، ١٣ج، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٥م،  
ج٨، ص ١١٣ - ١٥٠.

- حبيب زيات

٣٢٢ - «الجلود والرقوق والطروس في الاسلام»، مجلة الكتاب، م٤، ج٩، السنة الثانية،  
١٩٤٧م، ص١٣٥٨ - ١٣٦٦.

٣٢٣ - «صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام»، مجلة المشرق، م٤٨، ١٩٥٤،  
ص٣ - ٣٠.

- حسين فلاح الكساسة

٣٢٤ - «معلمو الكتاتيب في الدولة العربية الاسلامية حتى نهاية القرن الثالث الهجري مكانتهم  
الاجتماعية»، بحث مقبول للنشر في مجلة دراسات، الجامعة الاردنية.

- خالد خليل حمودي

٣٢٥ - «نشأة المدارس في العصر الإسلامي»، مجلة آفاق عربية، السنة الرابعة، ع١،  
١٩٧٨م، ص١١٢ - ١١٥.

- رناد الخطيب

٣٢٦ - «المؤسسات التعليمية في العصر العباسي ١٣٢ - ٤٥١هـ / ٧٥٠ - ١٠٥٩م»، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، الجامعة الاردنية، جامعة اليرموك، جامعة دمشق ١٩٩٠م، ص ١ - ٢٤.

- عبدالسلام محمد هارون

٣٢٧ - «الجاحظ والمعلمون»، مجلة الكتاب، م ٢، ص ١٠، السنة الاولى، ١٩٤٦م، ص ٥٦٤ - ٥٧١.

- عبدالعزيز الدوري

٣٢٨ - «نشأة الثقافة العربية الاسلامية، نظرة الى العراق»، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، ع ١، م ٢، ١٩٧٨م، ص ٤٩ - ٦٨.

- كوركيس عواد

٣٢٩ - «خزائن كتب العراق العامة»، مجلة سومر، م ٢، ج ٢، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٤٦م، ص ٢١٤ - ٢٣٤.

- محمد توفيق بليغ

٣٣٠ - «المسجد والحياة في المدينة الاسلامية»، مجلة عالم الفكر، ع ١، م ١١، ١٩٨٠م، ص ١٦١ - ٢٣٢.

- محمد طه الحاجري

٣٣١ - «الورق والوراقة في الحضارة الاسلامية»، مجلة المجمع العلمي العراقي،

م ١٢، ١٩٦٥م، ص ١١٦ - ١٣٨

م ١٣، ١٩٦٦م، ص ٦٣ - ٨٧.

- محمد كرد علي

٣٣٢ - «التدوين في الاسلام»، مجلة المقتطف، م٧٧، ١٩٣٠م، ص ٢٦٤ - ٢٦٦.

- محمد عمر الخطيب

٣٣٣ - «الاسلام والعلم»، مجلة التمدن الاسلامي، م١٩، ج١٧، ١٨، جمعية التمدن الاسلامي، دمشق ١٩٥٢م.

- محمود مهدي استامبولي

٣٣٤ - «المنهج الاسلامي الجديد للتربية والتعليم»، مجلة التمدن الاسلامي، م٢٢، ج١٠، دمشق ١٩٧٥م، ص ٢١٢ - ٢٢٢.

- محي هلال السرحان

٣٣٥ - «تاريخ التعليم العربي في العصر العباسي»، المعلم الجديد، م٢٥، ج٢، وزارة المعارف، بغداد ١٩٦٢م، ص ١٥٠ - ١٥٤.

- واجدة مجيد الاطرقجي

٣٣٦ - «المرأة»، حضارة العراق، ١٣ج، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٥م، ج ٥، ص ٧ - ٦٦.

- وداد سكاكيني

٣٣٧ - «مجالس الادب عن نساء العرب»، مجلة المقتطف، م١٠٢، ج١، ١٩٤٣م، ص ٤٥٢ - ٤٥٧.

## المراجع باللغة الانجليزية

- George Makdisi,

338 - The Rise of Colloges, University Prees, Edenburgh. 1981.

## المقالات باللغة الانجليزية:

339 - EI<sup>2</sup>, "Masdjid".

340 - EI<sup>2</sup>, "Mihna".

341 - EI<sup>1</sup>, "Rabiā Al - Ādawiyya".

- Goldziher, I

342 - "Education (Muslim)", Encyclopaedia of Religion and Ethics, vol.5.pp.  
198 - 207.

- Hamidullah,

343 - "Educational System in The Time of The Prophet", Islamic Culture,  
vol.8 No.1. 1939 .p.p 48 - 60.

## ABSTRACT

This thesis deals with the history at education and teaching in Iraq in the early 'Abbāsid period 132-247 / 749-861.

It consists of a survey of the sources and five chapters:

### **Chapter one: Teachers and children teaching:**

This chapter deals with the concept of the word, teacher, the teachers' social situation, their characters, their acceptance, condition, and their financial positions.

It also deals with the children teaching in the mosques and in general kuttābs such as their location, their constitutions, subjects taught in them, teaching times and its periods, it also deals with children education, teacher's duties and manners in the class.

### **Chapter two : The muaddibs:**

This chapter means the concept of the word, muaddib, the muaddib's character, their acceptance conditions, their social status, and their financial positions, it also deals with the subjects taught to the caliphs and governor's sons, it also deals with the age of learning for caliphs' sons, and with the penalty, punishment and gifts system applied in the special kuttabs.

### **Chapter three: circles and councils of education:**

This chapter deals with definition of the words Halqa and majlis, also it deals with the places of education circles and councils, subjects taught in them, and their teaching systems, in addition to that it deals with travelling for science

sake, teachers numbers, students learning age, teaching times in circles and councils the social status of the scientist permissions.

#### **Chapter four: Education of females**

It concerns with the general attitude for females educations, subjects and teaching places.

#### **Chapter five : The helping means of education.**

This chapter examens the writting means used by students such as, papers, pens, books , libraries and others.

تبحث هذه الدراسة في تاريخ التربية والتعليم في العراق في العصر العباسي الأول ١٣٢هـ-٢٤٧هـ/٧٤٩-٨٦١م. وتتألف من عرض وتحليل للمصادر وخمسة فصول.

#### الفصل الأول: المعلمون وتعليم الصبيان

ويتناول المعلمين من حيث مدلول كلمة معلم، ومكانة المعلمين الاجتماعية، وصفاتهم وشروطهم، والوضع المالي للمعلمين، كما يتناول تعليم الصبيان في المساجد، وهيكلتها، ومواد التعليم فيها، وأوقات التعليم ومدته، كما تناول تأديب الصبيان، وواجبات وأساليب المعلم في الدرس.

#### الفصل الثاني: مؤدبو أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة:

يتناول معنى كلمة مؤدب، وصفات وشروط المؤدبين، ومكانتهم الاجتماعية، وأوضاعهم المالية، ومواد التعليم لأبناء الخلفاء والخاصة، وأساليب تدريس هذه المواد، بالإضافة إلى الحديث عن سن تعليم أبناء الخلفاء، والعقاب والثواب في الكتاتيب الخاصة.

#### الفصل الثالث: حلقات التعليم ومجالسه:

يتناول تحديد معنى الحلقة والمجلس، وأماكن انعقاد حلقات ومجالس العلم، وموضوعاتها، وأساليب وطرق تدريسها، والرحلة في طلب العلم، وأعداد المتعلمين، وسن ابتداء طلب العلم لطلابها، ومواعيد التعليم في الحلقات والمجالس، ومكانة العلماء الاجتماعية، والإجازات العلمية لطلاب العلم.

#### الفصل الرابع: تعليم المرأة:

يتناول الموقف العام من تعليم الإناث، والمواد التعليمية التي تناولتها وأماكن تلقيها للعلم التي شملت الكتاتيب، والمساجد، والمنازل، والقصور.



الفصل الخامس: الوسائل المعينة على التعليم.

ويشتمل على ادوات الكتابة التي استخدمها المتعلمون على مختلف مستوياتهم العلمية، والوراقين، والكتب والمكتبات، وانواعها وما يتعلق بها من تنظيمات ادارية ومالية.

## الملخص

تبحث هذه الدراسة في تاريخ التربية والتعليم في العراق في العصر العباسي الأول ١٣٢هـ-٢٤٧هـ/٧٤٩-٨٦٩م. وتتألف من عرض وتحليل للمصادر وخمسة فصول.

### الفصل الأول: المعلمون وتعليم الصبيان

ويتناول المعلمين من حيث مدلول كلمة معلم، ومكانة المعلمين الاجتماعية، وصفاتهم وشروطهم، والوضع المالي للمعلمين، كما يتناول تعليم الصبيان في المساجد، وهيكلتها، ومواد التعليم فيها، وأوقات التعليم ومدته، كما تناول تأديب الصبيان، وواجبات وأساليب المعلم في الدرس.

### الفصل الثاني: مؤدبو أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة:

يتناول معنى كلمة مؤدب، وصفات وشروط المؤدبين، ومكانتهم الاجتماعية، وأوضاعهم المالية، ومواد التعليم لأبناء الخلفاء والخاصة، وأساليب تدريس هذه المواد، بالإضافة إلى الحديث عن سن تعليم أبناء الخلفاء، والعقاب والثواب في الكتاتيب الخاصة.

### الفصل الثالث: حلقات التعليم ومجالسه:

يتناول تحديد معنى الحلقة والمجلس، وأماكن انعقاد حلقات ومجالس العلم، وموضوعاتها، وأساليب وطرق تدريسها، والرحلة في طلب العلم، وأعداد المتعلمين، وسن ابتداء طلب العلم لطلابها، ومواعيد التعليم في الحلقات والمجالس، ومكانة العلماء الاجتماعية، والإجازات العلمية لطلاب العلم.

### الفصل الرابع: تعليم المرأة:

يتناول الموقف العام من تعليم الإناث، والمواد التعليمية التي تناولتها وأماكن تلقيها للعلم التي شملت الكتاتيب، والمساجد، والمنازل، والقصور.